

لِلْإِسْلَامِ وَمُنْشُورَاتِ مَكْتَبَةِ رِزَالِ الْمُهَاجِرِينَ لِلدِّينِ وَالْأُتْرَاقِ بِإِذْنِ

(١٧٦)

المُخَرَّبُ

فِي

شَرْحِ الْعَقِيدَةِ الْقَيَّرَوَانِيَّةِ

(مَقْدِمَةُ الرِّسَالَةِ لِابْنِ أَبِي زَيْدٍ لَقَيْرَوَانِي الْمَقْرِبِيِّ ت ٣٨٦ هـ)

وَهُوَ مَأْنَقَلُهُ لَقَيْرَوَانِي مِنْ قَوْلِ سَالِكِهِ ، وَلِعَاوَمٍ مِنْ مَذْهَبِهِ
وَمَاعِلَانِيَةِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَأُتَمُّ النَّاسِ فِي الْفِقْهِ وَالْمَدِينَةِ

تَأَلَّفَ

عَبْدُ الْعَزِيزِ بْنِ مَرْزُوقِ الطَّرِيفِيِّ

غَفَرَ اللَّهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِينَ

مَكْتَبَةُ رِزَالِ الْمُهَاجِرِينَ

لِلْإِسْلَامِ وَالْأُتْرَاقِ بِإِذْنِ

مُخَفَّفُ السَّعْرِ

المختار في

شرح العقيدة القديرة

جميع حقوق الطبع محفوظة للدار المنهج بالرياض
الطبعة الأولى
١٤٣٨ هـ

مكتبة دار المنهج
للنشر والتوزيع
المملكة العربية السعودية - الرياض

المركز الرئيسي - النازي الشرق - مخرج ١٥ - جنوب أسواق الحمد
ت : ٤٤٥٦٢٢٩ - فاكس : ٤٤٦٢٠١٤ - ص ب : ٥١٩٢٩ - الرياض ١١٥٥٣
الفرع - طريق خالد بن الوليد (الإنكاس سابقاً) ت : ٤٢٢٢٠٩٥
مكة المكرمة - الجميزة - الطريق النازل للمحرم - ت : ٥٧٢١٣٧٧
الدمية النبوية - أمام الجامعة الإسلامية من جهة الجنوب - ت : ٤/٨٤٦٧٩٩٩
حساب الدار في موقع تويتر : @Alminhajj

مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع بالرياض ١٧٦

المغربي

في

شرح العقيدة القيروانية

(مقدمة الرسالة لابن أبي زيد القيرواني المغربي ت ٥٣٨٦ هـ)

وهو ما نقله القيرواني من قول مالك ، ولما علم من مذهبه
وما عليه أهل السنة وأئمة الناس في الفقه والحديث

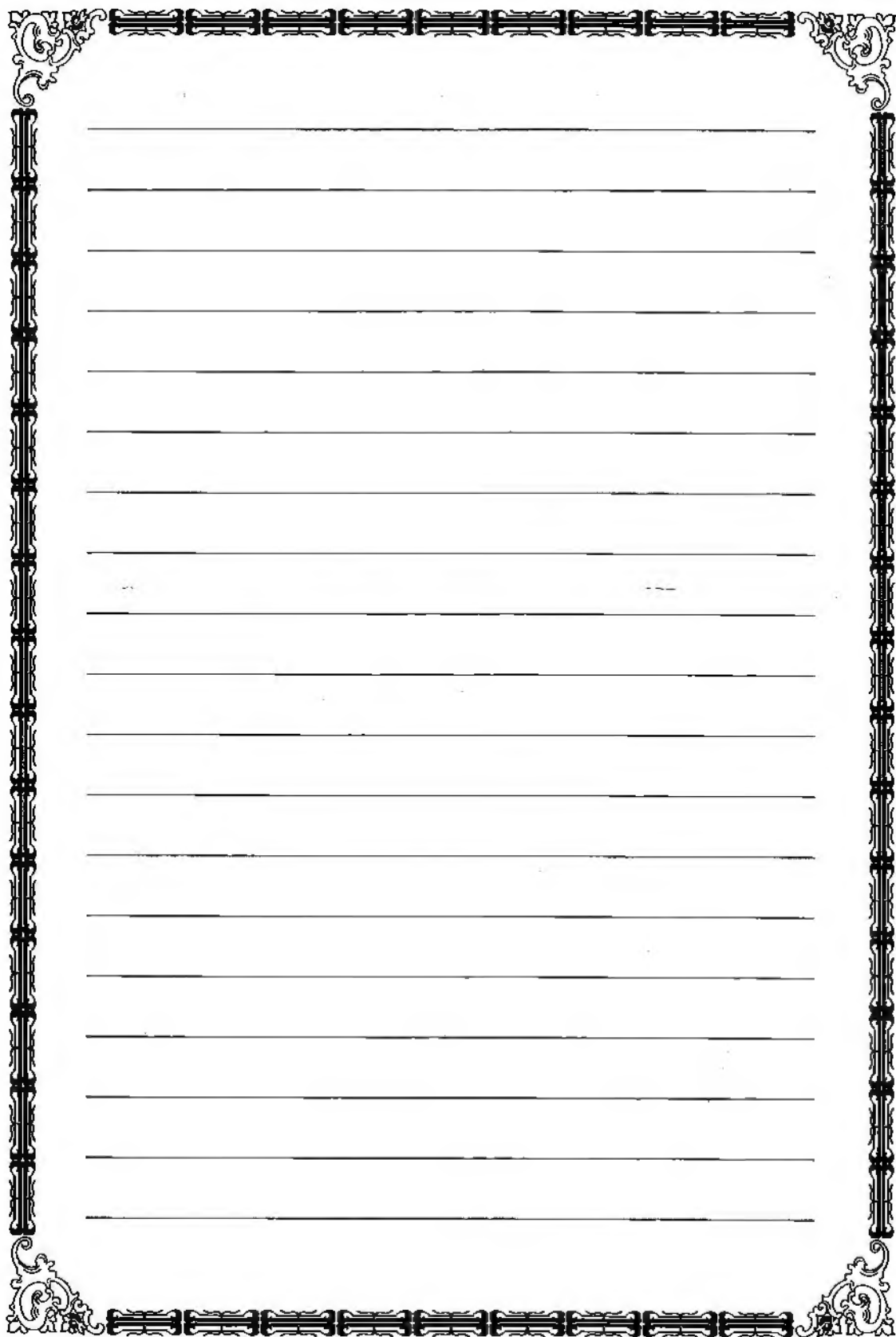
تأليف

عبد العزيز بن مرزوق الطريفي

غفر الله له ولوالديه وللمؤمنين

مكتبة دار المنهاج

للنشر والتوزيع بالرياض



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمُقَدِّمَةُ الْعَقْدِيَّةُ، لِلرِّسَالَةِ الْفِقْهِيَّةِ

قَالَ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدِ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَّرَوَانِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
(ت ٣٨٦هـ):

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ،
وَأَبْرَزَهُ إِلَى رَفِيقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ
فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا.

وَبَنَّهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعَذَرَ إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَيْرَةَ مِنْ
خَلْقِهِ، فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِمُضْلِهِ، وَأَصْلَ مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ
لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرِ، فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ،
وَيَقْلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَيَمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَ عَلَيْهِمْ، وَتَعَلَّمُوا مَا
عَلَّمَهُمْ، وَوَقَّفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْنَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ
عَلَيْهِمْ.

أَمَّا بَعْدُ:

أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ، وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ.
فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ؛

مِمَّا تَنْطَلِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ
بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ؛ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَنَوَافِلِهَا، وَرَعَائِيهَا وَشَيْءٍ مِنْ
الْأَذَابِ مِنْهَا، وَجُمَلَ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ وَفُتُوئِهِ؛ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ
أَنْسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ.

مَعَ مَا سَهَلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ
الْمُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ؛ كَمَا تُعَلِّمُهُمْ حُرُوفُ
الْقُرْآنِ؛ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ؛ مَا تُرْجَى لَهُمْ
بَرَكَتُهُ، وَتُحَمَّدُ لَهُمْ عَافِيَتُهُ؛ فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ
ثَوَابِ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ.

وَاعْلَمْ: أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاها لِلْخَيْرِ، وَأَرْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ:
مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ.

وَأُولَى مَا عُنِيَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاعِبُونَ: إِيْصَالُ
الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ، لِيَرَسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيَهُمْ عَلَى مَعَالِمِ
الدِّيَانَةِ، وَخُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ
قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رُويَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ،
يُظْفِقِي غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ الشَّيْءِ فِي الصَّغَرِ؛ كَالنَّفْسِ فِي الْحَجَرِ.

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ،
وَيَسْرُقُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعَدُونَ بِإِعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضَرَّبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرِ،
وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ؛ فَكَذَلِكَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى
الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ
قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنْسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِعْتِقَادَاتِ، وَعَلَى
الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

وَسَأَفْضَلُ لَكَ مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرَهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَإِيَّاهُ نَسْتَخِيرُ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ
الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا



بَابُ مَا نَنْطِقُ بِهِ إِلَّا لِسِنَهُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْإِفْدَةُ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَيْءَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ.

لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ.

لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ.

يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ.

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ

وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الْعَالِمُ الْخَبِيرُ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ.

وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُوسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ

الْوَرِيدِ، ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا

زَرْعٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩].

عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ اخْتَوَى.

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ

وَأَسْمَائِهِ؛ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُحَدَّثَةً.

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ.
وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ.
وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَبِيدُ، وَلَا صِفَةُ لِمَخْلُوقٍ
فَيَنفَدُ.

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوهُ وَثَمَرُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ
رَبُّنَا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ.
عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ
وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛ ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ
الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَفِّقُهُ بِمُضْلِهِ؛ فَكُلُّ
مَيْسَرٍ بِتَيْسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدَرِهِ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ.
تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى، أَوْ
يَكُونَ خَالِقٌ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ
وَأَجَالِهِمْ.

الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ.
ثُمَّ خَتَمَ الرُّسَالَ وَالنَّذَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ
الْمُرْسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا.
وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ.

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا
بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ.

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كَبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ، بِاجْتِنَابِ الْكَبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَثُبْ مِنَ الْكَبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨].

وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧].

وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ.

وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَأَلْحَدَ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَخْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَتِهِ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ لِعَرْضِ الْأَمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا.

وَتُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؛ ﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨].

وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فَ: ﴿مَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ بِسَمِيحِهِ ۖ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، وَمَنْ أُوْفِيَ كِتَابُهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا.

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛ فَتَاجِدُونَ مُتَقَاتِلِينَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْفَقَتْهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ.

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرِدُهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُدَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيَّرَ.

وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا؛ فَيَكُونُ فِيهَا النِّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ.

وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنَبِيٍّ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنَبِيٌّ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ الشُّنَّةِ.

وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ.

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرَزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يُنْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُقْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ؛ ﴿يُنَبِّئُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ.

وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَآمَنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ.

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَلَّا يُذَكَّرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَلَّ بِهِمُ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ.

وَالطَّاعَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلاَةِ أُمُورِهِمْ وَعُلَمَائِهِمْ.
وَاتِّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَاقْتِنَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ.
وَتَرْكُ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ، وَتَرْكُ مَا أَخَذَهُ الْمُحَدِّثُونَ.

وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا





المُقَدِّمَة

الحمد لله؛ له الحمد كله، أوَّلُهُ وآخِرُهُ، ظَاهِرُهُ وبَاطِنُهُ، وله الشكر كله على ما أفاضَ به وتكرَّم، ونفَضَلَ به على عباده وأنعم. ونشهد أن لا إله إلا الله، وأنَّ مُحَمَّدًا عبده ورسوله. وصلى الله وسلَّم على النبيِّ الأَمِين، مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ وعلى آله وصحبه ومَن تَبِعَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ:

فإنَّ أعظمَ الواجباتِ على الإنسانِ: مَعْرِفَةُ مُوجِدِهِ، وَغَايَةِ وَجُودِهِ، وَحَقِّ مُوجِدِهِ - وهو الله - عليه؛ وذلك أنَّ هذا هو دعوة جميع الرسل؛ قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيْنا إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

وبيانُ الحقِّ يكونُ بأخذه من أصوله والتدليل عليه به، وبيانه يكونُ بلا جدالٍ ولا مرأى؛ فإنَّ الجدالَ والمرأى الزائدَ عن البيِّنة يُورِثُ العنادَ والمكابرةَ، ويُحْدِثُ في نفوسِ المخالِفينَ العِزَّةَ بالإثمِ حتى وإنِ استبانوا الحقَّ.

فمِنَ الناسِ مَنْ يَقُولُ الخطأَ بلا فَناعةٍ، فإذا جادَلَهُ أحدٌ عانَدَ وكابَر؛ فيكونُ جدالُهُ تَثْبِيْناً للخطأِ في نَفْسِهِ! ومِثْلُ هذا يَبِيْنُ له الصوابُ ويتركُ بلا جدالٍ.

وقد نهج الأئمة من السلف بيان الحق والبعد عن الجدال الزائد فيه، وقد قيل لمالك: الرجل له علم بالسنة يجادل عنها؟ قال: «لا، ولكن يُخبر بالسنة؛ فإن قيل منه، وألا سكّ»^(١).

وإيضاح الحق بلا جدال ولا مرأى زائد عن الحجة، يُبقي في قلب المخالف قسماً منه وإن لم يُظهر قبوله، وربما حمل ذلك على المراجعة في السر؛ تهيئاً من الرجوع في العلن؛ فللنفس سلطان وعزة لا يغلبها بالحق إلا النذرة من أصفياء الناس.

والواجب على المتكلم: بيان الحق بحجته بما يفهمه السامع والقارئ بلا تكلف، مع الأخذ في الحسبان: المعاند، وضعيف الفهم، والتفريق بينهما؛ فإن بعض من يعجز عن الفهم، يظن أن القائل يعجز عن التعبير؛ وهذا يمكن تقريبه بالرفق، ويمكن أن يُبعد فيصنع منه الإبعاد معانداً بالشدة.

ولم يزل العلماء يعرفون الإنسان ويدّكرونه بذلك، ويعرفونه بحق ربّه عليه، وذلك في كل بلد، وفي كل زمن، ولم تخل بلد من بلدان الإسلام مشرقاً ومغرباً من مبلغ عن الله مقيم للحجة على الخلق؛ وهذا مقتضى حفظ الله لدينه أن سخر له حَفَظَةً يحفظونه ويبلغونه.

وفي المغرب أئمة على آثار من سلف؛ فقد نزلها صحابة وتابعون، وأئمة مهتدون، وأخذ عنهم أهلها، ومنهم أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني، وله كتب على آثار من السلف في الأصول والفروع، ومنها كتاباه: «الرسالة»، و«الجامع»، وقد أبان فيهما اعتقاد السلف في

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٨٤).

مَعْرِفَةِ اللَّهِ وَحَقَّهُ عَلَى عِبَادِهِ، وَقَدْ تَعَدَّى نَفْعُ كِتَابِهِ أَهْلَ بَلَدِهِ؛ فَاثْنَفَعَ بِهَا
أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ.

هَذَا؛ وَقَدْ زُرْتُ الْقَيْرَوَانَ عَامَ ثَلَاثَةِ وَثَلَاثِينَ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ وَأَلْفٍ، وَكَانَ
فِي أَهْلِهَا حُبٌّ لِلْعِلْمِ وَحِرْصٌ عَلَى تَلْقَائِهِ فِيمَا كَانَ مِنْ مَجَالِسَ فِي جَامِعِ
الْقَيْرَوَانِ: (عُقْبَةُ بْنُ نَافِعٍ)، وَغَيْرِهِ.

وَقَدْ رَغِبَ إِلَيَّ بَعْضُ مَنْ لَقِيتُ: شَرَحَ مَعْتَدِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَيَبَانَ مَا
عَلَيْهِ أَسْلَافُهُ مِنَ الْأَثْمَةِ الْمَهْدِيِّينَ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَا عَلَيْهِ الْإِمَامُ
مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ؛ خَاصَّةً مِنْ أَهْلِ الْمَغْرِبِ الَّذِينَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَنْ طَبَقَتِهِمْ
مِنَ الْأَثْمَةِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَصُولِ إِلَّا بِاخْتِلَافِ الْأَرْضِ، وَتَبَاعُدِ الْقَطْرِ.
وَقَدْ كَانَ التَّعْلِيقُ عَلَى مَقْدِمَةِ «الرِّسَالَةِ»؛ مِنْ غَيْرِ إطَالَةٍ تُمَلِّ،
وَلَا اخْتِصَارٍ يُخِلُّ، حَتَّى يَتَحَقَّقَ الْمَقْصُودُ، وَمِنْ اللَّهِ التَّوْفِيقُ وَالتَّسْدِيدُ.

وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَى النَّبِيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

عبد العزيز الطريفي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، مستوجب كمال الشكر لتفريده بالنعم،
والصلاة والسلام على سيد ولد آدم المبعوث لجميع الأمم:
أَمَّا بَعْدُ،

فإن توفيق الإنسان يكون بمقدار علمه وصدق فيه؛ فلا ينال التوفيق
إلا بالعلم بالحق، وكمال التوفيق إصابة الحق عن علم به، وذلك أنه قد
يُصيب الإنسان الحق وهو جاهل؛ وذلك بالصدفة والتقليد، ومن أصاب
الحق بالصدفة والتقليد لا يثبت عليه، وإنما يتغير بحسب عوامل الصدفة
وسير المتبوعين وما يلحقه من خوف أو طمع في طريقه.

وقد ينشأ الإنسان في بلد أو مجتمع ويكون على ما كان عليه
منشؤه، وقد يصيب الحق وقد لا يصيبه، وقد يصيبه عن علم، وقد يصيبه
عن جهل، كما أنه قد يخطئه عن علم، وقد يخطئه عن جهل.

❦ فضل العلم وأفضله:

ولا يختلف الناس على فضل العلم، وأن زيادة اليقين تكون - من
بين ما تكون - بمقدار زيادة العلم، وأعظم مراتب اليقين اليقين بالله،
ففضل العلوم بفضل المعلوم، وأفضل العلوم نوعان:

الأول: العلم بالمعبود؛ وهو الله تعالى.

الثاني: العلم بحق المعبود، وحقه: أن يُعبد وحده بما شرع؛

فالعبادة هي الصلوة التي تكون بين العابد ومعبوده، والمخلوق وخالقه.
وأدنى ذركات الجهل: الجهل بالمعبود، ثم الجهل بعبادته؛ فمن كان جاهلاً بالله، صرف العبادة لغير الله، ومن كان عالماً بالله، وجاهلاً بالعبادة، عبد الله بغير ما شرع، ومن كان جاهلاً بالعبادة والمعبود، وقع في الشرك والبدعة كليهما.

وقد أوجد الله الإنسان في الأرض، وجعل له عقلاً ليُصِرَ به دنياه، وأنزل إليه النقل (الوحي) ليُصِرَ به دينه؛ فمن عطل العقل، فسدت دنياه؛ كما تفسد دنيا المجنون، ومن عطل النقل، فسد دينه؛ كما يفسد دين المحرفين وأهل الأهواء، ومن أبصر فساد دنيا فاقد العقل، عرف كيف يكون فساد دين فاقد النقل.

﴿ حفظ العقل والنقل : ﴾

وقد فطر الله الإنسان على الاحتراز مما يفسد عقله من الأمراض والعِلَل؛ حتى لا تؤثر على دنياه، ويمثل ذلك جاءت حياطة النقل من الأهواء والبدع؛ حتى لا تؤثر على الدين، ولكن لما كانت لذّة الدنيا عاجلة، ومتعة الآخرة آجلة، غلب على الناس حماية الدنيا أكثر من حماية الدين.

وقد وصف الله ميل الإنسان وحبه للذة العاجلة في مواضع؛ قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [الغیامة: ٢٠]، وقال: ﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ﴾ [الإنسان: ٢٧]، وقال: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾ [الإسراء: ١٨].

فالنفس ميالة للمتعة العاجلة؛ فإن المتعة العاجلة تسلب الحواس وتجذبها إليها؛ ولهذا أمر الله بعدم مدّ البصر إليها حتى لا تجذبه وتحرفه، وقد قال الله لنبيه المعصوم: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ

أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِهِمْ فِيهِ وَرَزَقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى ﴿طه: ١٣١﴾،
والتوسُّعُ بالمتعة العاجلة يُنسي النعيم الآجل؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَكِنْ
مَتَّعْتَهُمْ وَعَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا اللَّهَ الَّذِي كَرَّمَهُمْ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨].

وسيرُ الإنسان لتحقيقِ المتعة الدنيويّة والاكتفاء بذلك، قَدْرُ يُشارِكُهُ
فيه الحيوان؛ كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَنَعَّوْنَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ
وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]، بل إنَّ الحيوانَ أكملُ في تحقيقِ كمالِ متعته
من الإنسان، ولكنَّ الله اختصَّ الإنسانَ بالعبوديّة له؛ وهي التي يُفارقُ
الإنسانُ بها الحيوان؛ ولهذا فإنَّ الله إذا ذكَّرَ الإنسانَ في القرآن ذكْرَهُ
مذمومًا، وإذا وصفَهُ بالإيمانِ مدحَهُ.

وقد أنزَلَ اللهُ الوحيَ ليحفظَ العقولَ مِنْ سطوةِ النفوسِ واستبدادِها
على الإنسان.

﴿فَضْلُ قُرْبِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ الْأَوَّلِ﴾

وأصحُّ الناسِ اعتقادًا وأسلمَهم فهمًا: أصحابُ القرونِ الثلاثةِ
الأولى؛ لقوله ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ)، وقد أنزَلَ اللهُ الوحيَ على نبيِّه ﷺ بلسانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، وكان
وضعه على وضعِ قُرَيْشٍ ولسانِهِمْ، وأقربُ الناسِ إلى الحقِّ وفهمِهِ: مَنْ
تحقَّقَ فيه القُرْبَانِ مِنَ الوحيِ:

القربُ الأوَّلُ: قربُ الزمانِ.

والقربُ الثاني: قربُ المكانِ.

وقد كان طُلَّابُ الحقِّ في القرونِ الأولى يعظُمونَ أهلَ الفقهِ في
الحجازِ، ويقدمونَ فهمَهم:

فَكُلَّمَا كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ أَسْبَقَ زَمَنًا وَأَقْرَبَ مَكَانًا، كَانَ أَقْرَبَ إِلَى الصَّوَابِ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ الْوَحْيَ نَزَلَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ وَبِلِسَانِهِمْ أَوْ لِسَانِ مَنْ حَوَّلَهُمْ.

وَكُلَّمَا تَقَادَمَ الزَّمَانُ، وَتَبَاعَدَ الْمَكَانُ، ضَعُفَ اللِّسَانُ. وَقَدْ يُوجَدُ صَحِيحُ الْإِعْتِقَادِ بَعِيدَ الْمَنْزِلِ، وَقَرِيبَ الْمَنْزِلِ فَاسِدُ الْإِعْتِقَادِ.

❦ الْمَغْرِبُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ:

دَخَلَ الْإِسْلَامُ الْمَغْرِبَ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، ثُمَّ تَوَسَّعَ فِي خِلَافَةِ مَنْ بَعْدَهُ؛ كَعُثْمَانَ، ثُمَّ فِي إِمَارَةِ مُعَاوِيَةَ، وَيَزِيدَ، وَعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ:

فَإِنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ قَدْ بَعَثَ عَمْرُو بْنَ الْعَاصِ، وَعُثْمَانَ بَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي السَّرْحِ، وَمُعَاوِيَةَ بَعَثَ رُوَيْفِعَ بْنَ ثَابِتٍ، وَمُعَاوِيَةَ بْنَ حُذَيْفٍ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ، وَعُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ، وَجَاءَ يَزِيدُ وَأَتَمَّ أَمْرَ عُقْبَةَ بْنَ نَافِعٍ. وَكُلُّ أُولَئِكَ الْمَبْعُوثِينَ صَحَابَةً؛ إِلَّا عُقْبَةَ، فَمَوْلُودُ زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ وَبِهِ دَخَلَ الْإِسْلَامَ عَامَّةُ الْمَغْرِبِ الْأَدْنَى وَالْأَوْسَطِ، حَتَّى بَلَغَ مُحِيطَهُ الْأَطْلَسِيَّ، وَمِمَّا اشْتَهَرَ عَنْهُ قَوْلُهُ: «اللَّهُمَّ، اشْهَدْ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ الْمَجْهُودَ، وَلَوْلَا هَذَا الْبَحْرُ، لَمَضَيْتُ فِي الْبِلَادِ أَقَاتِلُ مَنْ كَفَرَ بِكَ؛ حَتَّى لَا يُعْبَدَ أَحَدٌ دُونَكَ»^(١).

ثُمَّ اتَّسَعَ الْإِسْلَامُ بَعْدَ بَيْدِ زُهَيْرِ بْنِ قَيْسٍ، وَمُوسَى بْنِ نُصَيْرٍ، وَطَارِقِ بْنِ زِيَادٍ؛ حَتَّى جَاوَزَتْ الْأَنْدَلُسُ إِلَى جَنُوبِ فَرَنْسَا.

(١) «رياض النفوس» (٣٩/١).

وكلُّ هذا قبلَ تمامِ المِثَّةِ مِنَ الهِجْرَةِ.

وقد دَخَلَ بلدانَ المغربِ جماعةٌ مِنَ الصحابةِ فاتحين، وقد سَمِيَ أَهْلُ السَّيْرِ خَلْقًا مِنْهُمْ مَتَفَرِّقِينَ؛ يَفْرُقُونَ أَوْ يَزِيدُونَ عَلَى خَمْسِينَ نَفْسًا، وقد أَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الْحَكَمِ عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ يَسَارٍ قَالَ: «عَزَوْنَا إِفْرِيقِيَّةَ مَعَ مُعَاوِيَةَ بْنِ حُذَيْفٍ، وَمَعَنَا بَشَرٌ كَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ»^(١).

وَأَمَّا التَّابِعُونَ: فَخَلَقُوا كَثِيرًا لَا يُحْصَوْنَ، وَقَدْ ارْتَحَلَ إِلَى الْمَغْرِبِ جَمَاعَةٌ مِنَ فَهَاءِ التَّابِعِينَ مِمَّنْ سَمِعَ أَوْ أَدْرَكَ جَمَاعَةً مِنَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ - كَابْنِ عَبَّاسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو، وَطَبَقَتُهُمْ - لِنَشْرِ الْعِلْمِ فِي الْمَغْرِبِ؛ كَحَيٍّ بْنِ مَوْهَبٍ الْمَعَاوِرِيِّ، وَجَبَّانَ بْنِ أَبِي جَبَلَةَ الْقُرَشِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ الْقُرَشِيِّ، وَبَكْرِ بْنِ سَوَادَةَ الْجَذَامِيِّ، وَعَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنِ رَافِعِ التَّنُوخِيِّ، وَعَبْدَ اللَّهِ بْنِ يَزِيدَ الْمَعَاوِرِيِّ، وَإِسْمَاعِيلَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي الْمُهَاجِرِ، وَجُعْثَلِ بْنِ عَاهَانَ الرَّعِينِيِّ، وَسَعْدِ بْنِ مَسْعُودِ التَّجِييِّ، وَطَلْقِ بْنِ جَعْبَانَ الْفَارِسِيِّ.

وهؤلاء أَرْسَلَهُمُ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِتَعْلِيمِ أَهْلِ الْمَغْرِبِ.

وكَذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ مِنَ التَّابِعِينَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي بُرْدَةَ الْقُرَشِيُّ، وَعَلِيُّ بْنُ رَبَاحٍ اللَّخْمِيُّ.

وعامة هؤلاء سَكَنَ الْقَيْرَوَانَ بِلَدِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ، وَأَكْثَرَهُمْ تُوفِّيَ فِيهَا، وَخَلَفَهُمْ فِي ذَلِكَ تَلَامِيذُهُمْ، وَكَانَ السَّلَفُ يَسْمُونُ الْقَيْرَوَانَ بِإِفْرِيقِيَّةَ، وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «تُوفِّيَتْ حَفْصَةُ عَامَ فُتِحَتْ إِفْرِيقِيَّةَ»^(٢)؛ يَرِيدُ: الْقَيْرَوَانَ،

(١) «فتوح مصر» (ص ٢٢٠).

(٢) «تاريخ أبي زرعة» (٤٨٩ و ١٢٨٢).

وهكذا في «المدونة» إذا أُطلقَ إفريقية، فالمراد بها: القيروان؛ لأنها أظهرُ معالِمها وعواميرها^(١).

السُّنَّةُ وَالْأَثَرُ وَعِلْمُ الْكَلَامِ فِي الْمَغْرِبِ:

وكان الناسُ في إفريقية والمغربِ على السُّنَّةِ والأثر، ولم تَظْهَرْ فيهم البدْعُ منمَكُنَّةً، ولا علْمُ الكلامِ والفلسفة، وقد كان الفيلسوفُ أبو بكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ الطُّفَيْلِ الْقَيْسِيُّ في القرنِ السادسِ يصفُ نُذْرَةَ الفلسفةِ في المغربِ بأنها أَعْدَمُ مِنَ الْكِبَرِيَّةِ الْأَحْمَرِ^(٢)، وكانتِ المغربُ آخِرَ بلدانِ الإسلامِ يَنْتَظِمُ فيها علْمُ الكلامِ، وقد كانتِ بلدانُ الإسلامِ على جهاتٍ ثلاثٍ:

الأولى: بلادُ المَشْرِقِ؛ وهي: مِنْ عِرَاقِ الْعَجَمِ إِلَى خُرَاسَانَ وما وراءَها، وهي موضعُ الفلاسفةِ في الإسلامِ، وفيها ظَهَرَ علْمُ الكلامِ، ودَخَلَ في تَقْرِيرِ مَسَائِلِ الدِّينِ؛ كَأَقْوَالِ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ، وَالْجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، وَهِيَ مَوْطِنُ الْفَارَابِيِّ، وَابْنِ سِينَا، وَابْنِ مِسْكُونِهِ، وَهِيَ مَوْطِنُ الْأَئِمَّةِ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ كَابْنِ فُورَكَ، وَأَبِي إِسْحَاقَ الْإِسْفَرَايِينِي، وَأَبِي الْقَاسِمِ الْفُشَيْرِيِّ، وَالْجُونِيِّ، وَالْغَزَالِيِّ.

الثانية: بلادُ الْمَغْرِبِ؛ وهي: الْمَغْرِبُ الْأَدْنَى؛ وَتُسَمَّى إِفْرِيقِيَّةً، وَهِيَ الْقَيْرَوَانُ وَمَا حَوْلَهَا، وَالْمَغْرِبُ الْأَقْصَى؛ وَهِيَ الْأَنْدَلُسُ وَمَا وَرَاءَهَا.

الثالثة: ما بَيْنَهُمَا؛ وهي: جَزِيرَةُ الْعَرَبِ وَمَا اتَّصَلَ بِهَا مِمَّا بَيْنَ

(١) «حاشية العدوي بهامش شرح مختصر خليل» (٣/١٨٦).

(٢) «حي بن يقظان» (ص ٢٠).

المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، وما يَرِيطُ بهما مِنْ عِرَاقِ العَرَبِ والشَّامِ، وإنْ كانَ العِرَاقُ يَعدُّهُ أَهلُ الحِجَازِ شَرْقًا، والشَّامُ يَعدُّونَهُ غَرْبًا.

﴿ أَثَرُ المَشْرِقِ عَلَى المَغْرِبِ :

والمذاهبُ الإِسْلَامِيَّةُ فِي المَغْرِبِ فِي الأَصُولِ والفُرُوعِ، إِنَّمَا أُخِذَتْ مِنَ المَشْرِقِ؛ حَتَّى مَذْهَبُ أَهْلِ الظَّاهِرِ لَمْ يَنْشَأْ فِي المَغْرِبِ؛ وَإِنَّمَا نَشِطَ فِيهِ، وَنَشَأَتُهُ مَشْرِقِيَّةٌ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي عَامَّةِ مُتَكَلِّمِي الأَشَاعِرَةِ فِي المَشْرِقِ، وَجَدَ أَنَّهُمْ لَا يَكَادُونَ يَذْكُرُونَ مُتَكَلِّمِيهِمْ فِي المَغْرِبِ؛ بِخِلَافِ المَغَارِبَةِ مَعَ مُتَكَلِّمِيهِمْ فِي المَشْرِقِ، حَتَّى القَرْنِ التَّاسِعِ.

﴿ فِلَسْفَةُ اليُونَانِ وَأَثَرُهَا عَلَى المُتَكَلِّمِينَ :

وَبَعْضُ العُلُومِ كالفِلَسْفَةِ أَصْلُهَا فِي الغَرْبِ؛ فَقَدْ كَانَ رِئُوسُ الفِلَاسِفَةِ يُونَانِيِّينَ، وَلَكِنْ لَمْ تُؤَسَّلَمْ فِلَسْفَتُهُمْ إِلَّا فِي المَشْرِقِ أَوَّلَ الأَمْرِ، ثُمَّ أَخَذَهَا المَغَارِبَةُ بَعْدَ أَسْلَمَتِهَا مِنَ الشَّرْقِ، وَلَمْ يُؤَسِّلِمُوهَا بِأَنْفُسِهِمْ.

وَقَدْ ذَكَرَ الفِيلَسُوفُ اليَهُودِيُّ ابْنُ مَيْمُونِ القُرْطُبِيُّ^(١) : أَنَّ كُلَّ مَا قَالَتْهُ المَعْتَزِلَةُ والأَشَاعِرَةُ فِي عِلْمِ الكَلَامِ مَبْنِيٌّ عَلَى مَقَدِّمَاتٍ مَأْخُودَةٍ كُلُّهَا مِنْ كُتُبِ اليُونَانِيِّينَ وَالسُّرْيَانِيِّينَ، الَّذِينَ رَأَوْا مُخَالَفَةَ آرَاءِ الفِلَاسِفَةِ الَّذِينَ يَظْلَعُونَ فِي دِينِهِمُ النُّصْرَانِيَّ، وَدَعَمَتُهُمْ مُلُوكٌ يَرِيدُونَ مِنْهُمْ حِمَايَةَ دِينِهِمْ مِنْ تِلْكَ الآرَاءِ الفِلَسَفِيَّةِ الَّتِي تَهْدُ قَوَاعِدَ شَرِيعَتِهِمْ؛ فَنَشَأَ فِيهِمْ عِلْمُ الكَلَامِ، وَعَنْهُمْ أَخَذَ المَعْتَزِلَةُ، ثُمَّ الأَشَاعِرَةُ، وَطَبَّقُوهُ بِزَعْمِهِمْ حِمَايَةً لِلدِّينِ مِنْ تِلْكَ الآرَاءِ، وَاخْتَارُوا مِنْ آرَاءِ الفِلَاسِفَةِ مَا رَأَوْهُ مُسْتَقِيمًا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ؛

(١) «دلالة الحائرين» (١/١٨٠).

حتى قال ابن ميمون: «إنّه نظر في كتب المتكلمين والفلاسفة كلّهم حسب طاقته - من اليهود والنصارى والمسلمين - فوجد أنّ طريق المتكلمين كلّهم طريق واحد بالنوع، وإن اختلفت أصنافه، وأنهم في مواضع كثيرة يتبعون الخيال، ويسمونه عقلاً»^(١).

❦ اعتقاد أهل المغرب:

ولم يكن الناس في المغرب أهل جدل، بل أهل سنة وأثر، حتى في المغرب الأقصى الأندلس، وكما قال الباجي: «كانوا عن سنن المجادلة عادلين»^(٢)، وقلة الجدل في متقدمي أهل المغرب لا تعني عدمه فيهم؛ فلا بن سحنون كتاب في «أدب المتناظرين»، وكانوا على معتقد السلف، فنقل إليهم اعتقاد مالك، كما نقل إليهم فقهه، ونقل إليهم اعتقاد أحمد بن حنبل؛ فقد أدخله المغرب الأقصى والأدنى: أسلم بن عبد العزيز قاضي قضاة الأندلس، وقد ارتحل ولقي أصحاب أحمد، وأصحاب الشافعي؛ كالمزني، والربيع، ويونس بن عبد الأعلى، وغيرهم، كما أسند عقيدة أحمد بن حنبل برواية أسلم وسننه: محمد بن الحارث الحشني القيرواني في كتابه: «أخبار الفقهاء والمحدثين بالأندلس»، وفيها عقيدته بصفات الله؛ كالاستواء، وكلام الله، وعلوه، ومعرفته، ومسائل الإيمان والبعث، وابن الحارث ناقل عقيدة ابن حنبل تلك، هو شيخ ابن أبي زيد القيرواني.

والاعتزال لم يكن منتشرًا في المغرب في القرن الثاني والثالث والرابع لدى العلماء؛ يعقدون له المجالس، ويصنفون فيه الكتب؛ فلم

(٢) «المنهاج» (ص ٧).

(١) «دلالة الحائرين» (ص ١٨٢).

يَبْنِيهِ عَالَمٌ مَعْتَبَرٌ، وَلَا رَأْسٌ فِي الشَّرِيعَةِ؛ وَهَذَا فِي الْمَغْرِبِ عَامَّةً الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَخَاصَّةً مِنَ الْمَالِكِيَّةِ أَتْبَاعَ مَالِكٍ، حَتَّى قِيلَ: «إِنَّهُ لَا يُوجَدُ مَالِكِيٌّ مَعْتَزِلِيٌّ إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ إِبْرَاهِيمَ الْغَافِقِيَّ»؛ كَمَا قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ الْمَقْرِيُّ فِي «النَّفْحِ»^(١).

وَقَدْ قَالَ ابْنُ حَزْمٍ فِي «رَسَائِلِهِ»^(٢): «وَأَمَّا عِلْمُ الْكَلَامِ: فَإِنَّ بِلَادَنَا وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَتَجَادَبْ فِيهَا الْخُصُومُ، وَلَا اخْتَلَفَتْ فِيهَا النُّحُلُ، فَقُلٌّ لِدَلِّكَ نَصْرُفُهُمْ فِي هَذَا الْبَابِ؛ فَهِيَ عَلَى كُلِّ حَالٍ غَيْرُ عَرِيَّةٍ عَنْهُ، وَقَدْ كَانَ فِيهِمْ قَوْمٌ يَذْهَبُونَ إِلَى الْإِعْتَزَالِ».

وَبِنْحَوْه قَالَ ابْنُ جُبَيْرٍ صَاحِبُ «الرَّحْلَةِ»^(٣): «أَنَّ الْمَغْرِبَ عَلَى جَادَّةٍ وَاضِحَةٍ، لَا بُنْيَاتٍ لَهَا، وَلَيْسَ فِيهِ مَا فِي الْجِهَاتِ الشَّرْقِيَّةِ مِنْ أَهْوَاءٍ وَبَدَعٍ، وَفَرَقٍ ضَالَّةٍ وَشَيْخٍ».

❦ وجود الاعتزال في المغرب، وموقف العلماء منه:

وَالْإِعْتَزَالُ فِي الْمَغْرِبِ مَوْجُودٌ، وَوُجُودُهُ لَا يَعْنِي أَنَّ لَهُ شَوْكَةً وَرَأْسًا فِي عِلْمٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِيهِمْ: «لَا يَعُدُّونَ عِنْدَ الْجَمِيعِ فِي جَمِيعِ الْأَمْصَارِ فِي طَبَقَاتِ الْعُلَمَاءِ»؛ كَمَا فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ»^(٤)، وَقَدْ كَانَ الْعُلَمَاءُ لَا يَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ بِالتَّصْنِيفِ رَدًّا ظَاهِرًا؛ لِأَنَّهُمْ لَا يَعُدُّونَ خِلَافَهُمْ خِلَافًا؛ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي «الْإِسْتِذْكَارِ»^(٥).

وَوُجُودُهُمْ فِي تِلْكَ الْقُرُونِ فِي طَبَقَتَيْنِ:

الطَبَقَةُ الْأُولَى: حَمَلَةٌ مِنَ الْعَامَّةِ وَأَوَاسِطِ الْمُتَعَلِّمِينَ، لَا يُنْسَبُونَ إِلَى

(٢) رسائل ابن حزم (١٨٦/٢).

(٤) جامع بيان العلم (٩٤٢/٢).

(١) نفح الطيب (٦٠٤/٢ - ٦٠٥).

(٣) رحلة ابن جبير (ص ٥٥ - ٥٦).

(٥) الاستذكار (٥٢/٢٤).

العلم بالشرعية والفهم فيها؛ وهذا وُجدَ في أوَّلِ ظهورِ الاعتزالِ في المشرق؛ فقد ارتحلَ بعضُ أصحابِ واصلِ بنِ عطاءٍ إلى المغرب؛ كعبدِ الله بنِ الحارث، وتأثرَ بهم بعضُ عوامِّ المغربِ وجُهاِلِهِمْ؛ خاصَّةً من البربرِ في تاهَّرتَ في المغربِ الأوسطِ الجزائرِ اليومَ.

الطبقة الثانية: بعضُ أمراءِ المغرب؛ ككثيرٍ من الأغالية؛ فقد كانوا على الاعتزال؛ افتدأَ ببعضِ أمراءِ المشرقِ من بني العباس؛ كالمأمون، والمعتصم، والواثق، وبعضِ قضاةِهم؛ وذلك لِمَا جعلَهُ اللهُ من تأثيرِ النفوسِ بالعِلَّةِ والكُبراءِ؛ فيقتدي الأَدنى بالأعلى فيحاكيه، فحاكى بعضُ أمراءِ المغربِ أمراءَ المشرقِ، وحاكى بعضُ قضاةِ المغربِ قضاةَ المشرقِ؛ فحملَ بعضُ أمراءِ الأغالية - وهم أولادُ الأغلبِ بنِ سالمِ التميمي، قائدِ بني العباسِ في غزوِ المغرب - الناسَ على الاعتزال؛ كمحمدٍ وأحمدَ ابني الأغلبِ، ومن القضاةِ والمنسويين إلى العلمِ المغاربة: ابنُ أبي الجَّوَادِ، ومحمدُ بنُ الأسودِ الصَّدِّيقي، وسُلَيْمانُ بنُ عَمَرَ العِرَاقِي القَيْرَوَانِي، ومن أشهرِهِمْ: سُلَيْمانُ بنُ أبي عصفورِ الحنفي شيخُ الاعتزالِ بالقيروان، ويُعرَفُ بالقُرَّاءِ؛ فقد كَتَبَ في خَلْقِ القرآن، وكان مقامُهُ قَرِيبًا من مقامِ بَشْرِ المَرِيسِي عندَ المَشَارِقَةِ؛ فهو من أصحابِ بَشْرِ، وأبي الهذيل، ومن الراجلين إليهم.

وقد امْتَحَنَ في المغربِ العلماءُ والعامةُ؛ كسُخْنُونِ بنِ سعيد، وموسى بنِ معاوية، وكان سُخْنُونُ بنُ سعيدٍ عَصْرِيًّا لأحمدَ بنِ حنبلٍ، وقام وثَبَتَ في فتنَةِ خَلْقِ القرآنِ في المغربِ؛ كما قام ابنُ حنبلٍ وثَبَتَ في المشرقِ.

وكان العلماءُ والعامةُ يهْجُرُونَ أَهْلَ الكلامِ وَمَنْ يَقُولُ بقولِهِمْ؛ فقد

كان يُهْلَوُ بْنُ رَاشِدٍ، وَسُخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ زِيَادٍ: لَا يَسْلُمُونَ عَلَيْهِمْ، وَكَانَ سُخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ لَا يَصَلِّي خَلْفَهُمْ، بَلْ كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قُرُوحٍ، وَابْنُ غَانِمٍ، وَيُهْلَوُ بْنُ رَاشِدٍ، لَا يَصَلُّونَ عَلَى جَنَائِزِهِمْ، وَقَدْ حَكَى بَعْضُ عُلَمَاءِ الْمَغْرِبِ اتِّفَاقَ عُلَمَاءِ السُّنَّةِ الْمَغَارِبَةِ عَلَى أَنَّهُ لَا تَجُوزُ الصَّلَاةُ عَلَى مَنْ يَكْفُرُ بِالْإِعْتِزَالِ.

❦ **بِدَايَةُ رَدِّ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الْمَشَارِقَةِ فِي الْفُرُوعِ لَا فِي الْأَصُولِ:**
وَالْمَذَاهِبُ الْفَقْهِيَّةُ - وَمِنْهَا: الْمَذَاهِبُ الْأَرْبَعَةُ الْمَشْهُورَةُ - مَذَاهِبُ فِقْهِيَّةٍ، وَلَيْسَتْ طُرُقًا عَقْدِيَّةً؛ فَلَيْسَ كُلُّ مَنْ انْتَسَبَ إِلَى إِمَامٍ فِي الْفُرُوعِ، فَهُوَ عَلَى طَرِيقَتِهِ فِي الْإِعْتِقَادِ، وَلَا يُنْسَبُ لِلْإِمَامِ اعْتِقَادُ قَرَرِهِ بَعْضُ أَتْبَاعِهِ فِي الْفُرُوعِ.

وَمَنْ نَظَرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ رُؤُوسِ الْإِعْتِزَالِ، وَجَدَهُمْ حَنْفِيَّةً فِي الْفُرُوعِ، وَأَبُو حَنِيفَةَ بَرِيءٌ مِنَ اعْتِزَالِهِمْ، وَهَكَذَا فِي بَعْضٍ مَنْ يَنْتَسِبُ لِمَالِكٍ وَالشَّافِعِيِّ وَأَحْمَدَ؛ فَتَوَخَّذْ مَذَاهِبَ الْفُرُوعِ بِمَا خِذْ غَيْرَ طَرَائِقِ الْعُقَايِدِ.

وَلَمْ تَظْهَرْ الْأَهْوَاءُ فِي الْمَغْرِبِ مُنْتَظِمَةً مُبَكَّرَةً؛ كَمَا ظَهَرَتْ فِي الْمَشْرِقِ وَالْعِرَاقِ وَالشَّامِ، وَقَدْ كَانَتْ غَايَةُ الْبِدْعِ الْكَلَامِيَّةِ يَحْمِلُهَا أَفْرَادٌ، وَرَبَّمَا يَتَّبِعُونَ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَيْهَا وَالْكِتَابَةِ بِهَا، وَكَانَ عَامَّةُ رَدُودِ الْمَغَارِبَةِ وَمَنَاظِرَاتِهِمْ فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ وَالرَّابِعِ - خَاصَّةً الْمَالِكِيَّةُ - فِي الْفُرُوعِ، وَدِفَاعًا عَنْ مَالِكٍ وَمَذْهَبِهِ مِنْ رَدُودِ بَعْضِ الْمَشَارِقَةِ وَغَيْرِهِمْ عَلَيْهِ؛ خَاصَّةً مِنْ أَبِي حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيِّ وَأَصْحَابِهِمَا، وَخَاصَّةً فِي كِتَابِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَسَنِ «الْحُجَّةُ عَلَى أَهْلِ الْمَدِينَةِ»، وَكِتَابِ الشَّافِعِيِّ «اخْتِلَافُ مَالِكٍ»، وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ رَدَّ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمَغَارِبَةِ عَلَى الشَّافِعِيِّ، مِنْهُمْ: مُحَمَّدُ بْنُ سُخْنُونٍ فِي كِتَابِهِ «الْجَوَابَاتِ»، وَيَحْيَى بْنُ عُمَرَ الْكِنَانِيُّ الْأَنْدَلُسِيُّ

الْقَيْرَوَانِي فِي كِتَابِهِ «الْحُجَّةُ فِي الرَّدِّ عَلَى الشَّافِعِيِّ»، وَرَدَّ عَلَى الشَّافِعِيِّ: يُوسُفُ الْمُغَامِي الْأَنْدَلُسِيُّ، وَأَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ الْحَدَّادِ، وَرَدَّ مُحَمَّدُ بْنُ سُخْنُونٍ عَلَى أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ». وَهَذِهِ الرَّدُودُ كُلُّهَا فِي الْقَرْنِ الثَّالِثِ.

وَقَدْ كَانُوا يَرُدُّونَ الْاِحْتِجَاجَ بِكُتُبِ دَاوُدَ الظَّاهِرِيِّ وَأَقْوَالِهِ قَبْلَ دُخُولِ بَعْضِ رِجَالِ الْمَغْرِبِ فِي مَذْهَبِهِ، وَقَبْلَ وَلَادَةِ ابْنِ حَزْمٍ، وَأَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَ كُتُبَ دَاوُدَ الْأَنْدَلُسِيِّ تَلَامِيذُهُ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ قَاسِمٍ بْنِ هِلَالٍ الْقُرْطُبِيُّ، وَمُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُّوطِيِّ، ثُمَّ أَدْخَلَ كُتُبَ دَاوُدَ مَغْرِبَ إِفْرِيقِيَّةَ: مُحَمَّدُ بْنُ خَيْرُونَ الْقَيْرَوَانِيُّ فِي «رَحْلَتِهِ إِلَى الْعِرَاقِ»، الَّتِي لَقِيَ فِيهَا أَصْحَابَ أَحْمَدَ، وَابْنَ مَعِينٍ، وَابْنَ الْمَدِينِيِّ؛ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ أَدْخَلَهَا الْقَيْرَوَانُ؛ وَهَذَا قَبْلَ وَلَادَةِ ابْنِ حَزْمٍ بِنَحْوِ قَرْنٍ.

وَقَدْ تَكَلَّمَ أَبُو عُثْمَانَ سَعِيدُ بْنُ الْحَدَّادِ فِي مَسْأَلَةٍ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ دَاوُدَ قَالَ فِيهَا كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: «لَوْ كَانَ نَوْمِي كَيْفَظَّةَ دَاوُدَ، مَا تَكَلَّمْتُ فِي الْعِلْمِ»^(١).

وَابْنُ الْحَدَّادِ شَيْخُ شَيْبُوخِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ.

وَرَدَّ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ نَفْسَهُ عَلَى الظَّاهِرِيَّةِ وَخِلَافِهِمْ لِمَالِكٍ فِي كِتَابِهِ «الذَّبُّ عَنْ مَذْهَبِ مَالِكٍ»، وَكَانَ كِتَابُهُ رَدًّا عَلَى كِتَابِ لِأَحَدِ الظَّاهِرِيَّةِ سَمَّاهُ: «التَّنْبِيْهُ وَالْبَيَانُ»، عَنْ مَسَائِلَ اخْتَلَفَ فِيهَا مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ؛ حَيْثُ ذَكَرَ صَاحِبُ «التَّنْبِيْهِ» مَخَالَفَةَ مَالِكٍ لِلسُّنَّةِ فِي بَعْضِ أَصُولِ فِقْهِهِ، وَسَبْعًا وَثَلَاثِينَ مَسْأَلَةً مِنْ فُرُوعِهِ، وَكَانَ الْمَغَارِبَةُ يَسْمُونُ دَاوُدَ بِالْقِيَاسِيِّ؛ لِأَنَّهُ يَنْفِي الْقِيَاسَ.

وإنما قَوِيَتْ شوكةُ أهلِ الظاهرِ في المَغْرِبِ الأقصى بعدَ ابنِ حزمٍ، وانتشرَ مذهبُهُم حتى القرنِ السابعِ؛ فضَعُفُوا حتى كأنَّ لم يكنْ لهم فيها أثرٌ.

وكتبُ الأئمةِ المشاركةِ السابقينَ في العقائدِ معروفةٌ، ولم يكنْ أهلُ المَغْرِبِ يَرُدُّونَ على شيءٍ منها، ومن ذلك: كتبُ أبي جعفرِ الطَّحَاوِيِّ الحَنْفِيِّ؛ فقد كَتَبَ رسالَتَهُ في «مَعْتَقِدِهِ وَمَعْتَقِدِ أئِمَّةِ مذهبِهِ أَبِي حَنِيفَةَ وَأَصْحَابِهِ»، وكتبَ في فروعِهِم وأدَلَّتِها: «مُشْكِلَ الآثارِ»، و«معاني الآثارِ»، وغيرَهُما.

ولم يَرُدَّ عليه المالكيُّونَ إلا في الفروعِ؛ كما رَدَّ عليه شيخُ ابنِ أبي زيدٍ القَيَّرَوَانِيُّ: أبو الفضلِ العَبَّاسُ المُمَسِّيُّ في تحريمِ المُسَكَّرِ.

وكثرةُ ردودِهِم في الفروعِ في تلكِ الطَّبَقَةِ دليلُ اتِّفَاقِهِم في الأصولِ؛ فإنَّهُم لم يكونوا يَخْتَلِفُونَ مع الشافعيِّ ولا أصحابِهِ في عقائِدِهِم، ولا لهم في القرنِ الثالثِ كبيرُ شيءٍ من كتبٍ في أصولِ الدينِ؛ لاستقرارِ الأمرِ على السُّنَّةِ، وجَرَيَانِهِ على الفِطْرَةِ.

❦ أسبابُ تأخُّرِ ذِیوعِ علمِ الكلامِ في المَغْرِبِ:

وقد كانَ ما بينَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ مِنَ البلدانِ - كجزيرةِ العربِ وما علاها مِن علماءِ العراقِ والشَّامِ - حائلاً عن وصولِ علمِ الفلسفةِ والكلامِ إلى المَغْرِبِ؛ فَشَغَلُوا فلاسفةَ المَشْرِقِ الأقصى ومتكلِّمِيهِم بالردِّ والنقضِ والتحذيرِ، ونازَعُوهُم بالحُجَّةِ والبرهانِ؛ فَحَبَسَتْ تلكِ البدعةُ في العراقِ والشَّامِ، ولم تَنْتَقِلْ إلى المَغْرِبِ إلا بعدَ نحوِ مِئَتَيْ سَنَةٍ مِن ظهورِها في المَشْرِقِ؛ على يَدِ الجَعْدِ بْنِ دِرْهَمٍ، فالجهمِ بْنِ صَفْوَانَ، فبِشْرِ المَرِيسِيِّ، فأحمدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ، وطَبَقَتِهِم وَأَصْحَابُهُم مِنَ المَعْتَزِلَةِ، وكذلك: مَنْ

أَخَذَ بَعْلِمُ الْكَلَامِ مِمَّنْ لَمْ يَجْرِ مَجْرَى الْمَعْتَزِلَةِ، وَإِنَّمَا رَدَّ عَلَيْهِمْ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ الْأَشْعَرِيِّ، فَضْلًا عَنِ الْفَلَّاسَةِ الْمَشَائِينِ وَأَشْبَاهِهِمْ مِنَ الْمَشَارِقَةِ؛ كَيْعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ الْكِندِيِّ.

وَأِنْ كَانَ فِي الْمَغْرِبِ فَلَاسِفَةٌ؛ كَابْنِ مَسْرَّةَ الْجَبَلِيِّ بِقَرْطُبَةٍ مِنْ أَتْبَاعِ أَنْبَازِ قُلَيْسٍ أَحَدِ حُكَمَاءِ الْيُونَانِ السَّبْعَةِ، وَكَانَ يَزْعُمُ الْإِنْتِسَابَ إِلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، وَاخْتَصَرَ «الْمَدُونَةَ»، وَكَانَ يَحْفَظُ مَسَائِلَهَا وَيَسْرُدُهَا، وَهُوَ مِنْ فَلَاسِفَةِ الْمُتَصَوِّفَةِ، وَتَبِعَهُ تَلَامِذُهُ نَثْرَةً عَلَى مَذْهَبِهِ؛ كَمُحَمَّدِ الْحَوْلَانِيِّ ابْنِ الْإِمَامِ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ حَكَمٍ، وَكَانَ الْخَلِيفَةُ يَتَّبِعُ أَتْبَاعَهُ بِالْحَبْسِ وَالنَّفْيِ.

وَقَدْ رَدَّ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَرَوَانِيُّ عَلَى ابْنِ مَسْرَّةَ فِي كِتَابِهِ «الرَّدُّ عَلَى ابْنِ مَسْرَّةَ الْمَارِقِ»، وَبَقِيَ مَذْهَبُ ابْنِ مَسْرَّةَ فِي الْمَغْرِبِ، وَهُوَ الَّذِي آلَ إِلَيْهِ ابْنُ عَرَبٍ فِي الْقَرْنِ السَّادِسِ بِالْأَنْدَلُسِ.

وكَذَلِكَ: فَإِنَّ فِيهِمْ مَعْتَزِلَةً قَلِيلِينَ؛ كَخَلِيلِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ كَلْبٍ الْقَرْطُبِيِّ، الْمَعْرُوفِ بِخَلِيلِ الْعُقَلَةِ، وَقَدْ شَدَّدَ عَلَيْهِ جَمَاعَةٌ؛ كَبَقِيَّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَابْنِ وَضَّاحٍ.

وَمِنَ الْمَعْتَزِلَةِ: أَبُو طَالِبٍ شَيْخُ الْمَعْتَزِلَةِ وَلِسَانُهُمْ، وَفِيهِمْ أَهْلُ خُرَافَةٍ فِي الْكِرَامَاتِ؛ كَأَبِي الْقَاسِمِ الْبَكْرِيِّ الصُّقْلِيِّ الْقَيَرَوَانِيِّ، وَقَدْ رَدَّ عَلَيْهِ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ بَكْتَابَهُ: «الرَّدُّ عَلَى الْبَكْرِيَّةِ».

وَلَيْسَ لَهُؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةُ كُتُبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ أَقْوَالٌ تَفَوَّهُوا بِهَا.

وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيَرَوَانِيُّ إِلَى الْبَاقِلَانِيِّ - مَعَ كَوْنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ أَسَنَ مِنْهُ - يَسْأَلُهُ عَنِ الْكِرَامَاتِ لِعِلْمِهِ بِأَقْوَالِ الْمَعْتَزِلَةِ، وَرَدَّهُ عَلَيْهِ؛ حَيْثُ نُسِبَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «رَدِّهِ عَلَى الْبَكْرِيِّ» بِمَشَابَهَةِ قَوْلِ الْمَعْتَزِلَةِ

بنفي الكرامات؛ فانتصر الباقلاني لابن أبي زيد، وبين قوله^(١)؛ وقد قال في ابن أبي زيد: «شئنا»^(٢).

أسباب انتشار علم الكلام في المغرب:

وقد كانت غالب البدع الكلامية في المغرب يحملها أفراد، وربما يتهيئون الدعوة إليها، والكتابة بها، حتى إذا كان القرن الرابع والخامس، حملها بعض المغاربة إلى بلدانهم من بعض شيوخ المشرق، وبدأ الخوض في الكلام والفلسفة، وبدأت رياح المشرق الكلامية تصل وتؤثر في المغرب، بأسباب ثلاثة:

أولها: ارتحال المغاربة إلى المشرق الأدنى والأقصى، والأخذ والسماع من علمائها؛ فسمعوا منهم القرآن والسنة والأثر، والفقه والكلام، ورحل فرج بن سلام القرطبي، ولقي الجاحظ، وأخذ كتبه، ورحل عبد الله بن مسرة بن نجيج، وأبو بكر يحيى بن السمينة، وإبراهيم القلانسي، ودراس بن إسماعيل؛ القيروانيون، وغيرهم.

ولم يأخذ - فيما أعلم - أحد من أعيان المغاربة المعتمدين من أبي الحسن الأشعري علم الكلام مباشرة، وإنما كان هناك من التقى ببعض أصحابه؛ كابن مجاهد الطائي؛ فقد ارتحل إلى العراق: أبو بكر إسماعيل بن إسحاق بن عذرة، ومحمد بن خلدون؛ وكلاهما من تلامذة ابن أبي زيد القيرواني، والتقيا ابن مجاهد من جملة من التقيا بالعراق، وقد استجاز ابن مجاهد كتاب «المختصر» لابن أبي زيد القيرواني، وأرسل إليه مع تلاميذه بذلك، ورحل إلى المشرق: أبو بكر محمد بن موهب، وهو جد أبي الوليد الباجي، وحكم بن منذر البلوطي.

(١) «البيان» (ص ٥).

(٢) في نفس الموضع السابق.

وأكثر المتكلمين أثرًا في المغرب: أبو بكر الباقلاني، وصاحبه أبو ذر الهروي، ثمّ الجويني:

فالأول: أخذ عنه المغاربة في العراق، وبلغت بعض كتبه المغرب، كـ«التمهيد»؛ فقد شرحه أبو القاسم عبد الجليل الربيعي القيرواني، وسَمَّى شرحه: «التَّسْديد»، في شرح التَّمهيد، وكان منتصف القرن الخامس.

والثاني: أخذوا عنه في مكّة؛ لأنّه جاور فيها، وأسمَعَ البخاريّ والفقه والكلام أزيد من ثلاثين عامًا، وكان يميل إلى مذهب مالك، وكان يُعجب من مذهبه، وهو هرويّ، وكان يُسأل: من أين تَمَذَّهبتَ بمذهب مالك ورأي الأشعريّ، مع أنّك هرويّ؟!

وأما الثالث: فقد انتشرت كتبه وتلاميذه في المغرب وغيره.

وقد سَمِعَ من الباقلانيّ جماعة من أهل المغرب وساكنيها؛ كأبي عمران الفاسي، وأبي طاهر البغداديّ، والحسين بن حاتم الأكرميّ نزيل القيروان، وأبي عمرو الداني.

وسَمِعَ من تلامذة الباقلانيّ جماعة من المغاربة؛ كعبد الجليل الربيعيّ القيروانيّ.

وسَمِعَ من أبي ذر الهرويّ - وقد سكّن مكّة عقودًا - وأخذ عنه جماعة كثيرة من أهل المغرب، وكان يُقصّد لروايته للبخاريّ، وصحة ضبطه له، وكان أكثر من أدخل أهل الحديث المغاربة في علم الكلام؛ فقد أخذ عنه أبو عمران الفاسي، وأبو الوليد الباجي، ومكي بن أبي طالب، وجماعة.

وسَمِعَ من الجوينيّ جماعة من المغاربة؛ كابن أبي حمزة الأندلسي، ومحمّد الميُورقي، وأبي القاسم المعافريّ، ورَحَلَ بعض أصحابه المشاركة إلى المغرب معلّمين؛ كأبي نصر سهل بن عثمان النيسابوريّ، ثمّ

لَقِيَ أَبُو بَكْرٍ بْنُ الْعَرَبِيِّ أَصْحَابَ الْجُونِيِّ فِي الْمَشْرِقِ؛ كَالْغَزَالِيِّ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَلْقَ الْجُونِيَّ نَفْسَهُ؛ فَأَخَذَ عِلْمَهُ وَنَشَرَهُ فِي الْمَغْرِبِ وَاتَّسَعَ.
وَلَمْ يَكُنْ مَذْهَبُ الْمُنْكَلَمِينَ - التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيضُ التَّامُّ - مُنْتَظِمًا فِي الْمَغْرِبِ الْأَقْصَى وَالْأَدْنَى، وَلَا رَوَاجَ لَهُ مُسْتَوْرٍ، وَإِنَّمَا فِي أَفْرَادٍ وَزَوَايَا، حَتَّى آخِرِ الْقَرْنِ الْخَامِسِ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ حَزْمٍ: «إِنَّ الْأَشْعَرِيَّةَ قَامَتْ لَهُمْ سُوقٌ بِصِفَلِيَّةٍ وَالْقَبْرَوَانِ، ثُمَّ رَقِيَ أَمْرُهُمْ»^(١).

وَكَانَ أَوَّلُ أَمْرِهِمْ وَإِدْخَالِهِمْ عِلْمَ الْكَلَامِ فِي الْإِعْتِقَادِ يَسْتَنْكِرُهُ عُلَمَاءُ الْمَغْرِبِ، وَرَبَّمَا بِالْعُتَا فِي ذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ الْأَنْدَلُسِيُّ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ الْقَحْطَانِيُّ يَصِفُهُمْ فِي «قَصِيدَتِهِ» بِـ «الزَّنَادِقَةِ»، وَكَانَ ذَلِكَ فِي مُنْتَصَفِ الْقَرْنِ الرَّابِعِ^(٢)، وَمِنْ بَعْدِهِ فَعَلَ ابْنُ حَزْمٍ، وَصَمَّى مَقَالَتَهُمْ بِـ «الْمَلْعُونَةِ»^(٣)، حَتَّى ذَكَرَ الْمَرَّاكُشِيُّ فِي «الْمُعْجَبِ»: أَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ أَوَّلَ الْأَمْرِ كَفَرُوا كُلَّ مَنْ دَخَلَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ^(٤)، وَكَانَ بَعْضُ الْأَثَمَةِ يُسْأَلُ عَنْ حُكْمِ لَعْنِ مَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَ الْكَلَامِ وَسَبَّهَمُ؛ كَمَا سُئِلَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ، وَابْنُ رَشِيدٍ^(٥).

وَالْإِشَارَاتُ فِي تَفْوِيضِ الْحَقِيقَةِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ أَثَمَةِ الْمَغَارِبَةِ، لَا تَعْنِي: أَنَّهُمْ يَوْضُلُونَ لَذَلِكَ، وَإِنَّمَا هِيَ تَقْرِيرَاتٌ عَارِضَةٌ يَقْرُرُونَ فِي نَظَائِرِهَا خِلَافَهَا؛ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا عَلَى أَصُولِ الْكَلَامِ فِي التَّأْوِيلِ وَالتَّفْوِيضِ التَّامِّ، وَإِشَارَاتُ التَّفْوِيضِ عِنْدَ بَعْضِ الْمَغَارِبَةِ الْمُتَقَدِّمِينَ نَظِيرُ إِشَارَاتِ التَّشْبِيهِ فِي كَلَامٍ بَعْضِ الْمَشَارِقَةِ الَّتِي لَيْسَتْ أَصْلًا لَدَيْهِمْ؛ يَقْرُرُونَ خِلَافَهَا فِي مَوَاضِعَ أُخْرَى مِنَ النِّظَائِرِ.

وَقَدْ كَانَ الْمُتَقَدِّمُونَ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ عَلَى إِثْبَاتِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ وَإِمْرَارِ

(١) «الفصل» (٤/١٥٥).

(٢) «التوبة» (١٨٧).

(٣) «الفصل» (٤/٣٤).

(٤) «المعجب» (ص ١٣١).

(٥) «مسائل ابن رشد» (١٥٣ و ٢١٥).

نصوصها؛ بلا تكبير ولا تفسير ولا تشبيه؛ حتى كانوا يُسمّون من خُصومهم بـ: «الحشوية»؛ كما قال أبو القاسم بن حوقل في أهل الشوس: «والمالكية من فُظاظ الحشوية»^(١).

وكلما تقدّم الزمن في المغرب، اتسع القول بالكلام مع الأعمام، حتى تقرر وثبت ورسخت أصوله في مجالس العلم والكتب بأيدي المغاربة أنفسهم، بعدما كان بأيدي غيرهم.

وثانيها: انتقال كتب المشاركة إلى المغرب مع الرسل والنساج، وقد كان بعض المعتزلة ممن يزعم اتباع مذهب مالك في العراق، يُكاتب أصحاب مالك بالمغرب بالاعتزال ويدعوهم إليه؛ فقد كتب علي بن أحمد البغدادي رسالة إلى أهل المغرب بالقيروان يدعوهم إلى الاعتزال، ونفي القدر، وخلق القرآن، وزعم أن هذا مذهب مالك بن أنس؛ لأنه يعلم إجلالهم لمالك وقوله، وقد ردّ عليه جماعة من المغاربة، ومنهم ابن أبي زيد في رسالته «الرد على القدرية»^(٢).

وكانت بعض كتب ابن مجاهد صاحب أبي الحسن قد أُدخلت المغرب؛ ككتابه: «عقود أهل السنة»، ورسالته فيما التمسّه أهل الثغر من شرح أصول مذاهب المتعبدين.

وثالثها: انتقال بعض المشاركة إلى المغرب ممن له نظر في الفلسفة والكلام، وهذا قليل؛ كالحسين بن حاتم الأدربي نزيل القيروان، صاحب أبي بكر الباقلاني^(٣)، ولكن الأدربي موصوف بالضعف في علم الكلام، وكان أبو محمد بن عطية الأندلسي في فهرسه يصفه ببلادة الذهن في علم

(١) «صورة الأرض» (١/١٩١).

(٢) انظر: «ترتيب المدارك» (٦/٢١٨)، و«شجرة النور» (ص ٩٦).

(٣) «تاريخ دمشق» (٤١/٤٧١).

الأصول، وكان نحوياً يَأْذُنُ له شِبْخُه الباقلاني أن يصحح كُتْبَهُ مِنْ جِهَةِ النُّحُو، وَيَنْهَاهُ عَمَّا عدا ذلك^(١).

❦ أثر الاعتزال في قبول علم الكلام على طريقة الأشاعرة:

وقد بَلَغَتِ المَعْتَزِلَةُ المَغْرِبَ بالكلام والنَّظَر، وعامَّةُ أَهْلِ المَغْرِبِ أَهْلُ حَدِيثٍ وَآثَر، وكان دُخُولُ علم الكلام على طريقة الأشاعرة مؤثراً في تَلَقُّي المَغَارِبَةِ له؛ لَأَنَّهُ الحُجَّةُ الَّتِي يَرُدُّونَ بِهَا على المَعْتَزِلَةِ؛ فَيَرُدُّونَ عَلَيْهِمْ بَلْغَتَهُمْ، وَلَوْ دَخَلَ عِلْمُ الكَلَامِ المَغْرِبِ على طريقة الأشاعرة أَوَّلَ الأَمْرِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبُولٌ وَلَا نَظَرٌ وَلَا تَمَكُّنٌ، وَلَكِنْ سَبَقَهُ شُرُ الأَعْتَزَالِ وَفَتْنَتُهُ؛ فَرَفَّقَ عِلْمُ الكَلَامِ بَعْضُهُ بَعْضًا.

وقد ذَكَرَ الفيلسوفُ ابْنُ مَيْمُونِ القُرْطُبِيُّ فِي القرنِ السَّادِسِ^(٢): أَنَّ عِلْمَ الكَلَامِ على طريقة المَعْتَزِلَةِ نَشَأَ فِي مُسْلِمِي المَغْرِبِ قَبْلَ دُخُولِهِ على طريقة الأشاعرة فِيهِمْ، حَتَّى أَخَذَ يَهُودُ الأَنْدَلُسِ عِلْمَ الكَلَامِ مِنَ المَعْتَزِلَةِ.

❦ مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللبن معه:

وَمِنْ هَذَا البابِ: مَدْحُ جَمَاعَةٍ مِنَ الأَثَمَةِ بَعْضَ المُنْظَرِينَ مِنْ المَتَكَلِّمِينَ على طريقة الأشاعرة؛ لِأَنَّ غَالِبَهُ كَانَ مَقْتَرِنًا بِزَمَنِ شِدَّةِ النِّزَاعِ بَيْنَ المَعْتَزِلَةِ والأشاعرة، وَكَانَ لَهُمْ فَضْلٌ فِي صَدِّ عَادِيَةِ المَعْتَزِلَةِ، وَكَانَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ يُنْتَبِى على الأشعريِّ، مَعَ كَوْنِهِ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ الكَلَامِ وَلَا النَّظَرِ فِيهِ، بَلْ كَانَ مُحَدِّثًا مِنْهُ.

وَنِثَائِزُهُ على الأشعريِّ وَأَصْحَابِهِ إِنَّمَا كَانَ لِأَثَرِهِمْ على أَهْلِ البِدْعِ، وَرَدُّهُمْ على المَعْتَزِلَةِ والْجَهْمِيَّةِ، وَقَدْ قَالَ فِي أَبِي الحَسَنِ الأشعريِّ لَمَّا وَقَعَ فِيهِ المَعْتَزِلَةُ: «هُوَ رَجُلٌ مَشْهُورٌ؛ أَنَّهُ يَرُدُّ على أَهْلِ البِدْعِ وعلى

(٢) «دلالة الحائرين» (١/ ١٨٠ - ١٨١).

(١) «فيهرس ابن عوطية» (ص ٥٥).

الْقَدَرِيَّةَ وَالْجَهْمِيَّةَ، مَتَمَسِّكَ بِالسُّنَنِ^(١).

ومثلَ هذا قاله في الذَّبِّ عن ابنِ كُلابٍ^(٢).

وهذا من فقه ابن أبي زَيْدٍ ودرايته؛ أَنَّ مَنْ انْتَبَرَى مِنَ الْمُخَالِفِينَ لَصِدِّ عَادِيَةِ الزَّنَادِقَةِ وَمَنْ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ مُخَالَفَةً، لَيْسَ مِنَ الْفَقْهِ دَفْعُهُ بِذَاتِهِ؛ لِأَنَّهُ بَابٌ لَوْ كُسِرَ، لَفُتِحَ عَلَى السُّنَّةِ بَعْدَهُ شَرٌّ أَعْظَمُ لَا يَقُومُ بِهِ غَيْرُهُ، وَبَعْضُ الْمَتَمَسِّكِينَ بِالسُّنَّةِ وَالْآثَرِ يَعْمَلُ كُلُّ مُخَالِفٍ بِالنَّظَرِ إِلَى مُخَالَفَتِهِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَى مَا وَرَاءَهُ مِنْ شُرُورٍ مَدْفُوعَةٍ بِهِ، وَكَانَ يَسَعُهُ بَيَانُ السُّنَّةِ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَعَدَمُ كَسْرِ بَابِ بِدْعَةٍ يَدْخُلُ عَلَى الْإِسْلَامِ مِنْهُ بِدْعَةٌ أَكْبَرُ مِنْهَا.

وهذه طَرِيقَةُ الْأَثْمَةِ فِي التَّعَامُلِ مَعَ الْمُخَالِفِينَ؛ يَحْفَظُونَ السُّنَّةَ مِنَ الْبِدْعَةِ، وَمِنْ حِفْظِهَا: تَقْدِيرُ مَرَاتِبِ الْمُخَالِفِينَ وَأَحْوَالِهِمْ؛ فَمُفَرِّقٌ بَيْنَ مُخَالِفٍ وَجْهُهُ إِلَى بِدْعَةٍ أَشَدَّ مِنْ بِدْعَتِهِ يُحَارِبُهَا، وَبَيْنَ مُخَالِفٍ وَجْهُهُ إِلَى سُنَّةٍ يُحَارِبُهَا، وَلَوْ كَانَتْ مُخَالَفَةُ الثَّانِي أَخَفَّ، فَرُبَّمَا شَدَّدُوا عَلَى الثَّانِي، وَخَفَّفُوا فِي الْأَوَّلِ.

وقد كان أبو عُثْمَانَ الصَّابُونِيُّ يُثْنِي عَلَى أَبِي مَنْصُورِ الْبَغْدَادِيِّ، وَيَعْظُمُهُ؛ لِمَقَامِهِ فِي الرَّدِّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ، مَعَ كَوْنِهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ^(٣).

وقد كان ابنُ أَبِي زَيْدٍ عَلَى هَذَا النَّهْجِ، وَمَعْتَقَدُهُ يَبِينُهُ مَا كَتَبَهُ وَقَالَهُ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْ مَضَامِينِ الثَّنَاءِ وَالْمَدْحِ لِلْأَعْلَامِ.

وقد كان ابنُ أَبِي زَيْدٍ عَلَى طَرِيقَةِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ، وَكَانَ مُعْظَمًا لِأَحْمَدَ، وَكَانَ يَقُولُ: «أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَنْبَلٍ بِهِ يُقْتَدَى، وَقَدْ أَنْكَرَ هَذَا، وَمَا أَنْكَرَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ أَنْكَرُنَاهُ»^(٤).

(٢) «تبين كذب المغتري» (ص ٤٠٥).

(٤) «تبين كذب المغتري» (ص ٤٠٨).

(١) «تبين كذب المغتري» (ص ١٢٣).

(٣) «تبين كذب المغتري» (ص ٢٥٣).

ونسبُهُ ابنُ أبي زَيْدٍ في المَغْرِبِ لطريقةِ الأشْعَرِيِّ قديمةٌ؛ بسببِ ما تقدَّم ذكرُهُ مِن نُصرةِ الأشْعَرِيِّ وأصحابِهِ في سياقِ صَدِّ المَعْتَزِلَةِ والْجَهْمِيَّةِ.

وقد بيَّن أبو نُصَيْرٍ عُبَيْدُ اللَّهِ السَّجَزِيُّ وهو في أوائلِ القرنِ الخامس - في رسالَتِهِ «الرَّدُّ على مَنْ أنكَرَ الحَرْفَ والصَّوْتَ» - خطأ ظَنِّ بعضِ المَغَارِبَةِ أشْعَرِيَّةَ ابنِ أبي زَيْدٍ، وأبي الحَسَنِ القَاسِمِيِّ؛ فرسالَتُهُ على طريقةِ السَّلَفِ؛ كما في «رسالَتِهِ»، و«جامِعِهِ»، وبقيَّةِ كُتُبِهِ، ومثْلُهُ القَاسِمِيُّ كما في كتابِهِ في «الاعتقاد».

وابنُ أبي زَيْدٍ يُثَبِّتُ الصِّفَاتِ لِلَّهِ على ظاهِرٍ يليقُ بالخالِقِ، لا بالمخلوقِ، بلا تَكْيِيفٍ؛ وهذا ظاهِرٌ في إثباتِهِ لصفةِ اليَدَيْنِ، والرُّضَا والسُّخْطِ والغَضَبِ، والنزولِ والمجِيءِ، والضَّحِكِ وغيرها.

❦ كتابَةُ أَهْلِ المَغْرِبِ في العقائد:

وبهذا بدأ عِلْمُ الكَلَامِ يَظْهَرُ في المَغْرِبِ وَيَفْشُو في تقريرِ بعضِ علمائِهِ؛ على سبيلِ الاستطرادِ، لا على سبيلِ التَّأصيلِ؛ فيكونُ منشوراً في ثَناءِ بعضِ كَلَامِهِم وفتاويهِم، وريِّما جرى في كَلَامِ بعضِ أئمَّتِهِم في أواخرِ القرنِ الرابعِ والخامسِ ممَّن هو على طريقةِ السَّلَفِ، ويحدِّثُ مِن عِلْمِ الكَلَامِ؛ فأدرَكُهُ بعضُهُ في فروعِ تقريراتِهِ، لا في تأصيلاتِهِ.

ولهذا بدأ المَغَارِبَةُ بالكتابَةِ في العقائدِ وأصولِ الدِّينِ وبيانِ الحَقِّ فيما اعتَقَدَ خِلافَهُ مِنَ الباطلِ، مِن غيرِ تَخَصُّصِ القائلِ بتلكِ البِدْعَةِ، وهذه عادةُ العلماءِ عندَ بدءِ ظهورِ البِدْعِ مِنَ المغمورِ: تقريرُ السُّنَّةِ وإبطالُ البِدْعَةِ، مِن غيرِ ذكرِ صاحبِها؛ حتى لا يُدَلَّ عليه:

فمنهم: مَنْ كَتَبَ بأعيانِ البِدْعِ؛ كمحمَّدِ بنِ سُحُنُونٍ في كتابِهِ «الحُجَّةُ على القَدَرِيَّةِ»، وكيحيى بنِ عُمَرَ الكِنْدِيِّ السُّوسِيِّ في كُتُبِهِ: «الرَّدُّ

على المُرْجِنَةِ، والرُّوْيَةِ، والمِيزَانِ، وكأبي عُثْمَانَ الحَدَّادِ في كتابه: «الاستواء»، وأبي عبد الله مُحَمَّد بن مَحْبُوب الزَّنَاتِي، وابن أبي زَيْدَ لهما كُتُبٌ في: الرد على القَدَرِيَّةِ.

ومنهم: مَنْ أَجْمَلَ بَيَانَ معتقِدِ السلفِ، وكان من أوائلِ المَغَارِبَةِ الذين كَتَبُوا في تقريرِ أصولِ العقائدِ عامَّةً: أبو القاسِمِ مُسْلِمَةُ بنُ القاسِمِ القرطُبِيُّ في كتابه: «تبيينِ أصولِ السُنَّةِ»، وحفظ ما لا بُدَّ للعملِ منه بشاهدِ القرآنِ والحديثِ^(١)، وقد تُوفِّيَ منتصفَ القرنِ الرابعِ قبلَ ابنِ أبي زَيْدَ بثلاثةٍ وثلاثينَ عامًا، وضمَّنَ كتابَهُ ردًّا على أهلِ الأهواءِ، واشتكى مِنْ فُسُوقِ البِدْعَةِ، وبَيَّنَ قولَ السلفِ في كلامِ الله، والنظرِ إليه، وعلوِّهِ واستوائِهِ على عرشِهِ، ونزولِهِ إلى السماءِ الدنيا، وإثباتِ صفاتِهِ سبحانه، وفضلِ الصحابةِ وتفاضُلِهِمْ، وغير ذلك مِنْ مسائلِ الاعتقادِ.

❦ أصولُ مالِكٍ وفروعهُ، وأحوالُ أصحابِهِ في المَغْرِبِ:

وقد كانت عامَّةُ أهلِ المَغْرِبِ في القرنِ الثالثِ والرابعِ على مذهبِ مالِكٍ في الأصولِ والفروعِ، في الاعتقادِ والفقه، وقد شاع مذهبُ مالِكٍ في المَغْرِبِ في حياته، وكان أَقْرَبُ الناسِ إلى مذهبهِ وأصولِهِ أَقْرَبَهُمْ مِنْهُ زمانًا ومكانًا، وأقْرَبُ أهلِ المَغْرِبِ إلى أصولِهِ وفروعهِ أَقْرَبَهُمْ إِلَيْهِ زمانًا، وقد كان أصحابُ مالِكٍ مِنَ المَغَارِبَةِ على طائفتينِ:

* الطائفةُ الأولى: المتقدمونَ ممن سَمِعَ مالِكًا وأخذَ عنه، وَمَنْ انتَهَجَ نَهْجَهُمْ؛ كعبدِ الله بنِ قُرُوحِ الفارسيِّ القَيْرَوَانِيِّ، وقد كان مالِكٌ يُجِلُّهُ ويعظِّمُهُ، وقيل: «إنه كان يسمِّيهِ فقيهَ أهلِ المَغْرِبِ»^(٢).

(١) مطبوع بتحقيق: رضوان بن صالح الحصري.

(٢) «رياض النفوس» (١/١٧٧).

وكُتُهْلُولِ بْنِ رَاشِدِ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَأَبِي الْحَسَنِ عَلِيِّ بْنِ زِيَادِ التُّونِسِيِّ،
وقد قال أبو سعيد بن يونس: «إِنَّ أَوَّلَ مَنْ أَدْخَلَ «الْمَوْطَأَ»، وَ«جَامِعَ
سُفْيَانَ» الْمَغْرِبَ»^(١)، وَفَسَّرَ لَهُمْ قَوْلَ مَالِكٍ، وَلَمْ يَكُونُوا يَعْرِفُونَهُ، وَكَانَ
قَدْ دَخَلَ الْحِجَازَ وَالْعِرَاقَ فِي طَلَبِ الْعِلْمِ، وَهُوَ مُعَلِّمٌ سُخُنُونِ الْفَقْهِ.

وَكَانَ سَخُنُونٌ لَا يَقْدُمُ عَلَيْهِ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ إِفْرِيقِيَّةَ، وَيَقُولُ: «وَمَا
أَنْجَبَتْ إِفْرِيقِيَّةٌ مِثْلَ عَلِيِّ بْنِ زِيَادٍ»^(٢)، وَقَدْ فَضَّلَهُ عَلَى الْمَصْرِيِّينَ.

وَمِنْ هَذِهِ الطَّبَقَةِ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ غَانِمِ الْإِفْرِيقِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَكَانَ مَالِكٌ
يُحِبُّهُ وَيُجِلُّهُ، وَإِذَا اتَّقَاهُ، اشْتَغَلَ بِهِ عَنْ أَصْحَابِهِ؛ حَتَّى قِيلَ: «إِنَّهُ عَرَضَ عَلَيْهِ
ابْنَتُهُ، وَيَقِيمُ عِنْدَهُ»، فَأَبَى^(٣)، وَكَانَ أَصْحَابُ مَالِكٍ إِذَا رَأَوْهُ، قَالُوا: «شَغَلَهُ
الْمَغْرِبِيُّ عَنَّا»^(٤)، وَلَمَّا وَلِيَ قِضَاءَ الْمَغْرِبِ، أَعْلَمَ مَالِكٌ بِذَلِكَ أَصْحَابَهُ،
وَسَرَّ بِهِ، وَكَانَ مَالِكٌ يَكَاتِبُهُ وَهُوَ فِي الْقَيْرَوَانِ؛ كَمَا جَاءَ فِي «الْمَدُونَةِ»^(٥).

وَمِنْهُمْ: أَبُو مُحَمَّدٍ الْغَازِي بْنُ قَيْسِ الْأَمْوِيِّ الْقُرْطُبِيُّ، وَصِفْلَابُ بْنُ
زِيَادِ الْهَمْدَانِيِّ الْقَيْرَوَانِيِّ، وَأَبُو جَعْفَرٍ مُوسَى بْنُ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِجِيِّ،
وَأَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ الْحَرَّانِيُّ الْقَيْرَوَانِيُّ قَاضِي الْقَيْرَوَانِ، وَعَيْسَى بْنُ دِينَارِ
الْقُرْطُبِيِّ، وَعَبَّاسُ بْنُ أَبِي الْوَلِيدِ الْفَارَسِيِّ التُّونِسِيِّ، وَأَبُو مَسْعُودِ بْنُ
أَشْرَسَ التُّونِسِيِّ، وَأَبُو خَارِجَةَ عَنَبَسَةُ بْنُ خَارِجَةَ الْغَافِقِيِّ، وَأَحْمَدُ بْنُ
أَبِي مُحَرَّرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْبَخَصَبِيِّ، وَيَحْيَى بْنُ يَحْيَى اللَّيْثِيِّ
الْأَنْدَلُسِيِّ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ زِيَادُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْقُرْطُبِيِّ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ
مُحَمَّدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرِ بْنِ شَرَّاحِيلَ.

(٢) «رياض النفوس» (١/٢٣٥).

(٤) «ترتيب المدارك» (٣/٦٦).

(١) «رياض النفوس» (١/٢٣٤).

(٣) «رياض النفوس» (١/٢١٧).

(٥) «المدونة» (٢/٥٩٥).

وهؤلاء كلهم سَمِعُوا من مالك بن أنس، ونقلوا قوله إلى المغرب، يَرَوْنَ عن مالك السُّنَّةَ والأثرَ والفقه، وكانوا يَكْرَهُونَ الكلامَ ومعارضةَ السُّنَّةَ بالرأي، وأصولُهم أصولُ مالك، وفروعُهم فروعُه، وكانوا في العقائد يَجْرُونَ على أصلٍ وفروعٍ واحدٍ، ولم يكن بينهم فيه نزاعٌ، وإنما اختلافُهم في الفروع، ويدُلُّ على ذلك: أنهم لا يَكْتُبُونَ في العقائد إلا تَبَعًا؛ لاستقرار الأمر على الأمر الأول.

ولَمَّا بَلَغَ أسَدُ بنُ الفُرَاتِ قاضيَ الْفِرَوَانِ: أَنَّ بِشْرًا الْمَرْيَسِيَّ كَتَبَ كتابَهُ «التوحيد»، قال: «أَوْجَهَلُ النَّاسُ التوحيدَ حتى يضعَ لهم بِشْرٌ فيه كتابًا؛ هذه نُبُوَّةٌ ادَّعَاهَا»^(١).

وكانوا يَعْرِفُونَ مصدرَ الْبِدْعِ الشرقيَّةِ وأصولَها، وقد كان ابنُ أبي حَسَّانَ صاحبُ مالكٍ قال فيمن يفاضلُ بين أبي بكرٍ وعُمَرَ: «ليس هذا دينُ قريشٍ، ولا دينُ العربِ؛ هذا دينُ أَهْلِ قُمْ»^(٢).

❦ الحديثُ والكلامُ، وأثرهما في الخلاف:

وأهلُ الكلامِ أَكْثَرُ نِزَاعًا من أهلِ الحديثِ والأثر؛ فأهلُ الحديثِ نِزَاعُهُم في الفروعِ، وأهلُ الكلامِ نِزَاعُهُم في الأصولِ والفروعِ، وإذا تَنَازَعُوا في أصلٍ، تَنَازَعُوا في فروعِهِ، والناظرُ في مذهبِ الأشاعرةِ: يرى تشديدَهُم في الخلافِ في العقليَّاتِ، وأنهم يَرَوْنَ المخالِفَ يتردَّدُ بين الكُفْرِ والابتداعِ والإثمِ، وبين أئمتِّهم خلافاً في أصولِهِم؛ فقد خالَفَ رؤوسُ منهم في أصولِهِم؛ كأبي المَعَالِي الجَوْنِي، والفَخْرُ الرازي، وَجَلَّالِ الدِّينِ الدَّوَانِي:

(٢) «رياض النفوس» (١/٢٨٧).

(١) «رياض النفوس» (١/٢٦٤).

فالجَوْنِي: يَرَى أَنَّ القُدْرَةَ الحَادِثَةَ تَوَثَّرُ فِي مَقْدُورِهَا، وَاسْتَحَلَّ
إِطْلَاقَ الْقَوْلِ بِأَنَّ الْعَبْدَ خَالِقُ أَعْمَالِهِ، وَأَنَّ فِعْلَ الْعَبْدِ وَاقِعٌ بِقُدْرَتِهِ قَطْعًا،
وَقُدْرَتُهُ مُنْفَرِدَةٌ بِالتَّأْثِيرِ فِيهِ^(١).

وَكَذَلِكَ قَوْلُ الرَّازِي فِي «الْأَرْبَعِينَ»، وَ«الْمَطَالِبِ الْعَالِيَةِ»: إِنَّ
الْصِفَاتِ إِنَّمَا هِيَ نِسْبٌ وَإِضَافَاتٌ تَحْصُلُ بَيْنَ ذَاتِهِ تَعَالَى، وَبَيْنَ الْمَعْلُومِ
وَالْمَقْدُورِ وَالْمَرَادِ^(٢).

وَكَذَلِكَ الْجَلَّالُ الدُّوَانِيُّ: فَإِنَّهُ يَقُولُ بِعَيْنِيَّةِ الصِّفَاتِ، وَأَنَّ الصِّفَاتِ
عَيْنُ الذَّاتِ، وَأَنَّ الْحَوَادِثَ لَا أَوَّلَ لَهَا؛ كَمَا فِي «شَرْحِ الْعَقَائِدِ
الْعَصْدِيَّةِ»^(٣)، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ التَّزَاعِ.

❦ ثَبَاتُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ، وَامْتِحَانُهُمْ بِعِلْمِ الْكَلَامِ:

وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ يَخُوضُ فِي الْكَلَامِ، وَلَا يَقَرُّهُ
فِي أَصُولِ الدِّينِ، وَلَمَّا امْتَحِنَ النَّاسُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْعِرَاقِ، اقْتَدَى كَثِيرٌ
مِنَ السُّلَاطِينِ بِذَلِكَ فِي الْمَغْرِبِ، وَامْتَحَنُوا عُلَمَاءَهُمْ؛ فَامْتَحِنَ بَعْضُ
أَصْحَابِ مَالِكٍ؛ كَمُوسَى بْنِ مُعَاوِيَةَ الصُّمَادِي، وَأَحْمَدُ بْنُ يَزِيدَ،
وَسُخْنُونُ بْنُ سَعِيدٍ، وَخَلْقٌ، وَتَوَلَّى الْمُحَنَّةَ قِضَاءً؛ كَقَاضِي الْقَيْرَوَانِ
ابْنِ أَبِي الْجَوَادِ، وَكَانَ مَقَامُهُ فِي الْقَيْرَوَانِ قَرِيبًا مِنْ مَقَامِ أَحْمَدَ بْنِ
أَبِي دُوَادٍ فِي الْعِرَاقِ فِي هَذِهِ الْفِتْنَةِ، وَكَانَ يَسْمِيهِ سُخْنُونًا: «فِرْعَوْنَ هَذِهِ
الْأُمَّةِ وَجَبَّارَهَا»^(٤).

(١) «النظامية» (ص ٤٢).

(٢) «الأربعين في أصول الدين» (ص ١١٧ وما بعدها)، و«المطالب العالية» (٢/ ١٠٦ - ١٠٨)، وانظر: تفسيره «مفاتيح الغيب» (٧/ ٣٠٩).

(٣) (١/ ٢٧٧ وما بعدها)، وانظر: رسالته «إثبات الواجب» (ص ٩).

(٤) «البيان المغرب» (١/ ١٠٩).

وَتَبَعَ هَؤُلَاءِ طَبَقَةُ تِلْمِذَتِهِمْ مِمَّنْ جَرَى مَجْرَاهُمْ، وَسَلَكَ سَبِيلَهُمْ؛
كَزَيْدِ بْنِ بَشْرِ الْأَزْدِيِّ الْقَيَّرَوَانِيِّ؛ حَيْثُ سَكَنَ الْقَيَّرَوَانَ لَمَّا هَرَبَ مِنْ مِصْرَ
بَعْدَمَا امْتُحِنَ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَزَيْدِ بْنِ سِنَانِ الْأَسَدِيِّ الْقَيَّرَوَانِيِّ،
وَمُحَمَّدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ حَضْرَمِ الْقَيَّرَوَانِيِّ، وَمُحَمَّدِ بْنِ سَحْنُونٍ، وَبَكْرِ بْنِ حَمَّادِ
الرُّزْنَانِيِّ التَّاهَرْتِيِّ، وَأَبِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَالِبٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحِ
الْقُرْطُبِيِّ، وَيَحْيَى بْنِ عُمَرَ الْكِتَانِيِّ، وَأَبِي عُثْمَانَ سَعِيدِ الْحَدَّادِ الْقَيَّرَوَانِيِّ،
وَأَحْمَدَ بْنِ نَصْرِ بْنِ زِيَادِ الْهَوَّارِيِّ، وَلُقْمَانَ بْنَ يَوْسُفَ الْعَسَّانِي.

وَقَدْ اسْتَمْسَكَ هَؤُلَاءِ الْأَئِمَّةُ بِالسُّنَّةِ وَالْأَثَرِ، وَمَا عَلِمُوهُ مِنَ السَّلَفِ
فِي مَسْأَلَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَعُلُوِّ اللَّهِ، وَكَانُوا عَلَى مَعْتَقَدٍ مِّنْ سَبَقِهِمْ،
وَلَا يَرَوْنَ الْخَوْضَ فِي الْكَلَامِ عَمَّا زَادَ عَنِ الْوَارِدِ فِي النُّصُوصِ؛ لَا بِتَأْوِيلٍ
وَلَا تَشْبِيهِ، وَقَدْ كَانَ سُخُنُونٌ يَقُولُ: «مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ
يُخْبِرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ»^(١).

وَهَذَا نَظِيرُ مَا يَقَرُّهُ الشَّافِعِيُّ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ؛ أَنَّ: «الْفِقْهَ فِي
الْكَلَامِ الْجَهْلُ بِهِ»^(٢)؛ لِأَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ يُوْدِّي إِلَى الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بِمَا لَا عِلْمَ
نَفِيًّا وَإِثْبَاتًا، وَمُنْتَهَى الْفِقْهِ فِي ذَلِكَ: الْكَلَامُ عِنْدَ وَرُودِ النَّصِّ، وَالْوَقُوفُ
عِنْدَ عَدَمِ وَرُودِهِ.

وَبَقِيَتْ شَوَاهِدُ الْقُبُورِ بِالْقَيَّرَوَانِ شَاهِدَةً عَلَى ذَلِكَ إِلَى الْيَوْمِ؛ حَيْثُ
كُتِبَ عَلَيْهَا بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»،
وَالشَّوَاهِدُ مُؤَرَّخَةٌ بِصَفَرِ عَامِ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَمِئَتَيْنِ، وَمِنْ شَوَاهِدِ الْقُبُورِ:
شَوَاهِدُ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا الْيَوْمَ بَعْدَ الشَّهَادَتَيْنِ: «وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ يُرَى يَوْمَ
الْقِيَامَةِ»، وَمُؤَرَّخٌ ذَلِكَ فِي شَعْبَانَ عَامِ اثْنَيْنِ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِئَةٍ.

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (١٤٦/٧). (٢) «صون المنطق» (ص ١٥٠).

وقد يَرْتَفِعُ الشرُّ، وَيَقْوَى الباطلُ، حتى إذا ظَنَّ بعضُ الناسِ أن لا قائمةَ للحَقِّ، أدار الله الدائرةَ للحَقِّ وأهله؛ فالمعتزلةُ بذلوا الدِّينَ، ونسلطوا بالسلطانِ على المسلمين شرقًا وغربًا:

• ففي المَشْرِقِ: حُرِّفَ القرآنُ على كِسْوَةِ الكَغْبَةِ؛ فَكُتِبَ عليها: «ليس كَمِثْلِهِ شيءٌ وهو اللطيفُ الخبيرُ»؛ أزالوا: «السَّمِيعُ البَصِيرُ»؛ يقولُ حَنْبَلٌ: حَجَجْتُ فَرَأَيْتُ ذَلِكَ، فَلَمَّا قَدِمْتُ، أَخْبَرْتُ أَحْمَدَ، فَقَالَ: قَاتَلَهُ اللهُ الْخَبِيثُ - يعني: ابنُ أَبِي دُوَادٍ - عَمَدَ إِلَى كِتَابِ اللهِ، فَعَيَّرَهُ^(١).

• وفي المَغْرِبِ: أوصى العلماءُ أن يُكْتَبَ الحَقُّ على شواهِدِ القبورِ، لَمَّا عَجَزُوا عنه على المَنَابِرِ؛ فواجبُ العلماءِ أن يَبَيِّنُوا الحَقَّ حسبَ المقدورِ، واللهُ كَفِيلٌ بإظهاره.

وبدأ الأئمةُ يصنّفون ويكتبون في بيانِ المعتقدِ الحَقِّ في ذلك إجمالًا وتفصيلًا؛ ككتابِ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ: «رسالةٌ في رؤيةِ الله»، وكتبَ مُحَمَّدُ بْنُ سُخْنُونٍ كتابَ «الحُجَّةِ على القدريةِ»، وسعيدُ بْنُ الحَدَّادِ كتابَ «الاستواء»، وله أيضًا مناظراتٌ مع المعتزلةِ بالقَيْرَوَانِ.

وقد دَخَلَ سُخْنُونٌ على ابنِ القَصَّارِ وهو مَرِيضٌ، فقال: «ما هذا القَلْقُ؟ قال له: الموتُ والقُدومُ على الله، قال له سُخْنُونُ: أَلَسْتُ مُصَدِّقًا بالرُّسُلِ والبعثِ، والحسابِ والجَنَّةِ والنارِ، وأنَّ أَفْضَلَ هذه الأُمَّةِ أبو بكرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، والقرآنُ كلامُ اللهِ غيرُ مخلوقٍ، وأنَّ اللهَ يُرَى يومَ القيامةِ، وأنَّه على العرشِ استوى، ولا تَخْرُجُ على الأئمةِ بالسَّيْفِ، وإن جاروا؟ قال: إي والله، فقال: مُتْ إذا شئتَ، مُتْ إذا شئتَ^(٢).

(٢) «رياض النفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨).

(١) «طبقات الحنابلة» (١/٣٨٦).

وكان أبو العباس عبد الله بن طالب يقول في خطبته على منبر جامع القيروان، والعلماء والعامة شهود: «الحمد لله الذي يُشكر على ما به أنعم، والحمد لله الذي عذب على ما لو شاء منه عصم، والحمد لله الذي على عرشه استوى، وعلى ملكه احتوى، وهو في الآخرة يرى»^(١).

وتبع هؤلاء أئمة في المغرب؛ كابن أبي زيد القيرواني صاحب «الرسالة»، وفي المغرب الأقصى من الأندلس: أبو القاسم مسلمة بن القاسم، وابن أبي زَمِين، وأبو عَمَرَ الطَّلَمَنَكِي، وابن عبد البر، ولم يَجْزُوا في أصولهم مَجْرَى أهل الكلام والفلسفة.

وقد مرَّ المَغْرِبُ بِمَحَنٍ شَدِيدَةٍ، وَمِنْ أَشَدِّ مَا مَرَّ بِهِ أَصْحَابُ مَالِكٍ فِي المَغْرِبِ مِنْ مَحَنٍ فِي تِلْكَ القُرُونِ: حُكْمُ الأَغَالِيَةِ، وَحُكْمُ الفاطمِيِّينَ، وَحُكْمُ المُوَحِّدِينَ؛ الأوَّلُ: حَنَفِي - معتزلي وغير معتزلي -، والثاني: باطني، والثالث: أشعريٌّ غالٍ.

❦ التَّأْوِيلُ وَالتَّفْوِيضُ فِي كَلَامِ بَعْضِ أَهْلِ السُّنَّةِ:

وقد يُوجَدُ فِي تَقْرِيرَاتِ بَعْضِ هَذِهِ الطَّبَقَةِ تَفْرِيعَاتٌ كَلَامِيَّةٌ، لَا تَأْصِلَاتٌ، أَوْ مَا يَشَابُهُ فُرُوعَ أَهْلِ الكَلَامِ وَلَمْ يَخْرُجْ عَلَى أَصُولِهِمْ، وَتَأْتِي فِي سِيَاقِ كَلَامِهِمْ وَثَنًا بِاسْتِطْرَادِهِمْ، وَلَا يَذْكُرُونَ تِلْكَ الفُرُوعَ تَقْرِيرًا، وَرَبَّمَا ظَنَّ مَنْ يَقْرَأُ بَعْضَ اسْتِطْرَادَاتِهِمْ وَتَفْرِيعَاتِهِمْ: أَنَّ أَصُولَهُمْ كَلَامِيَّةٌ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ:

• فابن عبد البر قرَّرَ عَقِيدَةَ السَّلَفِ وَأَهْلِ السُّنَّةِ فِي الصِّفَاتِ فِي قَوْلِهِ: «أَهْلُ السُّنَّةِ مُجْمِعُونَ عَلَى الإِقْرَارِ بِالصِّفَاتِ الْوَارِدَةِ كُلِّهَا فِي الْقُرْآنِ

والسُنَّة، والإيمان بها، وحملها على الحقيقة، لا على المجاز^(١)، وأثبت علو الذات، واستواء الله على عرشه، وأبطل قول المتكلمين بتفسير الاستواء بأنه الاستيلاء^(٢)، ولكنه في النزول حكى عنه في أحد المواضع أنه نزول الأمر والرحمة، وهذا ليس موافقاً للمتكلمين في أصلهم في الصفات الاختيارية؛ فإنه ينقض أصلهم في ذلك في مواضع، وفي مواضع أخرى يثبت نزول الله تعالى على الحقيقة على ما يليق به سبحانه وينكر غيرَه.

ويوجد من هذه الطبقة بعض الأئمة الذين ربما وافقوا المتكلمين في بعض الأصول لا كلها؛ كأبي عمرو الداني، فهو من تلاميذ الباقلاني، وله ميل إلى بعض كلامه في «الرسالة الوافية»، وفي «الأزجوزة»، ورسالته «الوافية» أخذ معانيها من كتاب «الإنصاف» للباقلاني، وقد وافق فيها الباقلاني في الصفات.

وربما كان فيهم من خالف في الإثبات؛ كما في قول أبي عمر الظلمنكي في إثبات الجنب لله^(٣)؛ لقوله: ﴿يَحْصِرُكَ عَلَى مَا قَرِطْتَ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]؛ وذلك أنه نظر لمجرد الإضافة لله، ومجرد الإضافة لا تفيد إثبات الصفة؛ فللسياق معنى يجب الأخذ به؛ كما هو معروف في لسان العرب عند نزول الوحي، ولا ينظر لمجرد اللفظ، فقد يضيف الله إليه شيئاً، وليس منه، بل هو مخلوق من مخلوقاته؛ كقوله تعالى: ﴿ثَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشمس: ١٣]، وقوله: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾ [الفرقان: ٦٣]، وقوله ﷺ في خالد بن الوليد: (سَيِّفٌ مِنْ سَيُوفِ اللَّهِ)^(٤).

(٢) «التمهيد» (٧/ ١٣٠ - ١٣١).

(١) «التمهيد» (٧/ ١٤٥).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١٧/ ٥٦٩).

(٤) البخاري (٣٧٥٧ و ٤٢٦٢) من حديث أنس.

والمراء من جنب الله: هو القرب؛ فمن فرط فيما يقربه من أحد، فقد فرط في جنبه.

* الطائفة الثانية: طائفة كثر فيها تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام، وكان ذلك في كثير من أصولهم، ولم يكن ذلك في فرع منها ولا في أصل واحد، وإنما كان ذلك كثيراً أو غالباً؛ وذلك كأبي الوليد الباجي، وأبي بكر بن العربي، وتلميذه القاضي عياض، ومن هؤلاء من يرد على المتقدمين ويخطئهم كابن العربي في ردّه على ابن أبي زيد في قوله في استواء الذات، وعلى ابن عبد البر وغيره؛ كما في كتابه «العارضة»، و«العواصم».

وهذا يدل على البون بين الطائفتين، وسير الأولين على طريقة السلف.

* وبين الطائفتين: من له أصول يوافق في بعضها أهل الكلام، وله أخرى أكثر: خلاف ذلك؛ كأبي الحسن القاسبي في جعل الإيمان هو التصديق فقط، وينص على إخراج العمل منه، وله كتاب «المنقذ في شبه التأويل»، ولم أره، وله كتاب في الاعتقاد، ذكر فيه: «أن الاعتماد على السمع، وأن الجدال وعلم الكلام مذموم، وأن الله يدين؛ كما يقول أهل الحديث والأثر»^(١)؛ ولهذا عدّه أبو نصر السجزي ممن سلك طريق السلف في الاعتقاد.

ومنهم: من يقرّر على أصول بعض أهل الكلام في موضع، وفي مواضع على أصول السلف وأهل الأثر؛ كمكي بن أبي طالب؛ فإن له شيئاً من التأويل في كتابه: «الهداية، إلى بلوغ النهاية»، وكان من تلاميذ

أبي ذرّ الهروي، وابن أبي زيد، وقد تأول الامتواء وصفة اليد؛ فجعلهما بمعنى القُدرة في موضع^(١)، والأكثرُ تصرُّحُه بالإثبات، وقد قال: «وأحسنُ الأقوالِ في هذه: «عَلَا»، والذي يعتقده أهلُ السُّنة ويقولونه في هذا: أن الله جلّ ذكره: فوقَ سَمَواتِهِ على عرشِهِ دونَ أرضِهِ، وأنّه في كلِّ مكانٍ بعلمِهِ، وله - تعالى ذكره - كُرْسِيٌّ وَسِعَ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ؛ كما قال جلّ ذكره؛ وكذلك ذكرَ شيخنا أبو محمّد بن أبي زيد رحمته الله^(٢).

ومن الأئمة: مَنْ يفسّرُ الخبرَ بما يظهرُ منه التأويلُ، وهو أرادَ معنى من معانيه، لا حقيقة؛ فإنَّ من معاني العلوّ: القُدرة؛ فلا يعلو إلا قادرٌ قاهرٌ؛ كما أنَّ من معاني القُدرة والقهر: العلوّ؛ فلا يقهرُ ويُقدِّرُ إلا عالٍ؛ فيُظنُّ أنه يتأوّل، ولو نُظِرَ إلى قولِهِ في موضعٍ آخرَ، لبانَ معتقده، وإنَّ قَصَرَ قولُهُ في موضعٍ آخرَ.

والكلامُ في المتأخّرينَ من المالكيّةِ أكثرُ من المتقدمينَ، حتى كان من هذه الطّبقَةِ: مَنْ يُنكِرُ على مَنْ لم يَجِرْ على طريقةِ أهلِ الكلام؛ كما حطَّ ابنُ العربيّ على ابنِ خُوَيْزَمَةَ مِنْدَادَ، وابنِ أبي زيد.

وإنما ظهرَ بعضُ كلامِ الأشعريّ في قليلٍ من كلامِ أبي الحسنِ بنِ القابسيّ، وبعضُ تلامذته؛ كأبي عمرانَ القاسميّ على ما تقدّم، وتوسّع في بعضِ تلامذةِ أبي عمرانَ؛ كأبي محمّدِ عبد الحميدِ بنِ الصائغِ القيروانيّ، وفي بعضِ تلامذةِ الصائغِ؛ كمحمّدِ بنِ عليّ المازريّ شارحِ «مسليم» بكتابه «المُعَلِّم».

ومن طبقةِ الصائغِ في المغربِ: أبو بكرٍ محمّدُ بنُ الحسنِ المُراديّ الحضرميّ القيروانيّ، صاحبُ «التجريد»، في علمِ الكلام، وتلاميذه؛

كأبي الحجاج يوسف بن موسى الكلبي، وأبي عبد الله محمد بن خلف
الإليري صاحب «الأصول»، إلى معرفة الله والرسول»، و«الرد على
أبي الوليد بن رشد، في مسألة الاستواء»، وكان الإليري معظماً للجويني.

وقد أخذ علم الكلام عن هذه الطبقة: القاضي عياض؛ فقد أخذ
عن أبي الحجاج يوسف بن موسى الضير، وقد كان نظم «الإرشاد»
للجويني وتأثر به.

وقد أذاعه ابن تومرت في منتصف المئة السادسة بسلطانه،
وأبو بكر بن العربي بمنقوله؛ وكلاهما أخذ عن الغزالي في المشرق.

وليس في عامة المغرب الأدنى والأقصى حتى المئة الخامسة
أشعري خالص الأشعرية على طريقة المتأخرين، وإن قيل، فهي ظنون
لا برهان عليها؛ فليس الشاء ولا التلمذة يدخل أحداً في مذهب أحد،
ولا الموافقة في قول يدخل أحداً مع أحد في الموافقة على الأصول.

وإن كان بعض المتكلمين على طريقة الأشعري من المتأخرين
ينسب بعض المتقدمين لطريقتهم، فلائذ وافقهم في موضع أو مواضع،
وليس لهم كتب ولا أصول منقولة تدل على تلك النسبة التامة.

ومن ذلك: ما ينسب إلى إبراهيم بن عبد الله الزبيري القلاني،
ودراس بن إسماعيل؛ القبروانيين، وكانا قبل ابن أبي زيد، وليس لهما
كتب في العقائد بين أيدي الناس اليوم، ووجود بعض المسائل المنقولة
عنهم المشابهة لما عليه الأشاعرة شبيه بما عليه بعض الأئمة قبل
الأشعري بما يشابهه في بعض أصوله؛ فالموافقة في مسائل لا تعني
الموافقة في المدرسة والأصول.

ولما تمكن محمد بن تومرت في القرن السادس من المغرب، نشر

الأشعرية المتأخرة المفوضة بالجملة والمتأولة، وأطر الناس عليها، وفتح المخالفين وشردهم، وسمى أتباع مذهبه: «الموحدون»؛ لَمَزًا للمخالفين، وكان يسمي من سبقه من أهل المغرب بـ: «المجسمة»؛ يُريدُ: المثبتة التي لا تتأول، من المرابطين وغيرهم.

وفي زمن ابن تومرت وما بعده: قوي علم الكلام في المغرب، وأطر الناس على الظاهرية في الفروع، وعلى الأشعرية في الأصول، وشنع على المخالفين، وأحرقت كتب المالكية، وكفر أهل السنة بحجة أنهم مجسمة، وذكر أبو بكر البندقي: أنه سببت نساؤهم لأجل ذلك، وانتشرت كتب ابن تومرت «المرشدة»، و«أعز ما يطلب»، وشاع تدريس كتاب «الإرشاد» للجونيني.

ثم جاء أبو عمرو السلاجي في القرن السادس، وتصدى لتعليم عقيدة ابن تومرت، وألف «العقيدة البرهانية»^(١)، وبقيت عمدة المغاربة في علم أصول الدين إلى اليوم، ولا يزاحمها إلا كتب المتأخرين؛ كالسنوسي في القرن التاسع في رسالته «أم البراهين»، و«العقيدة الصغرى»، وقد كانت في المغرب دولة المرابطين، وكان أولها خيرًا من آخرها، ثم تبعها دولة الموحدون، وكان آخرها خيرًا من أولها.

وكان في المغرب قبل الموحدون من يصنف في الاعتقاد على طريقة المتكلمين؛ كأبي بكر المرادي الحضرمي، وكان يعدّه عياض من أدخل علم العقائد بهذه الطريقة إلى المغرب.

وقد أخذ ابن تومرت مذهبه من رحلته إلى المشاركة المتكلمين؛

(١) وهو مطبوع بتحقيق: نزار حمادي.

كما ذكر ذلك: أبو الحجاج بن طملوس^(١)، والناصري^(٢)، وابن خلدون^(٣)، وابن نيمية^(٤).

ولم يكن ابن تومرت يدعي الاعتزال، وقد نسبته إلى الأشعرية جماعة؛ كالشبيكي^(٥) وغيره، وربما نسبته إلى الاعتزال بعض من يستبشع أفعاله وظلمه وبغية من الأشاعرة، وعلم الكلام سبق إليه المعتزلة، ومنهم أخذوا الأشاعرة، والاعتزال فكر انتشر في طوائف، وليست جماعة منتظمة لها أصولها وفروعها؛ لأن الاعتزال علم كلامي، وقد تغلغل في الرافضة والزيدية والإباضية، والأشاعرة وغيرهم.

والمذهب الأشعري تدرج حتى آل إلى ما آل إليه، ولم يكن أئمة في المبتدئ كأئمة في المنتهى، ومذهب المتأخرين غير مذهب المتقدمين.

وعلم العقائد علم ثابت لا يتوسع كعلم الفقه، وإنما اتسع لدى المتكلمين وتدرجوا في تطويره؛ لأنهم أجروا فيه علم الكلام، كما أجرى الفقهاء في الفقه علم الرأي.

فالمتقدمون الأشعري وأصحابه؛ كأبي الحسن الطبري، وابن مجاهد، وتلاميذهما؛ كالقاضي الباقلاني: يثبتون الصفات الخبرية، ولا يتأولونها؛ كالوجه واليد، والعلو والاستواء، وأما الطبقة التي تليهم؛ كالجويني، والغزالي، فينفونها.

والأشاعرة منهج قبل أبي الحسن الأشعري، وإن سمي به، وهو

(١) «المدخل لصناعة المنطق» (ص ١٠).

(٢) «الاستقصا» (١/١٩٦).

(٣) «تاريخ ابن خلدون» (٦/٣٠١ - ٣٠٢).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١/٤٧٦).

(٥) «طبقات الشافعية الكبرى» (٦/١٠٩ و ٨/١٣٨).

مسلك جرى عليه بعض أهل العربية؛ كأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء، وأبي العباس محمد المبرّد، وغيرهم، ثم بدأ يلتئم شعثه ويجتمع شتائه بعد ذلك.

علم الكلام والإمام مالك بن أنس:

وقد كان مالك من المعظمين للأثر، المحذرين من علم الكلام؛ وذلك أن الأثر يفيد العقل للوقوف عما لا يحسنه، وعلم الكلام يُطلقه ويجسّره باسترسال على ما لا بُرْهانَ له به؛ حتى يكون منتهاه على حالين:

• إما أن يقرّر ما لا بُرْهانَ له به من مشابهة الخالق للمخلوق، ويُحدّث من لوازم الصفات صفات وتفسيرات، حتّى لو كان في صفة ثابتة بالدليل، لم يُجزّ له ذلك الأخذ بتلك اللوازم بإطلاق.

• وإما أن يستحضّر باسترساله معاني باطلة؛ فيرجع على أصوله بالنفي والنقض، ويتحايل على الحقائق بالتأويل والتفويض التام.

والوقوف على الحديث والأثر براءة من الخوض فيما لا علم للإنسان به، وأسلم لدينه، وأجمع للمسلمين، من التفرّق في معرفة ربهم وصفاته.

ومعلوم أن الرؤوس الذين نشأت فيهم الفلسفة والكلام يقلّ فيهم علم الأثر؛ لأن الأثر يحدّ العقل من الخوض فيما لا يعلم، والكلام يُرسله، ثمّ إنّه لا حدّ لخيال العقل في الغيبيات ولا منتهى له، وكثير من فرعيات المتكلمين في الأسماء والصفات والغيبيات، لا رأي لأهل السنة فيه، ويظنون أن هذا علم يعجزون عنه، وإنما يُمسك أهل السنة عنه؛ تعظيمًا لله، وأن يقولوا على الله ما لا يعلمون: ﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٦٩]، والمتكلمون لا ينتهون إلى فرع.

ولهذا فما من فرقة كلامية إلا كان أئمتها الأوّلون أخفّ من المتأخّرين؛ لأنهم يتوسّعون جيلاً بعد جيل، وقد قال مالك: «مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بالكلام، تَزَنَّدَقَ»^(١)؛ يعني: منتهاهُ إلى ذلك، وأمّا الآثارُ: فإنّها تحكّمهم، وقد قال مالك بن أنس: «ما قلّت الآثارُ في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء»، ولا قلّت العلماء إلا ظهر في الناس الجفَاء»^(٢).

وقد كان مالك يحذّر أصحابه من علم الكلام لأجل ذلك؛ ومن قوله: «إِيَّاكُمْ والبِدْعَ، قيل: يا أبا عبد الله، وما البِدْعُ؟ قال: أهلُ البِدْعِ الذين يتكلّمون في أسماء الله وصفاته، وكلامه وعلمه وقدرته، ولا يسكتون عمّا سكّت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان»^(٣).

وقد كان أهل المدينة ينهون عن الخوض في علم الكلام، وهم أعلم الناس بآثريه على الحديث، وقد قال مالك ومُصعّب الزُّبيري: «رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدِنَا - يعني: أهل المدينة - يَنْهَوْنَ عن الكلام في الدِّين»^(٤).

الرأي وعلم الكلام:

والسلف يُطلقون «الرأي»، و«علم الكلام»، والأصل في كلامهم: أنهم يقصّدون بعلم الكلام: ما يُستدلُّ به من المعقول في الأصول من العقائد، ويقصّدون بالرأي: ما يُستدلُّ به من المعقول في الفروع من الفقه، وكانوا ينهون عن الرأي، وهو بابٌ للخوض في فروع أمرها أيسرُ

(١) «ذم الكلام» للهرابي (٨٥٩).

(٢) «الفقه والمتن» (٣٩٠)، و«ذم الكلام» للهرابي (٨٦٩).

(٣) «ذم الكلام» للهرابي (٨٥٨).

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٠٨ و ٣٠٩).

مِنَ الْأَصُولِ؛ وَذَلِكَ تَعْظِيمًا لِلوَحْيِ قَرَأْنَا وَسُنَّةً، وَانْتِهَاءً إِلَى مَا بَلَّغَهُ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ، وَكُلُّ مَنْ شَدَّدَ فِي الرَّأْيِ مِنَ السَّلَفِ، فَهُوَ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ أَشَدُّ، وَلَا يَوْجَدُ إِمَامٌ مِنْهُمْ نَهَى عَنِ الرَّأْيِ، ثُمَّ أُذِنَ بِالْكَلامِ، حَتَّى كَانَ مِنْ أَصْحَابِ مَالِكٍ - وَخَاصَّةً الْمَغَارِبَةَ - مَنْ دَخَلَ الْعِرَاقَ، وَلَمْ يَسْمَعْ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ، وَلَمْ يَأْخُذْ عَنْهُمْ الْفَقْهَ، بَلْ كَانَتْ تِلْكَ الطَّبَقَةُ مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ يَنْهَوْنَ عَنِ عِلْمِ الْكَلَامِ؛ كَمَا قَالَ أَبُو يُوسُفَ: «مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ، تَزَنَّقَ»^(١)، وَهَؤُلَاءِ كَانُوا مَحَلَّ لِنَكَارِ كَثِيرٍ مِنَ السَّلَفِ، مَعَ أَنَّهُمْ أَدْخَلُوا الرَّأْيَ فِي الْفُرُوعِ، لَا فِي الْأَصُولِ.

❦ نَهَى مَالِكٌ عَنِ عِلْمِ الْكَلَامِ، وَمُرَادُهُ:

وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يَنْهَى عَنِ عِلْمِ الْكَلَامِ كُلِّهِ، وَلَا يَسْتَحِبُّ مِنْهُ شَيْئًا؛ فَهُوَ - وَإِنْ لَمْ يَظْهَرْ فِي زَمَانِهِ وَفِي بَلَدِهِ عِلْمُ الْكَلَامِ تَامًّا، كَمَا هُوَ عَلَيْهِ بَعْدَهُ بِقُرُونٍ - إِلَّا أَنَّ مَالِكًا نَهَى عَنِ الْكَلَامِ، وَلَمْ يَسْتَحِبَّ، وَرَبَطَ نَهْيَهُ عَنْهُ بِعِلَالٍ هِيَ مُتَحَقِّقَةٌ فِي كُلِّ عِلْمٍ الْكَلَامِ؛ سِوَاءٍ مَا كَانَ عَلَيْهِ الْجَهْمِيَّةُ أَوِ الْمَعْتَرِلةُ أَوِ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الْأَشَاعِرَةِ.

وَبِهَذَا فَسَّرَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ أَتْبَاعِ مَالِكٍ الْمُتَقَدِّمِينَ؛ كَابْنِ خُوَيْزَمٍ وَمُنَادَا، وَأَبِي عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْبَرِّ، وَقَدْ كَانَ ابْنُ خُوَيْزَمٍ يَنْهَى عَنِ قَبُولِ شَهَادَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ كَافَّةً، وَكَانَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ يَنْقُلُ كَلَامَهُ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِ؛ فَقَدْ نَقَلَ عَنْهُ قَوْلُهُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِ مَالِكٍ: «لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ»؛ قَالَ: «أَهْلُ الْأَهْوَاءِ عِنْدَ مَالِكٍ وَسَائِرِ أَصْحَابِنَا هُمُ أَهْلُ الْكَلَامِ؛ فَكُلُّ مُتَكَلِّمٍ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدْعِ؛ أَشْعَرِيًّا كَانَ أَوْ غَيْرَ أَشْعَرِيٍّ،

(١) «الْإِبَانَةُ» لِابْنِ بَطَّة (٦٧١/ كِتَابُ الْإِيمَان).

ولا تُقبَلُ له شهادة في الإسلام أبداً، ويُهجَرُ ويُؤدَّبُ على بدعيته؛ فإن تَمَادَى عليها، اسْتَبَيَبَ منها^(١).

ولابن عبد البرّ كلامٌ في غير موضعٍ من كتبه، لا يَرَى تقريرَ ما يتعلّقُ بالغيبِيَّاتِ ومَسَائِلِ الصِّفَاتِ بالنظرِ، ولا يَرَى المناظرةَ فيها، ومن ذلك قوله: «ليس في الاعتقادِ كُلِّهِ في صفاتِ الله وأسمائِهِ إلا ما جاء منصوباً في كتابِ الله، أو صَحَّ عن رسولِ الله، أو أَجْمَعَتْ عليه الأُمَّة، وما جاء من أخبارِ الآحادِ في ذلك كُلِّهِ أو نحوه: يُسَلَّمُ له، ولا يُنَاطَرُ فيه»^(٢).

ولمّا كان التوسُّعُ في البِدْعِ الكلاميّةِ لم يكن في زَمَنِ مالك، ولم يدخل فيه أهلُ السُّنَّةِ والأثرِ إلا ما نَدَرَ، ولم يَسْتَعْمِلْهُ كبيرٌ أحدٍ في الردِّ على أهلِ الأهواءِ والكلامِ في عصرِهِ -: جعلَ بعضهم كلامَ مالكٍ لا يُريدُ به طوائفَ من المتكلمين الذين استعملُوا علمَ الكلامِ للردِّ على المعتزلةِ والفلاسفةِ؛ لأنهم رأَوْا أثرَ هؤلاء المتكلمين في الردِّ على الفلاسفةِ والمعتزلةِ.

فقد كان البيهقي يَحْمِلُ كلامَ مالكٍ على أنه يُريدُ كلامَ الغلاةِ، لا الكلامَ الذي سَلَكَه بعضُ أهلِ السُّنَّةِ مِنْ بَعْدِهِ؛ قال: «إنما يريدُ - والله أعلم - بالكلامِ: كلامَ أهلِ البِدْعِ؛ فإن في عَصْرِهِمَا^(٣) إنما كان يُعرَفُ بالكلامِ أهلُ البِدْعِ، فأما أهلُ السُّنَّةِ، فقلّما كانوا يَخوضُونَ في الكلامِ، حتى اضْطُرُّوا إليه بَعْدَهُ»^(٤).

وهذا صحيحٌ في أن مالكا قَصَدَ البِدْعَ الكلاميّةِ التي أظهرها الزنادقةُ

(١) «جامع بيان العلم» (١٨٠٠).

(٢) الموضع السابق.

(٣) يعني: عصرَ أبي يوسفٍ ومالكٍ.

(٤) «تبين كذب المفتري» (ص ٣٣٤).

والمعتزلة والجهمية؛ لأنها هي التي ظهرت في زمنه، ولكن قول مالك ونهيه عن علم الكلام لا يُحصَرُ فيها؛ لأن دخول بعض أهل السنة في علم الكلام - مع نُذْرَتِهِ - كان في طبقة شيوخ مالك وتلاميذهم، وكان مالك يعلم أنه في بعض شيوخه وبعض تلاميذه، وكان يَحْمَدُ رَدَّهُم على أهل البدع به، وسلامة معتقديهم منه، ويحذرهم من الخوض فيه بلا علم من الأثر، ولا تمكّن منه؛ حيث يُفَحِّمُونَ لِجَهْلِهِمْ به، فيفتَرُ المُبْطِلُ بباطله لِجَهْلِهِمْ؛ كما حذر مالك تلميذه ابن قُروخ من ذلك^(١).

وقد اتخذته تلك الطبقة لإبطال باطل المُبْطِلِينَ، لا لإحقاق حق المؤمنين، وظهوره على هذا النحو في شيوخ مالك في ابن هُرْمُزٍ عبد الله بن يزيد المدني، وقد قال مالك: «كان ابن هُرْمُزٍ رجلاً كنت أُحِبُّ أن أفتدي به، وكان قليل الكلام، قليل الفتيا، شديد التحفظ، وكان كثيراً ما يقتني الرجل، ثم يبعث في أثره، فيُرْثُهُ إليه حتى يُخْبِرَهُ بغير ما أفتاه؛ قال: وكان بصيراً بالكلام، وكان يرُدُّ على أهل الأهواء؛ قال: وكان من أعلم الناس بما اختلف الناس فيه من هذه الأهواء»^(٢).

وظهوره في تلامذة مالك على هذا النحو أيضاً: في عبد الله بن قُروخ القيرواني، وقد كتب إلى مالك من المغرب يُخْبِرُهُ أَنَّ بَلَدَهُ كثير البدع، وأنه أَلْفَ لهم كتباً في الرد عليهم؛ فكتب إليه مالك يقول: «إِنْ ظَنَنْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، خُفْتُ أَنْ تَزِلَّ فَتَهْلِكَ؛ لَا يَرُدُّ عَلَيْهِمْ إِلَّا مَنْ كَانَ ضابطاً عارفاً بما يقول لهم، لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يُعَرِّجُوا عَلَيْهِ؛ فِهَذَا لَا بَأْسَ بِهِ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ، فَأَنَا أَخَافُ أَنْ يَكْلَمَهُمْ فَيُخْطِئُ؛ فَيَمْضُوا عَلَى خَطِئِهِ، أَوْ يَظْفَرُوا مِنْهُ بِشَيْءٍ؛ فَيَطْعَمُوا وَيَزِدَادُوا تَمَادِيًا عَلَى ذَلِكَ؛ كَمَا نَقَلَهُ أَبُو الْعَرَبِ فِي «طَبَقَاتِهِ».

(١) «رياض النفوس» (١/١٧٧).

(٢) «تبيين كذب المفتري» (ص ٣٥٢).

وكلامُ مالكٍ ونهيُّه هو لجميعِ علمِ الكلامِ في الغيبيَّاتِ؛ كالأسماءِ والصفاتِ والقَدَرِ؛ قليلاً وكثيره؛ سواءً ما كان عند الفلاسِفةِ وعُلاَةِ المتكلِّمينَ؛ كالمعتزليَّةِ، أو كالذي يتَّخِذُه الأشاعرةُ والماتريديةُ، يَرُدُّونَ به على عُلاَةِ المتكلِّمينَ والزنادقةِ، ثم يقرُّرونَ به الحقَّ لأهلِ الحقِّ؛ فهو ينهى عن ذلك كُلِّه، وقد قال مالك: «أهلُ البدعِ الذين يتكلَّمونَ في أسماءِ الله وصفاته، وكلامِهِ وعليمِهِ وقدرتِهِ، ولا يسكُتونَ عَمَّا سَكَتَ عنه الصحابةُ والتابعونَ لهم بإحسانٍ».

فهو يَرَى أَنَّ كُلَّ قَدَرٍ زائدٍ يُؤدِّيه الكلامُ عَمَّا كان عليه الصَّدْرُ الأوَّلُ؛ صحابةُ وتابعينَ -: فهو بذعة، مع علمِهِ بما اتَّخَذَهُ بعضُ شيوخِهِ وتلامذتِهِ لَرَدِّ الباطلِ، لا لتقريرِ الحقِّ، وهذا الذي يَتَفَقُّ عليه مَنْ بعده؛ كالشافعيِّ، وأحمدَ.

وقد فَهِمَ مِنْ نهيِ مالكٍ عن علمِ الكلامِ العمومَ بلا استثناءٍ: جماعةً؛ كالغزاليِّ في «الإحياء»^(١)، بل جعلَه قولَ مالكٍ والشافعيِّ وأحمدَ.

وقد كان أبو حنيفةً مِنْ أَهْلِ الرَّأْيِ فِي الْفَقْهِ، وَيُنْهَى عَنِ الْكَلَامِ فِي الْغَيْبِيَّاتِ، وَيَشَدُّ فِيهِ، وَيَقُولُ: «لَعَنَ اللَّهُ عَمْرَو بْنَ عُبَيْدٍ؛ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِمْ مِنَ الْكَلَامِ»^(٢)، وقد كان ينهى أصحابَهُ عنه؛ كما قال مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ: «كَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَحُثُّنَا عَلَى الْفَقْهِ، وَيَنْهَانَا عَنِ الْكَلَامِ»^(٣).

وكان الأئمةُ مِمَّنْ سَبَقَ مالِكًا وَمَنْ فِي طَبَقَتِهِ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ:

(٢) «فهم الكلام» (١٠٢٠).

(١) «الإحياء» (٩٤/١ - ٩٥).

(٣) الموضوع السابق.

يَعْلَمُونَ أَنَّ عِلْمَ الْكَلَامِ دَرَجَاتٌ وَخُطُواتٌ، وَأَنَّ لَهُ مُبْتَدَى، وَلَهُ مُنْتَهَى،
وقَدْ يُدْرِكُ بَعْضُ الدَّاخِلِينَ فِيهِ آخِرَهُ، وَبَعْضُهُمْ يُدْرِكُ مِنْ أَوَّلِهِ شَيْئًا،
وَيَمْنَعُهُ مِنَ الْاسْتِرْسَالِ فِيهِ بِشَاعَةً مَا يَزُولُ إِلَيْهِ مِنْ نَفْيٍ وَتَعْطِيلٍ؛ وَلِذَا
يَقُولُ ابْنُ مَهْدِيٍّ: «مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَأَخِرَ أَمْرِهِ زُنْدَقَةٌ»^(١).

وَكثِيرٌ مِمَّنْ وَصَلَ إِلَى نَهَايَتِهِ، نَدِمَ مِنْ بَدَايَتِهِ؛ لِأَنَّ أَصْلَ عِلْمِ الْكَلَامِ
يُنِي عَلَى الْقِيَاسِ، وَاللَّهُ تَعَالَى لَا مِثِيلَ لَهُ يُشَابَهُهُ.

الاسترسال في علم الكلام وأثره:

وَالْحَقُّ: أَنَّ تَوَخُّدَ مَسَائِلِ الصِّفَاتِ وَالْغَيْبِيَّاتِ عَلَى ظَاهِرِهَا الَّذِي
بَلِيقُ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، وَيُتْرَكَ مَا سِوَاهُ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْأَثَمَةِ خَاضَ وَسَبَّحَ ذَهْنُهُ فِي
بُحُورِ الْخِيَالِ، وَانْتَهَى إِلَى التَّسْلِيمِ بِالْفِطْرَةِ، وَأَخَذَ النَّصَّ عَلَى ظَاهِرِهِ
الِلَّائِقِ بِالْخَالِقِ لَا بِالْمَخْلُوقِ، وَالْإِمْسَاكِ عَنْ غَيْرِهِ؛ وَهَذَا لَا يَحْتَاجُ إِلَى
كَبِيرِ عَقْلٍ؛ فَالَّذِينَ لَمْ يُنَزِّلْهُ اللَّهُ لِلْأَذْكِيَاءِ، بَلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلْأَسْوِيَاءِ؛ فَكُلُّ
مُكَلَّفٍ قَادِرٌ عَلَى تَكْمِيلِ مَعْتَقِدِهِ بِمَا يَرُدُّ عَلَيْهِ مِنَ النُّصُوصِ.

وقَدْ قَالَ هَذَا وَأَقَرَّ بِهِ أَثَمَةُ أَهْلِ الْكَلَامِ فِي نَهَايَةِ طَوَائِفِهِمْ فِي
الْمَعْقُولَاتِ الْكَلَامِيَّةِ؛ كَمَا قَالَ الْمُتَكَلِّمُ الْوَلِيدُ بْنُ أَبَانَ الْكَرَّابِيسِيُّ لَمَّا
حَضَرَتْهُ الْوَفَاءُ لَبْنِيهِ: «هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟» قَالُوا: لَا،
قَالَ: فَتَنْهَمُونِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَإِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ
الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ^(٢)، وَقَالَ أَبُو الْمَعَالِي الْجَوْنِيُّ:
«أَمُوتْ عَلَى مَا يَمُوتُ عَلَيْهِ عَجَائِزُ نَيْسَابُورِ»^(٣)، وَيَقُولُ أَبُو الْوَفَاءِ بْنُ

(١) «أحاديث في ذم الكلام» (ص ٩٧ - ٩٨).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (١/ ٢٢٥ - ٢٢٦).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٥/ ١٩١).

عَقِيل: «عُدْتُ الْقَهْقَرَى إِلَى مَذْهَبِ الْمَكْتَبِ»^(١)، ويقول الشَّهْرَسْتَانِي: «عَلَيْكُمْ بِدِينِ الْعَجَائِزِ»^(٢)، ويقول الْفَخْرُ الرَّازِي: «لَقَدْ اخْتَبَرْتُ الطَّرُقَ الْكَلَامِيَّةَ، وَالْمَنَاهِجَ الْفَلَسَفِيَّةَ، وَالْعُلُومَ الْمُخْتَلِفَةَ؛ فَمَا رَأَيْتُ فِيهَا فَائِدَةً تَسَاوِي الْفَائِدَةَ الَّتِي وَجَدْتُهَا فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ؛ لِأَنَّهُ يَسْعَى إِلَى تَسْلِيمِ الْعَظْمَةِ وَالْجَلَالِ بِالْكَلِيَّةِ لِلَّهِ تَعَالَى، وَيَمْنَعُ مِنَ التَّمَعُّنِ فِي إِيرَادِ الْمَعَارِضَاتِ وَالْمُنَاقِضَاتِ»^(٣).

وقد روى الشاطبي في كتابه «الإفادات والإنشادات»^(٤) بإسناده إلى الرّازي، أَيْبَانًا بَيَّنَ فِيهَا خَسْرَتَهُ وَوَحْشَتَهُ مِنْ مَبَاحِثِهِ الْعَقْلِيَّةِ.

﴿التعرّف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة:﴾

وَالْمَتَكَلِّمُونَ يُحَاوِلُونَ التَّعَرُّفَ عَلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ طَرِيقِ اللَّهِ، وَمَا دَلَّ اللَّهُ عَلَى نَفْسِهِ بِهِ، وَمِنْ أَظْهَرِ فَسَادِ تِلْكَ الْعُلُومِ الْكَلَامِيَّةِ: أَنَّ الْعِلْمَ الصَّحِيحَ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وَلَا يَكَادُ دَاخِلٌ فِي عِلْمِ الْكَلَامِ لِيَتَعَرَّفَ عَلَى اللَّهِ بِهِ، إِلَّا ضَعُفَتْ خَشْيَةُ اللَّهِ فِي قَلْبِهِ، وَرَقَّ دِينُهُ؛ لِأَنَّهُ بَعْلِمِ الْكَلَامِ عَرَفَ شَيْئًا غَيْرَ اللَّهِ، فَلَوْ عَرَفَ اللَّهَ، لَازْدَادَ لَهُ خَشْيَةً لَا وَحْشَةً.

وَالْفَلَاسِفَةُ كُلُّهَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسَفَةِ، أَزْدَادُوا حُزْنًَا وَحَبِيرَةً، لَا طَمَآنِينَةً وَبَقِيَّةً؛ يَبْدَأُ الدَّاخِلُ فِي الْفَلَسَفَةِ وَعِلْمِ الْكَلَامِ بِنَشْوَةٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِحَبِيرَةٍ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُ أَرِسْطُوطَالِيْسُ: «لِمَاذَا كُلُّهَا تَجَاوَزْنَا الْمُسْتَوَى الْمَتَوَسِّطَ فِي الْفَلَسَفَةِ، تَمَلَّكْنَا الْأَحْزَانَ، وَلَا زَمَنَّا الْأَمْرَاضَ».

(١) «ذيل طبقات الحنابلة» (١/٣٣٧). (٢) «نهاية الإقدام» (ص ٧).

(٣) «طبقات الشافعية الكبرى» (٨/٩١).

(٤) «الإفادات والإنشادات» (ص ٨٤ - ٨٥).

﴿ اعتقاد السلف في الصفات :

ولمَّا كان السلفُ يُمرُّونَ آياتِ الصفاتِ وأحاديثَها، ولا يزيدون على قراءتها، ولمَّا ظهرتِ البدعُ الكلاميةُ، وظَهَرَ التأويلُ والتشبيهُ والتعطيلُ -:
توهم بعضُ الناسِ: أنَّ السلفَ يريدونَ نفيَ الحقيقةِ كُلِّها، وأنَّ كتابَتَهُم
لِلنصوصِ مِنْ غيرِ كلامٍ؛ يعني الإيمانَ بالحروفِ فقط، لا مجردَ أنهم
يَنفُونَ كَيْفِيَّةَ الصِّفَةِ وبيانَ كُنْهِها، والسلفُ إنما يُثَبِّتُونَ الحقيقةَ لِلصِّفَةِ
اللائقةِ باللهِ، لا اللائقةِ بالعبدِ، وإثباتُهُم لِلحقيقةِ تلكَ لا يعني تشبيهاً؛
كما أنَّ نَفْيَهُم لِلتكييفِ لا يعني تعطيلًا؛ فلا هم مشبَّهَةٌ، ولا معطَّلَةٌ،
ولا مكَيِّفَةٌ؛ لأنَّ التأويلَ لِلحقيقةِ زيادةٌ على النصِّ، كما أنَّ التشبيهَ زيادةٌ
على النصِّ.

والعدلُ: أنَّ يَقِفَ الإنسانُ بينهما؛ فلا يَحْمِلُهُ خَوْفُ التشبيهِ على
نفيِ الحقيقةِ، ولا يَحْمِلُهُ خَوْفُ التأويلِ على إثباتِ التشبيهِ، ويُمسِكُ عَمَّا
عدا ذلك؛ لأنَّ هذا غايةُ العلمِ، وما سواه جهلٌ؛ كما قال سُخُنُونُ: «مِنْ
العلمِ باللهِ: الجهلُ بما لم يُخَبِّرْ به اللهُ عن نَفْسِهِ».

وينحوه قال ابنُ أبي زَمَنِينَ^(١).

ويجبُ إمساكُ الذَّهْنِ عَنِ الاسترسالِ بالتفكيرِ في كيفيةِ ذاتِ اللهِ
وصفاته؛ لأنَّ العقلَ يشبُّهُ ويمثِّلُ ويكيِّفُ؛ فكلُّ عقلٍ يَصوِّرُ الغائبَ عنه
على ما يَرى، حتى تَخْتَلِفَ الصُّوَرُ في العقولِ لِلذاتِ الواحدةِ؛ لاختلافِ
المُشاهِدِ في كلِّ عقلٍ؛ ولهذا نهى السلفُ عن الجِدالِ في اللهِ وصفاته
وأسمائه؛ وقد قال ابنُ عبدِ البرِّ: «نُهِينَا عن التفكيرِ في اللهِ، وأمرنا

(١) «أصولُ السُّنَّة» (ص ٦٠).

بالتفكير في خلقه الدال عليه^(١)؛ لأن التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وآثارها، والعمل بمقتضاها، وهو الإحصاء المقصود بقوله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ نِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(٢).

اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة:

كان اللسان العربي الأول حامياً من الخروج عن وضع الشريعة، ومراد الله سبحانه، ولما انتشرت العجمة في الناس، ظن أولاد العرب أنهم كتاباتهم يرثون اللسان، كما يرثون النسب؛ ففسدت أفهام بعضهم للنصوص لفساد اللسان؛ وقد صح عن الحسن البصري قوله: «أهلكتهم العجمة؛ يتأولون القرآن على غير تأويله»^(٣).

وكان مالك يحذر من تفسير القرآن وتأويله من غير معرفة بلسان العرب ولغاتها، ويدعو إلى تأديب فاعله؛ لأن ذلك يؤدي إلى حمل كلام الله على غير مراده؛ قال: «لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته نكالا»^(٤).

ويكفي في رد البدع الكلامية معرفة منشئها اللساني، وبُعدها المكاني والزمني؛ ولهذا لم يكن العرب الذين سمعوا القرآن يستشكلون من الصفات ما استشكله المتكلمون حتى كفار قريش، ولم يكن الصحابة يسألون النبي ﷺ عن أنواع الصفات الذاتية والفعلية؛ لأن لسانهم وبياناتهم لا يحتاج لمثل هذا التقسيم.

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩).

(٢) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة. وسيأتي بيان أنواع ظاهري الصفات عند السلف في شرح كلام ابن أبي زيد؛ بإذن الله.

(٣) «تفسير القرآن» لابن وهب (٨٥/الجامع).

(٤) «شعب الإيمان» (٢٠٩٠)، و«مذم الكلام» (٨٨٢).

وقد بين ابن أبي زيد القبرواني: أَنَّ الْبِدْعَ فِي الدِّينِ كَانَتْ بِسَبَبِ
تصدير بني العباس للعجم من الفرس وغيرهم، ولم يكن ذلك في بني
أُمَيَّة^(١).

ولما تمكَّن علمُ الكلام من بعض الناس، التمسوا من علم العربية
وأشعار العرب ما يؤيِّد قولهم، ولو كان مخالفاً للوضع العربي الأول،
ولسان قريش؛ فهم اعتقدوا بدليل علم الكلام، ثم استأنسوا بالعربية،
حتى أصبح هناك مَنْ يَقْصِدُ تَعْلَمَ الْعَرَبِيَّةَ، لتقرير علم العقائد على طريقة
أهل الكلام.

وأهل السُّنَّةِ يُرْجِعُونَ فَهْمَ مَسَائِلِ الدِّينِ إِلَى مَا تَوَاضَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ
الصدر الأول، واشتهر الأخذُ به من زمن النبي ﷺ والصحابية والتابعين
خاصَّةً الحجازيين، ولا يَعْتَمِدُونَ عَلَى كُلِّ لُغَةٍ وَاسْتِعْمَالٍ، وَيَتَشَبَّثُونَ فِي
النقل، ولا يَسْتَدِلُّونَ بِكُلِّ شَيْءٍ مِنْ شَوَاهِدِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهِمْ، بَلْ بِمَا
تَفَهَّمُهُ عَامَّةُ الْعَرَبِ عِنْدَ الْإِطْلَاقِ.

وقد نبَّه على هذا جمعٌ من الأئمة؛ كالشافعي في «الرسالة»^(٢)،
وعبد العزيز الكِنَانِي في «الحيدة»^(٣)؛ وهو الذي يَجْرِي عَلَيْهِ فِي
استعماله ونهجه أئمةُ العربية؛ كأبي عمرو بن العلاء، وحماد بن سَلَمَةَ،
والخليل بن أحمد، وسيبويه، والكسائي، والأصمعي،
وأبي عبيد القاسم بن سلام، وابن قُتَيْبَةَ، وَثَعْلَبَ، وأبي منصور
الأزهري، وغيرهم.

(١) انظر: «صُنُونُ المنطق» (ص ٧٥٦). (٢) «الرسالة» (ص ٤٠ - ٥٣).

(٣) «الحيدة» (ص ٥٤ - ٥٨).

خطأ المتكلمين في استعمال اللغة:

وأما المتكلمون: فيقدمون من اللغة ما يوافق أصولهم الكلامية، ويقدمون الاستعمال الأغرب على الأغلب، ولا يعتبرون بالسياق ولا القرائن ولا أحوال المتكلم والمخاطب؛ فقد يتشابه الفعل مع غيره، ولكن يختلف في سياقه، ويتغير معناه:

كالإتيان في قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُ بَيْنَهُم مِّنَ الْفَوَاحِشِ ذَخْرٌ عَلَيْهِمُ السَّعْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٢٦]، فإنه يختلف عن الإتيان في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠]، مع أن الإتيانين مضافان جميعاً إلى الله، ولكن الأول مقرون بإسقاط السقف وخروره؛ فكان مكرراً بهم، والثاني صفة لله تعالى.

ومن ذلك: قوله ﷺ: (الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ)^(١)، وقوله: (إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ)^(٢)، وقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ [الشعر: ١٣]، وقوله ﷺ عن خالد بن الوليد: (سَيِّفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ؛ سَلَهُ اللَّهُ)^(٣)؛ فهذه تعرفها العرب بسياقها: أن الإضافة فيها لله، لا يعني كونها صفة؛ وهذا السياق يُعرف بالوضع العربي الأول، وليس مجرد التركيب اللفظي كافياً في الفهم.

ومثل هذا كان سبباً في خطأ المتكلمين من المعتزلة والأشاعرة حينما ألزموا المثبتة على منهج السلف بأمثال هذه الأحاديث: أن تكون

(١) «العلل المتناهية» (٩٤٤) من حديث جابر.

(٢) أحمد (٥٤١/٢) رقم ١٠٩٧٨ من حديث أبي هريرة.

(٣) سبق تخريجه.

صفات الله كغيرها، أو يَتَمَّ تأويلُ الجميعِ كتأويلها، وقد فهِمُوا الألفاظ، وجَهِلُوا السياق.

ومجرّد العلم باللفّة العربيّة لا يُجِيزُ تقديمَ الوضعِ فيها على الوضعِ الشرعي؛ فالاصطلاحُ والوضعُ الشرعيُّ مقدّمٌ على الوضعِ اللغوي، وما خالَفَ ما أَجمَعَ عليه السلفُ من المعاني، فهو فاسِدٌ، وإن احتمَلَتْهُ اللغة؛ ولذا يقولُ أبو عُبَيْدٍ القاسمُ بنُ سَلَامٍ: «لأهلِ العربيّةِ لُغَةٌ، ولأهلِ الحديثِ لُغَةٌ، ولغةُ أهلِ العربيّةِ أقيسُ، ولا نَجِدُ بُدًّا مِنْ اتِّبَاعِ لغةِ أهلِ الحديثِ مِنْ أَجْلِ السماعِ»^(١)، ويقولُ ثَعْلَبٌ: «السُّنَّةُ تَقْضِي عَلَى اللُّغَةِ، واللُّغَةُ لَا تَقْضِي عَلَى السُّنَّةِ»^(٢)؛ فالصلاةُ والزكاةُ والحجُّ والصومُ جاء الاستعمالُ الشرعيُّ فيها على معنى مخصوصٍ يُخَالِفُ الإطلاَقَ اللغويَّ، وَمَنْ حَمَلَ معنى الصلاةِ والزكاةِ والصومِ والحجِّ على أَحَدِ معانيها اللغويّةِ، كان حملهُ صحيحًا لغةً، باطلاً شرعًا.

وكثيرٌ مِنَ الأئمّةِ المغاربةِ يُدْرِكُونَ هذا المعنى؛ كابنِ أَبِي زَيْدٍ، وابنِ عبدِ البرِّ، وأبي عَمْرٍو الدانِي؛ يقولُ أبو عمرو الدانِي: «وَأئمّةُ القُرَاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْسَى فِي اللُّغَةِ، وَالْأَقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ، بَلْ عَلَى الْأَثْبِتِ فِي الْأَثَرِ، وَالْأَصَحِّ فِي النَقْلِ وَالرَوَايَةِ؛ إِذَا ثَبَّتَ عَنْهُمْ، لَمْ يَرُدُّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ، وَلَا فُسُوْ لُغَةٍ؛ لِأَنَّ الْقُرْآنَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يَلْزَمُ قَبُولُهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا»^(٣).

ولَمَّا اسْتَفَرَّتْ عَقَائِدُ الْمُنْكَلَمِينَ عَلَى التَّأْوِيلِ أَوْ التَّفْوِضِ الْمَطْلَقِ، التَّمَسَّسُوا مِنَ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ شَوَاهِدَ لِتَوْيْدِ قَوْلِهِمْ؛ فَاسْتَدَلُّوا بِهَا، وَاسْتَدَلُّوا

(٢) «مجالس ثعلب» (١/١٧٩).

(١) «الكفاية» للخطيب (٥٥٤).

(٣) «جامع البيان في القراءات السبع» (٢/٨٦٠).

إليها؛ كتفسيرهم الاستواء بالاستيلاء؛ حيث استدلل القاضي عبد الجبار بشواهد اللغة على ما استقرّ عنده قبل استدلاله؛ كما في «متشابه القرآن»^(١)، وكذلك تأويل اليد بالنعمة^(٢)، والكلام في قوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]؛ حيث فسّره بالكلم، وهو الجرح؛ يعني: ابتلاه وجرحه بالمحن والشدائد^(٣).

وقد تعدى ذلك الاستدلال على الألفاظ بغير المعروف، إلى التوسع في تقدير المحذوفات؛ للوصول إلى الغاية؛ وهي التأويل، حتى عطلوا جميع الصفات الفعلية عن حقيقتها؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا﴾ [الأعراف: ١٤٣]، جعلوا ثم تقديرًا محذوفًا، وهو تجلّي أمره وقدرته^(٤)، ونحوه قوله تعالى: ﴿إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، قلّروا المحذوف: إتيان أمره وإرادته^(٥).

وهذا باب لا حد له؛ أدخلوا منه أكثر تأويلاتهم؛ حتى قال القاضي عبد الجبار: «هكذا طرقتنا في سائر المتشابه: أنه لا بُد من أن يكون له تأويل صحيح، يُخرّج على مذهب العرب من غير تكلف ولا تعسف»^(٦).

وتوسّعوا في إدخال كثير من تأويلاتهم للصفات من باب الكناية والمبالغة، والاستعارة والتشبيه وغيرها.

وأدخلوا من باب المجاز كثيرًا من الحقائق للخروج من الإثبات؛

(١) «متشابه القرآن» (ص ١٤٢).

(٢) «متشابه القرآن» (ص ٢٩٩ - ٣٠١).

(٣) «الكشاف» (١/ ٥٩١).

(٤) «معاني القرآن» للأخفش (١/ ٣٣٦)، و«الكشاف» (٢/ ١٥٥).

(٥) «معاني القرآن» للأخفش (١/ ١٨٣)، و«الكشاف» (١/ ٢٥٣).

(٦) «المغني في أبواب التوحيد والعدل» (١٦/ ٣٨٠).

حتى جعلَ المجازُ مصطلحًا في العربية يُضاهي الحقيقة، وقد يفوقها؛ كما يظهرُ في تقريراتِ أوائلِ مَنْ عبَّرَ عن هذا الاصطلاح؛ كالأخفش في «معاني القرآن»^(١)، والجاحظ في «البيان»، و«الحَيَّوان»^(٢)؛ حتى زعمَ ابنُ جني في «الخصائص»^(٣): أَنَّ أكثرَ اللغةِ مجازٌ، لا حقيقة.

والمعجبُ: أَنَّهُمْ يَقْبَلُونَ التأويلَ بعقولهم، وَيَرُدُّونَ تفسيرَ السلفِ لأنَّهُ من عقولهم؛ وعقولُ السلفِ أَصَحُّ، والسُّنَنُهم أَفْصَحُ.

ولما اتَّسَعَ الأخذُ بعلمِ الكلامِ، طَوَّعَتِ العربيةُ له، ولم يُطَوِّعْ لها، وَكَثُرَتِ البِدْعُ من أَهلِ العربيةِ؛ حتى قال إبراهيمُ الحَرْبِيُّ: «كان أَهلُ البَصْرَةِ أَهلَ العربيةِ، منهم أَصحابُ الأهواءِ، إِلا أربعةً؛ فَإِنَّهُمْ كانوا أَصحابَ سُنَّةٍ: أَبُو عَمْرٍو بْنُ الْعَلَاءِ، وَالْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ، وَيُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ، وَالْأَصْمَعِيُّ»^(٤).

وقد ظَهَرَ الاعتزالُ في كثيرٍ من أَهلِ العربيةِ مع إمامَتِهِم فيها؛ كهارونَ الأعورِ، وأبي مُحَمَّدٍ الْيَزِيدِيِّ، وَقُطْرُبٍ، وسعيدِ الأَخْفَشِ، وأبي عثمانَ المازنِيِّ، والجاحظِ، وقد كَتَبَ الجاحظُ كِتَابًا لنصرةِ القولِ بخلقِ القرآنِ، وتعطيلِ الصفاتِ؛ ككتابِ «خَلْقِ القرآنِ»، و«الرَّدُّ على المشبهة»؛ كَتَبَهَا لأبي الوليدِ مُحَمَّدَ بْنَ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي دُوَادٍ قَاضِي المتوَكِّلِ، ولم يَبْقَ لهذه الكُتُبِ ذِكْرٌ، وَهَجَرَتْ حَتَّى فُقِدَتْ.



(١) «معاني القرآن» (١/٦١ و ٨٤) و (٢/٥٢٩).

(٢) «الحَيَّوان» (١/٢١٢ و ٣٤١) و (٤/٣٩٤ وما بعدها) (٥/٢٣ - ٣٤).

(٣) «الخصائص» (٢/٤٤٩).

(٤) «تاريخ بغداد» (١٢/١٦٦ - ١٦٧).

الشَّرْح

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾:

يُشْرَعُ الْبَدَاءَةُ بِذِكْرِ اللَّهِ قَبْلَ الشَّرْعِ فِي الْمَقَامَاتِ الْمَهْمَةِ، وَالْمَوَاقِفِ الْجَلِيلَةِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتِ السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ بِذَلِكَ، وَقَدْ دَلَّتِ السُّنَّةُ عَلَى أَنْوَاعٍ مِنَ الذِّكْرِ يُشْرَعُ الْبَدَاءَةُ بِهِ بِاخْتِلَافِ أَنْوَاعِ الْمَقَامِ الْمَشْرُوعِ فِيهِ؛ فَجَاءَتْ نَصُوصٌ بِالْبَدْءِ بِالْبِسْمَةِ، وَنَصُوصٌ بِالْبَدْءِ بِالْحَمْدِ وَالشَّهَادَةِ وَالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

أَمَّا الْبَدَاءَةُ بِالْحَمْدِ: فَفِي الْخُطْبِ وَمَا فِي حُكْمِهَا مِنْ طَوِيلِ الْكُتُبِ وَالْمَقَالَاتِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتِ الْأَحَادِيثُ عِنْدَ حِكَايَةِ قِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ لَخُطْبَةٍ يَقُولُونَ: (فَحَمْدَ اللَّهِ، وَأَتْنَى عَلَيْهِ)؛ كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)، وَابْنِ عُمَرَ^(٣)، وَأَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ^(٤)، وَأَنَسٍ^(٥)، وَجَرِيرٍ^(٦)، وَعَائِشَةَ^(٧)، وَأَسْمَاءَ^(٨)، وَهَكَذَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ، وَلَيْسَ فِي فِعْلِهِمُ التَّسْمِيَةُ فِي الْخُطْبِ.

وَأَمَّا اقْتِرَانُ الْحَمْدِ بِالتَّشْهِيدِ: فَهُوَ مَشْرُوعٌ فِي صَدْرِ الْخُطْبِ

(١) البخاري (٤٦٧).

(٢) البخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥). (٣) البخاري (٤٤٠٢)، ومسلم (١٦٩).

(٤) البخاري (٩٢٥)، ومسلم (١٨٣٢).

(٥) البخاري (٣٧٩٩)، ومسلم (١٤٠١) فِي قِصَّةٍ أُخْرَى.

(٦) مسلم (١٠١٧). (٧) البخاري (١٠٤٤)، ومسلم (٩٠١).

(٨) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥).

والكلام الجليل بلا خلاف، وقد جاءت به السُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ:
كما في حديث عائشة في «الصحيحين»؛ لَمَّا ائْتَمَّ النَّاسُ بِصَلَاتِهِ
بَاللَّيْلِ، وَلَمْ يَخْرُجْ لَهُمْ فِي الثَّالِثَةِ، فَخَطَبَهُمْ فِي الْفَجْرِ، فَقَالَ: (إِنَّهُ لَمْ
يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ)^(١).

ونشهد عندما حَدَّثَتْ عائشةُ بالإفك؛ فقال كما في «الصحيحين»:
(يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذًا وَكَذًا؛ فَإِنْ كُنْتَ بِرَيْثَةٍ، فَسَيَّرْتُكَ اللَّهُ)^(٢).
وجاء بالتشهاد السُّنَّةُ الْقَوْلِيَّةُ؛ كما في حديث أبي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعًا؛
قَالَ: (كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشَهُّدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَدْمَاءِ)^(٣).

وصحَّ عن أبي بكرٍ وعليٍّ بنِ أبي طَالِبٍ تَشَهُّدُهُمْ فِي خُطْبَةٍ غَيْرِ
الْجُمُعِ؛ كما في «الصحيحين» عن عائشة، فِي بَيْعَةِ أَبِي بَكْرٍ^(٤).
وَتَشَهُّدَ عُمَرُ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ ﷺ^(٥)، وَتَشَهُّدَ عُثْمَانُ فِي
كَلَامِهِ لَمَّا أَقَامَ الْحَدَّ عَلَى الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ؛ وَكِلَاهُمَا فِي «الصحيح»^(٦).
وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَتَشَهُّدُ فِيمَا يَهُّمُ، حَتَّى فِي غَيْرِ صَعُودِ الْمِنْبَرِ،
وَلِغَيْرِ النَّاسِ عَامَّةً:

كَمَا جَمَعَ ابْنُ عُمَرَ بَيْنَهُ وَأَهْلَهُ فِي إِنْبَاتِ بَيْعَتِهِ بِزَيْدَ لَمَّا خَلَعَهُ
النَّاسُ؛ حَيْثُ رَأَى أَنَّ الْخَلْعَ نَكْتُ وَغَدْرٌ؛ كَمَا عِنْدَ أَحْمَدَ^(٧)، وَالْأَصْلُ
الْمَرْفُوعُ فِي «مُسْلِمٍ»^(٨).

(١) البخاري (٩٢٤ و ٢٠١٢)، ومسلم (٧٦١).

(٢) البخاري (٢٦٦١ و ٤١٤١ و ٤٧٥٠)، ومسلم (٢٧٧٠).

(٣) أبو داود (٤٨٤١)، والترمذي (١١٠٦).

(٤) البخاري (٤٢٤٠ و ٤٢٤١)، ومسلم (١٧٥٩).

(٥) البخاري (٧٢١٩). (٦) البخاري (٣٨٧٢).

(٧) أحمد (٤٨/٢) رقم (٥٠٨٨).

(٨) البخاري (٣١٨٨)، ومسلم (١٧٣٥).

وجاء عن ابن مسعود: التَّشَهُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ بِخُطْبٍ لَهَا.
وجاء عن عطاء، عن أَبِي الْبَخْتَرِيِّ؛ قَالَ: «كُلُّ حَاجَةٍ لَيْسَ فِيهَا
تَشَهُّدٌ، فَهِيَ بَتْرَاءٌ»^(١).

وَأَمَّا الْبِدَاءُ بِالْبِسْمَلَةِ: فَفِي الْمَكَاتِبَاتِ وَالرِّسَالَةِ سُنَّةُ النَّبِيِّ ﷺ
وَالْأَنْبِيَاءِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّهُ مِنْ شَيْئِكَ وَإِنَّهُ إِسْمُ اللَّهِ الرَّحْمَنِ
الرَّحِيمِ﴾ [النمل: ٣٠]، وَكَلَّمَا كَانَ الْأَمْرُ الَّذِي يَشْرَعُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالْمُتَكَلِّمُ
أَعْظَمَ، كَانَ التَّأْكِيدُ بِالْبِدَاءِ بِذِكْرِ اللَّهِ فِيهِ أَشَدَّ.

وظَاهِرُ السُّنَّةِ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ الْخُطْبِ وَالْمَكَاتِبَاتِ؛ فَالْخُطْبُ يُبْدَأُ فِيهَا
بِالْحَمْدَلَةِ، وَالْمَكَاتِبَاتُ يُبْدَأُ فِيهَا بِالْبِسْمَلَةِ؛ كَمَا فِي كُتُبِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى
الْمُلُوكِ وَرُؤُوسِ النَّاسِ؛ كَكِتَابِهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، وَكِسْرَى عَظِيمِ
فَارَسَ، وَالْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، وَالنَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ، وَالْمُنْذِرِ بْنِ
سَاوَى التِّمِيمِيِّ حَاكِمِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْحَارِثِ الْغَسَّانِيِّ مَلِكِ الْحِيرَةِ، وَأَوَّلُ
رِسَالَتِهِ ﷺ فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبَقِيَّتُهَا فِي
السِّيَرِ.

وَأَكْثَرُ السَّلَفِ فِي الْقَرْنَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ يَبْدُؤُونَ كُتُبَهُمْ بِالْبِسْمَلَةِ، ثُمَّ
يَشْرَعُونَ فِي الْمَقْصُودِ؛ كَمَا لِكَ فِي «الْمَوْطَأِ»^(٣)، وَغَيْرِهِ، ثُمَّ غَلَبَ عَلَى
الْكُتُبِ الْبِدَاءُ بِالْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدَلَةِ جَمِيعًا.

وَالْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي الْأَمْرِ بِالْبِدَاءِ بِالْبِسْمَلَةِ وَالْحَمْدَلَةِ: مَعْلُومَةٌ،
وَالسُّنَّةُ الْعَمَلِيَّةُ أَصَحُّ وَأَشْهَرُ.



(١) «مُصَنَّفُ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ» (٢٧٢١٧). (٢) الْبُخَارِيُّ (٧)، وَمُسْلِمٌ (١٧٧٣).

(٣) (٣/١).

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: الَّذِي ابْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِنِعْمَتِهِ، وَصَوَّرَهُ فِي الْأَرْحَامِ بِحِكْمَتِهِ﴾:

التذكيرُ بنعمةِ الله على عبدهِ مُوجِبٌ لظهورِ حَقِّ الله على عبدهِ؛
فحقُّ الله سابقٌ ولاحقٌ، ونعمتهُ لا تُحصَى، وإنما يُؤتى الإنسانُ بعَفْلَتِهِ عن
هذا؛ وضلالُهُ يكونُ من جهتين:
الأولى: أن يَنْسُبَ فضلَ الله ونعمتهُ عليه إلى غيرِ الله؛ فيعبُدَهُ مِنْ
دُونِ الله.

الثانية: أن يَنْسَى فضلَ الله عليه، ويغفلَ عنه؛ فيغفلَ عن عبادَةِ الله
وحقه عليه بمقدارِ عَفْلَتِهِ.

ولهذا تأتي أسبابُ التذكيرِ بفضْلِ الله على عبدهِ: إمَّا بالابتلاءِ
ليرجعَ، وإمَّا بالتوفيقِ والمراجعةِ للحقِّ بالتذكُّرِ والعِلْمِ والفَهْمِ.



﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: وَأَبْرَزَهُ إِلَى رِفْقِهِ، وَمَا يَسَّرَهُ لَهُ مِنْ رِزْقِهِ، وَعَلَّمَهُ مَا
لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَظِيمًا، وَتَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ، وَأَعْدَرَ
إِلَيْهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْمُرْسَلِينَ الْخَبِيرَةِ مِنْ خَلْقِهِ؛ فَهَدَى مَنْ وَفَّقَهُ بِفَضْلِهِ، وَأَضَلَّ
مَنْ خَذَلَهُ بِعَدْلِهِ، وَيَسَّرَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْيُسْرَى، وَشَرَحَ صُدُورَهُمْ لِلدُّكْرِى،
فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ بِأَلْسِنَتِهِمْ نَاطِقِينَ، وَيَقْلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَيَمَّا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ
وَكُتِبَتْهُ عَامِلِينَ، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَعْنَوْا بِمَا
أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ﴾:

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَى عَبْدِهِ مِنْ إِيجَادِهِ وَكَفَالَتِهِ وَتَعْلِيمِهِ، وَذَكَرَ
دَلِيلَ الْخَلْقِ بِقَوْلِهِ: «وَتَبَّهَهُ بِآثَارِ صَنْعَتِهِ»؛ وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ؛ يَا مُرُّ
عِبَادَةَ بِالنَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ وَالسَّيْرِ فِي الْأَرْضِ؛ لَتَدْبُرَ آيَاتِ اللَّهِ وَالتَّأَمَّلِ فِيهَا؛

فإنَّ اللهَ آياتٌ - كالكواكبِ والأبراجِ، والنجومِ والسماءِ والأرضِ، وأنواعِ الموجوداتِ الحيَّةِ والجامدةِ - تَدُلُّ على عظيمِ مُوجِدِها؛ قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الاعراف: ١٨٥]، وقال: ﴿وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِلْمُوقِنِينَ﴾ ٢٠ ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الناريات: ٢٠-٢١]، وقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ ١٧ ﴿وَلِلَّيْلِ السَّمَاءِ كَيْفَ تُوَفَّتْ﴾ ١٨ ﴿وَلِلَّيْلِ الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ ١٩ ﴿وَلِلَّيْلِ الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُصَنِّفُ مَا أَجْرَاهُ اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ مِنْ تَسْيِيرِهِمْ عَلَى مَرَادِهِ بِفَضْلِ وَعَدْلٍ، وَلَا يَظْلِمُ اللَّهُ أَحَدًا، وَتَقْدِيرُ اللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ أَعْمَالَهُمْ لَا يَعْنِي ظُلْمُهُمْ، وَلَا قَطْعُ حُجَّتِهِ عَلَيْهِمْ، وَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فِي بَابِ الْقَدَرِ وَالْمَشِيئَةِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

وَفِي قَوْلِهِ: «فَأَمَّنُوا بِاللَّهِ بِالسَّيِّئَةِ نَاطِقِينَ، وَبِقُلُوبِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَنْتَهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَتْهُ عَامِلِينَ»، ذَكَرَ لِلْإِيمَانِ، وَأَنَّهُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ، وَلَا يَتِمُّ إِيْمَانُ عَبْدٍ إِلَّا بِذَلِكَ، وَيَأْتِي بَيَانُ هَذَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ.

سَعَةُ الْحَلَالِ، وَضِيقُ الْحَرَامِ:

وَفِي قَوْلِهِ: «وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمَهُمْ، وَوَقَفُوا عِنْدَ مَا حَدَّ لَهُمْ، وَاسْتَفْتُوا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ»:

تَنْبِيهُ إِلَى أَنَّ الْغَايَةَ مِنَ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ، وَأَنَّ اللَّهَ جَعَلَ فِي الْحَلَالِ غُنًى عَنِ الْحَرَامِ وَكُفَايَةً، وَكَثِيرًا مَا يَنْهَى اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يُبَيِّنُ سَعَةَ الْحَلَالِ؛ حَتَّى لَا يَشْعُرَ الْإِنْسَانُ بِالْحَرَجِ وَالضِّيقِ، وَتَتَوَهَّمَهُ نَفْسُهُ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُكْثِرُ مِنْ عَرْضِ الْمَحْرُمَاتِ عَلَى الْإِنْسَانِ؛ حَتَّى يَشْعُرَ بِسَعَتِهَا، وَيُنْسِيَهُ الْحَلَالَ حَتَّى يَشْعُرَ بِضِيقِهِ وَقِلَّتِهِ:

ومن ذلك: قوله تعالى قبل تحريم الميتة والدم: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْءُ﴾
 ءَامَتُوا كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿[البقرة: ١٧٢]، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالْدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا
 أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ...﴾ الآية [البقرة: ١٧٣].

والله تعالى يذكر الحلال ويوسعه، ويذكر الحرام ويضيقه؛ كما في
 قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الذِّبْءُ﴾ ءَامَتُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلَاحِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا
 خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿[البقرة: ٢٠٨]، فلما ذكر الحلال
 أطلقه، ولما ذكر الحرام وصفه بالخطوات، ولا يتجراً أحد على حرام
 إلا وقد ضاق الحلال عليه: إما توهمًا في نفسه، أو حقيقة في الواقع،
 والتنضييق ليس من التشريع.

❦ بيان المؤلف لموجب التأليف:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿أَمَّا بَعْدُ؛ أَعَانَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِعَايَةِ وَدَائِعِهِ،
 وَحِفْظِ مَا أَوْدَعَنَا مِنْ شَرَائِعِهِ؛ فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُخْتَصَرَةً
 مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَةِ﴾:

شَرَعَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي بَيَانِ مَقْصُودِهِ مِنْ «رِسَالَتِهِ»، وَمُوجِبِ كِتَابَتِهَا.
 وَاسْتَعْمَالَ: «أَمَّا بَعْدُ» سُنَّةٌ لِفَصْلِ الْخُطَابِ، كَانَ يَفْعَلُهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي
 خُطْبِهِ وَمَكَاتِبَاتِهِ.

وبيان موجب الكتابة يبين المقصود منها، ويخرجها عن الفضول
 وقصد الكتابة للكتابة، وبيان موجب القول يزيد من التوضيح؛ وهو كثير في
 القرآن؛ فبذكر الله الحكم والجواب بعد ذكر الاستشكال والسؤال من
 الناس؛ كقوله تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ﴾ [البقرة: ١٨٩]، و﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ [النساء: ١٧٦].

❁ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: ﴿مِمَّا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلُهُ الْجَوَارِحُ، وَمَا يَتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ مِنَ السُّنَنِ؛ مِنْ مُؤَكِّدِهَا وَنَوَافِلِهَا، وَرَغَائِبِهَا وَشَيْءٍ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا، وَجُمَلٍ مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ وَفُتُونِهِ؛ عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَطَرِيقَتِهِ﴾:
والمقصود بشرحنا هنا: هو لمعتقد المؤلف في صدر رسالته، فإنه قد أتبع معتقده أحكام الفقه وتفصيله، ومحل الكلام عليها غير هذا الكتاب.



❁ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: ﴿مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ؛ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ، وَبَيَانِ الْمُتَفَقِّهِينَ؛ لِمَا رَغِبْتَ فِيهِ مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ الْوِلْدَانِ، كَمَا تَعَلَّمْتَهُمْ حُرُوفَ الْقُرْآنِ؛ لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ فَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ: مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَتُهُ، وَنُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَتُهُ؛ فَأَجِبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ؛ لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي وَلَكَ مِنْ ثَوَابٍ مَنْ عَلَّمَ دِينَ اللَّهِ أَوْ دَعَا إِلَيْهِ﴾:

لقد يسر الله كلامه لمن يريد فهمه من العرب وممن عرف لسانهم غيرهم؛ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾ [القمر: ١٧]، وجعله سهلاً بيناً، لا يحول بينه وبين فهمه إلا إعراض قلبه وانصرافه عن الحق، ومثل هذا لو سمع الحق، لم ينتفع به، ويكون سماعه كسماع الأصم: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وربما نظر من في قلبه مرض في القرآن، وتتبع المتشابهة، فزاد زيغته؛ لأنه طلب الزيف بنفسه، والله لا يتبدى أحداً بإزاعة: ﴿فَلَمَّا رَأَوْا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥].

ولا يَصْرِفُ أَحَدًا عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ يَرِيدُهُ: ﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا صَرْفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ [التوبة: ١٢٧]، ولا يَقْدِفُ فِي قَلْبِ أَحَدٍ مَرَضًا أَوْ رِجْسًا إِلَّا وَهُوَ يَطْلُبُ الْمَرَضَ وَالرِّجْسَ: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، وقال: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ﴾ [التوبة: ١٢٥]، وَمَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ قَصْدُ الْخَيْرِ وَطَلَبُهُ، فَإِنَّ اللَّهَ يَهْدِيهِ: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وإذا كَانَ الْإِنْسَانُ كُلَّمَا قَرَأَ الْأَدْلَةَ، أَزْدَادَ غِيًّا وَانْحِرَافًا، فَالْعَيْبُ فِي قَصْدِهِ وَمَرَضٌ فِي قَلْبِهِ، لَا فِي الْأَدْلَةِ.

وَمَنْ جَهَلَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ الْمَتَعَيْنِ عَلَيْهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ سَوْأُ أَهْلِ الْعِلْمِ الْعَارِفِينَ بِذَلِكَ؛ فَإِنَّ مَجْرَدَ الْجَهْلِ مَعَ إِمْكَانِ رَفْعِهِ، لَا يُعَذِّرُ صَاحِبَهُ بِهِ؛ وَلَا لَكَانِ الْجَهْلُ خَيْرًا مِنَ الْعِلْمِ، وَتَجْهِيلُ النَّاسِ أَفْضَلُ مِنْ تَعْلِيمِهِمْ؛ لِأَنَّ تَعْلِيمَهُمْ تَكْلِيفٌ وَحَسَابٌ، وَتَجْهِيلُهُمْ إِعْذَارٌ وَعَفْوٌ.

وَيَنْشَأُ الصَّغِيرُ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَتَقْبُلُ الْحَقَّ وَالْإِتْجَاءَ إِلَيْهِ، وَاسْتِنْكَارِ الْبَاطِلِ وَالنُّفْرَةَ مِنْهُ، وَلَكِنَّهُ قَدْ يَتَوَلَّنُ عَلَى الشَّرِّ؛ إِذَا تَدَرَّجَ فِيهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ أَوْ يُنَجِّسَانِهِ...) ^(١).

وَتَعْلِيمُ الْوُلْدَانِ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ وَاجِبٌ، وَهُوَ حَقٌّ لَهُمْ عَلَى وَلِيِّهِمْ، وَيَتَأَكَّدُ ذَلِكَ فِي الْأَزْمِنَةِ الَّتِي يَكْثُرُ فِيهَا الشَّرُّ؛ فَيَجِبُ أَنْ يُسَبِّقَ بِالْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَسْبِقَ إِلَيْهِمُ الشَّرُّ؛ فَيَتَقَبَّلُونَهُ وَيَتَشَرَّبُونَهُ.



(١) البخاري (١٣٥٨)، ومسلم (٢٦٥٨) من حديث أبي هريرة.

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَعْلَمَ: أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ: أَوْعَاهَا لِلْخَيْرِ، وَأَزْجَى الْقُلُوبِ لِلْخَيْرِ: مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ، وَأَوْلَى مَا عُيِّنَ بِهِ النَّاصِحُونَ، وَرَغِبَ فِي أَجْرِهِ الرَّاعِبُونَ: إِصْطَالَ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ؛ لِيُرْسَخَ فِيهَا، وَتَنْبِيَهُهُمْ عَلَى مَعَالِمِ الدِّيَانَةِ، وَحُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيُرَاضُوا عَلَيْهَا، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ، وَتَعْمَلَ بِهِ جَوَارِحُهُمْ؛ فَإِنَّهُ رُوِيَ أَنَّ تَعْلِيمَ الصِّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُظْفِئُ غَضَبَ اللَّهِ، وَأَنَّ تَعْلِيمَ شَيْءٍ فِي الصِّغَرِ؛ كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ.﴾

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ، وَيَسْرُقُونَ بِعِلْمِهِ، وَيَسْعُدُونَ بِاعْتِقَادِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ: ﴿

أَنْقَى الْقُلُوبِ: الْقَلْبُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى الْفُطْرَةِ، وَلَمْ يَرِدْ إِلَيْهِ وَارِدٌ مِنَ الشَّرِّ؛ لِأَنَّ الْقَلْبَ إِذَا تَمَكَّنَ مِنْهُ الشَّرُّ، تَصَلَّبَ وَقَسَا، وَشَقَّ عَلَيْهِ الرَّجُوعُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحديد: ١٦]؛ لِأَنَّ لِلْقَلْبِ مَنَافِذَ يَدْخُلُ مِنْهَا الْخَيْرُ، وَإِذَا كَثُرَ الْبَاطِلُ وَالشَّرُّ عَلَى الْقَلْبِ، كَثُرَ إِغْلَاقُ مَنَافِذِ الْخَيْرِ إِلَيْهِ؛ حَتَّى يَكُونَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدَّ قَسْوَةً فِي قَبُولِ الْحَقِّ.

وَقَدْ جَاءَتِ الْأَدَلَّةُ فِي تَعْلِيمِ الصِّغَارِ دِينَ اللَّهِ، وَخَاصَّةً مَا يَتَعَلَّقُ بِهِمْ وَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمُ الثَّبَاتُ عَلَيْهِ بَعْدَ تَكْلِيفِهِمْ؛ كَالصَّلَاةِ وَأَحْكَامِ الْعَوْرَةِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَبْعِ سِنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ عَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ)^(١)، وَكَمَا فِي ظَاهِرِ آيَةِ الْعَوْرَاتِ مِنَ سُورَةِ التَّوْرَةِ.

(١) أحمد (٢/ ١٨٠ و ١٨٧ رقم ٦٦٨٩ و ٦٧٥٦)، وأبو داود (٤٩٥) من حديث عبد الله بن عمرو.

وتعليمُ الصغيرِ أثبتُ في قلبِهِ من تعليمِ الكبيرِ؛ لخلوّ قلبِهِ ولينِهِ
وطراوتهِ.

والأُمَمُ والشعوبُ التي تَنشَأُ على الفِطْرةِ، ولم تبدلْ، فإنها أسرعُ
لِقَبُولِ الحقِّ والتسليمِ به؛ كما هو اليومُ في كثيرٍ من بُلْدَانِ إفريقياَ وبعضِ بلدانِ
جنوبِ شرقِ آسيا، وأمّا التي تبدلتْ فِطْرَتُها، وطال الأمدُ على انحرافِها، فإنَّ
قَبُولَها للحقِّ شاقٌّ؛ لأنَّ قلوبَهُم منحرفةٌ؛ كالإناءِ المائلِ أو المنكوسِ،
فبمقدارِ مِيلَانِهِ يقلُّ نصيبُهُ من تقبُّلِ وضعِ الماءِ فيه، وإذا كان منكوسًا، لا يَقْبَلُ
شيئًا حتى يعدلَّ على الفِطْرةِ الصحيحة، ثُمَّ يُصَبُّ الماءُ فيه، والجهْدُ في
هؤلاءِ شاقٌّ؛ لأنهم يحتاجون إلى جهادَيْن: جهادِ تعديلِ الفِطْرةِ، وجهادِ
عَرْضِ الشَّرْعَةِ؛ وهذا كالفرقِ بين أهلِ مَكَّةَ وأهلِ المدينةِ في أوَّلِ الإسلامِ؛
فأهلُ مَكَّةَ أشدُّ تبديلًا للفِطْرةِ، فعاندُوا وكابروا، ولكنَّ مَنْ آمَنَ منهم، ثبتَ
وكان إيمانه أقوى من غيره؛ لأنه جرَّبَ أقصى الضلالةَ، فرجعَ، فليس بعدها
شيءٌ؛ ولهذا كان مؤمنو مَكَّةَ المهاجرونَ أَفْضَلَ من مؤمني المدينةِ الأنصارِ.

ومَنْ أراد دعوةَ أحدٍ إلى الحقِّ، فليَنظُرْ إلى فِطْرَتِهِ ومقدارِ انحرافِها
قبل دَعْوَتِهِ، حتى يقومَ الإناءُ قبل الصبِّ فيه، ومَنْ يدعو أصحابَ فِطْرٍ
مبدلةٍ، أعظمَ أجرًا ممَّن يدعو أصحابَ الفِطْرِ الصحيحة، ولو كان أقلَّ
اتباعًا؛ نكلُ أولي العزمِ مِنَ الرُّسُلِ أُرْسِلُوا إلى أُمَمٍ مبدلةٍ للفِطْرةِ.

وإذا نَشَأَ الإنسانُ في بيئةٍ شرِّ وعَرَفَ الحقَّ، فهو أثبتُ وخيرُ ممَّن عَرَفَ
الحقَّ في بيئةٍ خيرٍ، ومن هذا قولُ أحمد: إذا أصبتَ الكوفيَّ صاحبَ سُنَّةٍ،
فهو يَفُوقُ الناسَ^(١)؛ وذلك لأنَّه عَلِمَ على الكوفةِ بدعةَ التشيعِ والرَّفْضِ.



(١) الخلال (١/٣٠٨)، وأخبار الشيوخ للمروزي (٢٦٣).

❁ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا لِعَشْرِ، وَيُفَرَّقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ؛ فَكَذَلِكَ: يَنْبَغِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ؛ لِيَأْتِيَ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ، وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَسَكَنَتْ إِلَيْهِ أَنْفُسُهُمْ، وَأَنِسَتْ بِمَا يَعْمَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ.﴾

❁ وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا مِنَ الْإِغْتِقَادَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ عَمَلًا مِنَ الطَّاعَاتِ.

❁ وَسَأَفْصِلُ لَكَ مَا شَرَطْتُ لَكَ ذِكْرَهُ بَابًا بَابًا؛ لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ، وَلِيَأْتَهُ تَسَخُّيرٌ، وَبِهِ نَسْتَعِينُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ: ﴿

أَمْرُ الصَّبِيِّ بِالصَّلَاةِ فِي صِغَرِهِ مُتَوَجِّهٌ فِي الشَّرْعِ لَوْلِيهِ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (مُرُوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ...) (١)؛ لِأَنَّ الصَّبِيَّ غَيْرُ مَكْلَفٍ؛ فَلَا يَتَوَجَّهُ إِلَيْهِ الْخُطَابُ، وَالتَّقْصِيرُ وَالْإِثْمُ فِي ذَلِكَ يَقَعُ عَلَى وَلِيِّهِ لَا عَلَيْهِ، وَإِذَا بَلَغَ، وَقَعَ عَلَيْهِ لَا عَلَى وَلِيِّهِ.

❁ وَإِنَّمَا خُصِّتِ الصَّلَاةُ بِالتَّأَكُّيدِ عَلَى الصَّغِيرِ فِي أَوَّلِ تَمْيِيزِهِ؛ لِأَسْبَابٍ مِنْهَا:

الأول: كونها أعظم الأركانِ الْعَمَلِيَّةِ وَآكِدَهَا؛ وَالْإِهْتِمَامُ فِي الشَّرِيعَةِ يَكُونُ لِلْأَهَمِّ وَالْأَعْظَمِ.

الثاني: أَنَّ الصَّلَاةَ ثَقِيلَةً، وَتَحْتَاجُ إِلَى تَوَطُّنٍ، وَالنَفْسُ غَضَّةٌ طَرِيقَةٌ؛ حَتَّى إِذَا كَبُرَتْ، لَا تَسْتَقْبِلُ الصَّلَاةَ، وَقَدْ عَاتَدَتْ قَبْلَ ذَلِكَ عَلَيْهَا، وَمَنْ لَمْ يُوَدِّهَا وَهُوَ صَغِيرٌ بِأَيِّ حَالٍ، شَقَّ عَلَيْهِ الْقِيَامُ بِهَا عِنْدَ أَوَّلِ بُلُوغِهِ؛ وَلِهَذَا جَاءَ أَمْرُ الْوَلِيِّ بِأَنْ يَأْمُرَ الصَّبِيَّ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ؛ حَتَّى يَبْلُغَ الْعَاشِرَةَ، وَهِيَ ثَلَاثُ سِنِينَ، يُؤَمِّرُ فِيهَا عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ، ثُمَّ يُضْرَبُ عَلَيْهَا بَعْدَ الْعَاشِرَةِ إِلَى بُلُوغِهِ، ضَرْبًا غَيْرَ مَبْرُحٍ؛ وَلَكِنْ مَنْ انْتَضَمَ عَلَى الْأُولَى، لَمْ يَحْتَاجْ إِلَى الثَّانِيَةِ؛ أَيُّ: مَنْ انْتَضَمَ بِأَمْرِ الصَّبِيِّ بَعْدَ السَّابِعَةِ ثَلَاثَ سِنِينَ، لَمْ يَبْلُغِ الْعَاشِرَةَ إِلَّا وَهُوَ مُدَاوِمٌ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَحْتَاجْ إِلَى ضَرْبِهِ.

الثالث: أَنَّ الصَّلَاةَ ثَقِيلَةً بَلَا خَشُوعٍ، وَالْخَشُوعُ ثَقِيلٌ فِي ذَاتِهِ عَلَى مَنْ لَمْ يَتَوَطَّنْ عَلَيْهِ، وَالصَّغِيرُ أَوَّلَ مَا يُوَدِّهَا لَا يَعْرِفُ الْخَشُوعَ؛ فِيرَادُ تَوَطُّنُهُ عَلَى الْأَمْرَيْنِ لَيْسَهُمَا عَلَيْهِ: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالْعَمَلِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وَالْخَشُوعُ ثَقِيلٌ عَلَى ضَعِيفِ الْيَقِينِ بِرَبِّهِ؛ كَمَا وَصَفَ اللَّهُ الْخَاشِعِينَ فِي نَفْسِ الْآيَةِ: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ الَّذِينَ يَلْظُنُونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٤٥ - ٤٦].

فَالثَّلَاثَةُ مُتَلَازِمَةٌ: آدَاءُ الصَّلَاةِ، وَخَشُوعُهَا، وَالْيَقِينُ بِاللَّهِ؛ وَلَمَّا كَانَ الصَّغِيرُ يَحْتَاجُ إِلَى جَمْعِهَا فِي نَفْسِهِ، احْتَاجَ إِلَى التَّبَكُّيرِ بِهَا أَوَّلَ تَمْيِيزِهِ.

الرابع: أَنَّ الصَّلَاةَ بَابٌ لِحَفِظِ بَقِيَّةِ الدِّينِ؛ فَهِيَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَيَحْتَاجُ الصَّغِيرُ إِلَيْهَا؛ لِتَرْدَعَهُ عِنْدَ بُلُوغِهِ، وَتَحْتَهُ عَلَى الْعَمَلِ الصَّالِحِ وَمَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ.

وَأَمَّا مَا يَتَعَلَّقُ بِأَمْرِ الْبَاطِنِ، فَيَأْتِي الْكَلَامُ عَلَيْهِ فِي مَوْضِعِهِ مِنْ هَذَا الْكِتَابِ بِإِذْنِ اللَّهِ.

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا﴾:

تُشْرَعُ الصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخُطْبِ، وَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْ تَعْظِيمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ تَعْظِيمَ الرَّسُولِ مِنْ تَعْظِيمِ الْمُرْسَلِ وَالرَّسَالَةِ، وَتَعْظِيمِ النَّبِيِّ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبُوءَةِ وَالْمُنْبِيِّ؛ وَبِهَذَا يَعْمَلُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ؛ فَفِي «الْمُسْنَدِ» عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ؛ قَالَ: «صَعِدَ عَلِيُّ الْمُنْبَرِ، فَحَمِدَ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ: خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ ﷺ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ»^(١).

﴿ فَضْلُ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَمَوَاضِعُهُ:

وَلِلصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَرَكَةٌ عَلَى قَائِلِهَا، وَهِيَ مُؤَثَّرَةٌ فِي قَبُولِ الْعَمَلِ وَالِدُعَاءِ؛ فَفِي «السُّنَنِ» مِنْ حَدِيثِ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ؛ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِمَنْ صَلَّى وَدَعَا، وَلَمْ يُتَجَدَّ وَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ: (عَجِلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي)، وَقَالَ لِمَنْ صَلَّى فَمَجَّدَ اللَّهَ وَحَمِدَهُ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: (ادْعُ تُجِبْ، وَسَلْ تُعْطَ)^(٢).

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ الْأَحَادِيثُ وَالْأَنَارُ فِي فَضْلِ الصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ عَامَّةً، وَصَحَّتْ فِي مَوَاضِعَ خَاصَّةٍ:

فَتُشْرَعُ كَسَائِرِ الذِّكْرِ لِغَيْرِ سَبَبٍ؛ لِمَا فِي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» مِنْ حَدِيثِ

(١) «زيادات المسند» (١/١٠٦ رقم ٨٣٧).

(٢) أبو داود (١٤٨١)، والترمذي (٣٤٧٦ و ٣٤٧٧)، والنسائي (١٢٨٤).

أَبِي هُرَيْرَةَ؛ قَالَ ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا)^(١).

وهي مِنْ أَعْظَمِ سَبَابِ مَكْفَرَاتِ الذُّنُوبِ وَجِلَاءِ الْهَمُومِ؛ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ أَبِي طَلْحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَحَطَّ عَنْهُ عَشْرَ خَطِيئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ)^(٢).

وُتَّشَرِّعُ عِنْدَ سَبَابٍ، وَأَكْثَلُهَا: فِي الصَّلَاةِ عِنْدَ التَّشَهُُّدِ^(٣)، وَعِنْدَ ذِكْرِ النَّبِيِّ ﷺ^(٤)، وَبَعْدَ الْأَذَانِ^(٥)، وَفِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ^(٦)، وَعِنْدَ الْهَمِّ وَالْحَاجَاتِ^(٧)، وَفِي مَجَالِسِ الذِّكْرِ عَامَّةً^(٨)، وَعِنْدَ الدُّعَاءِ^(٩)، وَكَانَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ يَخْتِمُ قُنُوتَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ^(١٠)، وَرُويَ فِيهِ مَرْفُوعَاتٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتِهَا^(١١).

(١) مسلم (٤٠٨).

(٢) «المسند» ٢٩/٤ (رقم ١٦٣٥٢)، وهو في «شعب الإيمان» (١٤٥٥) من حديث أنس.

(٣) البخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٤٠٧) من حديث أبي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ. والبخاري (٣٣٧٠)، ومسلم (٤٠٦) من حديث كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ. وورد عن عددٍ من الصحابة في الصحيحين وغيرهما.

(٤) الترمذي (٣٥٤٥) من حديث أبي هريرة، و(٣٥٤٦) من حديث الحسين بن علي.

(٥) مسلم (٣٨٤) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) «مسند الشافعي» (٢١٠/١ - ٢١١) من حديث رجلٍ من الصحابة.

(٧) الترمذي (٢٤٥٧) من حديث أبي بن كعب. وأبو نُعَيْمٍ في «معرفه الصحابة» (٣/١٤١٣) من حديث جابر بن سَمُرَةَ.

(٨) الأصبهاني في «الترغيب والترهيب» (١٦٧٢) من حديث أبي هريرة.

(٩) الترمذي (٥٩٣) من حديث ابن مسعود.

(١٠) «فضل الصلاة على النبي» (١٠٧).

(١١) النسائي (١٣٧٤) من حديث أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ. وابن ماجه (١٦٣٧) من حديث أبي الدرداء. والبيهقي (٢٤٩/٣) من حديث أنس وأبي الدرداء.

وَيُرَوَّى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ، وَعِنْدَ الْخُرُوجِ مِنْهُ؛ وَهُوَ مَعْلُولٌ^(١).

وَإِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي مَجْلِسٍ، تَأَكَّدَتْ.
وَتُجْزَى مَرَّةً وَاحِدَةً، وَتُكَرَّرُهَا عِنْدَ ذِكْرِهِ أَوَّلَى وَأَخَوَطُ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ جَبْرِيلَ دَعَا عَلَى مَنْ تَرَكَهَا بِالْبُعْدِ، وَأَمَّنْ عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ؛ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَقَالَ: (أَمِينَ، أَمِينَ، أَمِينَ)، قَالَ: (أَنَا نَبِيُّ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَدْرَكَ أَحَدَ أَبَوَيْهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: «أَمِينَ»، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رَمَضَانَ، فَمَاتَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَادْخُلِ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: «أَمِينَ»، قَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْ: أَمِينَ، فَقُلْتُ: «أَمِينَ»؛ صَحِيحٌ رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ^(٢)، وَرُويَ نَحْوُهُ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَمَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ، عِنْدَ ابْنِ جَبَّانٍ^(٣)، وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ عِنْدَ الْحَاكِمِ^(٤)؛ وَكُلُّهَا مَعْلُولَةٌ.

وَرُويَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ بِنَحْوِهِ، وَلَكِنْ فِيهِ: (رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)^(٥).

وَجَاءَ مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ مَرْفُوعًا: (الْبَخِيلُ: مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ)^(٦).

(١) انظر: «تتائج الأبحاث» (١/٢٧٥ - ٢٧٧).

(٢) «المعجم الكبير» (٢/٢٤٣ - ٢٤٤ رقم ٢٠٢٢).

(٣) في «صحيحه» (٤٠٩ و ٩٠٧ و ٩٠٨). (٤) في «المستدرک» (٤/١٥٣ - ١٥٤).

(٥) البزار (٦٢٥٢).

(٦) أحمد (١/٢٠١ رقم ١٧٣٦)، والتِّرْمِذِيُّ (٣٥٤٦) مِنْ حَدِيثِ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ.

﴿ حَكْمُ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ:

الصَّلَاةُ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، مَعَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ: جَائِزَةٌ.

وَأَمَّا أَنْ يُفَرَّدَ أَحَدٌ مِنْهُمْ بِصَلَاةٍ مِنْ غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَفِي ذَلِكَ قَوْلَانِ مَشْهُورَانِ لِلْعُلَمَاءِ: الْمَنْعُ، وَالْجَوَازُ:

وَمَنْ أَجَازَ، احْتَجَّ بِأَنْ عَلِيًّا قَالَ لِعُمَرَ: «صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ»^(١).

وَمَنْ مَنَعَ، احْتَجَّ بِمَا جَاءَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: «لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تَنْبَغِي مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»^(٢)؛ رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْهُ.

وَيُكْرَهُ تَخْصِصُ أَحَدٍ بِالصَّلَاةِ دُونَ غَيْرِهِ؛ عَلَى وَجْهِ يُفْهَمُ مِنْهُ الْغُلُوبُ.

وَيُذَلُّ عَلَى جَوَازِ الصَّلَاةِ عَلَى غَيْرِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَخْصِصِهِ، وَاتِّخَاذِهِ شَعَارًا لِمَعَيَّنٍ: جَمْلَةٌ مِنَ الْأَدَلَّةِ:

مِنْهَا: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾ [الْأَحْزَابُ: ٤٣].

وَمِنْهَا: قَوْلُ النَّبِيِّ ﷺ: (إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ؛ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ؛ مَا لَمْ يُحْدِثْ)؛ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٣).

وَمِنْهَا: حَدِيثُ قَبْضِ الرُّوحِ؛ يَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدِكَ كُنْتَ تَقُمْرِيَّتُهُ)؛ رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ^(٤).

(١) «مسائل أحمد»؛ رواية أبي داود (ص ١١٣).

(٢) ابن أبي شيبة (٨٨٠٨).

(٣) البخاري (٤٤٥) و٦٥٩ و٢١١٩، ومسلم (٦٤٩).

(٤) مسلم (٢٨٧٢).

﴿مُجْمَلُ اعْتِقَادِ أَهْلِ السُّنَّةِ فِي اللَّهِ تَعَالَى﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي مَقْدَمَةِ «الرَّسَالَةِ»: «بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ، وَتَعْتَقِدُهُ الْأَفْئِدَةُ؛ مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ؛ مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ، وَالنُّطْقُ بِاللِّسَانِ: أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا شَبِيبَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا وَالِدَ لَهُ، وَلَا صَاحِبَةَ لَهُ، وَلَا شَرِيكَ لَهُ؛ لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ابْتِدَاءٌ، وَلَا لِآخِرِيَّتِهِ انْقِضَاءٌ»:

أَرَادَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: الْكَلَامَ عَلَى أَصُولِ الدِّينِ وَفُرُوعِهِ فِي «رَسَالَتِهِ»، وَلَمَّا كَانَتْ الْأَصُولُ مُحَلًّا لِاتِّفَاقٍ، وَلَا تَقَبُّلُ الرَّأْيِ وَالنَّظَرِ، كَانَتْ مُخْتَصِرَةً بِسِيرَةٍ؛ يَكْفِي فِيهَا الْإِجْمَالُ، وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا لَمْ يَرِدْ فِيهِ نَصٌّ، وَالْمَعْتَقَدُ الَّذِي كَتَبَهُ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: هُوَ مَا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ، وَقَدْ وَصَفَ مَعْتَقَدَهُ فِي كِتَابِهِ «الْجَامِعُ» بِأَنَّهُ: «مِمَّا أَجْمَعَتْ عَلَيْهِ الْأُمَّةُ مِنْ أُمُورِ الدِّيَانَةِ، وَمِنْ السُّنَنِ الَّتِي خِلَافُهَا بِدْعَةٌ وَضَلَالَةٌ»^(١).

وَقَدْ ابْتَدَأَ بِذِكْرِ وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ وَصَمَدِيَّتِهِ، وَنَفْيِ الشَّرِيكِ عَنْهُ وَالنَّدِّ وَالنَّظِيرِ، وَالزَّوْجَةِ وَالْوَلَدِ وَالْوَالِدِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝ لَمْ يَكُنْ لَهُ يُولَدٌ وَلَمْ يُولَدْ ۝﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

وَأَنَّهُ سَبْحَانَهُ: الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَهُ شَيْءٌ، وَهُوَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَهُ شَيْءٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾ [الحديد: ٣]، وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: (اللَّهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ؛ فَلَيْسَ فَوْقَكَ

(١) «الجامع» (ص ١٠٧).

شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ؛ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ؛ أَقْضِ عَنَّا الدَّيْنَ، وَأَغْنِنَا مِنَ الْفَقْرِ^(١).

وروى عمران بن حصين رضي الله عنه؛ أن رسول الله ﷺ قال: (كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، ثُمَّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَكَتَبَ فِي الذُّكْرِ كُلِّ شَيْءٍ)^(٢).

﴿حَكْمُ التَّفَكُّرِ فِي ذَاتِ اللَّهِ:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: لَا يَبْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ﴾:

الْكُنْهَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ: هُوَ حَقِيقَةُ الشَّيْءِ وَغَايَتُهُ وَنَهَائَتُهُ؛ فَيُقَالُ: هَذَا أَمْرٌ لَا يُلْزَمُ كُنْهَهُ؛ إِذَا كَانَ عَصِيًّا عَلَى إِدْرَاكِ كَيْفِيَّتِهِ^(٣).

وإثبات صفات الباري إنما هو إثبات للوجود والحقيقة والكيفية اللاتقة به التي لا نعلمها، لا إثبات للكيفية في أذهان المبتدئين؛ لأن الله سبحانه ليس له مثل يُكَيَّفُ عليه، ولا شبهة له حتى يقاس عليه؛ فالله يقول عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وَلَا أَعْلَمَ مِنَ اللَّهِ بِنَفْسِهِ سُبْحَانَهُ.

والواجب على العقول: أن تتوقف عند إثبات حقيقة الصفات ومعانيها الثابتة، ولا تتجاوز ذلك إلى الكيفية تفكيراً أو بحثاً؛ فلا تشبه ولا تؤول، ولا تفوض ولا تحرف؛ فكل مجاوزة للعقل عن الحد المأذون به شرعاً في صفات الله تعالى، فلا بُدَّ أن ينتهي بصاحبه إلى

(٢) البخاري (٣١٩١ و ٧٤١٨).

(١) مسلم (٢٧١٣).

(٣) تهذيب اللغة (٢٣/٦).

تشبيهه أو تمثيله، أو تحريف وتعطيل، والخوض فيما نهى الله عنه يؤدي إلى هلاك صاحبه، وهو من أسباب دخول النار؛ فقد ذكر الله قول أهل النار في سبب دخولهم فيها: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْفَاحِشِينَ﴾ [المشر: ٤٥].

وإنما نهى الله عن الخوض فيما لا يدرجه العقل؛ لأنه باب للشيطان لإغواء الناس؛ فيستدرجهم إلى الخوض في غيب لا يحسنونه، ويعرهم بعقولهم، وربما ابتدأ بهم بالمشروع، نطمينا لنفوسهم حتى يجرهم إلى الممنوع؛ كما في قوله ﷺ: (إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ ﷻ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ الْأَرْضَ؟ فَيَقُولُ: اللهُ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ اللهُ؟ فَإِذَا أَحَسَّ أَحَدُكُمْ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ، فَلْيَقُلْ: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَبِرُسُلِهِ) ^(١) وفي رواية: (فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ وَلْيَتَنَه) ^(٢)، والنهي ليس للبدء بالتفكير المشروع، وإنما للحذر أن يكون طريقاً للممنوع.

ويجب إمساك العقول والأذهان عن استرسالها بالتفكير في كيفية ذات الله وصفاته؛ لأن الأذهان تشبه وتمثل وتكيّف؛ فلا يمكن لعقل أن يتكرّ وصفاً جديداً لذات لم يرها من قبل، ولو ابتكر جديداً، فإنما هي صفات مركبة من عدة ذوات جمعتها لذات واحدة، فكل عقل يصور الغائب عنه على ما يرى؛ حتى تختلف الصور في العقول للذات الواحدة؛ لاختلاف المشاهد في كل عقل؛ ولهذا نهى السلف عن الجدال في الله وأسمائه وصفاته.

وقد قال ابن عبد البر: «نهينا عن التفكير في الله، وأمرنا بالتفكير في

(١) أحمد (٣٣١/٢) رقم ٨٣٧٦ من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٣٢٧٦)، ومسلم (١٣٤/٢١٤).

خلقه الدال عليه^(١)؛ لأن التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة آثارها، والعمل بمقتضاها، وهو الإحصاء المقصود بقوله ﷺ: (إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ)^(٢).

وقد قال سُخْتُونُ: «مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخْبِرْ بِهِ اللَّهُ عَنْ نَفْسِهِ».

وبنحوه قال ابنُ أبي زَمِينٍ.

أنواعُ ظاهرِ الصفاتِ:

وظاهرُ الصفاتِ عند السلفِ نَوْعانِ:

النوعُ الأولُ: ظاهرٌ يليقُ بالمخلوقين؛ فهذا يَنْفُونَهُ ولا يُشَبِّهُونَهُ؛ لأنَّ اللَّهَ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

النوعُ الثاني: ظاهرٌ يليقُ بالخالقِ، وهذا الذي يُشَبِّهُونَهُ ولا يَنْفُونَهُ.

وإثباتهم لهذا النوعِ من ظاهرِ الصفاتِ، لا يعني مشابهةَ المخلوقِ للمخلوقِ، وإنما يُريدونَ: أَنْ يجعلوا للصفةِ حقيقةً تليقُ بالله، لا تفسيراً غيرَ الظاهرِ بتأويله إلى معنى آخر؛ كتفسيرِ الوجهِ بالذاتِ، واليدُ بالقُدرة؛ فهم يَجْعَلُونَ صفةَ الوجهِ صفةً حقيقةً تليقُ بالله، لا تشابهَ المخلوقِ، واليدُ صفةً حقيقةً تليقُ بالله، لا تشابهَ المخلوقِ، وينفونَ عِلْمَهُمُ بالكيفيةِ، ويقولونَ: إِنَّ نَفْيَ الكيفيةِ لا يعني عَدَمَ وجودِها، ولكنَّ عَدَمَ عِلْمِهَا؛ فلا يَعْلَمُهَا النَّاسُ.

وظنَّ بعضُ المتكلمينَ: أَنَّ إثباتَ حقيقةِ الصفاتِ اللائقةِ بالله،

(٢) سبق تخريجه.

(١) «جامع بيان العلم» (١٧٦٩).

وعدم تأويلها، هو أخذ بلوازم الجسميّة والتحيز، ثم فرّعوا عن ذلك إحاطة المخلوق بالخالق، وغير ذلك من التصورات.

وإنما حملهم على ذلك لوازم التشبيه؛ فالمخلوق حينما تُثبِت له صفةً حقيقيّةً، فأنت تُثبِت له هذه الأشياء واللوازم، فأرادوا نفى حقيقة الصفات وتعطيلها؛ هروباً من تشبيه انفدَح في أذهانهم، فوقّعوا فيما أنكروهُ على مَنْ أثبت الحقيقة اللائقة بالله؛ حيث زعموا أنهم يشبهون المخلوق بالخالق للاشتراك في الحقيقة واللوازم.

والسلف حينما يقولون: إنّ لصفات الله حقيقة لا تشابه حقيقة صفات المخلوقين، فإنهم تبعاً لذلك لا يلتزمون بشيء غير ما ورد، وإن صحّ لازم عندهم، فإنهم يجعلون اللوازم لا تشابه لوازم المخلوق؛ فلا يحمل قولهم ما لا يحتملونه، وهم جعلوهم يقولون بلوازم تشابه المخلوق، فرجعوا إلى الحقيقة بالنفي التام.



❁ قَالَ أَبُو زَيْدٍ: «يَعْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ»:

ماهيّة الشيء: كهيّة الشيء، ويُقال أحياناً: ماهيّة^(١)، وللحارث الموحاشي: كتاب «ماهيّة العقل»، ويُسمى أحياناً: «ماهيّة العقل»؛ يعني: حقيقته وكيفيته التي هو عليها، وفي بعض نسخ «الرسالة»: «ماهيّة»، بدل: «ماهيّة»؛ وهذه الكلمة ليست مضافةً لله في كلام الصدر الأول، فضلاً عن نصوص الوحيين.

(١) «التعريفات» (ص ١٩٥).

❦ معرفة الله بآياته الكونية:

والتفكر في آيات الله مشروع؛ فإنها تدل على عظيم صفاته، وحسن أسمائه، وكل عظيم له آيات، ولا أعظم من آيات الله ولا أكبر؛ لأنه لا أعظم من الله ولا أكبر، ومن لم ير آيات الله، ضَعُفَتْ عظمته الله في قلبه؛ لأن عظمة الشيء تُعرف برؤيته، أو برؤية آياته، أو بهما.

وقد أمر الله بالتفكر في آياته الدالة عليه؛ حتى يعرف العبد عظمة الله وقوته وضعف غيره؛ فيعرف المستحق للتعظيم والعبادة ممن لا يستحقها، فقد أمر الله بالنظر إليها، والتفكر فيها:

□ فأمر بالنظر في السماء والأرض وما فيهما؛ فقال تعالى: ﴿قُلْ أَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُقِي الْأَيَّاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].
□ وأمر بنظر الإنسان إلى أصله؛ فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ [الطارق: ٥].

□ وأمره أن ينظر إلى معاشه؛ فقال: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾ [٢٤] أَلَا مَبِينًا... ﴿الآيَاتِ﴾ [عبس: ٢٤ - ٢٥].

□ وأمره بالنظر في خصائص بعض المخلوقات؛ فقال: ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ [٧] ﴿وَلِلَّائِمَّةِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ [٨] ﴿وَلِلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [٩] ﴿وَلِلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ [الغاشية: ١٧ - ٢٠].

□ وأمر الله بأن يتفكر الإنسان في نفسه؛ فقال: ﴿وَلِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الدَّارِيَات: ٢١].

❦ سبب الوقوع في الشرك:

ولأنما وقع الشرك في الناس بسبب جهلهم برَبِّهم، وعدم معرفة قدره؛ فقد يتوهم الإنسان عظمة ضعيف عاجز؛ فيذل له من العبودية ما يناسب ما

تَوْهَمُهُ مِنْ عَظَمَةِ؛ وَلِذَا يَقْرُنُ اللَّهُ الْجَهْلَ بِقُدْرِهِ بِعُبُودِيَّةٍ غَيْرِهِ مِنْ دُونِ اللَّهِ.

فَلَمَّا ذَكَرَ الشِّرْكَ ذَكَرَ جَهْلَهُمْ بِقُدْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِي تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْتَأْذِنُوا لَأَنصِتُ إِلَيْهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِقُدْرَةِ اللَّهِ وَلَئِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ١٧٣]، ثُمَّ قَالَ: ﴿مَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ فَكْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ١٧٤]؛ فَبَيَّنَ أَنَّ سَبَبَ شِرْكِهِمْ هُوَ جَهْلُهُمْ بِقُدْرِ رَبِّهِمْ، وَفِي الْآيَةِ الْآخَرَى قَالَ: ﴿وَمَا فَكَّرُوا اللَّهَ حَقَّ قُدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]؛ فَذَكَرَ عَظَمَةَ ذَاتِهِ؛ لَتَذُلَّ عَلَى عَظَمَةِ قُدْرِهِ، ثُمَّ نَزَّهَ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ عَنْ شِرْكِ الَّذِينَ لَمْ يَقْدِرُوهُ حَقَّ قُدْرِهِ؛ فَقَالَ: ﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وَجَعَلَ التَّفَكُّرَ فِي الْمَلَكَوَاتِ مُوجِبًا لَتَنْزِيهِ اللَّهِ عَمَّا يُظَنُّهُ الْمُبْطِلُونَ وَسُؤَالَهُ النِّجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ؛ فَقَالَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ قَفَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠ - ١٩١].

وَلَمَّا جَاءَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، وَعَظَّمَهُ بِمَا يَتَضَمَّنُ النِّقْصَ فِي حَقِّهِ تَعَالَى، وَنَسَوِيَّتَهُ بِالرَّسُولِ ﷺ، عَرَّفَهُ بِآيَاتِ اللَّهِ وَعَظَمَتِهَا، وَفَضَّلَ فِيهَا؛ لِيُذَكِّرَ الْأَعْرَابِيَّ مَا ضَيَّعَهُ مِنْ حَقِّ اللَّهِ؛ كَمَا رَوَى جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ؛ قَالَ: «أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَعْرَابِيٌّ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، جَاهِدِ الْأَنْفُسَ، وَضَاعِ الْعِيَالِ، وَنَهَكِ الْأَمْوَالِ، وَهَلَكَ الْأَنْعَامُ، فَاسْتَشَقَّ اللَّهُ ﷻ لَنَا؛ فَإِنَّا نَسْتَشْفَعُ بِكَ عَلَى اللَّهِ، وَنَسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (وَيْحَكَ! أَتَذَرِي مَا تَقُولُ؟) (١٩)، وَسَبَّحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؛ فَمَا زَالَ يُسَبِّحُ حَتَّى عُرِفَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ قَالَ: (وَيْحَكَ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى

أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ، وَيَحَاكَ! أَتَذَرِي مَا اللَّهُ؟ إِنَّ عَرْشَهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَدًا - وَقَالَ بِإِصْبَعِهِ مِثْلَ الْقُبَّةِ عَلَيْهِ - وَإِنَّهُ لَيَسَّطُ بِهِ أَطِيطَ الرَّحْلِ بِالرَّائِبِ»^(١).

وإنما عَرَّفَ النبي ﷺ الأعرابي بآياتِ اللهِ؛ لأنها أعظمُ بابٍ مُشَاهِدٍ ومعلوم في تلك الحال يُدرك به الأعرابي عظمةَ خالقه.

عقيدة التفويض:

ولا يعني ابنُ أبي زيدٍ من قوله: «وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ»: التفويض، وإنما مرادُه: نفْيُ تشبيه الصفاتِ ونفْيُ العلمِ بكيفيتها، لا نفْيُ حقيقتها؛ فَإِنَّ التَّفَكُّرَ فِي الذَّاتِ قَدْرُ زَائِدٌ عَنْ إثباتِ الحقيقة؛ فإثباتُ الحقيقةِ شيءٌ لا يَلَزُمُ منه معرفةُ الكيفية.

ومن هذا: قولُ الحَسَنِ لَمَّا سُئِلَ: هل تَصِفُ رَبَّكَ؟ قال: نَعَمْ، بغيرِ مثال^(٢). فنَفَى التفويضَ بإثباتِ حقيقةِ الصُّفَةِ، وَبَيَّنَ أَنَّ الْقَدْرَ الْمُنْفِيَّ هو المِثَالُ الَّذِي هو التشبيهُ والتكليفُ، فالإيمانُ بحقيقةِ الشيء مع عَدَمِ العلمِ بكيفيته صحيحٌ شرعاً وعقلاً، فنُؤْمِنُ بحقيقةِ صفاتِ نعيمِ الْجَنَّةِ مع أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ: (أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ)^(٣).

وعقيدةُ السَّلَفِ: إثباتُ حقيقةِ الصفاتِ، وتفويضُ كَيْفِيَّتِهَا، ولا يَلَزُمُ - في العقلِ - مِنْ إثباتِ الحقيقة: التشبيهُ؛ فَأَنْتَ مَثَلًا تُثَبِّتُ صِفَةَ الْحَيَاةِ حَقِيقَةً لِعَلَّةِ ذَوَاتٍ؛ كحياةِ الأَرْضِ، وحياةِ الشَّجَرِ، وحياةِ الإنسانِ،

(١) أبو داود (٤٧٢٦).

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (٢٩)، و«السُّنَّة» لعبد الله (٤٩٩ و ١١٣٢).

(٣) البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤) من حديث أبي هريرة.

والحياة في هذه الذوات صفة حقيقية؛ فنقول: حَيَّيتِ الأرضُ وماتت،
وحَيَّيتِ الشَّجرةُ وماتت، وحَيَّيَ الإنسانُ ومات، وإثبات الحقيقة لهذه
الذوات لا يعني تشبيها؛ فحياة كل ذات تختلف عن الأخرى، وكذلك
في بقية الصفات اللازمة للذات، والصفات الفعلية المتعلقة بالمشيئة.

وتوهم أن إثبات الحقيقة يلزم منه التشبيه، هو الذي حمل بعض
الطوائف على القول بالتفويض والتعطيل؛ فقرأوا من باطل إلى باطل،
وفهموا آية نفي التشبيه والتمثيل على غير وجهها؛ فغلوا في معناها غلوا
حملهم على القول بالبدعة؛ فنقوا أصل الحقيقة للصفات؛ خوفاً من
إثبات الحقيقة المشابهة؛ حتى قال أحمد في «الرد على الزنادقة»:
«قالوا: هو شيء لا كالأشياء فقلنا: إن الشيء الذي لا كالأشياء، قد
عرف العقل أنه لا شيء؛ فعند ذلك: تبين أنهم لا يثبتون شيئاً بشيء،
ولكنهم يدفعون عن أنفسهم الشبهة بما يقرؤون من العلانية»^(١)؛ واللازم
لنفي حقيقة الصفات: تعطيل الذات والتشبيه بالمعدومات، ولا يلزم لإثبات
الحقيقة: التشبيه، كما قال محمد الكرجي القصاب في «نكت القرآن»^(٢).

تاريخ مذهب التفويض:

ولا يعرف في أقوال أحد من الصحابة ولا التابعين ولا أتباعهم:
تفويض حقيقة الصفات، وإن أخذ من لم يعرف مناهجهم بعض
إطلاقاتهم، فحملها على التفويض، فهؤلاء إنما أخذوا اللفظ المحتمل،
ولم يعرفوا سياقه، ولا المواضع الأخرى القاطعة بتفسيره.

وإن كان بعض الأئمة من أهل السنة يشير إلى اعتقاد بعض الناس

(١) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ٩٩).

(٢) (٦٨/٤).

في القرن الثالث للتفويض؛ كما أشار إليه الدارمي في «ردّه على بشر المريسي»، وإنما اشتهر التفويض في قول الكلابية؛ يريدون التوسط بين المعطلة والمشبهة؛ فيسلمون من الطائفتين: بتفويض حقائق الصفات ومعانيها، مع أنّ المفوضة في الحقيقة معطلة؛ فما سلموا بالتفويض من التعطيل، وظهر التفويض في قول أبي منصور المائري في حراسان، وأبي الحسن الأشعري في العراق في «رسالته إلى أهل الثغر»، وقد كتبها قبل كتابه: «الإبانة».

والله تعالى أنزل كتابه لِيُتَدَبَّرَ وهو معلوم المعنى، ولم يذكر أحد من الصحابة والتابعين وأتباعهم من المفسرين وغيرهم: أنَّ آيات الصفات من المتشابه الذي لا يجوز الكلام في تفسيره وبيان معانيه، بل صحَّ عن ابن عباس: أنه جعلها من المحكمات؛ وذلك لما سمع رجل بحديث في الصفات، فانتفض، فقال ابن عباس: «ما فرق هؤلاء؟! يَجِدُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ»^(١)؛ و«يَجِدُونَ»؛ يعني: يَغْضِبُونَ^(٢).

وَمَنْ فَوَّضَ الصِّفَاتِ، وَلَمْ يُثَبِّتْ لَهَا حَقِيقَتَهَا، وَجَعَلَ غَايَةَ الْإِيمَانِ
بِآيَاتِ الصِّفَاتِ الْإِيمَانَ بِحُرُوفِهَا - : فَقَدْ خَالَفَ الْمَقْصِدَ مِنَ التَّنْزِيلِ،
وَجَعَلَ عَرَبِيَّةَ الْقُرْآنِ لَا مَعْنَى لَهَا؛ فَالْإِيمَانُ بِالْحُرُوفِ لَا يَخْتَلِفُ فِيهِ
الْعَرَبِيُّ وَالْأَعْجَمِيُّ.

والله سَمَّى كِتَابَهُ مُبِينًا مَفْصَّلًا، وَأَمَرَ بِتَدْوِيرِهِ، وَجَعَلَ لِعَرَبِيَّتِهِ مَبِيزَةً وَخَصِيصَةً، وَهِيَ مَعْرِفَةُ الْمَعَانِي وَحَقَائِقِهَا؛ فَقَالَ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [انفصلت: ٣]، وَقَالَ: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّمَلَكِكُمْ تَقُولُونَ﴾ [يوسف: ٢]،

(١) «جامع معمر» (٢٠٨٩٥)، والسُّنَّة لابن أبي عاصم (٤٨٥)، و«ذم الكلام» للهروي (١٩٣).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (١٥٥/٥).

وَسَمَّى كِتَابَهُ بِالْمَفْصَلِ وَالْبَيِّنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كَتَبَ مُبِينٌ﴾ [النمل: ٧٥]،
وَقَالَ: ﴿كَتَبَ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [فصلت: ٣]، وَأَمَرَ
كَثِيرًا بِتَدْبِيرِهِ؛ قَالَ: ﴿لِيَتَذَكَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ
الْقُرْآنَ﴾ [النساء: ٨٢]، وَقَالَ: ﴿أَفَلَمْ يَذْكُرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨].

وَالْقَوْلُ بِأَنَّ آيَاتِ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَشَابِهَاتِ، وَعَلَى هَذَا تُنْفَى حَقَائِقُهَا
وَتَفْوِضُ، لَمْ يُسَبِّحْ قَائِلُهُ بِهَذَا؛ لَا مِنَ الصَّحَابَةِ، وَلَا مِنَ التَّابِعِينَ.

❦ نِسْبَةُ التَّفْوِضِ لِلسَّلَفِ:

وَيَنْسَبُ جَمَاعَةُ التَّفْوِضِ إِلَى السَّلَفِ؛ وَذَلِكَ لِأَنَّ فِي بَعْضِ كَلَامِ
بَعْضِهِمْ مَا يُتَوَهَّمُ مِنْهُ التَّفْوِضُ؛ كَقَوْلِ بَعْضِهِمْ فِي آيَاتِ الصِّفَاتِ
وَأَحَادِيثِهَا؛ كَالزُّهْرِيِّ، وَمَكْحُولٍ: «أَمَرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ»^(١)، أَوْ
قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَالْأَوْزَاعِيِّ، وَالثَّوْرِيِّ، وَمَالِكٍ، وَاللَيْثِ، وَأَحْمَدَ: «أَمَرُوها
كَمَا جَاءَتْ»^(٢)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَالْوَلِيدِ بْنِ مُسْلِمٍ: «أَمَرُوها
بِلَا كَيْفٍ»^(٣)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَابْنِ عُيَيْنَةَ: «هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ نُقِرَ بِهَا،
وَنُحَدِّثُ بِهَا بِلَا كَيْفٍ»^(٤)، أَوْ قَوْلِ بَعْضِهِمْ؛ كَوَكَيْعٍ: «نُسَلِّمُ هَذِهِ
الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟»^(٥)، وَنَحْوِ ذَلِكَ
مِنَ الْأَقْوَالِ.

وَيَحْمِلُونَ إِمْرَارَ آيَاتِ الصِّفَاتِ وَأَحَادِيثِهَا بِمَعْنَى تَرْكِهَا حُرُوفًا

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٥)، و«الرسالة الوافية» (١٩).

(٢) «الشريعة» (٧٢٠)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٩٣٠)، و«الأسماء والصفات» (٩٥٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧٥)؛ نَقْلًا عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْأُئِمَّةِ.

(٤) «الصفات» للدارقطني (٦٣).

(٥) «السنّة» لعبد الله (٤٩٥)، و«الصفات» للدارقطني (٦٢).

كالأعجمية غير المفهومة، أو كما يرى القارئ خطوط الأمم السابقة الأثرية من أصحاب اللغات البائدة، إلا أن حروف القرآن مقدسة، ولكن الجهل بالمعنى واحد.

وهذا غلط شنيع، وقدح في بيان القرآن ومقاصده، وفي الحكمة الإلهية من التنزيل؛ وفي هذا قال الإمام المديني عبد العزيز الماحشون قرين مالك - لما نظر مرة في شيء من سلب الصفات -: «هذا الكلام هدم بلا بناء، وصفة بلا معنى»^(١).

ويدل على أن الأئمة لا يريدون بقولهم: «أمرؤها كما جاءت» تفويض إثبات الحقيقة: أن مالكاً سئل عن رؤية الله؟ فقال: «يرؤنه بأعينهم»^(٢)، ثم سئل عن أحاديث رؤية الله؟ فقال: «أمرؤها كما جاءت»^(٣).

وهذا كله ليس تناقضاً من مالك، بل إن الإمرار لا ينافي الإقرار بالحقيقة، بل تفويض كیفيتها إلى الله لا تفويض إثباتها.

وقراءة القرآن والبيان فيه يقتضي إثبات حقيقة الصفات ومعانيها الصحيحة، وما زاد عن ذلك، فهو منفي من التكيف والتشبيه والتمثيل، والتأويل والتعطيل؛ فالمفسرون يعلمون أن الحقيقة معنى مقصود في الآية، ويستقر في نفس القارئ؛ كما قال يزيد بن هارون: «من زعم أن الرحمن على العرش استوى على خلاف ما يقرأ في قلوب العامة، فهو جهمي»^(٤).

(١) سیر أعلام النبلاء (٣١٢/٧).

(٢) الشريعة (٥٧٤)، وشرح أصول الاعتقاد (٨٧٠).

(٣) سبق قبل قليل. (٤) السنة لعبد الله (١١١٠).

ومرادّه بالعمامة: أهلُ السليقة، والفِطرة الصحيحة؛ الذين يَقْرَءُونَ آيَةَ الاستواء، ويقرءون قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فيَرَوْنَ أَنْ لَا تَنَاقُضَ وَلَا تَضَادَّ بَيْنَ إِبْثَاتِ الْحَقِيقَةِ، وَنَفْيِ التَّمْثِيلِ.

وهذه العبارات لم يكن يعبرُ بها الصحابة ولا كبارُ التابعين؛ لأنَّ أقوالَ التعطيل أو التمثيل لم تكن قد ظهرت في زمانهم؛ ولَمَّا ظَهَرَتْ بعد ذلك أراد أولئك الأئمة دفعَ تلك البدعة، لا نفيَ معاني الصفات وحقائقها من الأخبار؛ فهذا قَدْ رُيِّقُوا بِه؛ ويفسِّرُ ذلك نصوصُهم الأخرى.

والإمراز في قولهم: «أَمَرُوها كَمَا جَاءَتْ»؛ يعني: الإثبات والإقرار بحقائقها؛ لأنَّ هذا مما جاء به، والمنفي في الشريعة: التشبيه والتمثيل في قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وما كان سوى التمثيل من إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة، فليس منفيًا، بل هو مقصود في نصوص الوحي.

ولهذا يقول مالك بن أنس: «الاستواء معلوم»^(١)؛ يعني: ليس حروفاً، وإنما هو حقيقة، وإثبات حقيقته لا يعني تشبيهه بغيره.

ولَمَّا ضَعُفَ اللسانُ العربيُّ، وراجَتْ مقولة التشبيه، والمقالات ضدها، وفَسَدَتِ السليقة بإثبات الحقيقة، والمعاني الصحيحة -: مال بعضهم: إلى مذهبِ التفويض؛ للخلاص من تلك البدع، وبعضهم: أراد للعوام السلامة من تلك الآفات؛ كما قاله الغزالي^(٢).

حتى شاعت تلك المقالة بسبب أخذ بعض فضلاء أهل الحديث

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤)؛ بمعناه.

(٢) كما قرره في كتابه «إلجام العوام».

بها؛ كالحطابي في بعض شروحه عند تعليقه على بعض الصفات^(١)، وكذلك: البيهقي في كتابته: «الأسماء والصفات»^(٢)، و«الاعتقاد»^(٣)، وكذلك: جماعة من أهل الفقه والنظر من الشافعية؛ كالجويني في «الرسالة النظامية» التي آل رأيته إليها^(٤)، والعزالي في «الجامع العوام»^(٥)، ومن الحنابلة؛ كالتميمي، وابن عقيل^(٦)، ومرعي الكرمي^(٧)، ومن هؤلاء: من يضطرب؛ فيؤول في موضع تارة، ويفوض في موضع آخر تارة.

وليس من السلامة: ترك مراد الله في كلامه؛ كما يزعمه المفوضة؛ فإن ترك حقائق النصوص ومعانيها الصحيحة: هلاك، لا سلامة؛ لأن التفويض مبني على التعطيل.

والمعتزلة الذين هم أسبق في علم الكلام من الأشاعرة يعرفون الفرق بين مذهب السلف وبين مذهب الكلابية في الصفات الخبرية؛ فالأشاعرة يجعلون السلف مفوضة؛ تمسكاً ببعض الإطلاقات المشبهة من أقوالهم، والمعتزلة يفرقون بين مذهب الكلابية في التفويض، وبين مذهب السلف أهل الحديث في إثبات حقيقة الصفات الخبرية بل والعقلية.

﴿الغلو في التنزيه يؤدي إلى توهم التعظيم في التفويض والتعطيل:

لما كثرت المذاهب البدعية في التشبيه والتأويل والتحريف، كان التفويض عند بعضهم مخلصاً منها؛ فتوهم تعظيم الله بتفويض معاني نصوص الصفات إليه أو تعطيلها؛ وهذا الدافع قديم؛ فقد ذكر عند

(١) «معالم السنة» (٣/١٦٥).

(٢) «الأسماء والصفات» (٢/٣٠٣).

(٣) «الاعتقاد» (ص ١١٨ - ١٢٠).

(٤) «الجامع العوام» (ص ٤٢ - ٤٧).

(٥) «الجامع العوام» (ص ٤٢ - ٤٧).

(٦) انظر: حرة التعارض (١/١٥).

(٧) كما في رسالته «أقوال القات» (ص ٦١ - ٦٥).

ابن مَهْدِيٍّ الجهميَّة، وأنهم يَنْفُونَ الصفات، ويقولون: «الله أعظم من أن يُوصَفَ بشيءٍ»، فقال ابنُ مَهْدِيٍّ: «قد هلك قومٌ من هذا الوجه»^(١).

ووجدَ أهلُ التفويضِ من مُشابهِ كلامِ بعضِ الأئمة؛ من إمرارِ أخبارِ الصفاتِ كما جاء: ما يؤيدُ ذلك المذهب، حتى شاع التفويضُ في المغرب؛ حتى عدَّه ابنُ خَلْدُونُ في «مقدمته» مذهبًا للسلف، والأقوالُ الباطلةُ مهما بلغتِ شناعةً، لا يجوزُ حملُ الناسِ على باطلٍ آخرَ لأجلِها؛ فلا يُقرُّ من باطلٍ إلى باطلٍ، ولو كان أقلَّ منه، مع إمكانِ بيانه؛ ولهذا يقولُ أحمدُ بنُ حنبلٍ: «لا تُزيلُ عنه صفةٌ من صفاته؛ لِشناعةِ شُنعَتِ»^(٢).

والأئمة حينما يقولون: «نُمِرُهَا لَا نُفَسِّرُهَا»، لا يريدونَ بذلك: نفيَ الحقيقة، فالتفسيرُ المرادُ به: التكييفُ؛ كما قال أبو عُبَيْدٍ: «إذا قيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَحَكَ؟ قلتُ: لا يُفسَّرُ هذا، ولا سَمِعْنَا أحداً يفسِّره»^(٣)؛ فجعلَ السؤالَ عن كيفية الصفةِ سؤالًا عن تفسيرِها.

ومثلُ ذلك: قولُ بعضِ الأئمة؛ كأحمدَ بنِ حنبلٍ: «لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى»^(٤)، وليس مرادُهُ بذلك: نفيَ وجودِ الكيفِ، ولكن نفيَ العلمِ به، وكذلك في نفيِ المعاني: ليس مرادُهُ نفيَ وجودِ المعاني، ولكن نفيَ التأويلاتِ الباطلة؛ لأنها كانت شائعةً ذائعةً في كثيرٍ من البلدانِ والمجالسِ في زمانه.

ومن هذا: قولُ أبي عُبَيْدٍ القاسمِ بنِ سَلَامٍ؛ قاصدًا المعانيَ الفاسدةَ خاصَّةً: «نحنُ نروي هذه الأحاديثَ، ولا نُرِيغُ لها المعاني»^(٥).

(١) «إبطال التأويلات» (٢٧).

(٢) «أذم التأويل» (٣٣).

(٣) «الصفات» للدارقطني (٥٧).

(٤) «أذم التأويل» (٣٣).

(٥) «الأسماء والصفات» (١٩٢/٢)، و«أقاويل النقات» (ص ١٧٨).

وَمِنْ أَئِمَّةِ السَّلَفِ: مَنْ يَرِيدُ بِالْمَعْنَى: التَّكْيِيفُ؛ فَيَنْفِيهِ؛ كَمَا سُئِلَ
يَزِيدُ بْنُ هَارُونَ عَنْ مَعْنَى حَدِيثٍ فِي الصِّفَاتِ، فَقَضِبَ وَحَرَدَ، وَقَالَ:
«وَيْلَكَ مَنْ يَدْرِي كَيْفَ هَذَا؟»^(١).

فَجَعَلَ سَوَالَهُ عَنِ الْمَعْنَى سَوَالًا عَنِ التَّكْيِيفِ؛ لِأَنَّهُ فَوِّهَ مَقْصُودَ
السَّائِلِ عَلَى ذَلِكَ، وَمَعْرِفَةُ سِيَاقَاتِ كَلَامِ الْأَئِمَّةِ مَفْسُورَةٌ لِأَلْفَاظِهِمُ الْمُتَبَايِنَةِ
فِي الِاسْتِعْمَالِ؛ بِحَسَبِ مَوْضِعِهَا، وَحَمْلُهَا عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ مُتَطَابِقٍ
بَاطِلٌ، وَالسَّلَفُ كَانُوا يَسْكُتُونَ عَنْ آيَاتِ الصِّفَاتِ؛ لِأَنَّ إِبْثَاتِ الْحَقِيقَةِ
مُسْتَقَرٌّ فِي نَفْسِهِمْ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ وَاصِفًا أَهْلَ الْبِدْعِ: «وَلَا يَسْكُتُونَ عَمَّا
سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ».

وَلَا يَلْزَمُ مِنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ عَنِ التَّشْبِيهِ نَفْيُ الْحَقِيقَةِ فِي صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛
كَمَا لَا يَلْزَمُ مِنْ إِبْثَاتِ الْحَقِيقَةِ التَّشْبِيهِ، وَمَا زَالِ الْعُلَمَاءُ يَحْتَرِزُونَ مِنْ هَذَا
الْفَهْمِ كُلِّ بِحَسَبِ تَعْيِيرِهِ، وَلَمَّا أَثْبَتَ عَبْدُ الْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ الْإِسْتِثْنَاءَ، قَالَ:
«بَلَا تَنْزِيهِ يَنْفِي حَقِيقَةَ التَّزْوِيلِ»^(٢)؛ دَفْعًا لِتَوَهُّمِ التَّعْطِيلِ وَالتَّفْوِيضِ.

وَالْمَفْهُومَةُ سَكَتُوا عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الصَّحَابَةُ مِنَ التَّكْيِيفِ وَالتَّأْوِيلِ
الْمُخَالَفِ لظَاهِرِ اللَّفْظِ، وَنَفَقُوا مَعَ السَّكُوتِ: مَا أَثْبَتَهُ الصَّحَابَةُ مِنَ
الْحَقَائِقِ وَالْمَعَانِي.

﴿رَوَايَةُ الْأَئِمَّةِ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَاحْتِرَازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِهَا:
وَالسَّلَفُ يُبْتَنُونَ حَقَائِقَ الصِّفَاتِ وَمَعَانِيَهَا الصَّحِيحَةَ بِالْإِجْمَاعِ؛ وَهَذَا
مَا جَاءَتْ بِهِ النُّصُوصُ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ سِيَاقَاتِ الْأَقْوَالِ، وَالزَّمَنِ الَّذِي
تَنْشِيرُ فِيهِ الْبِدْعُ عَنْ غَيْرِهِ:

(١) «عقيدة السلف» للصابوني (ص ٦٥). (٢) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١٠٠).

فربما منعوا رواية حديث صحيح؛ خشية فهمه على غير وجهه، وربما حظروا إطلاق لفظة واردة؛ لأن فهم الناس قد تغير، ولم يكونوا على السليقة الأولى؛ فتعاملوا مع فهم، لا مع مجرد النص؛ وهذا من الفقه والحكمة، وربما جاء مزيد توضيح بإشارة أو عبارة تناسب أذهان السامعين عند الحديث.

ومن ذلك: أنه جاء في الإشارة باليد إلى عضو في الإنسان أو غيره؛ لإثبات صفة من الصفات الإلهية؛ وذلك لإثبات حقيقتها، لا للتشبيه؛ كما جاء من حديث أبي هريرة؛ أنه قرأ قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا...﴾ [النساء: ٥٨]، إلى قوله تعالى: ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨]، ثم قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَضَعُ إِبْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَالتِّي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ»، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرُؤُهَا، وَيَضَعُ إِصْبَعِيهِ»^(١).

ومراد النبي ﷺ: إثبات حقيقة السمع والبصر، لا التشبيه. وهكذا فهمه السلف؛ كما قال ابن يونس: «قال المقرئ»^(٢)؛ يعني: إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ؛ يعني: أَنَّ اللَّهَ سَمْعًا وَبَصَرًا»^(٣). وجعله أبو داود رداً على المعطلة، فقال: «هذا رد على الجهمية»^(٤).

ولم يجعلوه حجة للمشبهة، بل هم ينقضون قولهم ويردونه؛ فهم يعرفون سياقات الأدلة، والمراد منها، والجمع بينها وبين بقية النصوص في الباب.

(٢) هو: عبد الله بن يزيد المقرئ.

(٤) الموضع السابق.

(١) أبو داود (٤٧٢٨).

(٣) أبو داود (٤٧٢٨).

وجاء في معنى ذلك: حديث في صِفَةِ التَّجَلِّي؛ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ^(١)، وفي صِفَةِ الْقَبْضِ لِلأَرْضِ وَالطَّيِّ لِلسَّمَوَاتِ؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُثْمَرَ عِنْدَ أَحْمَدَ^(٢)، وَأَصْلُهُ فِي مُسْلِمٍ^(٣)، وفي وَضْعِ الأَرْضِ عَلَى إصْبَعٍ، وَالسَّمَاءِ عَلَى إصْبَعٍ؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ^(٤)، وَيَنْحَوُّهُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ^(٥)، وَأَصْلُهُ فِي الْبَخَارِيِّ^(٦)، وَقَدْ حَدَّثَ بِهِ يَحْيَى بْنُ سَعِيدٍ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ، وَحَدَّثَ بِهِ أَحْمَدُ ابْنَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَأَشَارَ بِإصْبَعِهِ^(٧).

وهذه الأحاديث لا تَخْفَى عَلَى الْأَعْمَةِ؛ كَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ؛ كَيْفَ وَقَدْ رَوَوْا بَعْضَهَا، وَيَعْلَمُونَ الْمَقْصُودَ مِنْهَا.

ومع ذلك: فَإِنَّهُمْ نَهَوْا عَنِ الْإِشَارَةِ بِالْيَدِ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ صِفَاتِ الرَّبِّ؛ لِاخْتِلَافِ الْفَهْمِ، وَضَعْفِ اللَّسَانِ؛ فَتَبِعَهَا ضَعْفُ إِدْرَاكِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ، وَرَبَّمَا اخْتَلَفَ قَوْلُهُمْ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، وَمِنْ سِيَاقٍ إِلَى سِيَاقٍ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «مَنْ وَصَفَ شَيْئًا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ السَّابِقُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَأَشَارَ إِلَى عَيْنَيْهِ وَأُذُنَيْهِ، [أَوْ شَيْءٍ] مِنْ بَدَنِهِ -: قُطِعَ ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ»^(٨).

وقد قرأ رجلٌ عند أَحْمَدَ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ

(١) الترمذي (٣٠٧٤). (٢) أحمد (٧٢/٢) رقم (٥٤١٤).

(٣) مسلم (٢٧٨٨).

(٤) أحمد (٢٥١/١) رقم ٣٢٤ و ٢٢٦٧ و ٢٩٨٨، والترمذي (٣٢٤٠).

(٥) أحمد (٣٧٨/١) و ٤٢٩ و ٤٥٧ رقم ٣٥٩٠ و ٤٠٨٧ و ٤٣٦٨، والترمذي (٣٢٣٨) و (٣٢٣٩).

(٦) البخاري (٤٨١١)، ومسلم (٢٧٨٦). (٧) «السنة» لعبد الله (٤٨٩).

(٨) «التمهيد» (١٤٥/٧).

جَمِيعًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتَاتٌ بِيَمِينِهِ» [الزمر: ٦٧]، ثُمَّ أَوْمَأَ بِيَدِهِ، فَقَالَ لَهُ أَحْمَدُ: «قَطَعَهَا اللَّهُ! قَطَعَهَا اللَّهُ!»، ثُمَّ حَرَدَ وَقَامَ^(١).

مع أنه قد رَوَى الْخَلَّالُ فِي «كِتَابِ السُّنَّةِ»، عَنْ أَبِي بَكْرٍ الْمَرْوَزِيِّ، عَنْ أَحْمَدَ؛ أَنَّهُ رَوَى حَدِيثَ وَضْعِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَغَيْرِهَا، كُلُّ وَاحِدٍ عَلَى إِصْبَعٍ، وَقَالَ: «وَرَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُشِيرُ بِإِصْبَعٍ إِصْبَعٍ»^(٢).

وَمِثْلُهُ فَعَلَ الْأَعْمَشُ^(٣)، وَسُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ، عِنْدَ حَدِيثِ وَضْعِ الْقُلُوبِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ^(٤)، وَجَاءَ ذَلِكَ مِنْ فِعْلِ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ الدَّارِقُطْنِيِّ فِي «الْصِفَاتِ»^(٥).

وَقَصْدُ الْأَثَمَةِ - كَمَالِكٍ، وَأَحْمَدَ - فِي نَهْيِهِمْ عَنِ التَّحْدِيثِ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ، وَالتَّحْدِيثِ مَعَ الْإِشَارَةِ، وَلَوْ كَانَ وَارِدًا وَصَحِيحًا -: خَوْفُ تَغْرِيرِ الْعَامَّةِ؛ وَعَلَيْهِ نَصٌّ مَالِكٌ لَمَّا سُئِلَ عَنْ حَدِيثٍ: (إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَزَّ لِمَوْتِ سَعْدٍ)^(٦)، قَالَ: «لَا يُتَحَدَّثُ بِهِ، وَمَا يَدْعُو الْإِنْسَانُ إِلَى الْحَدِيثِ بِذَلِكَ، وَهُوَ يَرَى مَا فِيهِ مِنَ التَّغْرِيرِ»^(٧).

وَحَدِيثُ اهْتِزَازِ الْعَرْشِ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»، وَلَكِنْ صَحَّحَهُ بَابٌ، وَفَهَّمَهُ بَابٌ آخَرٌ؛ فَمَا كُلُّ صَحِيحٍ يَصِحُّ التَّحْدِيثُ بِهِ، وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ رَبِّمَا وَصَفَ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ بَعْدَ الْفَقْهِ؛ فَقَدْ سُئِلَ عَمَّنْ تَحَدَّثَ بِالْحَدِيثِ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ)^(٨)، وَ(إِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٣٩). (٢) «فتح الباري» (١٣/٣٩٧).

(٣) «سنن ابن ماجه» (٣٨٣٤). (٤) «حديث سفیان» (٢٩٧).

(٥) «الصفات» (٤١) من حديث جابر، و(٤٢) من حديث أنس.

(٦) البخاري (٣٨٠٣)، ومسلم (٢٤٦٦) من حديث جابر.

(٧) «المتقى» (١/٣٥٧).

(٨) البخاري (٦٢٢٧)، ومسلم (٢٨٤١) من حديث أبي هريرة.

الْقِيَامَةِ^(١)، «إِنَّهُ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ»^(٢)؟ فَأَنْكَرَ ذَلِكَ إِنْكَارًا شَدِيدًا، وَنَهَى أَنْ يُحَدَّثَ بِهِ، قِيلَ: قَدْ تَحَدَّثَ بِهِ ابْنُ عَجَلَانَ؟ قَالَ: لَمْ يَكُنْ مِنَ الْفُقَهَاءِ^(٣).

وَرُبَّمَا امْتَنَعَ أَحْمَدُ عَنِ التَّحْدِيثِ بِبَعْضِ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، بَلْ: مَا تَلَقَّاهُ الْعُلَمَاءُ بِالْقَبُولِ - كَحَدِيثِ جَابِرٍ مَرْفُوعًا، وَفِيهِ: (فَضَحَكَ حَتَّى بَدَتْ...)^(٤) - كَانَ أَحْمَدُ يَصِفُهُ بِأَنَّ الْعُلَمَاءَ تَلَقَّاهُ بِالْقَبُولِ، وَمَعَ هَذَا يَقُولُ: «مَا أَعْلَمُ أَنِّي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْمَصْبُحِيِّ»^(٥)؛ وَسَبَبُ ذَلِكَ - كَمَا قَالَ أَحْمَدُ - أَنَّهُ شُنِعَ بِهِ.

وَالْأَثْمَةُ عِنْدَ إِرَادَةِ الْإِثْبَاتِ يَخْتَلِفُونَ فِي طَرِيقَتِهِمْ عِنْدَ النِّفْيِ؛ فَرُبَّمَا تَجَوَّزُوا بِعِبَارَةٍ وَإِشَارَةٍ لِإِثْبَاتِ الْحَقِيقَةِ، وَإِيصَالِ الْمُرَادِ مِنَ النَّصِّ لِلْسَامِعِ، وَلَيْسَ مَرَادُهُمُ التَّشْبِيهُ؛ فَسِيَاقَاتُ الْكَلَامِ لَا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لَتَمْيِيزِ الْأَلْفَاظِ؛ وَقَدْ سُئِلَ ابْنُ إِفْرِيسَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: «الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟» فَاسْتَشْنَعَ ذَلِكَ، وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ! شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقٌ!»، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى فِيهِ^(٦).

وَأَرَادَ بِهِذَا: إِثْبَاتَ الْحَقِيقَةِ، لَا إِثْبَاتَ الْقَمِّ وَالشَّفَتَيْنِ، وَاللِّسَانِ وَاللِّهَاقِ، وَالْحَاجَةُ إِلَى الْهَوَاءِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

(١) البخاري (٤٩١٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) التمهيد (١٥٠/٧)، و«ترتيب المدارك» (٤٤/٢).

(٤) تفسير الطبري (٦٠٤/١٥)، و«الإيمان» لابن منده (٨٢٣/٢)، و«إبطال التأويلات» (٢٠٢ - ٢٠٤).

(٥) «إبطال التأويلات» (٢١٢).

(٦) «السنة» لعبد الله (٣٠).

﴿ تَوْهَمُ الْمَوَازِمِ الْبَاطِلَةِ يُفْضِي إِلَى التَّفْوِضِ وَالتَّوَلُّلِ وَالتَّعْطِيلِ :
 وَرَبِّمَا تَوْهَمُ السَّامِعُ لِأَخْبَارِ الصِّفَاتِ لَازِمًا يَلْزَمُ مِنْ إِثْبَاتِهَا ، فَحَمَلَهُ
 ذَلِكَ عَلَى تَأْوِيلِهَا وَتَفْوِضِهَا ، وَإِذَا كَانَ اللَّهُ تَعَالَى لَا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ فِي كَيْفِيَّةِ
 صِفَاتِهِ ؛ فَإِنَّ نَفْيَ التَّشْبِيهِ بِالْمَوَازِمِ مِنْ بَابِ أَوَّلَى ، وَاسْتِحْضَارَ لَوَازِمَ بَعَيْنِهَا
 تَدْفَعُ صَاحِبَهَا إِلَى الرَّجُوعِ إِلَى الصِّفَةِ وَتَعْطِيلِهَا أَوْ تَأْوِيلِهَا أَوْ تَفْوِضِهَا .
 وَقَدْ سَمِعَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ قَاضِيًا يَرْوِي حَدِيثَ النُّزُولِ ، وَيَقُولُ :
 «بَلَا زَوَالٍ ، وَلَا انْتِقَالَ ، وَلَا تَغْيِيرَ حَالٍ» ، فَارْتَعَدَ أَحْمَدُ ، وَاصْفَرَ لَوْنُهُ ،
 وَقَالَ لِابْنِهِ عَبْدِ اللَّهِ : «قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا الْمَتَخَرِّصِ» ، فَلَمَّا حَازَاهُ ، قَالَ :
 «يَا هَذَا ؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّهِ مِنْكَ ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ» ،
 وَانصَرَفَ ^(١) .



﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ كُرْسِيُّهُ وَسِعَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، الْعَالِمُ
 الْخَبِيرُ ، الْمُدَبِّرُ الْقَدِيرُ ، السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ :
 ﴿ عَلُوُّ اللَّهِ :

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِعُلُوِّ اللَّهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَأَنَّهُ تَعَالَى فَوْقَ السَّمَاءِ عَلَى
 حَرْشِهِ ، وَالدَّلَائِلُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ تُحْصَى ؛ فِطْرِيَّةٌ وَعَقْلِيَّةٌ وَنَفْلِيَّةٌ ،
 وَهَذَا لَا يَفْتَصِّرُ عَلَى الْعُقُولِ ، بَلْ فِطَرُ الْحَيَوَانِ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا تَعْرِفُ
 عُلُوَّ رَبِّهَا ؛ فَإِنَّهَا إِنْ شَكَّتْ ، سَمَتْ وَرَفَعَتْ بَصَرَهَا إِلَى السَّمَاءِ ، حَتَّى إِنْ
 فَرَعُونَ - مَعَ عُنَادِهِ وَكُفْرِهِ وَاسْتَهْزَائِهِ - تَوَجَّهَ إِلَى الْعُلُوِّ ؛ يُرِيدُ الْإِطْلَاعَ

إلى إله موسى: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أُنْثَى لِي صَرَحًا لَعَلِّي أَتْلُعُ ۖ أَلَمْ تَسْبَبْ أَتَسْبَبِ السَّمَكُونَ فَأَطْلُعَ إِلَيَّ إِلَهُ مُومِنٍ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧].

وما يكون هذا إلا لأنه يؤمن أن الإله الذي يَجْعَلُهُ: إن وُجِدَ، فلن يكون إلا في السماء، وأن موسى قال له ذلك، وما أنكر على موسى مكانه، ولكنه أنكر وجوده؛ لأنه لو كان موجودًا، فلن يكون في غير العُلُو.

وما من إنسان مهما كان دينه اشتكى الظلم والقهر، إلا وجَدَ في فِطْرَتِهِ رَغْبَةً يَبْتَ شِكْوَاهُ إِلَى السَّمَاءِ، ومناجاة مَنْ فيها، ولو كان قد تدبَّر بخلاف ذلك.

وقد تَوَاتَرَتْ نصوصُ الوَحْيَيْنِ عِدَدًا بالتدليل على ذلك؛ سواءً بذكر أسماءِ الله: ﴿الْعَلِيِّ﴾ [غافر: ١٢]، و﴿الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، و﴿الْمُتَعَالَى﴾ [الرعد: ٩]، أو ذكر بعض صفاته الدالة على علوه؛ كالاستواء، والنزول، وارتفاع الأعمال إليه، وذكر عَرْشِهِ وَكُرْسِيِّهِ، وَحَمَلَةِ الْعَرْشِ، ونزول الوحي منه، وعودته إليه، ونزول الملائكة وعروجها، وتجليه سبحانه، وإطلاعه على عبادِهِ، وإنزال الأمر والعقوبات، والمِعْراجِ بالأرواحِ وبالنبي ﷺ، ورفع عيسى ونزوله، وغير ذلك مما يَدُلُّ صراحةً على علو الله تعالى على خَلْقِهِ، ولو أراد أحد أن يَتَّبِعَ أدلة العُلُوِّ مِنَ الْوَحْيَيْنِ تصريحًا أو تضييماً، لَمَا وَسِعَهُ ذَلِكَ، ولو فَعَلَ، ثم أعادَ، لَوَجَدَ أَنَّ الَّذِي فَاتَهُ فَوْقَ مَا جَمَعَ.

وقد دَلَّ الْقُرْآنُ عَلَى عُلُوِّ اللَّهِ بِذَاتِهِ، وَعُلُوِّهِ بِقَهْرِهِ، وَعُلُوِّهِ بِقُدْرَتِهِ؛ كما في قوله: ﴿وَهُوَ الْفَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ [الأنعام: ١٨]، وقوله: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

وهو أمر لم يَنَازِعِ الصحابةُ في فهمه من أحدٍ في زمانهم، ولم يكن محلَّ بحثهم لقطعيته، ولمَّا ظهرَ القولُ بخلاف ذلك من بعض أهل الضلال، أكثرَ العلماء من إيراد الأدلة وحكاية الإجماع على علو الله؛ كما حكاها الأوزاعي^(١)، وقُتيبة بن سعيد^(٢)، وخلق.

ومن نفى علو الله، فقد كابرَ الفطرة والعقل والنقل!

ومع تضافرِ الأدلة من الحسن والنص، فقد كابرَتْ طوائف من الفلاسفة والمتكلمين، ونفَتِ العلو، ومع صراحة الأدلة الشرعية التمسوا من الأدلة ما يوافق تلك الضلالة:

وذلك كاستدلال بعض المتكلمين بقول يونس عليه السلام، وهو في بطن الحوت: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧]، وأنَّ خطابه بـ «أنت في السماء والأرض، وفي بطن الحوت»، واحدًا!

وهذا الذُّكْرُ من يونس استغاثَةً وتذللًا، والله يسمعه ويراه، لا يحول دونه شيء، واليوم يُهاثِفُ الرجلُ رجلًا من أقصى الأرض بالاتصال، ويقول له: «أنت»؛ لأنه يسمع كلامه، ويردُّ عليه، ولكن إذا أرادت النفوس التماسَ شاهدٍ لِمَا تراه، وجَدَتْ، ولو كان أَوْهَى من بيت العنكبوت، وعَمِيَتْ عن صراحة الأدلة النيرة؛ كالشمس في رابعة النهار.

﴿العلو والمعية﴾

يجبُ إثباتُ علو الله على خلقه، وأنه مع ذلك مع خلقه بعلمه وإحاطته؛ فهو مُستَوٍ على عرشه، وعلمُه في كلِّ مكان؛ قال مالك: «الله

(٢) «العلو» (٤٧٠).

(١) «الاسماء والصفات» (٨٦٥).

في السماء، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لَا يَخْلُو مِنْ عِلْمِهِ مَكَانٌ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَقْرِي^(١)، وَأَبُو عَمْرِو الطَّلَمَنْكِي^(٢)، وَابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٣).

وَالْبَاطُ الْعُلُوُّ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ مَا يَقَرُّهُ أَهْلُ السُّنَّةِ فِي الْمَغْرِبِ؛ كَابْنُ أَبِي زَمَنِينَ فِي «أَصُولِ السُّنَّةِ»^(٤)، وَنَحْوُهُ أَبُو الْمَطْرِفِ الْقَنَازِعِيُّ الْقُرْطُبِيُّ فِي «تَفْسِيرِ الْمُوطَأِ»^(٥): أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ، وَنَحْوَهُ يَقَرُّ أَبُو الْقَاسِمِ الْمَقْرِي كَمَا فِي «شَرْحِ الْمُلَخَّصِ لِمُسْنَدِ الْمُوطَأِ»؛ لِأَبِي الْحَسَنِ الْقَاسِمِيِّ^(٦)، وَهَكَذَا الْمَتَأَخِّرُونَ؛ كَابْنُ عَزُوزٍ الْمَالِكِيُّ التُّونُسِيُّ^(٧): يَقَرُّ أَنَّ اللَّهَ مُسْتَوٍ عَلَى عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِعِلْمِهِ.

وَكَانَ أَبُو الْعَبَّاسِ بْنُ طَالِبٍ يَخْطُبُ فِي الْفَيْرَوَانِ، وَيَقُولُ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَلَى عَرْشِهِ اسْتَوَى، وَعَلَى مُلْكِهِ احْتَوَى، وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ يُرَى»^(٨).

وَرَبَّمَا كَانَ السَّبَبُ لِلْقَوْلِ بِنَفْيِ الْعُلُوِّ: الْجَهْلُ بِلِسَانِ الْعَرَبِ، وَتَبَعًا لِذَلِكَ تَفَهُمُ بَعْضُ نصوصِ الْقُرْآنِ عَلَى غَيْرِ وَجْهِهَا:

وَمِنْ ذَلِكَ: اسْتِدْلَالُ بَعْضِ الْمُعْطَلَةِ الْقَائِلِينَ بِأَنَّهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِذَاتِهِ؛ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ﴾ [الزخرف: ٨٤]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاسِعُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

(١) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٥٧/٢ - ١٥٨).
(٢) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٤٢/٢).
(٣) فِي «التمهيد» (١٣٨/٧).
(٤) «أصول السنة» (ص ٨٨).
(٥) «تفسير الموطأ» (٤٠١/١).
(٦) «اجتماع الجيوش الإسلامية» (١٥٧/٢).
(٧) «عقبة التوحيد الكبرى» (ص ١٠).
(٨) «ترتيب المدارك» (٢١٤/٤).

وهذا فهم فاسد:

فأما الآية الأولى: فالمراد منها: أن الله معبود في السماء من أهلها، ومعبود في الأرض من أهلها؛ وهذا قول أهل التفسير^(١)؛ كما قاله ابن عبد البر^(٢)، وقال: «وما خالفهم في ذلك أحدٌ يُحتجُّ به»^(٣).

وأما الآية الثانية: فالمراد بها: معية الله وعلمه بعباده؛ ودليل ذلك قوله تعالى في آخر الآية: ﴿ثُمَّ يَنْتَهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِسْمَةِ﴾ [المجادلة: ٧]؛ فالأمر يتعلق بالعلم الذي يتبعه إنباء، وقد أنكّر أحمد بن حنبل على من استدلل بهذه الآية وأخذ أولها، وترك آخرها الذي يُتم المعنى ويدلُّ عليه^(٤).

ومن شُبُهات بعض المعطلة للعلو والاستواء من متكلمة المغرب: ما استشكله سليمان الفراء بقوله: «أين كان ربنا إذ لا مكان؟»^(٥):

وهذا السؤال يُجيب عن نفسه بالبطلان؛ فإنه لا يُسأل بـ «أين» إلا عند وجود المكان، وعند عدم وجوده، فيجب أن يكون السؤال بـ «أين» غير موجود، ولا يُسأل بـ «متى» إلا عند وجود الزمان، وأما عند عدم وجوده، فالسؤال يجب عدم وجوده من باب أولى.

وقد ردَّ ابن الحَدَّاد على الفراء بنفي سؤاله وبُطلانه، وأن الصواب

(١) انظر: «تفسير ابن جرير» (٦٥٩/٢٠ - ٦٦٠).

(٢) في «التمهيد» (١٣٤/٧).

(٣) في «التمهيد» (١٣٩/٧).

(٤) «الرد على الجهمية والزنادقة» (ص ١٥٤).

(٥) «طبقات علماء إفريقية» (ص ١٩٩).

القول: «كيف كان ربنا إذ لا مكان؟»، وقد أجاب ابن الحدايد: «إنه الآن على ما كان عليه، ولا مكان»^(١).

وهذا كله لا ينفي أصل خلق الزمان والمكان، ووجودهما تعاقباً؛ فوجودهما جنساً شيء، ووجودهما آحاداً شيء ثانٍ، ومشاهدتهما والعلم بهما شيء ثالث.

والشبهات الكلامية والفكرية التي تستجلبها العقول، وتضعها في سياقات غير سياقاتها، ثم تخرج بنتيجة تظنها كاملة، وتضعها في موضع ليس لها -: يقع بسببها الضلال، ويُنقى الحق، ويثبت الباطل، وأشد ذلك وأعظمه: ما كان متعلقاً بحق الله تعالى وذاته.

والجهمية القائلون بنفي علو الله، وأنه في كل مكان، ولا يخلو منه مكان: يتناقضون مع أصولهم العقلية، والأدلة الثقلية؛ فهم يقولون أن الله كان ولا شيء قبله، ثم خلق الخلق، ولكن لا يدرون أين خلقهم؟ فإما أن يقولوا: إن الله خلق الخلق داخل نفسه سبحانه، أو خلقهم خارجاً عنها:

فالأول: كُفِّر؛ إذ كيف يخلق الله خلقه في نفسه؛ فتكون محلاً للحوادث التي ينقونها فيه، ومحلاً لخلق الله من الشرور والخبث والشياطين؟ تعالى الله!

وإن قالوا: بأن الله خلقهم خارج نفسه، ثم دخل فيهم، أو دخلوا فيه، فقد أقرّوا بمكان ليس فيه الله عند الخلق.

(١) «طبقات علماء إفريقية» للخشني (ص ١٩٨ - ١٩٩).

وإن قالوا: بأنه خلق الخلق خارج نفسه، وهم على ذلك، فقد سلموا بالحق عقلاً.

والله تعالى تجلّى للجبل، ويطلع على خلقه، ويباهي بهم يوم عرفة، وإذا كان تجلّى للجبل - وعرفه فيه، وهو فيها - فكيف يصح التجلّى لشيء هو فيه؟ ولكن الله فوق عرشه ويتجلّى لشيء ليس فيه سبحانه.

والآيات التي يستدلون بها على أن الله في كل مكان هي دالة بنفسها على خلاف ذلك، وأن الله على عرشه، وهو مع الناس بعلمه؛ فقلوه تعالى: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَهٍ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]؛ يعني: بالعلم؛ فليس هو في الوريد؛ فقد قال: ﴿وَنَقُلْ مَا تُسْأَلُ بِهِ فَسُئِلَ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَهٍ﴾ [ق: ١٦]، فبدأ بالعلم؛ ليبين أنه هو المقصود بالقرب.

وكذلك قوله تعالى: ﴿هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ [المجادلة: ٧]؛ يريد: بعلمه، وبهذا استفتح الله الآية، وختمها؛ ففي أولها قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [المجادلة: ٧]، وفي آخرها قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، ولم يقل: إنه في كل مكان بذاته، وإنما بعلمه.

❦ نفى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق:

لا يلزم من إثبات علو الاستواء والنزول لله إحاطة مخلوقاته به، واحتواؤها له، لا منفردة ولا مجتمعة؛ لأنه أكبر من كل شيء، ويتوهم من ينفي تلك الصفات أن في إثباتها لزوم إحاطة المخلوقات به، وهذا باطل عقلاً وشرعاً:

- أما بطلانه عقلاً: فإنه لا يصح أن يحوي الشيء ويحيط بما هو أكبر منه، وهذا معلوم في كل المحسوسات، فلا يمكن أن تُتصور إحاطة الأرض بالسموات، ولا إحاطة النملة بالجبل، ولا إحاطة الذرة بكف الرجل يقبضها، فإذا كان دافع النفاة توهم الإحاطة كما في المخلوقات فهذا غير لازم حتى فيها، مع أن الله ليس كمثله شيء، والسموات تُحيط بالأرض ولكن الأرض لا تُحيط بها، فإذا كان الله تعالى أكبر من كل المخلوقات مجتمعة، فكيف يُقال بإحاطتها به عقلاً، ويُروى في الحديث: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ، كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ)^(١)، ويُروى في بعض ألفاظه: (وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ ﷻ إِلَّا كَالْحَبَّةِ وَأَصْفَرُ مِنَ الْحَبَّةِ فِي كَفِّ أَحَدِكُمْ؛ وَذَلِكَ قَوْلُهُ - تَعَالَى -: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧])^(٢)، وللحديث طرق وألفاظ تدل أن له أصلاً.

- وأما بطلانه شرعاً: فلأن الله ليس كمثله شيء في ذاته، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، فكل ما أخبر الله به عن نفسه فيجب إثباته له على الحقيقة، والتوقف عن لوازمه التي تقتضي التشبيه، فإذا لم يشبهه أحد في ذاته فكيف يشبهه أحد في صفاته ولوازم صفاته؟ ولو أن أذهان المعطلة خلّت من القياس لخلّت من التعطيل.

(١) ابن حبان (٧٦/٢).

(٢) العظمة لأبي الشيخ (٦٣٥/٢).

الاستواء على العرش :

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ : ﴿وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ يَعْلَمُهُ﴾ :

يجب إثبات استواء الله على عرشه، وذكر ابن أبي زيد لاستواء الذات في قوله: «بذاته» دفع لمقالة التأويل التي تنفي إثبات الاستواء حقيقة بلا تشبيه ولا تكيف، ممن يتوهم أن إثبات الحقيقة لازم للتشبيه والتكيف.

وقد قرّر إثبات الاستواء على العرش حقيقة المصنّف في «الجامع»، فقال: «وَأَنَّهُ فَوْقَ سَمَوَاتِهِ عَلَى عَرْشِهِ دُونَ أَرْضِهِ»^(١).

وقد نصّ على استواء الله بذاته السلف، وجاء عن مالك النصّ على «الذات»؛ حكاها غير واحد؛ قال أبو نصر السجزي في كتابه «الإبانة»: «فأئمتنا - كسفيان الثوري، ومالك، وسفيان بن عيينة، وحماد بن سلمة، وحماد بن زيد، وعبد الله بن المبارك، وفصيل بن عياض، وأحمد بن حنبل، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي - متفقون على أن الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأنّ علمه بكل مكان، وأنّه يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش، وأنّه ينزل إلى سماء الدنيا، وأنّه يغضب ويرضى ويتكلّم بما شاء؛ فمن خالف شيئاً من ذلك، فهو منهم بريء، وهم منه برء»^(٢).

وقال أبو عمر الطلمنكي في كتابه «الأصول»: «أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله استوى على عرشه بذاته»^(٣).

(١) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٢) «درء التعارض» (٦/٢٥٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣/٢٢٢ و ٢٦٢).

(٣) «اجتماع الجيوش» (٢/١٤٢).

والأئمة يذكرون بعض الألفاظ غير الواردة بنصّها في الوحي، لا لعدم كفاية الوحي في الإفهام، وإنّما لورود معنى باطل جديد بعد انقطاع الوحي، فأرادوا دفعه بلفظ جديد، من غير أن يؤثر على مقصد الشارع ومُراده، ولو لم يوجد المعنى الجديد الباطل، لم يوجد اللفظ الجديد؛ لأنه لا حاجة إليه.

وقد ذكرَ لفظة «بذاته» غيرُ ابن أبي زيدٍ من الأئمة؛ لما شاعَتْ مقالةُ التأويلِ والتعطيلِ، ممّن يُثبتُ لفظَ «الاستواء»، ويتأوّلُ أو يعطلُّ معناه؛ فكان إثباتُ اللفظِ القرآنيّ للناسِ، من غيرِ زيادةٍ تدفعُ الباطلَ الجديدَ في الآذانِ، مُوجِبَةً لهذه اللفظةِ عندهم، وقد ذكرَ أبو بكرٍ المُرادِيُّ القيروانيّ في «الإيماء»، في مسألةِ الاستواء^(١) جماعةً ممّن نصّوا على ذكرِ استواءِ الذاتِ، ونسبَهُ إلى ابن جرير، والقاضي عبد الوهاب، وظاهرُ كلامِ أبي الحسنِ الأشعريّ، والباقلانيّ.

وقد انتصرَ ابنُ عبد البرِّ وغيرُهُ لابن أبي زيدٍ^(٢): بأنَّ الله أثبتَ الفوقيّةَ لنفسِهِ بقوله: ﴿يَكُونُ رَئِيسٌ مِّنْ قَوْمِهِ﴾ [النحل: ٥٠]، وقوله: ﴿وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْهُمْ﴾ [الأنعام: ١٨]؛ فدلَّ على علوّ ذاتِهِ واستوائِها على العرشِ على الحقيقةِ التي تليقُ به، لا كما تليقُ بالمخلوقِ.

والإتيانُ بالألفاظِ مطابقةً لم تردّ في الشرعِ لإثباتِ حقيقةِ الصفاتِ بلا تشبيهٍ عند مَنْ تعسّف بتأويلِها لإفهامِهِ: شيءٌ، ومقابلةُ الإفراطِ بالتأويلِ بالإفراطِ بالتشبيهِ: شيءٌ آخرُ غيرُ جائزٍ.

(١) حكاه عنه القرطبي في «الأسنى شرح أسماء الله الحسنى» (١٢٣/٢).

(٢) انظر: «التمهيد» (١٢٩/٧ - ١٣٠ - ١٣٨ - ١٣٩).

وهذه اللفظة التي أوردتها ابن أبي زَيْدٍ: «فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِذَاتِهِ» أخطأ في التعامل مع قوله: «بِذَاتِهِ» كثيرٌ من المتكلمين من الشُّرَاحِ وغيرهم؛ لأنها تُثَبِّتُ الاستواءَ حقيقةً، وكان خَطْوُهُم فيها على وجهين:

الوجهُ الأوَّلُ: شَكَّكُوا في ثبوتها عنه، وزَعَمَ بعضهم إقحامها في كتابه، منهم: أبو عَلِيٍّ الْجَبَائِي؛ كما ذَكَرَهُ الْفَاكِهَانِيُّ عَنْهُ^(١)، وزَعَمَ إقحامها عسبرٌ؛ فهي في كتب الشروح قديمها وحديثها، حتَّى شروح المتكلمين، ورَدَّ تلك الدَّعْوَى المتكلمُونَ أَنْفُسُهُمْ؛ كابن نَاجِي التَّنُوخِيِّ^(٢)، وهذه اللفظة: «بِذَاتِهِ» في الأصولِ الْخَطْبِيَّةِ لكتاب «الرسالة»، وعليها سَمَاعَاتُ الْأَثَمَةِ، وكثيرٌ من المتكلمين استنكروها على المؤلِّفِ، وتأوَّلُها، ولم يقل: بأنها مدسوسة؛ لاستحالة ذلك، ولو كان ثَمَّةَ بَابٍ مُحْتَمِلٌ لكونها مدسوسة، لَأَظْهَرَ الْمُحَقِّقُونَ منهم؛ فَإِنَّهُ أَيْسَرُ مِنْ تَكْلِيفِ التَّأْوِيلِ.

وقد اثْبَتَهَا طَلَّابُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَالْقَرِيبِيُّونَ مِنْهُ زَمَنًا فِي شَرْحِهِمْ لَهَا؛ كَأَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدٍ بْنِ مَوْهَبٍ، وَأَبِي عُمَرَ الطَّلَمَنْكِيِّ، وَعَبْدِ الْوَهَّابِ الْبَغْدَادِيِّ، وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ^(٣)، وهي عبارةٌ مُسْتَعْمَلَةٌ فِي زَمَنِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ وَقَبْلَهُ.

وقد رَأَيْتُهَا فِي نَسْخَةِ خَطْبِيَّةٍ عَنِيَّةٍ مِنْ «الرسالة»، لابن أبي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيِّ، عَلَيْهَا سَمَاعُ الْبِقَاعِيِّ عَنْ ابْنِ حَجَرٍ الْعَسْقَلَانِيِّ بِإِسْنَادِهِ الْمُتَّصِلِ

(١) «شرح الرسالة» لابن ناجي (٢٤/١).

(٢) «شرح رسالة ابن أبي زيد» له (٢٤/١).

(٣) «الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى» للقرطبي (١٢٣/٢).

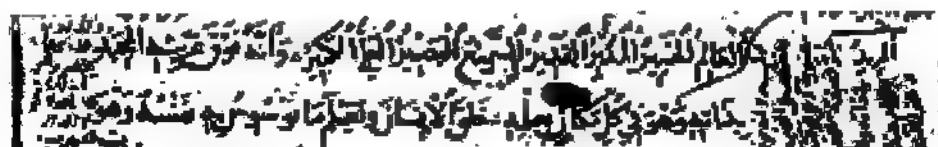
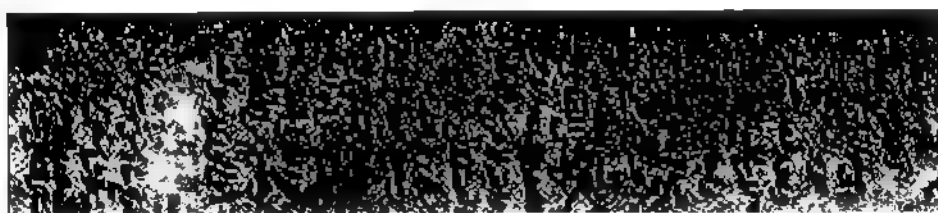
بالأئمة إلى المؤلف أبي محمد بن أبي زيد القيرواني^(١).

الوجه الثاني: تأولوا معناها بتأويل إعرابها، والمقصود منها؛ فجعلوا علو الله: علو قهر وقدر، وتأولوا علو الذات في كلام ابن أبي زيد بتأويلين:

الأول: أنهم جعلوا لفظة «المجيد» صفة لله، لا للعرش؛ فرأوا أنه قد تم الكلام بقوله: «فوق عرشه»، وقوله: «المجيد بذاته» كلام مستأنف؛ فجعلوا المعنى: أن الله مجيد بذاته، لا مستحق للمجد بغيره؛ فكان الكلام يتضمن صفتين: صفة الاستواء، وصفة المجد لله، ولكنهم تأولوا قوله: «بذاته»: أنه سبحانه استوى بذاته بلا معين من مال وأغوان.

الثاني: أنهم جعلوا اسم «المجيد» بالكسر صفة للعرش، ولكن جعلوا الباء في قوله: «بذاته» بمعنى «في»؛ يعني: في ذاته؛ يعني: أن العرش عظيم في ذاته.

(١) صورة للمخطوط عليه سماع مسلسل بالأئمة وفيه إثبات قول ابن أبي زيد: (بذاته).



وهذا كله غلط، وتكلف، وتحريف للنصوص وتأويل لها لا حد له؛ فإن التحريف المتوهم بلغ القرآن وعلى أستاذ الكعبة زمن ابن أبي دؤاد؛ حيث كتب عليها: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ» فأبدلها عن قوله تعالى: «السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١]؛ كل هذا لينفي صفة السمع والبصر عن الله؛ فكيف بكلام عالم في مذهب متبوع^{١٩}

والذي فهمه تلامذة ابن أبي زيد: هو استواء الله بذاته على الحقيقة؛ كما قال أبو بكر بن موهب مبيّناً مراده: «ثُمَّ بَيَّنَّ أَنَّ عُلوَّهُ فوق عَرْشِهِ إِنَّمَا هو بذاته؛ لأنّه تعالى بائن عن جميع خلقه...»^(١)، وكان الظلمنكي على هذا الاعتقاد، وهو من أعلم الناس بكلام شيخه يقول: «وَأَنَّ الله فوق السموات بذاته، مُسْتَوٍ على عَرْشِهِ، كيف شاء»^(٢)؛ فقدّم لفظ الذات على ذكر العرش؛ لأنه يعود إلى الله، بل هذا هو قول مالك المنقول عنه؛ كما نقله أبو نصر السجزي عنه؛ أنّه وغيره متفقون على أَنَّ الله ﷻ بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان.

وهذا لا يحتمل غير حمل استواء الذات لله على الحقيقة بلا تشبيه، وعلى هذا المعنى جملة من الأئمة في المغرب وغيره؛ كابن جزي في «التسهيل»^(٣).

وقد كان جملة من المخالفين لابن أبي زيد من الأئمة، لم يتأولوا

(١) «العلو» (٥٩٢).

(٢) بيان تلبس الجهمية (١٨٦/١ و ٣٩٨/٣)، و«العلو» (٥٦٦)، و«اجتماع الجيوش» (١٤٢/٢).

(٣) «التسهيل» (٢٩٠/١).

قوله؛ لأنصافهم من هذا الوجه، وحملوا قوله على ظاهره بلا تكلف؛
كأبي بكر بن العربي^(١)، والعز بن عبد السلام^(٢)، والشبكي^(٣)،
وابن جماعة^(٤)، وأبي عبد الله العكرمي^(٥).

وقد استعمل لفظه الذات لله عند استوائه جماعة قبل ابن أبي زيد؛
كالمزني صاحب الشافعي^(٦)، وابن جرير الطبري^(٧)، وأبي أحمد الكرجي
القصاب^(٨)، ويحيى بن عمار السجستاني^(٩)، وغيرهم.

الكُرسي:

ويُثبت أن لله كرسيًا؛ كما قال ﷺ: ﴿وَمَعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وفهم ذلك على ما تفهمه العرب الأولى من
كلامها من أهل الصدر الأول، وقد قال ابن عباس: «الكُرسي موضع
القدمين»^(١٠).

وصح هذا القول عن وهب بن منبه^(١١)، ويروى عن أبي موسى^(١٢)،

(١) «العواصم» (٢/ ٢٩٠).

(٢) «النوازل» للبرزالي (٦/ ٢٠).

(٣) «طبقات الشافعية» (٦/ ١٤٣).

(٤) «إيضاح الدليل» (ص ١٠٧).

(٥) «أزهار الرياض» في أخبار عياض للمقري (٣/ ٥٨).

(٦) «شرح السنة» له (ص ٧٥).

(٧) تقدم.

(٨) «العلو» (ص ٢٣٦).

(٩) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ١٠٩)، و«العلو» (٥٦٤).

(١٠) «السنة» لعبد الله (٥٨٦ و ١٠٢٠ و ١٠٢١)، و«التوحيد» لابن خزيمة (١/ ٢٤٨ و ٢٤٩).

(١١) «السنة» لعبد الله (١٠٩٢)، و«العظمة» (٤/ ١٣٩٩).

(١٢) «السنة» لعبد الله (٥٨٨ و ١٠٢٢)، و«تفسير الطبري» (٤/ ٥٣٨).

وأبي مالك^(١)؛ وبهذا فسره ابن أبي زَمَنِينَ الأندلسي في «أصول السنة»^(٢).

ولا يجوزُ تكييفُ فعلِ الله فيه، ولا تشبيهه؛ فالله ليس كمثله شيء، وقد وردَ في بيانِ حجمِ الكرسيِّ في الحديث: (مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ)^(٣).

وروي: أَنَّ الْكُرْسِيَّ: هُوَ عِلْمُ اللَّهِ^(٤)، وقيل: قُدْرَتُهُ^(٥)، وقيل: هُوَ الْعَرْشُ^(٦).

والأصح: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ، لَا عَلَى مَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ.

وَأَمَّا الْقَوْلُ بِأَنَّ الْكُرْسِيَّ: عِلْمُ اللَّهِ؛ فَقَدْ رُوِيَ هَذَا عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَفِيهِ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ لَيْنٌ، وَاسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَيْهِ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

مَا لِي بِأَمْرِكَ كُرْسِيٍّ أَكَاثِمُهُ وَلَا يُكْرِسِيَّ عِلْمَ اللَّهِ مَخْلُوقٌ^(٧)

وهذا مخالفٌ لوضعِ العربِ عند إطلاقِ الكرسيِّ، والكرسيُّ لَا يُهْمَزُ^(٨).

(١) «السنة» لعبد الله (٥٨٩ و ١٠٢٣).

(٢) «أصول السنة» (ص ٩٦).

(٣) «العرش وما روي فيه» (٥٨)، و«صحيح ابن حبان» (٣٦١).

(٤) روي ذلك عن ابن عباس. انظر: «السنة» لعبد الله (١١٥٦ و ١١٨٤)، و«تفسير الطبري» (٥٣٧/٤).

(٥) «معاني القرآن» للنحاس (٢٦٤/١)، و«تفسير القرطبي» (٢٧٦/٤).

(٦) روي ذلك عن الحسن. انظر: «تفسير الطبري» (٥٣٩/٤).

(٧) لَا يُعْرَفُ قَائِلُ هَذَا الْبَيْتِ. انظر: «تأويل مختلف الحديث» (ص ١١٩)، و«معاني القرآن» للنحاس (٢٦٣/١)، و«البحر المحيط» (٢٩٠/٢)، و«اللباب في علوم الكتاب» (٣٢٢/٤).

(٨) انظر: «تأويل مختلف الحديث» لابن قتيبة (ص ١١٩ ط. المكتب الإسلامي).

وَأَمَّا الْقَوْلُ بَأَنَّهُ: قُدْرَةُ اللَّهِ، فَيُرَوَّى عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ؛ وَفِيهِ ضَعْفٌ.
وَأَمَّا الْقَوْلُ بَأَنَّ الْكُرْسِيَّ: هُوَ الْعَرْشُ، فَمُرَوِّىٌّ عَنِ الْحَسَنِ،
وَالضَّحَّاكِ، وَغَيْرِهِمَا.

وَهَذَا لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ يَصِحُّ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَأَصَحُّ مَا جَاءَ
فِيهِ: أَنَّهُ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ فِيمَا سَبَقَ، وَلَمْ يُخَالِفْهُ
أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ.

وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَعُدُّ الْكُرْسِيَّ غَيْرَ الْعَرْشِ؛ كَمَا رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ
فِي «التَّوْحِيدِ» عَنْهُ؛ قَالَ: «بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ،
وَبَيْنَ كُلِّ سَمَاءٍ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَبَيْنَ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ وَالْكُرْسِيِّ خَمْسُ مِئَةِ
عَامٍ، وَبَيْنَ الْكُرْسِيِّ وَالْمَاءِ خَمْسُ مِئَةِ عَامٍ، وَالْعَرْشُ فَوْقَ الْمَاءِ، وَاللَّهُ
فَوْقَ الْعَرْشِ، لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِكُمْ»^(١).
وَهَذَا لَا يَقُولُهُ الصَّحَابِيُّ مِنْ رَأْيِهِ.

وَأَمَّا حَمَلَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ الْكُرْسِيَّ عَلَى عِلْمِ اللَّهِ، أَوْ قُدْرَتِهِ؛
لِإِنْكَارِهِمُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَالْأَفْعَالَ الْإِلَهِيَّةَ؛ لِأَنَّ الْعَرْشَ وَالْكُرْسِيَّ لَا بُدَّ
أَنْ يَكُونَا مَحَلًّا لِلْفِعْلِ.

وَالْحَقُّ: أَنَّ الْعَرْشَ: لِلْإِسْتَوَاءِ، وَالْكُرْسِيَّ: مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ، وَاللَّهُ
أَعْلَمُ بِالْكِفَايَةِ الَّتِي لَا تُشْبِهُ الْمَخْلُوقَ.

﴿إِحَاطَةُ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «خَلَقَ الْإِنْسَانَ، وَيَعْلَمُ مَا تُؤْسِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ
أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي
طَلْمَنِ الْأَرْضِ وَلَا دَرَكٌ وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابِ مُبِينٍ» [الأنعام: ٥٩]﴾:

كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ خَلَقَ اللهُ، وَهُوَ عَالِمٌ مُحِيطٌ بِهِمْ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ؛ جَلِيلُهُ وَعَظِيمُهُ، كَثِيرُهُ وَقَلِيلُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، وَقَالَ: ﴿لَا يَخْفَى عَلَيَّ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [آل عمران: ٥]، وَقَالَ: ﴿بَلِّغْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَكِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللهُ إِنَّهُ اللهُ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [القمان: ١٦]، وَقَالَ: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبا: ٢].

وَيَأْنِي الْكَلَامُ عَلَى ضَلَالِ بَعْضِ الْفَلَسَافَةِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ فِي نَفْيِ عِلْمِ اللهِ لِلْجَزْئِيَّاتِ.

❦ عَوْدَةٌ إِلَى الْكَلَامِ عَلَى اسْتَوَاءِ اللهِ عَلَى الْعَرْشِ:

❶ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ اخْتَوَى﴾:

وَيَجِبُ إِبْطَاحُ أَنَّ اللهَ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً، وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ اسْتَوَاءَهُ فِي كِتَابِهِ فِي سَبْعَةِ مَوَاضِعٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]، وَقَدْ تَوَاتَرَتْ فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ وَالْآثَارُ؛ أَنَّ اللهَ: «فَوْقَ الْعَرْشِ».

وَيُبَيِّنُ اسْتَوَاءُ يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَيَتَنَزَّهُ عَمَّا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ؛ لِأَنَّهُ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وَكَانَ السَّلَفُ عَلَى ذَلِكَ لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَيْهِ.

وَلَمَّا ظَهَرَتْ الْبِدْعُ الْكَلَامِيَّةُ الَّتِي أَدَّتْ إِلَى إِنْكَارِ حَقِيقَةِ الْاسْتَوَاءِ وَتَأْوِيلِهِ، ضَلُّوا مَنْ قَالَ بِذَلِكَ، وَقَدْ كَانَ سُخْنُونُ يُلْقِنُ ابْنَ الْقَصَّارِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ: «أَنَّ اللهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى»^(١).

وكان أبو العباس بن طالب يخطب في القَيْرَوَانِ، ويقول: «الحمد لله الذي على عَرْشِهِ اسْتَوَى، وعلى مُلْكِهِ احْتَوَى، وهو في الآخِرَةِ يُرَى»^(١)، وإثباتهم للاستواء على الحقيقة، لا يَحْمِلُهُمْ على القول بالتشبيه، وتوهم لزوم إثبات الحقيقة للتشبيه لا يَحْمِلُهُمْ على التفويض؛ ولهذا يقول القرطبي: «لم يُنَكِّرْ أَحَدٌ مِنَ السَّلَفِ الصَّالِحِ أَنَّهُ اسْتَوَى عَلَى عَرْشِهِ حَقِيقَةً... وَإِنَّمَا جَهِلُوا كَيْفَةَ الاسْتِواءِ»^(٢).

والعربُ تُطْلِقُ العَرْشَ على السرير؛ كما قال تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ يوسف: ١٠٠، وقال أُمَيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ:

مَجْدُوا اللَّهَ وَهُوَ لِلْمَجْدِ أَهْلٌ رَبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّاسَ سَنَ وَسَوَى فَوْقَ السَّمَاءِ مَرِيرًا^(٣)

وإثبات هذا التعبير لا يعني إثبات التشبيه بين عرش الخالق وعرش المخلوق، ولا بين استوائيهما، ومثل ذلك السرير؛ فَإِنَّ للمخلوق عرشًا، وورود المشابهة في الاسم لا تعني المشابهة في الحقيقة؛ فضلًا عن المشابهة بين الخالق والمخلوق في الفعل.

❦ الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام:

ويُقتَصَرُ على اللفظ الوارد في الوحي؛ وهو: «الاستواء»، ولو تقارب مع اللفظ غيره بالمعنى أو اتحد؛ التزامًا باللفظ المشروع الذي اختاره الله لِنَفْسِهِ، ودفعًا لتوهم اللبس الذي قد يقع في قلوب الناس من

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٢١٤). (٢) «تفسير القرطبي» (٩/٢٣٩).

(٣) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١١٩ و ٣٩٦).

الألفاظ المجملة غير المحكّمة، وقد كان مالك بن أنس يكره التحديث ببعض أحاديث الصفات للعامة؛ وذلك حتى لا يسبق إلى أذهانهم معنى محظور من التشبيه؛ كما قاله يحيى بن مزيّن^(١)، وابن عبد البرّ القرطبيّان^(٢).

فإذا كان هذا عند مالك في اللفظ الوارد في الحديث، فكيف بالألفاظ لم تردّ تقع في ذهن السامع موقعاً لا يليق بالله، وكان مالك يشدّد في إشارة الإنسان بيده عند ذكره لصفات الله بما يؤهم تشبيهاً؛ قال مالك: «مَنْ وَصَفَ شَيْئًا مِنْ ذَاتِ اللَّهِ؛ مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَقْلُوبَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى عُنُقِهِ، وَمِثْلُ قَوْلِهِ: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فَأَشَارَ إِلَى عَيْنِهِ وَأُذُنِهِ، أَوْ شَيْءٍ مِنْ بَدَنِهِ -: قُطِعَ ذَلِكَ مِنْهُ؛ لِأَنَّهُ شَبَّهَ اللَّهَ بِنَفْسِهِ».

وهذا من مالك فيمن قصّد التشبيه، أو فهم منه ذلك، وأمّا عند الأمن من ذلك عند مَنْ صَحَّ مَعْتَقَدُهُ، وَسَلِمَ لِسَانُهُ، لِإثبات حقيقة الصفة لا تكييفها -: فذلك وردّ فيه الحديث؛ كما في حديث أبي هريرة؛ أنه قال: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ إِنَّ اللَّهَ يَنْتَظِرُ مِنْكُمْ بِئْسَ إِلَهًُا كَانَ مِمَّا بَصِيرًا» [النساء: ٥٨]، وَوَضَعَ إِنْهَامَهُ عَلَىٰ أُذُنِهِ، وَسَبَّابَتَهُ عَلَىٰ عَيْنِهِ؛ رواه أبو داود^(٣).

وربّما أجاز بعض السلف التعبير بلفظ آخر طابق المعنى في موضع، فيظنّه بعض الناس جائزاً في غيره، فيقع التشبيه والتعطيل؛ ولهذا

(١) «التمهيد» (٧/ ١٥١).

(٢) انظر: «التمهيد» (٧/ ١٥٠).

(٣) سبق تخريجه.

يقول ابن عبد البر: «نقول: استوى من لا مكان إلى مكان، ولا نقول: انتقل؛ وإن كان المعنى في ذلك واحدا؛ ألا ترى أننا نقول: له عرش، ولا نقول: له سرير؛ ومعناها واحد؟» ونقول: هو الحكيم، ولا نقول: هو العاقل، ونقول: خليل إبراهيم، ولا نقول: صديق إبراهيم؛ وإن كان المعنى في ذلك كله واحدا؟ لا نسويه، ولا نصفه، ولا نطلق عليه، إلا ما سمي به نفسه^(١).

وقد كان بعض السلف يعبر عن الاستواء بغيره؛ كما صح عن خارجة بن مصعب^(٢)، والحسن البصري، وعكرمة: أنهم عبروا عن الاستواء بالجلوس^(٣)، وجاء عن الشعبي، عن ابن مسعود أيضا؛ وفيه انقطاع^(٤)، وتبعهم وكيع، وأحمد؛ كما نقله ابنه عبد الله في «السنة»^(٥)، والدارمي في «ردّه على بشر»^(٦)، والدارقطني في بعض كتبه^(٧)، وهذا الذي أراده النسائي في «سننه» في باب «ثم استوى إلى السماء»^(٨) [فصلت: ١١]؛ حيث أورد حديث ابن عمر في استواء المسافر، وقد عبر عن الاستواء عبد الوهاب الوراق بالقعود^(٩)، وجاء عن مجاهد تفسير قوله: «عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا» [الإسراء: ٧٩]: «يقعده معه على العرش»^(١٠).

(١) التمهيد (١٣٦/٧ - ١٣٧).

(٢) «السنة» لعبد الله (١٠)، وحنه الخلال (١٦٩١).

(٣) الرواية للحكم بن عباد، انظر: فتح المجيد (١٦٧٥/٤).

(٤) انظر: كتاب «إثبات الحد» لأبي محمد بن بلران اللثمي (ص ١٧٠).

(٥) (٣٠٢/١). وانظر: «الرد على الجهمية» (ص ٣٠٠).

(٦) (٢١٥/١).

(٧) «الصفات» (ص ١٠)، وانظر: «إبطال التأويلات» (ص ٤٩٢).

(٨) «السنن الكبرى» (٢٤٥/١٠)، حديث رقم (١١٤٠٢).

(٩) «بيان تليس الجهمية» (١٤/٣).

(١٠) ابن أبي شيبة (٣٢٣٠٩)، والآجري في «الشرعة» (١١٠١ - ١١٠٥).

وبهذا عبّر ابن العربي في سورة الأحزاب من «أحكام القرآن»، وهو على طريقة المتكلمين.

والثابت في الحديث المرفوع: أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى^(١).

وكثير من الأئمة: يذكرون الاستواء، ويذكرون معناه في اللغة؛ كالجلوس، والاستقرار، والتمكّن في الشيء؛ كما فعل ابن عبد البر^(٢)، وغيره^(٣)، ويريدون من ذلك: بيان الحقائق، والإبعاد عن المجاز؛ وليس التمثيل؛ تعالى الله!

وربما نفى بعض الأئمة مثل هذه الألفاظ؛ كالجلوس؛ لما يرى لها من لوازم تليق بالمخلوق؛ كابن رشد في «البيان والتحصيل»^(٤)؛ فقد جعل الجلوس عليه، والتحيز فيه، والمماسّة، مستحيلاً في صفات الله تعالى؛ لأنه من التكيف الذي هو من صفات المخلوق، مع أن ابن رشد لم يمنع أن يكون الاستواء من صفات الله الفعلية.

وهذه اللوازم والأعراض التي ذكرها لم ترد في الشريعة، وإنما لما لزمت للجواهر، نفاها عن الخالق، ولو تركت تلك اللوازم، وسكت عنها لسكوت الشارع، وأثبت ما جاء في الوحي وفسره السلف -: لكان أسلم وأعلم وأحكم.

وتعبير بعض السلف بالجلوس والقعود^(٥): من باب إثبات

(١) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٢) التمهيد (١٣١/٧).

(٣) تأويل مختلف الحديث (ص ٢٧١).

(٤) البيان والتحصيل (٣٦٨/١٦ - ٣٦٩).

(٥) انظر: «إثبات الحدّ لله»، وبأنه قاعدٌ وجالسٌ على عرشه؛ للدشتي.

الحقيقة، ونفي التأويل عن الظاهر، لا لتقرير لفظ مغاير، وتجويز مثله في كل موضع؛ فهؤلاء حينما يعبرون عن الاستواء بغيره، لا يجعلون تعبيرهم تشبيهاً؛ فهم يثبتون اللفظ الآخر بلا تشبيه ولا تمثيل؛ فيذكرونه دفعا للتعطيل والتأويل، وإثباتاً للحقيقة التي تليق بالخالق، ونفيًا لما يليق بالمخلوق؛ فكما أنهم ينفون التشبيه عند التعبير بالاستواء، فكذلك ينفون عند التعبير بالجلوس والعود.

ولما كان بعض المفوضة الذين يتوقفون في إثبات حقيقة الاستواء التي تليق بالله، وبعض المتأولة الذين يحملونه على معنى غير الحقيقة، يستكثرون على بعض السلف إطلاق مثل هذه التعابير؛ لأنهم يفوضون أو يتأولون اللفظ الوارد، فيستثقلون اللفظ غير الوارد -: فهم فوضوا وتأولوا؛ فراراً من التشبيه المتوهم؛ فتأويلهم للتعبير بغير الوارد ثقل على ما يعتقدون؛ لأنه يرسخ إثبات الحقيقة، وهم يفترون منها؛ وإلا فإن السلف الذين يعبرون بما لم يرد، لا يريدون التشبيه به؛ فهم إذا لم يشبهوا باللفظ الوارد في النص، فغير الوارد من باب أولى.

وقد جاء في حديث عمر بن الخطاب: «إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ ﷻ عَلَى الْكُرْسِيِّ»^(١)؛ رواه عنه عبد الله بن خليفة؛ أخرجه الدارمي، وعبد الله بن أحمد في «السنة».

وربما عبر بعض السلف عن الاستواء ببعض لوازمه؛ كالعلو، والارتفاع؛ لأنه لا يستوي إلا مرتفع وعال على غيره، ويظهر هذا في قوله تعالى: ﴿عَلَى الْمَرْثَى﴾ [طه: ٥]؛ فـ «على» تدل على العلو والفوقية.

ولا يلزم من إثبات حقيقة الاستواء: القول بالتشبيه؛ وهذا اللازم

(١) «نقض الدارمي» (١/ ٤٢٥ - ٤٢٦)، و«السنة» (٥٨٥ و ٥٨٧ و ١٠١٩).

المتوهم هو الذي دَفَعَ إلى تعطيل الصفات وتأويلها، والجهل بكيفية الشيء لا يُجيز تأويله أو نفيه؛ كما قال ابن عبد البر: «لقد أذركنا بحواسنا: أن لنا أرواحاً بأبداننا، ولا نعلم كيفية ذلك، وليس جهلنا بكيفية الأرواح يُوجب أن ليس لنا أرواح، وكذلك ليس جهلنا بكيفية [استوائه] على عرشه، يُوجب أنه ليس على عرشه»^(١).

فيجب إثبات الاستواء حقيقة، وتفويض كفيته؛ لأن الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وقد قال رجلٌ لمالك: «يا أبا عبد الله: ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾ [طه: ٥]؛ كيف استوى؟ قال: الاستواء غير مجهول، والكيف منه غير معقول، والسؤال عنه بدعة، والإيمان به واجب، وأراك صاحب بدعة؛ أخرجوه!»^(٢).

فقد نفى مالك معرفة الكيفية وفوضها، ولم يفوض الحقيقة؛ ولذا قال: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، ولا يكون الكيف إلا لما له حقيقة، وما لا حقيقة له لا يحتاج إلى تفويض تكيفه؛ لأنه ليس صفة للذات التي ليس كمثليها شيء.

وقد نفى المعتزلة الاستواء، وفسروه بالاستيلاء؛ وهذا ما لا تعرفه العرب ولا هو جائز في كلامها؛ كما قاله الخليل بن أحمد^(٣).

وكل ما لا مجال للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه، ومن ذلك: ذات الله وصفاته، وإنما يُكتفى بالقدر الوارد في السمع، ولا يُزاد عليه؛ فما دل السياق على حقيقته ثبت حقيقته؛ لأن هذا مقتضى اللسان العربي الأول بلا تكلف، وتفويض كيفية.

(١) «التمهيد» (١٣٧/٧).

(٢) «الرد على الجهمية» للدارمي (١٠٤)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٦٦٤).

(٣) «العرش وما روي فيه» (ص ١٦٥ - ١٦٦).

وقد كان غير واحدٍ من الأئمة المغاربة على هذا؛ كما قال ابن رشد في «المقدمات»: «وأما ما وصفت به نفسه تعالى في كتابه: أن له وجهًا ويدَين وعينَين، فلا مجال للعقل في ذلك، وإنما يفهم ذلك من جهة السمع؛ فيجبُ اعتقادُ ذلك والإيمانُ به من غير تكيفٍ ولا تحديدٍ»^(١).

وقد كان بعضُ أهل المغرب يتأولون ما ثبت من الصفات بالسمع، ويصفون المثبتة بـ «المجسمة»، و«المشبهة»، و«الحشوية»؛ توهمًا أن من ثبتت الحقيقة يأخذ بلوازمها التي يستحضرها الذهن عند التفكير.

وهذه لوازم لا يجوزُ الإلزامُ بها؛ لأن من كانت ذاتُه لا شبيهة لها، فصفاته لا شبيهة لها كذلك، ومن كانت لوازمُ ذاتِه لا شبيهة لها، فلوازمُ صفاته لا شبيهة لها كذلك.

وقد تعقَّبَ الإلبيريُّ ابنَ رشدٍ في إثباتِه ما ثبت بالسمع من الصفات^(٢)، وقد أخطأ لأجل تلك المقدمات والإلزامات والتوهمات.

وأصلُ تأويل الاستواء: توهمُ التشبيه بالمخلوق: إمَّا بذاتِ الصفة، وإمَّا بلوازمِها من الحدِّ وغيره؛ وهذا يردُّ على المخلوق، ولا يردُّ على الخالق؛ لأنه: «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» [الشورى: ١١]؛ كما سمعت امرأة جهم بن صفوان رجلًا يقول: الله على عرشه، فقالت: محدودٌ على محدود؛ فقال الأصمعي: «هي كافرة بهذه المقالة»^(٣)؛ فقد توهمت تشبيهًا؛ فصارت إلى التعطيل، ولو سلمت من التشبيه، لم تعطل.

(١) «المقدمات» (٢٠/١).

(٢) له رسالة في الرد على أبي الوليد بن رشد في مسألة الاستواء.

(٣) «الأربعين في صفات رب العالمين» (١٢)، و«العلو» (٤٣٦)، و«اجتماع الجيوش» (٢٢٥/٢).

❦ الأسماء والصفات:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتُ الْعُلَا، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛ تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُخَدَّنَةً﴾:

قول ابن أبي زيد هنا في مقدمة «الرسالة»، وفي «الجامع»^(١): «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ؛ أَي: أَنَّهُ سَبْحَانَهُ عَلَى كَمَالِهِ، لَا يَغِيرُهُ الزَّمَانُ، لَا يَحْتَاجُ إِلَى عِلْمٍ يَكْتَسِبُهُ، وَلَا يَنْقُصُهُ شَيْءٌ فِئْتَمَهُ، وَلَا فِيهِ شَيْءٌ زَائِدٌ فَيَنْقُصُهُ.

وقد أَخَذَ بَعْضُ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ قَوْلِ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ: «لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ»: نَفْيَ الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ كَالِاسْتَوَاءِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ مُسْتَوِيًّا قَبْلَ خَلْقِ الْعَرْشِ؛ وَهَذَا بَاطِلٌ؛ فَمِنْ صِفَاتِ اللَّهِ: أَنَّهُ ﴿فَعَمَلٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧، والبروج: ١٦]، وَأَنَّهُ ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٤٠، والحج: ١٨]؛ فَلَمْ يَزَلْ عَلَى ذَلِكَ، فَلَا يَجُوزُ نَفْيُ صِفَةِ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ خَالِقًا قَبْلَهُمْ؛ عَلَى قَوْلِهِمْ بِعَدَمِ تَسْلُسُلِ الْحَوَادِثِ:

فَإِنْ كَانَ مِنْ صِفَاتِهِ: أَنَّهُ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ أَفْعَالَهُ تَكُونُ مِنْهُ فِي زَمَانٍ دُونَ زَمَانٍ؛ كَالِاسْتَوَاءِ، وَالنُّزُولِ، كَمَا تَكُونُ مِنْهُ فِي مَكَانٍ دُونَ مَكَانٍ؛ كَتَجَلُّيهِ سَبْحَانَهُ لِلْجَبَلِ، وَهُمْ يَعْتَرِضُونَ عَلَى الصِّفَاتِ الْفِعْلِيَّةِ تَنْزِيهَاً لِّلَّهِ عَنِ الْحَوَادِثِ، وَأَنَّ الْحَوَادِثَ لَمْ تَكُنْ مُوجُودَةً، فَحَدَّثْتُ، فَهِيَ مَخْلُوقَةٌ، وَيُنَزَّهُ اللَّهُ عَنْ أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْهُ مَخْلُوقًا.

(١) «الجامع» (ص ١٠٧).

وهذا كله تأصيل لقاعدة الجوهر والعرض والحوادث، وانضباطها على الإنسان لا يُجيزُ تنزيلها على الله؛ فالله تعالى ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]؛ فمن ليس كمثله شيء في ذاته، ليس كمثله شيء في صفاته.

والسلف يُثبتون لله الأسماء والصفات؛ كما أثبتها الله لنفسه، وأثبتها له نبيه ﷺ؛ من غير تشبيه ولا تمثيل، ولا تعطيل ولا تكييف ولا تأويل، والذي عليه السلف: إثبات ما أثبتهُ الله لنفسه، وما أثبتهُ له نبيه ﷺ، والإيمان بذلك، وأنه على الحقيقة؛ فلا يؤوّل، ولا يلزم من إثبات الحقيقة: التشبيه؛ كما أنه لا يلزم من إثبات ذات الله على الحقيقة: إثبات الشبيه لها، ومن جعل ذلك لازماً، فیلزمه إنكار حقيقة الذات؛ كما يُنكر حقيقة الصفات؛ فالعلة التي تستوجب نفی الحقيقتين واحدة.

❦ ما ورد من الأسماء والصفات عن الصحابة والتابعين:

الأصل: ألا تُثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين؛ لأن مسائل الغيب مردها إلى علم الله، لا مجال فيها للاجتهاد والنظر؛ فالله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ حتى يُقاس على غيره، أو يُقاس غيره عليه.

وأما ما يُثبتهُ الصحابة من الصفات والأسماء لله؛ فهم لا يقولون على الله بلا علم، وليست العقائد من موارد النزاع عندهم؛ ولهذا لا يُحفظ عنهم خلافت في الأسماء والصفات وتوحيد الله؛ فقول الواحد في ذلك هو قول البقية، ولما أذن الشرع لهم بالحديث عن بني إسرائيل مما لا يُخالف الشريعة، في قوله ﷺ: (حَلَلْتُمْ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ،

وَلَا حَرَجَ^(١)، كَانَ الصَّحَابَةُ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَلَى قَسْمَيْنِ:

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ: الَّذِينَ لَا يُعْرِفُونَ بِالنَّقْلِ عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ؛ وَهُمْ الْأَصْلُ وَالْأَغْلَبُ؛ فَهَؤُلَاءِ يُجْزَمُ أَنَّهُمْ لَا يَتَخَرَّصُونَ عَلَى اللَّهِ بِالْعَقْلِ، وَأَنَّ نَقْلَهُمْ إِنَّمَا هُوَ عَنْ وَحْيٍ.

وإثبات ذلك صحيح؛ كما جاء عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي موسى: إثبات القدمين لله^(٢)؛ فهذا يقوِّيه إثبات صفة القدم لله تعالى في «الصحيحين»؛ من حديث أنس وأبي هريرة مرفوعاً^(٣)، وفي «المسند»، وعند ابن خزيمة في «التوحيد»؛ من حديث ابن عباس^(٤)، وله ما يعضده من مرفوع عن ابن عباس في «المسند»، وغيره^(٥).

ونقل الأَجْرِيُّ في «الشرعية»^(٦): «أَنَّ عَمَلَ مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ وَالْعُلَمَاءِ: أَنَّهُمْ يَصِفُونَ اللَّهَ ﷻ بِمَا وَصَفَ بِهِ نَفْسُهُ ﷻ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَبِمَا وَصَفَهُ بِهِ الصَّحَابَةُ ﷺ».

ولأنَّ مجردَ كلامِ الصحابيِّ في الأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ وَفِيمَا لَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَتَكَلَّمَ بِهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ، فَذَلِكَ كَأَنَّمَا أَسْنَدُهُ وَرَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ؛ وَيُوكِّدُ ذَلِكَ: أَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَقَعْ بَيْنَهُمْ اخْتِلَافٌ وَنَزَاعٌ فِي هَذَا الْبَابِ؛ كَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِي الْفُرُوعِ؛ لِأَنَّ الْفُرُوعَ مَحَلُّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ.

(١) أبو داود (٣٦٦٢) من حديث أبي هريرة. والنسائي في «الكبرى» (٥٨١٧) من حديث أبي سعيد.

(٢) سبق عند الكلام على الكرسي.

(٣) البخاري (٤٨٤٨)، ومسلم (٢٨٤٨) من حديث أنس. والبخاري (٤٨٤٩)، ومسلم (٢٨٤٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) «التوحيد» (٢٤٨/١ و ٢٤٩) من حديث ابن عباس؛ موقوفاً.

(٥) أحمد (٢٥٦/١) رقم ٢٣١٤، والدارمي (٢٧٤٥).

(٦) «الشرعية» (١٠٥١/٢).

وكان أحمد وغيره^(١) يجعلون من أصول السنة: التمسك بما عليه الصحابة.

القسم الثاني: من عرّف بالأخذ والرواية عن بني إسرائيل؛ فذلك مما يتوقّف فيه، ولا يترّب على من حكى المروي كما حكاه الصحابي؛ ما لم يكن في ذلك شبهة على سامع.

وأما التابعون: فما جاء عنهم من مرويات في الصفات؛ كصفة الرُكبة - رواها مجاهد عن عبيد بن عمير^(٢) - فإذا لم يكن في الباب ما يعضدها من مرفوع أو مقطوع، فالأصل عدم الاحتجاج بذلك؛ لأنّ التابعين - خاصّة الحجازيين - وإن لم يختلفوا في هذا الباب، ولا يقولون برأيهم فيه، إلا أنّ قولهم في ذلك من جنس المرسلات إلى النبي ﷺ؛ فالأصل التوقّف، حتى يصحّ مرويتهم إلى صحابي.

والأئمة - كمالك وأحمد وغيرهما - لا يجعلون قول التابعي حجة مقطوعة في الفروع والأصول، ولكنّه يستأنس به ويحتج به؛ لعضد أصل قد ثبت بدليل آخر.

❦ أسماء الله:

لله الأسماء الحسنى؛ كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وليس له من يشابهه في أسمائه: ﴿هَلْ تَقَارَ وَطَرَفُ لَهٗ سَمِيًّا﴾ [مریم: ٦٥]، وكل اسم له معنى؛ فيثبت الاسم والمعنى جميعاً؛ وذلك أنه من إحصائها معرفة معانيها، والعمل بمقتضاها؛ كما قال ﷺ:

(١) شرح أصول الاعتقاد (٣١٧).

(٢) السنة لعبد الله (١٠٨٥ - ١٠٨٧ و ١١٦٢ و ١١٦٣ و ١١٦٥ و ١١٦٦ و ١١٨٠ و ١١٨٣).

(إِنَّ لِلَّهِ نِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ) ^(١).

ولا يُقال بنفي الأسماء؛ كما تقولُ الجهميَّةُ، ولا بإثباتها مجردةً عن معانيها؛ كما تقولُ المعتزلة، بل بإثباتها مع معانيها.

وأسماءُ الله: عَلَمٌ للمسمَّى، ودالَّةٌ عليه، وإن أُريدَ بها ذاته، فالاسمُ هو المسمَّى، ولا يجوزُ القولُ بأنَّ الاسمَ غيرُ المسمَّى، ما لم يُردَّ بذلك اللفظُ العربيُّ لا كلامُ الله، أو كان في سياقِ الإعرابِ؛ فهنا يُرادُ الاسمُ، لا المسمَّى ذاته.

وقد أظهرَ المتكلمونَ إطلاقَ أنَّ أسماءَ الله مخلوقة؛ ليُخرِجوها عن ذاته سبحانه؛ فلا يَلْتَزِمُوا بما تتضمنهُ الأسماءُ مِنَ الصفات؛ وهذا قولُ الجهميَّةِ والمعتزلة ^(٢).

وقد كان أهلُ العربيَّةِ مِنَ الصَّنَرِ الأوَّلِ يُنْكِرُونَ ذلك؛ كما قال الأصمعيُّ: «إِذَا سَمِعْتَ الرَّجُلَ يَقُولُ: الاسمُ غيرُ المسمَّى، فاحْكُمْ عليه بِالزُّنْدَقَةِ» ^(٣).

❦ حقيقة الصفات:

وللصفات حقيقة ظاهرة؛ وهي على نوعين:

النوعُ الأوَّلُ: حقيقة ظاهرة تليقُ بالخالق، وهي تَظْهَرُ عند إضافة الصفةِ إلى الله تعالى، وهذه يَجِبُ إثباتها لله سبحانه.

(١) البخاري (٢٧٣٦)، ومسلم (٢٦٧٧) من حديث أبي هريرة.

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٨٥/٦ - ١٨٦).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٤٦ و ٣٤٧).

النوع الثاني: حقيقة ظاهرة تليق بالمخلوق، وهي تظهر عند إضافة الصفة إلى المخلوق؛ وهذه تثبت لصفة المخلوق، ويجب نفيها عن صفة الخالق؛ لقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]؛ وهذه الحقيقة اللائقة بالمخلوق لا تظهر من إضافة الصفة إلى الله تعالى، إلا عند المعطلة والمشبّهة؛ وهو ما أدى بهما إلى نفي الصفة بحقيقتها اللائقة بالله تعالى وتعطيلها.

وقد كان السلف ينفون أن يكون إثبات الحقيقة يلزم منه التشبيه؛ ولذا يقول إسحاق بن راهويه: «إنما يكون التشبيه إذا قال: يدٌ كيدٍ أو مثلٌ يدٍ، أو سمعٌ كسمعٍ أو مثلٌ سمعٍ، فإذا قال: سمعٌ كسمعٍ أو مثلٌ سمعٍ فهذا التشبيه، وأما إذا قال - كما قال الله تعالى -: يدٌ وسمعٌ وبصرٌ، ولا يقول: كيف، ولا يقول: مثل سمعٍ، ولا: كسمعٍ، فهذا لا يكون تشبيهاً»^(١).

وقد أراد إسحاق أن يدفع التوهم الذي يقع في بعض النفوس؛ أن إثبات الحقائق يلزم منه القول بتشبيهها.

فقد كان المعطلة ينفون حقائق الصفات خوفاً مما يليق بالمخلوق؛ فحملهم ذلك على تأويل الصفات، ثم هم تأولوا الصفات على معانٍ لا تخرج عما فروا منه من حقائق الصفات؛ فالذي انتهوا إليه من تأويلها تضمن محظورين:

الأول: أن قولهم هذا هو تعطيلٌ في صورة تأويل؛ فصرّفوا الصفة عن الحقيقة المرادة إلى غيرها؛ فتعطّلت عن المقصود.

(١) الترمذي بعد حديث (٦٦٢).

الثاني: أن المعنى الذي أثبتوه بعد تأويلهم، هو نفس المعنى الذي يكون من المخلوق عند صرف حقيقة صفته عن ظاهرها:

فمثلاً: الاستواء والنزول: فمن يثبتهما على الحقيقة التي تليق بالخالق، وينزعهما عن الحقيقة التي تليق بالمخلوق، لم يشبه خالقاً بمخلوق، ولم يتأول، ومن نفى الحقيقة التي تليق بالخالق، فتأول الاستواء بالعلو، والنزول بالرحمة، استعمل لغة العرب في هذا الموضع على المعنى الذي يصح من المخلوق والخالق جميعاً كذلك، وإن اختلف علو الخالق ونزوله عن علو المخلوق ونزوله، فليست رحمة الله كرحمة المخلوق، ولا علوه كعلوه؛ فلماذا لا يثبتون الصفات على الحقيقة، وينفون ما يليق بالمخلوق؛ كما يثبتون المعاني بالتأويل، وينفون ما يليق بالمخلوق؟!

❦ الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض:

والله ﷻ لا ينزل شيئاً في كتابه، ويريد أن يتلو الناس الحروف، ولا يفهمون شيئاً من المعاني بإطلاق، والذين يقولون بتفويض الصفات، وأنه لا يعلم معناها، يتناقضون؛ وذلك أنهم يسمونها صفة، ثم يفوضون معناها كله، وينفون حقيقتها؛ فكيف عرفوا أنها صفة إذن؟! فالحكم على المعنى بكونه صفة إثبات للعلم بقدر من معناه؛ فإن مجرد إضافة الشيء للرب ليس دليلاً وحده لكون المضاف صفة للمضاف إليه؛ فالإضافة لله قد تكون إضافة تشريف، وقد تكون إضافة صفة، وتحديد إحدى الإضافتين إقرار بالمعنى حقيقة.

وقد صنّف جماعة من المغاربة كتباً في إثبات حقيقة الصفات، والرد على المتكلمين والمعتلة؛ كسعيد بن الحداد في كتاب «الاستواء»،

وقد قال: «قَصَدْنَا مِنْ هَذَا الْكِتَابِ إِلَى الرَّدِّ عَلَى النَّافِيَةِ لَهُ بِنَفْسِهِمْ لَصِفَاتِهِ»^(١).

وعلى هذا المحققون منهم؛ كما نقلَ ذلك ابنُ رشدٍ في «البيان والتحصيل»؛ قال: «بأنَّ اللهَ يَدَيِّنُ وَجْهًا وَعَيْنَيْنِ»^(٢)، ثم عزا لبعضِ الشيوخِ تأويلَ ذلك، وأنَّ المرادَ بالوجهِ: الذاتُ، وبالعَيْنَيْنِ: إدراكُ المرئياتِ، والمرادُ باليدَيْنِ: النعمتانِ، ثم قال: «والصوابُ: قولُ المحققينَ الذين أثبتوها؛ وهو الذي قاله مالكٌ»^(٣).

وهذا ما قرَّره أبو القاسمِ السَّهْلِيُّ المغربيُّ المالكيُّ في كتابهِ «نتائج الفكر»، عند كلامِهِ على صفةِ اليَدِ، وأنها لا تَوَوُّلُ بِالنَّعْمَةِ وَلَا بِالْقُدْرَةِ، بل على الحقيقة، وقال: «كان معناها مفهوماً عند القومِ الذين نَزَلَ الْقُرْآنُ بَلَّغَتْهُمْ؛ ولذلك لم يَسْتَفْتِ أَحَدٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ مَعْنَاهَا، وَلَا خَافَ عَلَى نَفْسِهِ تَوَهُّمَ التَّشْبِيهِ، وَلَا احتاجَ مع فهمِهِ إِلَى شَرْحٍ وَتَبْيِإٍ»^(٤).

وذلك أَنَّ إثباتَ حقيقةِ الصفةِ لله، لا يعني القولَ بمشابهةِها لحقيقةِ صفةِ المخلوق؛ فلكلِّ حقيقةٍ تليقُ به، واللهُ «لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ» [الشورى: ١١].

وقد كان متقدِّمو الأشاعرة؛ كالباقِلَانِي، يُشَبِّهُونَ اللهَ تَعَالَى الْوَجْهَ وَالْيَدَ عَلَى الْحَقِيقَةِ، بل عَدَّ الْبَاقِلَانِي فِي «التمهيد»^(٥) نَفْيَ ذَلِكَ مِنْ مَحَازِي الْمَعْتَزِلَةِ، وَضَلَالِهِمْ وَقَبِيحَ مَذْهَبِهِمْ، وَعَدَّ الْفَخْرُ الرَّازِيُ إِثْبَاتَ

(١) نَشَرْتُ قِطْعَةً مِنْ هَذَا الْكِتَابِ عَبْدَ الْمَجِيدِ حَمْدَه، ضَمِنَ كِتَابَ الْمَدَارِسِ الْكَلَامِيَةِ بِإِثْرِيَّةٍ (ص ٣٠٩).

(٢) «البيان والتحصيل» (١٦/٤٠١).

(٣) الموضع السابق.

(٥) «التمهيد» (ص ٢٨٦ - ٢٨٧).

(٤) «نتائج الفكر» (ص ٢٢٩).

الاشعري لليد، وأنها غير القنرة، وللوجه، وأنه غير الوجود: أن ذلك إثبات، لا توقف فيه؛ كما في كتابه «المحصل»^(١)؛ حيث خالف فيه رأي الأشعري، وتوقف وفوض.

ومن شبهات المعطلة: قولهم بحدوث الأسماء والصفات؛ وبهذا استدلل بعض متكلمي المغرب؛ وهو سليمان الفراء؛ «فقد سأل ابن سحنون يستدرجه: يا أبا عبد الله، الله سمى نفسه؟ فقال ابن سحنون: الله سمى نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسنى»^(٢).

❦ كلام الله:

❦ قال ابن أبي زيد: «كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ»:

والله متكلم متى شاء بما شاء، والقرآن كلامه، وكلامه بائن من خلقه، وخلقُه خلق، ولا يكون كلامه مخلوقاً؛ لكونه مسموعاً ومقروءاً، ومحفوظاً ومكتوباً ومتدبراً، بل المخلوقُ الأداة، وهي: أذن الإنسان ولسانه وشفاته، وريقه ولهوائه، وقلبه وعقله، والورق والجبر؛ قال تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، وقد أكد الكلام بالمصدر: «تَكْلِيمًا»؛ ليعلم أنه كلام على الحقيقة.

والعرب تسمي ما يصل من القول إلى الإنسان كلاماً، بأي طريق وصل إليه؛ كتابة أو غيرها، ولكن لا تحققه بالمصدر، فإذا أكد الفعل بالمصدر،

(١) (ص ٤٣٧).

(٢) «طبقات علماء إفريقية» للخسني (ص ١٩٨).

لم يُحْمَلْ إِلَّا عَلَى الْحَقِيقَةِ مِنْ غَيْرِ وَاسْطَةِ، وَقَدْ قَالَ تُغَلَّبُ فِي قَوْلِهِ:
﴿تَكَلِّمًا﴾ [النساء: ١٦٤]: «خَرَجَ الشُّكُّ الَّذِي كَانَ يَدْخُلُ فِي الْكَلَامِ»^(١).

وهذا إجماع النحويين؛ كما حكاها عنهم أبو جعفر النحاس^(٢).

والقول بخلق القرآن بدعة، لم يُقَلَّ بها معروف بصلاح، فضلاً عن
معروف بعلم في الصدر الأول.

﴿شِدَّةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ﴾

قال مالك: «القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء
مخلوق»^(٣).

وقال أيضاً: «القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيد ولا ينفد، وليس
بمخلوق»^(٤).

وكان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله، ولم
يكن أحد من أصحاب مالك في المغرب والمشرق ولا من أصحابهم:
من يخالف في أن القرآن كلام الله، ليس بمخلوق، وهو إجماع القرون
المفضلة ومن تبعهم.

وقد بلغت فتنة القول بخلق القرآن أصحاب مالك في المدينة
وإفريقية، وثبتوا على الحق الذي كان عليه أهل العلم بالمدينة وغيرها؛
يقول موسى بن الحسن: «سمعت أبا بكر بن أبي أونس، ومطرف بن
عبد الله، وقد دُعِيََا إلى المحنة في القرآن بالمدينة، فلما قرئ عليهما

(١) تهذيب اللغة (١٠/٢٦٥). (٢) إعراب القرآن (١/٥٠٧).

(٣) السنة لعبد الله (١٤٥)، والسنة للخلال (١٩٩٩ و٢٠٢١)، والشرعية (١٦٥).

(٤) الجامع لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

الكتاب، قال أبو بكر: أَكْفُرُ بِاللَّهِ بَعْدَ نَيْفٍ وَتِسْعِينَ سَنَةً، وَمَجَالَسَةُ مَالِكٍ، وَرِجَالٍ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِالْمَدِينَةِ مُتَوَافِرُونَ؟! فَقِيلَ لَهُ: لِيَكُنْ بَيْنَكَ وَسُجُنُكَ^(١).

وَقَدْ قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ يَحْيَى بْنُ خَلْفٍ الْمُقْرِئُ: «كَنْتُ عِنْدَ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ سَنَةً ثَمَانٍ وَسِتِّينَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؟ قَالَ: كَافِرٌ زَنْدِيقٌ؛ اقْتُلُوهُ، قَالَ: إِنَّمَا أَحْكَمِي كَلَامًا سَمِعْتُهُ، قَالَ: لَمْ أَسْمَعْهُ مِنْ أَحَدٍ؛ إِنَّمَا سَمِعْتُهُ مِنْكَ.

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ: فَغَلَّظَ ذَلِكَ عَلَيَّ، فَقَدِمْتُ مِصْرَ، فَلَقِيتُ اللَّيْثَ بْنَ سَعْدٍ، فَقُلْتُ: يَا أَبَا الْحَارِثِ، مَا تَقُولُ فِيمَنْ قَالَ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَحَكَيْتُ لَهُ الْكَلَامَ الَّذِي كَانَ عِنْدَ مَالِكٍ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ، فَلَقِيتُ ابْنَ لَهْبَعَةَ، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ مَا قُلْتُ لِلَّيْثِ بْنِ سَعْدٍ، وَحَكَيْتُ لَهُ الْكَلَامَ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ.

فَأَتَيْتُ مَكَّةَ، فَلَقِيتُ سُفْيَانَ بْنَ عُيَيْنَةَ، فَحَكَيْتُ لَهُ كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ، ثُمَّ قَدِمْتُ الْكُوفَةَ، فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ بْنَ عَيَّاشٍ، فَقُلْتُ لَهُ: مَا تَقُولُ فِيمَنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ، وَحَكَيْتُ لَهُ كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَ: كَافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كَافِرٌ، فَهُوَ كَافِرٌ، فَلَقِيتُ عَلِيَّ بْنَ عَاصِمٍ، وَهَشِيمًا، فَقُلْتُ لَهُمَا، وَحَكَيْتُ لَهُمَا كَلَامَ الرَّجُلِ؟ فَقَالَا: كَافِرٌ، فَلَقِيتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ إِدْرِيسَ، وَأَبَا أُسَامَةَ، وَعَبْدَةَ بْنَ سُلَيْمَانَ الْكِلَابِيَّ، وَيَحْيَى بْنَ زَكْرِيَّا، وَوَكْبَعًا، فَحَكَيْتُ لَهُمْ؟ فَقَالُوا: كَافِرٌ، فَلَقِيتُ ابْنَ الْمُبَارَكِ، وَأَبَا إِسْحَاقَ الْفَرَّازِيِّ، وَالْوَلِيدَ بْنَ مَسْلَمٍ، فَحَكَيْتُ لَهُمُ الْكَلَامَ؟ فَقَالُوا كُلُّهُمْ: كَافِرٌ^(٢).

(١) «الْمِخْن» (ص ٣٤٩).

(٢) «الْإِبَانَةُ» (٢٥١/ الرد على الجهمية)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٤١١ و ٤١٢).

وقد ذَكَرَ اللهُ القرآنَ في أربعةٍ وخمسينَ موضعًا منه؛ فلم يُشَرِّ في شيءٍ منها إلى خَلْقِهِ، وذَكَرَ الإنسانَ في ثمانيةٍ عَشَرَ موضعًا ثُلُثُ ذلك العَدَدِ؛ فصرَّحَ في جميعِها بِخَلْقِهِ؛ كما ذَكَرَهُ ابنُ عَظِيَّةَ، وقال: «وهذا يَدُلُّ على أَنَّهُ غيرُ مخلوق»^(١).

﴿ظهورُ القولِ بِخَلْقِ القرآنِ في المغرب:﴾

ولمَّا ظَهَرَ القولُ بِخَلْقِ القرآنِ في المغربِ مِن بعضِ المتكلمين؛ كسُلَيْمَانَ الفَرَّاءِ، ومُحَمَّدِ بْنِ الكَلَّاعِيِّ، وَدَّه أئِمَّةَ السُّنَّةِ، وَكُتِبُوا فِيهِ، وَقَدْ كَتَبَ ابْنُ الحَدَّادِ وإِبْرَاهِيمُ الصَّبِيَّ كِتَابًا فِي رَدِّ بَدْعَةِ القولِ بِخَلْقِ القرآنِ.

ولم يَكُنِ المسلمونَ في المغربِ يَعْرِفُونَ القولَ بِخَلْقِ القرآنِ في القرونِ الأولى، حَتَّى ظَهَرَتْ فَتْنَتُهُ فِي المَشْرِقِ، وَقَدْ هُمُّوا بِقَتْلِ سُلَيْمَانَ الفَرَّاءِ، حِينَما قَالَ بِخَلْقِ القرآنِ؛ كما ذَكَرَهُ ابْنُ عَذَارِي المَرَاكِشِي فِي «البَيَانِ»^(٢).

وَكَانَ أَهْلُ الإِسْلَامِ فِي المَغْرِبِ يَصِفُونَ القَائِلَ بِخَلْقِ القرآنِ مِنَ المَغَارِبَةِ بِأَنَّهُمْ: «أَهْلُ العِرَاقِ»؛ لِأَنَّهُمْ سَارُوا عَلَى نَهْجِهِمْ، وَأَخَذُوا بِقَوْلِهِمْ؛ أَي: أَنَّ هَذَا القولَ لَا يُعْرَفُ مِن قَبْلُ فِي بِلَادِهِمْ عِنْدَ المُسْلِمِينَ، وَإِنَّمَا يَقُولُ بِهِ بَعْضُ فَلَاسِفَةِ أَهْلِ الكِتَابِ المَغَارِبَةِ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ، الَّذِينَ أَدْخَلُوا الفَلَسَفَةَ وَعَلَّمَ الكَلَامَ فِي دِينِهِمْ عَلَى الطَّرِيقَةِ الَّتِي سَلَكَتُهَا بَعْضُ الطَّوَائِفِ الإِسْلَامِيَّةِ، وَقَدْ كَانَ الفِيلَسُوفُ مُوسَى بْنُ مِيمُونِ القُرْطُبِيُّ الْيَهُودِيُّ يَقُولُ: «بِاجْتِمَاعِ أُمَّتِنَا أَنَّ التَّوْرَةَ مَخْلُوقَةٌ»^(٣)، وَأَصْلُ فَلَاسِفَةِ

(٢) «البَيَانُ المَغْرِبِ» (١/١١٩).

(١) «المحرر الوجيز» (٥/٢٢٣).

(٣) «دلالة الحائرين» (١/١٦٢).

أهل الكتاب الذي دعاهم للقول بهذا الكلام هو أصل الفلاسفة المتسبين للإسلام، الذين قالوا: إن القرآن مخلوق!

﴿أصل فتنة خلق القرآن، والكلام النفسي:﴾

وكان أصل الفتنة في القول بخلق القرآن في المشرق والمغرب: إنما هو في المسموع والمقروء والمكتوب، والمحفوظ والمتدبر؛ وبهذا يقول الجهميَّة والمعتزلة.

حتى جاء ابن كلاب، وأثبت الكلام النفسي، وقال بخلق ما عداه من المسموع والمقروء والمحفوظ، والمكتوب والمتدبر، وظنَّ هو ومن قال بقوله: أنهم يُشْتَوْنَ الكلام، وأن قولهم خارج عن محل النزاع؛ توهمًا أن النزاع إنما هو في الكلام النفسي مع الجهميَّة والمعتزلة فحسب، وإنما النزاع في الكلام كله، وجرى مع ابن كلاب الأشاعرة؛ فأخذوا يُشْتَوْنَ الكلام لله، ويريدون به: ما قام في النفس، لا ما أدركه الإنسان بسمعه وبصره، وقلبه وعقله، وبلغه الإنسان بصوته ولسانه.

وهذا التفريق لا يُعرف قبل ابن كلاب، وكان الأئمة عند ظهور فتنة القول بخلق القرآن لا يفرقون، ويعرفون أن فتنة القول بخلق القرآن، كانت لشبهات من أعظمها: شبهة أن المسموع والمقروء منفصل عن الذات؛ فلا يكون منها؛ ولهذا قال أحمد بن حنبل في «عقيدته» التي رواها عنه قاضي قرطبة أسلم بن عبد العزيز أبو الجعد: «أشهد أن الله تبارك وتعالى يقول، وقوله الحق، خلقه خلق، وقوله بائن من خلقه ﴿لَئِنْ مَثَلٌ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩]؛ فقوله: ﴿كن﴾ ليس بمخلوق»^(١).

(١) «أخبار الفقهاء والمحلقين» (ص ٤٥ - ٤٦).

فَانْظُرْ كَيْفَ ذَكَرَ أَحْمَدُ بَيِّنُونَةَ كَلَامِ اللَّهِ مِنْ خَلْقِهِ، وَيُرِيدُ بِذَلِكَ:
المسموعَ والمقروءَ وبقِيَّةَ جهاتِهِ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ لَا حَاجَةَ لِلْقَوْلِ
بَيِّنُونَتِهِ مِنْ خَلْقِهِ.

وهذا الكلامُ من أحمدَ مما انفردَ به المَغَارِبَةُ عنه؛ ذَكَرَهُ الْحُسَيْنِيُّ
فِي «أَخْبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ»^(١)؛ مُسْنَدًا.

وعلى هذا جَرَى تَقْرِيرُ أَثْمَةِ السُّنَّةِ فِي الْفَيَرَوَانِ وَمَا وَرَاءَهَا، وَمِنْهُمْ:
ابْنُ أَبِي زَيْدٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «يَجِبُ أَنْ يُعْتَقَدَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَسْمَعَ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ كَلَامَهُ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بِغَيْرِهِ»؛ نَقَلَهُ عَنْ الْقَرَّافِيِّ فِي
«الذَّخِيرَةِ»^(٢)، وَنَحْوَهُ قَالَهُ هُوَ فِي «الْجَامِعِ»^(٣).

وَقَدْ قَالَ ابْنُ الْحَدَّادِ: «كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنَ
الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ يَعْنِي: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَكَلِّمْ
مُوسَى، وَلَمْ يَفْضُلْهُ بِكَلَامِهِ»^(٤)، وَقَوْلُهُ هُنَا: «مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ»؛
يَعْنِي: أَنَّهُ يَقْصِدُ الْكَلَامَ الْمَسْمُوعَ؛ فَاللَّهُ تَكَلَّمَ بِهِ، وَأَسْمَعَهُ مُوسَى حَقِيقَةً،
وَلَمْ يَخْلُقْهُ فِي الشَّجَرَةِ، أَوْ أَمَرَهَا فَتَكَلَّمَتْ بِهِ حَقِيقَةً.

وَيُخْطِئُ طَوَائِفُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ حَيْثُ يَظُنُّونَ أَنَّ خِلَافَ السَّلَفِ مَعَ
أَهْلِ الْبَيْدَعِ، إِنَّمَا هُوَ فِي الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ وَحْدَهُ، وَيَظُنُّونَ أَنَّهُمْ بَعِيدُونَ عَنِ
النِّزَاعِ بِإِثْبَاتِهِمْ لَهُ، وَقَوْلُهُمْ بِأَنَّ كَلَامَ اللَّهِ الْمَسْمُوعَ وَالْمَقْرُوءَ وَالْمَحْفُوظَ
مَخْلُوقٌ، وَيُسَمُّونَهُ كَلَامَ اللَّهِ مُجَازًا؛ كَمَا يَقُولُ بَعْضُ أَهْلِ الْكَلَامِ؛
كَالْأَشَاعِرَةِ.

(١) «أَخْبَارِ الْفُقَهَاءِ وَالْمُحَدِّثِينَ» (ص ٤٦).

(٢) «الذَّخِيرَةُ» (١٣/٢٣٥).

(٣) «الْجَامِعُ» (ص ١٠٧).

(٤) «رِيَاضُ النُّفُوسِ» (٧٢/٢).

﴿ الحَرْفُ وَالصَّوْتُ ﴾

ومن هنا نشأ الكلام على مسألة «الحَرْفِ والصَّوْتِ»، وأنَّ الله تكلم بكلام حرفاً وصوتاً؛ لأنَّ الكلام في اللغة في الأصل لا يُطلق إلا على ما كان بحرفٍ وصوت، وأمَّا غيره، فيحتاج إلى تقييد؛ كأن يقال: «كلامٌ مكتوبٌ»، و«كلامٌ في النفس»، والله أثبت الصوت لنفسه بقوله: ﴿مَلَأْنَاكَ حَدِيثَ مُوسَى﴾ (١٥) ﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ﴾ [النازعات: ١٥ - ١٦]، والنداء لا يكون إلا بصوت، ويقول النبي ﷺ: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرَفٍ) ^(١)، وقال ﷺ: (مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ) ^(٢)، ويقول كما في «الصحيح»: (بُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْ دُرَيْتِكَ بَعَثًا إِلَى النَّارِ) ^(٣)، وفي السنن أن المنادي هو الله ^(٤).

وقد سَمَّى الله المسموعَ كلامَهُ وَوَحْيَهُ: ﴿وَأَنَّا اخْتَرْنَاكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ [طه: ١٣]، وقال: ﴿حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦]، ولا يكون السمع في لغة العرب إلا بصوت.

وهذا ما بقرره السلفُ صحابةً وتابعين، وأتباعهم وأتباعهم؛ قال ابن مسعود: «إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ» ^(٥)؛ وهذا ما يُثَبِّتُهُ الأئمةُ؛ كأحمدَ والبخاري، وصنّف فيه أئمةُ مصنفات؛ كابن منده، وأبي نصرٍ السّجزي، والنووي، وكان الأئمةُ يشددون على المخالف في

(١) البخاري (٢٤١٩)، ومسلم (٨١٨) من حديث عمر.

(٢) الترمذي (٢٩١٠) من حديث ابن مسعود.

(٣) البخاري (٤٧٤١ و٧٤٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٤) الترمذي (٣١٦٩).

(٥) «السنة» لعبد الله (٥٣٦)، و«الإبانة» لابن بطة (١٦/الرد على الجهمية)، وعلقه

البخاري (١٤١/٩) بنحوه.

ذلك، وحُكِيَ إجماعُ الخلقِ والعقلاءِ على إثباتِ الصوتِ والحرفِ، وأنَّ القولَ بنفيه لا يُعرفُ قبلَ ابنِ كُلابٍ والقَلَانِسِيِّ، والصالحِيِّ والأشعريِّ، إلا ما كان من الجَهْمِيَّةِ والمعتزلةِ من نفْيهم لكلامِ الله كُلِّهِ.

قال أحمدُ بنُ حنبلٍ: «إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ»؛ فكان يُبْطَلُ الحكايةَ، وَيُضِلُّ القائلَ بذلك؛ كما نقلَهُ عنه عبدُ الواحدِ بنُ الحارثِ التميميُّ في «اعتقاد أحمد»^(١)، وقد نصَّ على ذلك البخاريُّ في كتابِهِ «خَلَقَ أَفْعَالُ الْعِبَادِ»^(٢)؛ فقال: «صَوْتُ اللَّهِ لَا يُشَبِّهُ صَوْتَ الْخَلْقِ؛ لِأَنَّ صَوْتَ اللَّهِ يُسْمَعُ مِنْ بَعْدٍ، كَمَا يُسْمَعُ مِنْ قُرْبٍ».

ولا يَمْنَعُ صَوْتُ اللَّهِ حَوَاجِزَ، وَلَا يَحْتَاجُ فِي إِبْلَاغِهِ إِلَى هَوَاءٍ، وَإِنَّمَا يُسْمِعُهُ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَحْجِزُ عَنْهُ مَنْ يَشَاءُ.

وكان أحمدُ يَجْعَلُ نفْيَ الصوتِ والحرفِ هو قولَ الجَهْمِيَّةِ؛ لأنه يُوَدِّي إلى أصلٍ واحدٍ، وهو التعطيلُ^(٣).

وقد نقلَ عبدُ الله، عن أبيهِ أحمدَ بنِ حنبلٍ: «أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ: لَمَّا كَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى، لَمْ يَتَكَلَّمْ بِصَوْتٍ، فَقَالَ أَبِي: بَلْ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرَوَّى كَمَا جَاءَتْ»^(٤)، ونقلَ عنه عبدُ الله المَرْوَزِيُّ وصفَهُ مَنْ ينفي الصوتَ بالجَهْمِيَّةِ^(٥).

❦ من حُجَجِ نَفَاةِ الصوتِ والحرفِ لله:

وأعظمُ ما جَمَلَ طوائفُ المتكلمينَ يقولونَ بنفيِ الصوتِ والحرفِ: أَنَّهُمْ أَصْلَحُوا قَوَاعِدَ كَلَامِيَّةٍ تَجْرِي عَلَى الْمَخْلُوقَاتِ؛ فَأَرَادُوا إِجْرَاءَهَا عَلَى

(١) «اعتقاد أحمد» (ص ٣٣ و ٣٦).

(٢) «السنَّة» لعبد الله (٥٣٤).

(٣) «السنَّة» لعبد الله (٥٣٤)، و«شرح العقيدة الأصفهانية» (ص ٦٨).

(٤) «السنَّة» (٥٣٣).

(٥) «خلق أفعال العباد» (٢/ ٢٤٠).

الخالق وصفاته؛ فَعَطَّلُوا صفات الخالق، وأَظْهَرُ حُجَجِهِمْ فِي هذا الباب هي:
 الأولى: أَنَّ الحروف والأصوات متعاقبة، وَأَنَّ الكلمة لا تكون كلمة
 إلا وحروفها متواليّة، وهذا التعاقبُ يعني حدوثها، والله منزّه عن
 الحوادث؛ وهذا يَطْرِدُون فيه، فيَتَصَوَّرُونَ التعاقبُ في صفة الاستواء
 والنزول، والقَبْضِ والبَسْط، فينفون تلك؛ لأنها حوادث، والله منزّه عنها،
 ولو أَطَرَدُوا، لَنَفَوْا تعاقب السمع والبصر؛ لأنه على أصلهم فالنظر يقتضي
 سماع الله لكلام خلقه متواليّا؛ فقول العبد: «يا رَبِّ» يَلْزَمُ منه أَنَّ السمع
 يَسْمَعُ الياء قبل الألف والراء والباء؛ وهذا حدوثٌ في السمع، كما هو
 حدوثٌ في المسموع؛ وَسَمِعَ اللهُ منزّه عن الحوادث، ومثله البصر؛ فصلاة
 العبد ركعتين؛ يُبْصِرُ اللهُ ببصره تكبيرة الإحرام قبل التسليمتين؛ وهذا
 حدوثٌ في البصر، كما هو حدوثٌ في المُبْصِر؛ والله منزّه عن الحوادث.

وَيَلْزَمُ مِنْ هذا التّأْصِيلِ: نفي السمع والبصر، وجعل السمع والبصر
 هو العلم فقط؛ ولكنَّ الله يَعْلَمُ بالفعل قبل حدوثه، ويراه عند حدوثه،
 وَيَعْلَمُ بدُعاء العبد له قبل حدوثه، وَيَسْمَعُهُ عند حدوثه.

وذلك التّأْصِيلُ الغايِذُ يَرْجِعُ إلى أَنهم اتَّخَذُوا قواعدَ تجري على
 حوادث المخلوقين؛ فجعلوها تجري على الله وصفاته، والله يفعل ما
 يشاء، كيفما شاء، متى شاء، ومن ذلك كلامه؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا
 أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]، فعَلَّقَ اللهُ الكلامَ
 بالمشيئة، وقال: ﴿إِذَا﴾ الدالّة على المستقبل.

الثانية: أَنَّ إثبات الحرف والصوت يَلْزَمُ منه إثبات الحلق واللسان،
 والحاجة للهواء؛ وهذا عَيْنُ التشبيه الذي يَسْتَقِرُّ في نفوسهم؛ والحق أنه
 لا يَلْزَمُ مِنْ إثبات الصوت والحرف حَتْمِيَّةُ إثبات تلك اللوازم، فالله أثبت

للمخلوقات الكلام والنطق والإسماع بلا حاجة لذلك، وهي جمادات؛ كما قال تعالى عن السموات والأرض: ﴿قَالَتْ أَيْنَنَا طَائِفِينَ﴾ [فصلت: ١١]، وقال عن الجبال: ﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]، وقال عن الجوارح إنها تقول: ﴿أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [فصلت: ٢١]؛ وهذا في مخلوق؛ فكيف بخالق ليس كمثله شيء؟ ١٩

ثُمَّ إِنَّ هَذَا التَّأْصِيلَ يَنْسَحِبُ عَلَى جَمِيعِ الصِّفَاتِ؛ كَالْبَصَرِ؛ فَهَلْ يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ: إِنَّ الْبَصَرَ يَحْتَاجُ إِلَى حَدَقَةٍ وَنُورٍ؛ كَمَا يَحْتَاجُ الْكَلَامُ لِحَلْقٍ وَهَوَاءٍ؟ ١٩

وهؤلاء يتوهمون أنهم إن نَفَقُوا الصَّوْتَ والحَرْفَ، وَأَثْبَتُوا الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ: أَنَّهُمْ يُثَبِّتُونَ صِفَةَ الْكَلَامِ لِلَّهِ، وَكَمَا قَالَ أَحْمَدُ عَنِ الْجَهْمِيَّةِ: «قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا، فَعَبَّرَ عَنِ اللَّهِ، وَخَلَقَ صَوْتًا، فَاسْمَعَ»^(١).

وكلامٌ متقدِّمي المالكيَّةِ يجري مَجْرَى السَّلَفِ؛ فَكَلَامُهُمْ جَارٍ فِي اثْبَاتِ أَنَّ كَلَامَ اللَّهِ كُلَّهُ غَيْرُ مَخْلُوقٍ، وَقَدْ سَأَلَ مُحَمَّدُ بْنُ سُوْحُنُونَ مَنْ قَالَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ: «أَرَأَيْتَ كُلَّ مَخْلُوقٍ: هَلْ يَذِلُّ لِخَالِقِهِ؟ فَسَكَتَ الرَّجُلُ! ثُمَّ قَالَ ابْنُ سُوْحُنُونَ: إِنَّ قَالَ: كُلُّ مَخْلُوقٍ يَذِلُّ لِخَالِقِهِ، فَقَدْ كَفَرَ؛ لِأَنَّهُ جَعَلَ الْقُرْآنَ ذَلِيلًا عَلَى مَذْهَبِهِ الَّذِي يَرَى الْقُرْآنَ مَخْلُوقًا، وَاللَّهُ يَقُولُ: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾ ١ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَرْجُلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ» [انصبت: ٤١ - ٤٢]، وَإِنْ قَالَ: إِنَّهُ لَا يَذِلُّ، فَقَدْ رَجَعَ إِلَى مَذْهَبِ أَهْلِ الْحَقِّ^(٢).

(١) «الرد على الجهمية» (ص ١٣٥ - ١٣٦).

(٢) «رياض النفوس» (١/ ٤٤٨ - ٤٤٩).

وكلامه هذا كله لا يجري على الكلام النفسي فحسب؛ لأنه استدلّ
بالكلام المكتوب المنزّل؛ كما في الآية: ﴿وَلَقَدْ لَكُنْتُ﴾، ﴿تَزِيلُ﴾،
والمكتوب والمنزّل على قولهم، ليس هو الكلام المعنوي القائم بالنفس.

وهكذا في كلام أبي عمرو الداني في «منظومته»:

وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفَصَّلِ بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ
عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقِ
مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقٌ أَوْ مُخَدَّتٌ فَقَوْلُهُ مُرَوِّقٌ
وَالْوَقْفُ فِيهِ بِذَنَةِ مُضِلَّةٍ وَمِثْلُ ذَلِكَ اللَّفْظُ عِنْدَ الْجَلَّةِ^(١)

وكلامه: في الكلام المنزّل أنّه غير مخلوق، بل بدّع القائل بالوقف

فيه.

وكلام الله الذي كلّمه لجبريل ولنبيّنا ﷺ، هو ما نسمعه ونقرؤه،
وهو غير مخلوق، ولو كانت أصوات المخلوقين وأفواههم وألسنتهم
مخلوقة؛ كما هم مخلوقون.

وقد كان الأئمة ينكرون القول بخلق القرآن لعلّه كونه مسموعاً في
الأرض، ومنزلاً إليها؛ كما قال أسد بن الفرات، وهو من تلاميذ مالك:
«وَيْحَ أَهْلِ الْبِدْعِ؛ هَلَكْتَ هَوَالِكُهم؛ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ كَلَامًا؛ يَقُولُ
ذَلِكَ الْكَلَامُ الْمَخْلُوقُ: ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾» [طه: ١٤١-١٤٢]^(٢).

وأهل اللسان العربيّ يعلمون أنّ المقصود بكلام الله غير المخلوق؛
هو المنزّل والمقروء والمسموع؛ ولهذا ذكر غير واحد منهم؛ كأبي
عبيد القاسم بن سلام: «أنّ الرجل لو حلف ألا يتكلّم بشيء، فقرأ

(١) «الأرجوزة المنبهة» (ص ١٨٠ - ١٨١).

(٢) «طبقات علماء إفريقية» (ص ٨٢).

القرآن، لم يَحْنَتْ؛ لأنَّ القرآنَ كلامُ الله^(١).

وَمِنَ الْجَهْلِ بِالْعَرَبِيَّةِ: التَّفْرِيقُ بَيْنَ كَلَامِ اللَّهِ لَفْظُهُ وَمَعْنَاهُ، وَزَعَمُ أَنَّ هَذَا مَخْلُوقٌ، وَهَذَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ اللَّغَوِيُّ: «مَا رَأَيْتُ قَوْمًا أَكْذَبَ عَلَى اللُّغَةِ مِنْ قَوْمٍ يَزْعُمُونَ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ»^(٢).

❦ الْوَاقِفَةُ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَسَبَبُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ:

وَلَا يَجُوزُ الْوُقُوفُ فِي مَسْأَلَةِ الْقُرْآنِ بِزَعْمِ التَّوَسُّطِ وَالْإِمْسَاكِ عَنْ قَوْلٍ: مَخْلُوقٌ، وَلَا غَيْرُ مَخْلُوقٍ؛ لِأَنَّ هَذَا شَكٌّ فِي صِفَاتِ اللَّهِ، وَالْوَاقِفُونَ فِي مَسْأَلَةِ كَلَامِ اللَّهِ يُسَمُّونَ: وَاقِفَةً؛ لِأَنَّهُمْ لَا قَامُوا بِالْحَقِّ، وَلَا نَامُوا عَنِ الْبَاطِلِ، وَقَدْ قَالَ أَحْمَدُ عَمَّنْ يَقُولُ بِقَوْلِ الْوَاقِفَةِ: «لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةِ!»^(٣)، وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُحَمَّدٍ الضَّعِيفُ يَقُولُ: «فَعَدُّ الْخَوَارِجِ أَحَبُّ الْخَوَارِجِ، وَقَعْدُ الْجَهْمِيَّةِ هُمْ الْوَاقِفَةُ»^(٤).

وَسَبَبُ تَشْدِيدِ الْأَثْمَةِ عَلَى الْوَاقِفَةِ: أَنَّ ظَاهِرَ الْحَالِ أَنَّهُمْ أَهْوَنُ مِنَ الْخَلْقِيَّةِ؛ لِأَنَّ الْقَوْلَ بِالْوُقُوفِ يُغْرِي ضَعْفَاءَ أَهْلِ الْحَقِّ بِهِ؛ تَوَهُّمًا لِلسَّلَامَةِ وَالتَّوَسُّطِ، فَهُوَ يُخْرِجُ أَهْلَ الْحَقِّ إِلَى الْبَاطِلِ، وَيُخْرِجُ أَهْلَ الْبَاطِلِ إِلَى بَاطِلٍ آخَرَ؛ وَلِهَذَا يَقُولُ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهَوِيَةَ: الْوَاقِفَةُ شَرٌّ عِنْدِي مِمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَدِي بِهِ غَيْرُهُ^(٥).

(١) «السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ (١٨٥١ و ١٨٥٢).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٦٢٣)، و«معجم الأدباء» (٦/٢٥٣٣).

(٣) «مسائل حرب» (١٨٠٤).

(٤) «مسائل أحمد»؛ رواية أبي داود (١٧٤٩).

(٥) «مسائل حرب» (١٨٠١)؛ وعنه الخلال في «السُّنَّة» (١٨٠١).

﴿ مِنْ أدلة القائلين بِخَلْقِ القرآن ﴾

هذا؛ ويستدلُّ الجَهميَّة والمعتزلة على خَلْقِ القرآن بعمومات القرآن

وَإِطلاقاتِهِ :

- وذلك : كإدخال القرآن في عموم خَلْقِ الله لكلِّ شيء في قوله :

﴿اللهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرَّعد: ١٦، والزُّمَر: ٦٢]؛ لأنَّهم يَرَوْنَ كلامَ الله شيئاً غيرَ الله، فيُدْخِلُونَهُ في غيرِهِ .

لكنَّ كلامَهُ منه، ثُمَّ إِنَّه قد جاء في القرآن والحديث : أَنَّ الله شيءٌ؛ كقوله تعالى : ﴿قُلْ أَتَى شَيْءٌ أَكْبَرُ شَيْئَةً قُلْ أَكْبَرُ شَيْئَةً﴾ [الأنعام: ١٩]؛ فهل يجوزُ أن يقال : إِنَّ الله تعالى خَلَقَ نَفْسَهُ؟! ومثله : القرآن، فيسمَّى شيئاً؛ كما في قوله تعالى : ﴿أَوَ قَالِ أَوْحَى إِلَيْكَ وَلَمْ يُوْحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ [الأنعام: ٩٣]، وفي حديثٍ سهلٍ؛ قال ﷺ : (أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟) ^(١)، فإذا لم يدْخُلِ اللهُ في الشيء المخلوق، فكذلك كلامُهُ؛ لأنَّه منه .

وكذلك : فَإِنَّ العمومَ يُطْلَقُ في القرآن، وله ما يَخْصُصُهُ مِنَ الحِصِّ وغيرِهِ؛ كقوله تعالى عن رِيحِ قَوْمٍ عادٍ : ﴿تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ [الاحقاف: ٢٥]، وقولِ الله تعالى عن بَلْقِيسَ : ﴿وَأَوْثِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الشُّعْل: ٢٣]؛ وهذا لا يُمكنُ القولُ بعمومه .

- ومن الأُخذِ بالعموماتِ عند الجَهميَّة والمعتزلة : استدلالُهم على خَلْقِ القرآن بقوله تعالى : ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الفرقان: ٥٩، والسُّجدة: ٤]؛ لأنَّ القرآن موجودٌ بينهما .

ولو قيلَ بالعموم، لَلَزِمَ القولُ بأنَّ ما كان فوقَ السمواتِ غيرُ

(١) البخاري (٥١٣٢ و ٥١٣٥ و ٥١٤٩ و ٧٤١٧)، ومسلم (١٤٢٥)، واللفظ للبخاري .

مخلوق؛ لَأَنَّ الْآيَةَ جَعَلَتْ خَلَقَ اللَّهُ هُوَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا، ومعلومٌ أَنَّهُ فوقَ السَّمَوَاتِ أَشْيَاءٌ مَخْلُوقَةٌ، فإذا جازَ أَنْ يَكُونَ فوقَ السَّمَوَاتِ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ، فيجوزُ كذلكَ أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا شَيْءٌ غَيْرُ مخلوقٍ.

ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ فَرَّقَ بَيْنَ كَلَامِهِ، وَهُوَ (أَمْرُهُ)، وَبَيْنَ خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُنَّ؛ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطَّلَافُ: ١٢]؛ فَوَصَفَ الْأَمْرَ بِالنَّزِيلِ، وَالسَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْخَلْقِ، وَأَمَرَ اللَّهَ: كَلَامُهُ وَقَوْلُهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

- وكذلك: فَإِنَّ اسْتِدْلَالَهُمْ بِمَجِيءِ الْبَقَرَةِ وَالْإِغْرَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى كَوْنِهِمَا مَخْلُوقَتَيْنِ - كَمَا فِي الْحَدِيثِ^(١) - لَا زِمَ لِلْقَوْلِ بِذَلِكَ عَلَى اللَّهِ؛ لَأَنَّ اللَّهَ يَقُولُ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [التَّجْوِيزُ: ٢٢]، وَكَلَامُهُ مِنْهُ تَعَالَى.

- وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ تُحَدِّثُ﴾ [الْأَنْبِيَاءُ: ٢]، يَرَادُ بِهِ: مُحَدِّثٌ مِنَ الْعَرْشِ؛ لِأَنَّهُ أَخْبَرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْكِتَابِ مِنَ الْعَرْشِ؛ كَمَا قَالَ إِسْحَاقُ بْنُ رَاهُوَيْه^(٢).

وَالنَّزُولُ قَدْ يَتَكَرَّرُ، فَيُسَمَّى آخِرُهَا: أَخَذَتْهَا؛ فَاللَّهُ تَعَالَى يَنْزِلُ كُلَّ لَيْلَةٍ نَزُولًا يَلِيقُ بِهِ وَحْدَهُ، وَنَزُولُهُ اللَّيْلَةَ أَحَدُثُ مِنْ نَزُولِهِ لَيْلَةَ أَمْسٍ.

وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ بَعْضَ كَلَامِهِ بِالسَّبْقِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾ [يُونُسُ: ١٩، وَهُودُ: ١١٠، وَطه: ١٢٩، وَفُصِّلَتْ: ٤٥، وَالشُّورَى: ١٤]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا﴾ [الصَّافَّاتُ: ١٧١].

(١) مسلم (٨٠٤) من حديث أبي أمامة. (٢) مسائل حرب (١٨٠٥).

ويقابله قوله تعالى: ﴿مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ١٤٥]،
وآل عمران: ٦١؛ فهنا حدوث المجيء لكلام الله وهو علمه، وهكذا يكون
في الصفات الفعلية؛ من الخلق والرزق، والإحياء والإماتة، والقَبْضِ
والبَسْطِ، ثُمَّ إِنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَى فِرْعَوْنَ سَابِقٌ لِعَظَمِهِ عَلَى أَبِي لَهَبٍ.

وكلمة: ﴿مُحَدَّثٌ﴾ [الأنبياء: ٢، والشعراء: ٥] في الآية: لا يراد بها
المعنى الاصطلاحي عند المتكلمين الذي أصْلُوهُ على المخلوقات؛ فنزّلوه
على الخالق، فغلب هذا المعنى لديهم؛ ولهذا كان بعض السلف ينهى
عن وصف القرآن بـ: «مُحَدَّثٌ»؛ كقبيصة؛ فقد كان يقول: «مَنْ قَالَ:
«مُحَدَّثٌ»، فَهُوَ يَقُولُ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَمَنْ قَالَ: إِنَّهُ مَخْلُوقٌ، فَهُوَ كَافِرٌ
بِاللَّهِ»^(١).

ومهما كان القرآن على جهة أو تصريح - مسموع أو مكتوب، أو
مقروء أو محفوظ أو متدبر - فهو كلام الله غير مخلوق، ومن الله،
وربما يتهيب الإنسان لأجل خيال المماثلة والتشبيه من قول ذلك،
فيستبشع الكلام بما ورد بالنص؛ ولهذا كان أحمد يقول لبعض
أصحابه: «لَا تَجْزَعْ أَنْ تَقُولَ: ذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ
ذَاتِ اللَّهِ»^(٢).

وفي خبر ابن عباس: (أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ)^(٣): دليل على أن
كلامه غير مخلوق؛ لأن الله لم يخل من الكلام والعلم؛ فلا يقال: إن الله
لم يتكلم إلا بعد خلق القلم، ولكن كلامه غير مخلوق، وهو من
ذات الله؛ ولهذا لا يُذكر في مخلوقاته.

(٢) «السنة» للخلال (١٨٤٥).

(١) «السنة» للخلال (١٩٤١).

(٣) ابن أبي شيبة (٣٧٠٢٣ و ٣٧٠٢٤).

﴿ صفة التجلي لله تعالى : ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ : ﴿ وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ فَصَارَ دَكًّا مِنْ جَلَالِهِ ﴾ :

تَجَلَّى اللهُ لِلْجَبَلِ : حقيقةٌ تليقُ به ، لا كَتَجَلَّى المخلوقين ؛ قال تعالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، والتجلى : صفةٌ فعليةٌ خبريةٌ ، وهي بمعنى الظهور والبيان^(١) ، ومقتضى اللسان العربي : حَمَلُهُ عَلَى ذَلِكَ ؛ فالقرآن نَزَلَ به ، وقد جاء إثباتُ التجلي على الحقيقة في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه ، في «المسند»^(٢) .

وعلى هذا المعنى من الإثبات يجري السلف وأهل السنة ؛ فلا يتأولون ما وردَ على معنى يتكلفونه ليخرجوا به عن المعنى المتوهم الذي يحذرون .

وقد قال ابن عبد البر : «وقول رسول الله ﷺ : (يُنْزَلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا) ، عندهم مثل قول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ [الأعراف: ١٤٣] ، ومثل قوله : ﴿ وَجَاءَ رُكُوكُكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا ﴾ [الفجر: ٢٢] ؛ كلهم يقولون : يَنْزِلُ وَيَتَجَلَّى ويحيى ، بلا كيف ، لا يقولون : كيف يحيى ؟ وكيف يتجلى ؟ وكيف ينزل ؟ ولا : من أين جاء ؟ ولا : من أين تجلى ؟ ولا : من أين ينزل ؟ لأنه ليس كشيء من خلقه ، وتعالى عن الأشياء ، ولا شريك له .

وفي قول الله ﷻ : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ ﴾ دلالة واضحة أنه لم يكن قبل ذلك متجليًا للجبل ، وفي ذلك ما يفسر معنى حديث التنزيل .

(١) معاني القرآن للزجاج (٢/٣٧٣) .

(٢) أحمد (٣/١٢٥) و٢٠٩ رقم ١٢٢٦٠ و١٣١٧٨ .

وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقِفَ عَلَى أَقَاوِيلِ الْعُلَمَاءِ فِي قَوْلِهِ ﷺ: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ
رَبُّهُ لِلْجَبَلِ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فَلْيَنْظُرْ فِي تَفْسِيرِ بَقِيٍّ بْنِ مَخْلَدٍ، وَمُحَمَّدِ بْنِ
جَرِيرٍ، وَلْيَقِفْ عَلَى مَا ذَكَرَا مِنْ ذَلِكَ، ففِيمَا ذَكَرَا مِنْهُ كَفَايَةٌ^(١).

﴿صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى﴾

وَيُثَبِّتُ النُّزُولُ كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ عَلَى الْحَقِيقَةِ بِلا نَاقِلٍ
وَلَا تَشْبِيهِ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَمَنْ يَتَأَوَّلُ النُّزُولَ أَوْ يَعْطِلُهُ يَسْتَحْضِرُ
أَحْوَالًا تُشَابِهُ الْمَخْلُوقَ، وَالْحَرَكَةَ وَالْإِنْتِقَالَ لَمْ يَرِدْ بِهَا النَّصُّ، فَتُتْرَكُ،
وَلَا تُثَبِّتُ وَلَا تُنْفَى؛ وَقَوْفًا عَلَى النَّصِّ؛ كَمَا كَانَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِأَمْرٍ
بِذَلِكَ، يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: «كُنْتُ أَنَا وَأَبِي فِي الْمَسْجِدِ، فَسَمِعَ
قَاصًّا يَقْصُ فِي حَدِيثِ النُّزُولِ؛ فَقَالَ: «إِذَا كَانَ لَيْلَةُ النُّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ،
يَنْزِلُ اللَّهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا بِلا رَوَّالٍ، وَلَا انْتِقَالٍ، وَلَا تَغْيِيرٍ حَالٍ؛ فَارْتَعَدَ
أَبِي وَاصْفَرَ لَوْنُهُ، وَلَزِمَ يَدَيَّ، فَأَمْسَكْتُهُ حَتَّى سَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: قِفْ بِنَا عَلَى
هَذَا الْمُنْخَرِصِ، فَلَمَّا حَازَاهُ، قَالَ: يَا هَذَا؛ رَسُولُ اللَّهِ أَغْيَرُ عَلَى رَبِّكَ
مِنْكَ؛ قُلْ كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ،» وَانصَرَفَ^(٢).

وَمِنْ الْأَثْمَةِ: مَنْ يُثَبِّتُ ذَلِكَ؛ كَحَرْبِ الْكِرْمَانِيِّ^(٣)، وَعُثْمَانَ
الدَّارِمِيِّ^(٤).

وَمِنْهُمْ: مَنْ يَنْفِيهِ؛ كَأَبِي الْحَسَنِ التَّمِيمِيِّ^(٥)، وَأَبِي مُحَمَّدٍ مَكِّيٍّ بْنِ
أَبِي طَالِبٍ فِي كِتَابِ «الْهُدَايَةِ»، إِلَى بُلُوغِ النِّهَايَةِ^(٦)، وَمِنْهُمْ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ^(٧).

(١) «التمهيد» (١٥٣/٧).

(٢) «الانقضاء في الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٣) «مسائل حرب» (٢٦/١٥٦٠).

(٤) «التفصيص» (١/٢١٥ - ٣٥٥ - ٣٥٦).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤٠٢/٥).

(٦) «الهداية» (١/٢٠٩ و ٦٩٠)، و (١٢/٧٦٧٧ - ٧٦٧٨).

(٧) «التمهيد» (١٣٦/٧ - ١٣٧).

وطائفة ثالثة: تُثبِتُ المعنى، وتتوقَّفُ عن اللفظ؛ لعدم وروده^(١).
والإمساك عن الزيادة على النصِّ أحوط؛ كما فعله أحمد؛ وهذا
لا يُنافي الحقيقة بإثبات النزول والتجلي لله حقيقة؛ بلا تأويل ولا تشبيه
ولا تكيف.

والزيادة على النصِّ قد تدفع صاحبها إلى تأويل صفات أخرى عن
حقيقتها أو القول بما لم يرد فيه النصُّ؛ كمسألة خلوّ المكان عند
النزول؛ فلما سُئِلَ ابنُ المبارك؛ فقبل له: «كيف ينزل الله؛ أليس يخلو
ذلك المكان؟ فقال: ينزل كيف شاء»^(٢)؛ فلم تدفع ابنُ المبارك زيادة
السائل على النصِّ إلى تأويل الصفة، بل أثبتّها، وأرجع السائل إلى
مشيئة الله، بما تضمن تخطئة السائل.

ومن أثبت صفة الاستواء والنزول على حقيقة تليق بالله لا كما يليق
بالمخلوق، لا يبدع لنفي الحركة والانتقال، وإن كانت السُّنة الوقوف
على النصِّ؛ وقد سأل عبد الله بن طاهر إسحاق مستكراً عن الأحاديث
التي فيها: يصعد، وينزل؟ فقال إسحاق: «تقول: إن الله يقلد على أن
ينزل ويصعد ولا يتحرك؟ قال: نعم، قال: فلم تُنكر؟»^(٣).

والمتكلمون يتأولون النزول والمجيء وغيرهما لاستحضار ما
لا يرون صحة نسبته للخالق، ولو سلموا من هذا الاستحضار المبنّي على
القياس لصحّ لهم الاعتقاد، وكثير منهم يُظهرون التأويل ويكتمون
التوهمات، وهي أصل ما ظهر من تأويلهم، وكان الأئمة يُثبتون النزول
حقيقةً ويُنصّون على بطلان تأويلهم له؛ كما قال عبد القادر الجيلاني في

(٢) «عقيدة السلف» للصابوني (ص ٥١).

(١) الموضع السابق.

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٧٧٤)، و«إبطال التأويلات» (٢٢).

أصول الدين - لَمَّا أَثَبَّتَ النزولَ حقيقةً -: لا بمعنى نزول رحمته وثوابه على ما ادَّعَتِ المعتزلة والأشعرية^(١).

﴿ القرآن كلام الله غير مخلوق ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَسِيْدُ، وَلَا صِفَةً لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقَدُ﴾:

أراد ابن أبي زيد أن يبيِّن: أنَّ المراد بكلام الله: هو ما بين أيدينا من المسموع والمتلو، والمكتوب والمحفوظ، وليس قصْرُهُ على ما في النَّفْسِ؛ فإنَّ هذا القصرَ ليس بمعروفٍ في كلام السلف، وكلامه هذا مأخوذٌ من كلام مالك؛ كما نقله عنه في «الجامع»: «الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، وَكَلَامُهُ لَا يَبِيدُ وَلَا يَنْقَدُ، وَلَيْسَ بِمَخْلُوقٍ»^(٢).

لأنَّ الله باقٍ، فيبقى كلامه، وليس بمخلوقٍ، حتى يخلق كلامه، وحكمُ الصفة حكمُ الذات، ومن قال بخلق الصفة، فيلزمه القول بخلق الذات؛ تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

والسلف يعلمون: أنَّ كلام الله هو هذا الخارج منه المسموع والمقروء، والمكتوب والمحفوظ، وليس الكلام النَّفْسِي في الذات؛ كما يقول بعض المتكلمين^(٣)؛ ولهذا نقل عمرو بن دينار ما أدرك عليه الصحابة؛ وهو: «أنَّ الله الخالق، وما سواه مخلوق؛ إلا القرآن؛ فإنه كلام الله، منه خرج، وإليه يعود»^(٤)، ونحو هذا قال ابن عُيَيْنَةَ: «القرآنُ

(١) «أصول الدين» (ص ١٢١).

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣).

(٣) «الإنصاف» للباقلاني (ص ١٠١، ١٠٣)، و«غاية المرام» للآمدي (ص ٨٨).

(٤) «الرد على الجهمية» للدارمي (٣٤٤)، و«مسائل حرب» (١٨٢١).

خَرَجَ مِنْ اللَّهِ^(١)، وَبَنَحُوهُ قَالَ أَحْمَدُ^(٢)، وَكَوْنُهُ مَسْمُوعًا وَمَقْرُوعًا لَا يَعْنِي؛ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْهُ، أَوْ أَنَّهُ بَائِنٌ عَنْهُ؛ كَمَا قَالَ أَحْمَدُ^(٣)؛ «كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِبَائِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ».

وَيَقُولُ يَشْرُ بْنُ الْحَارِثِ الْحَافِي: «نَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ قَوْلٌ، وَخَلْقُهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَائِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، وَخَلْقُهُ بَائِنٌ مِنْ قَوْلِهِ»^(٤).

وَقَوْلُهُمْ هَذَا دَفْعًا لَتَوَهُمِ أَنَّ الْمَسْمُوعَ وَالْمَقْرُوعَ وَالْمَكْتُوبَ يَجْعَلُهُ سَمْعُهُ وَقِرَاءَتُهُ وَكِتَابَتُهُ مَخْلُوقًا؛ بَلْ هُوَ مَبَايِنٌ لِلْمَخْلُوقِ، وَهَذَا لَا يَقَالُ لِمَا قَامَ بِذَاتِ اللَّهِ؛ كَمَا يَقُولُ الْمُتَكَلِّمُونَ مِنَ الْكَلَامِ النَّفْسِيِّ؛ لِأَنَّهُ لَا يُتَوَهُمُ بَيِّنَتُهُ.

الإيمان بالقدر:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ، حُلُوهُ وَمُرَّةُ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَرَهُ اللَّهُ رَبَّنَا، وَمَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضَلُّرُهَا عَنْ قَضَائِهِ﴾:

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ وَاجِبٌ؛ كَمَلُ عِلْمِ اللَّهِ، فَكَمَلُ تَقْدِيرِهِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا﴾ [الفرقان: ٢]، وَقَالَ: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمr: ٤٩]، وَقَالَ: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٨].

وَعِنْدَمَا سُئِلَ النَّبِيُّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنَّ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ)^(٥)، وَقَالَ ﷺ: (كُلُّ شَيْءٍ بِقَدْرِ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَبْسُ)^(٦).

(١) «الشَّئْءُ» لِلْخَلَالِ (١٩١٣).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧).

(٤) «العرش» (٢١٦)، و«العلو» (٤٦٥)، و«الأربعين في صفات رب العالمين» (١٦).

(٥) مسلم (٨) من حديث عمر. (٦) مسلم (٢٦٥٥) من حديث ابن عمر.

- (١) «الاستذكار» (١٨/٢١٠ و ٢٦/٩٥)، و«شرح النووي» (١/١٥٥ و ١٦/١٩٥ - ١٩٦)، و«فتح الباري» (١١/٤٧٨).
- (٢) «القدر» للفريابي (٢٠٥)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٢٢٤).
- (٣) «شرح القصائد المشهورات» (٢/٦١٧)، و«شرح المعلقات السبع» للزوزني (ص ٢١٦)، و«شرح القصائد العشر» للتبريزي (ص ٢١٩).
- (٤) «ديوان لبدي» (ص ١٧١/دار صادر). (٥) «ديوان عترة» (ص ٩٢).
- (٦) «أُمالي القاضي» (١/١٦٩).
- (٧) «الدعاء» للطبراني (٣٣)، و«المستترك» للحاكم (١/٤٩٢) من حديث عائشة.
- (٨) ابن أبي شبة (٣٢٥١٣)، والحاكم (٢/٤٠٥).

وكلُّ مَنْ صَحَّ لَهُ الْعَقْلُ، آمَنَ أَنَّ مَنْ ثَبَّتَ لَهُ كِمَالُ الْعِلْمِ، فَإِنَّهُ يَثْبُتُ لَهُ كِمَالُ التَّقْدِيرِ، وَهَذَا الْكُونُ وَالْخَلْقُ بِنِظَائِهِ وَدِقَّتِهِ وَثَبَاتِهِ، وَتِلَازُمِ أَسْبَابِهِ بِمُسَبِّبَاتِهِ، أَمَادًا لَا يُحْصِيهَا إِلَّا اللَّهُ، لَا يَكُونُ إِلَّا بِتِمَامِ عِلْمٍ، وَإِحْكَامِ خَلْقٍ، وَدِقَّةِ تَقْدِيرٍ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْخَلْقَ مُتِلَازِمًا مَعَ الْعِلْمِ وَالتَّقْدِيرِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْثَرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

وَإِذَا كَانَ لِلَّهِ كِمَالُ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ، فَذَلِكَ يُثَبِّتُ لَهُ التَّقْدِيرَ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقْدِرُ إِلَّا عَالِمٌ قَادِرٌ، وَمَنْ نَفَى التَّقْدِيرَ، فَيُلْزَمُ بِنَفْيِ الْعِلْمِ وَالْقُدْرَةِ؛ فَالْقَادِرُ عَلَى خَلْقِ الْأَشْيَاءِ هُوَ الْأَعْلَمُ بِهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المالك: ١٤]، وَقَالَ: ﴿وَعَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]؛ وَالْعَالِمُ وَالْقَادِرُ هُوَ الْمُقَدِّرُ لَهَا أَفْعَالُهَا، وَالْمُدَبِّرُ لَهَا أَرْزَاقُهَا، وَنِظَامُ حَيَاتِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ أَسْمَاءٍ وَالْأَرْضُ﴾ [فاطر: ٢٣].

وَقَدْ كَانَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ؛ كَأَحْمَدَ، يَسْمِي الْقَدَرَ: «قُدْرَةُ اللَّهِ»^(١). وَكَانَ مَالِكٌ يَشَدُّ عَلَى مُنْكَرِي الْقَدَرِ، وَيَرَى أَنَّهُمْ يُسْتَتَابُونَ؛ فَإِنْ تَابُوا، وَإِلَّا قُتِلُوا، وَكَانَ لَا يَرَى الصَّلَاةَ خَلْفَهُمْ، وَلَا يَرَى تَزْوِجَهُمْ؛ وَيَسْتَدِلُّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١].

تقدير الخير والشر:

وَكُلُّ شَيْءٍ بِتَقْدِيرِ اللَّهِ؛ خَيْرًا كَانَ أَوْ شَرًّا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ؛

(١) «السنة» للخلال (٩٠٤).

قال ﷺ: (وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) ^(١)، ويُروى في حديث جابر؛ قال ﷺ: (لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) ^(٢).

والله لا يقدّر لعباده شراً محضاً، كما أنه لا يخلق شراً محضاً ولا راجحاً على الخير ولا مساوياً له، إلا وهو يؤول إلى خير في عموميه، وقد يرى العباد وجهاً من وجوه التقدير، فيرون شراً محضاً أو غالباً أو مساوياً، ويخفى عنهم ما لو رأوه، لعلموا عظيم خلق الله وتقديره وحكمته.

وقد شرع الله الاستعاذة من الشرّ النسيبي الذي يراه العبد من القضاء عليه؛ كما في «الصحيحين»؛ قال ﷺ: (تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَذَرِكِ الشَّقَاءَ، وَسُوءَ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ) ^(٣).

والعقل قبل النقل دالٌّ على أنّ الخالق لا يخلق شراً محضاً، بل يُقرُّ بهذا فلاسفة؛ كباروخ سبينوزا؛ كما في «الرسالة الموجزة في الله والإنسان»، وكان من أصل يهودي، فيرى بُدُو الشرِّ في الدنيا؛ لأنّ إدراك الناس ضعيفٌ محدود؛ لكونه ينظر من ناحية؛ فينقص نظره للأحداث؛ حيث يتلقى الشرّ من ناحيته التي يرى فحسب.

ومن لم يسلم للنقل، لم يستقر له رأي على قدم؛ فالعقول مهما بلغت، تتباين نتائجها في الأمر الواحد:

فأفلاطون يرى الشرّ من الجهل، ليس من الآلهة وتقديرها، وسقراط ينفي القدر كله.

(١) مسلم (٨) من حديث عمر. (٢) الترمذي (٢١٤٤).

(٣) البخاري (٦٣٤٧ و ٦٦١٦)، ومسلم (٢٧٠٧) من حديث أبي هريرة.

❦ لا يُنسَبُ الشرُّ إلى الله :

وليس من الأدب مع الله نسبة الشرِّ إليه على سبيل التخصيص ؛ وقد قال النبي ﷺ ؛ كما في «مسلم» : (وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي بَدَنِكَ ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ) (١) .

ومن أدب إبراهيم الخليل مع ربه : قوله : ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء : ٨٠] ؛ فنسب المرضَ إلى نفسه ، والشفاء إلى الله ، مع أن كل شيء من الله .

وكذلك في قول الحضير لما كان يخرق السفينة ، وظاهره شر ؛ قال : ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف : ٧٩] ؛ فنسب عيبها إلى نفسه ، ولكنه لما ذكر الخير الحاصل للغلامين ، نسبهُ إلى الله ؛ فقال : ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾ [الكهف : ٨٢] ، مع أنه هو الذي خرق السفينة ، وهو الذي أقام الجدار ، ولكن الله جعلهُ سبباً ، والله لا يُقلَّدُ شراً محضاً ؛ فنسب الخير إلى الله ، ونسب الشرَّ الظاهر إلى غيره .

والشبهة التي جعلت قدماء الفلاسفة من أرباب الملل ، ينفون علم الله بخلقهِ ، هي وجود الشرِّ في الكون ، وقد بين مذهبهم وشرحه ابن ميمون القرطبي الفيلسوف اليهودي (٢) .

وقد قرَّ بعضُ الفلاسفة والمتكلمين إلى نفي نسبة تقدير الشرِّ إلى الله ، وأراد تنزيه الله ، فوقَّع فيما هو أعظم من ذلك ، وهو : أن يجعل في الكون مدبراً وخالقاً غير الله ، وأنه يكون في كونه ما لا يُريدُهُ ؛ فيُعصى وهو لا يُريدُ العصيان قلراً ؛ تعالى الله عن ذلك .

(١) مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب .

(٢) «دلالة الحائرين» (٣/ ٥١٨ - ٥٢٠) .

ولم تكن العرب تعرف إنكار القدر حتى دخلت فيهم العلوم
الفلسفية والكلامية، اليونانية والفارسية والهندية؛ فظهر نفى القدر في
العراق والشام قبل غيرهما.

وكان أول من أشهر القدر: مَعْبُدُ الجُهَنِيِّ، وقد أخذه من نصراني
يقال له: سَوَسَن^(١)، ولم تكن النصارى على قول واحد في القدر:

فمنهم: جَبْرِيَّةٌ؛ كَالنُّسْطُورِيِّينَ.

ومنهم: قَدَرِيَّةٌ؛ كَالْبَعَاقِبَةِ.

ومنهم: مُتَوَسِّطُونَ؛ كَأَوْعَظُطِينَ.

وَمَنْ كَذَّبَ بِالْقَدْرِ، لَزِمَهُ زَوَالُ أَشْيَاءٍ عَظِيمَةٍ لَا يَصْحُحُ بَزْوَالُهَا إِيْمَانٌ؛
فَلَا يَصْحُحُ مِنْ نَافِي الْقَدْرِ تَوَكُّلٌ عَلَى اللَّهِ، وَلَا رَجَاءٌ، وَلَا دَعَاءٌ لَهُ،
وَلَا رِضًا بِمَا يُنْزَلُ مِنَ الْبَلَاءِ؛ إِذْ كَيْفَ يُسْأَلُ مَنْ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْعَطَاءِ
وَالِاخْتِيَارِ فِي الْكُونِ؟! وَكَيْفَ يُتَوَكَّلُ عَلَيْهِ وَيُرْجَى وَيَرْضَى عَلَى تَقْدِيرِهِ،
وَهُوَ لَمْ يَقْدِرْ؟!

الجدال في القدر:

وَالْقَدَرُ: مِنْ أَسْرَارِ اللَّهِ الَّتِي لَا يَجُوزُ الْخَوْضُ فِيهَا بِغَيْرِ مَا وَرَدَ فِي
الشَّرْعِ؛ فَلَا مَجَالَ لِلْعَقْلِ أَنْ يَصِلَ إِلَى غَايَتِهِ وَنَتِيجَتِهِ الَّتِي يَنْتَهِي إِلَيْهَا،
وَالْعَقْلُ إِنَّمَا تَبَحُّثُ فِي مُمَكِّنَاتِ الْإِدْرَاكِ الْعَقْلِيِّ، لَا فِي مُحَالَاتِهِ، فَبَحْثُهَا
فِي مُحَالَاتِهِ لَيْسَ لَهَا؛ فَاللَّهُ نَهَى عَنِ الْخَوْضِ فِي كُلِّ مَا لَا سَبِيلَ
لِلْإِدْرَاكِ، وَلَا الْعِلْمَ بِهِ؛ قَالَ نَعَالِي: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾
[الإسراء: ٣٦].

(١) «القدر» للفرابي (٣٤٨)، وشرح أصول الاعتقاد (١٣٩٨).

والنهي عن بحث غيب القدر إنما هو لعجز العقل عن إدراكه، لا لكونه في ذاته لا يدرك؛ فالله يعلمه؛ لأنه مقدره، وقادر سبحانه أن يجعل من شاء من خلقه مديركا له، ولكنه جعل ذلك في دينه سرا يؤمن به، ولا يبحث عنه.

ولهذا جاء الرحي بالآيمان بالقدر فقط، وجاء في الأدلة ما يقتضي الإمساك، بل ويأمر به؛ فقد كان النبي ﷺ يسأل عن العمل والقضاء، فيقول: (اعملوا؛ فكل مبسر لما خلق له)^(١)، وقد دخل على أصحابه وهم يتنازعون في القدر، فاحمر وجهه، وقال: (أبهذا أمرتم؟ أم بهذا أرسلت إليكم؟) إنما هلك من كان قبلكم حين تنازعوا في هذا الأمر^(٢)، ويروى عن ابن مسعود: «إذا ذكر القدر، فأمسكوا»^(٣)، وهو كما قال ابن عبد البر: «لا يدرك بجِدال، ولا يشفي منه مقال»^(٤).

﴿أفعال العباد وخلقها﴾

وأفعال العباد مخلوقة كلواتهم؛ كما قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، وأفعالهم شيء، و﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الزمر: ٦٢]، ولكن ذواتهم خلقت بلا اختيار منهم، وأما أفعالهم، فخلقت باختيارهم، والقرآن مليء بالدلالة على ذلك، وتلك الآيات الدالة على خلق أفعال العباد، هي أثقل الآيات على المعتزلة؛ حتى كتب القاضي عبد الجبار كتابين؛ تعسفا وتكلفا في تأويلها وتحريفها^(٥).

(١) البخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧) من حديث علي.

(٢) الترمذي (٢١٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٣) الطبراني في «الكبير» (١٩٨/١٠ رقم ١٠٤٤٨) من حديث ابن مسعود؛ مرفوعا.

(٤) «التمهيد» (١٣٩/٣ و ١٣/٦ - ١٤).

(٥) انظر: «شرح الأصول الخمسة» (ص ٣٢٣)، و«المغني في أبواب العدل» (٣/٨).

ولم يكن السلف وأنمة الصّدر الأوّل يشكّون في خلق أفعال العباد، حتى قيل بنفي القدر؛ فتبعه القول بخلق العباد لأفعالهم، وقد قال رسول الله ﷺ: (إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعْتُهُ)^(١)، وقال حذيفة: «إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَانِعَ الْحَزَمِ وَصَنَعْتُهُ»^(٢).

وقد نشأ القول بنفي القدر في المشرق، ولم يكن معروفاً في المغرب، حتى انتقلت أقوال المعتزلة إلى المغرب، وكان الأئمة ينكرونها على من أظهره فيهم، وقد كان محمد بن سحنون يقول في ردّ قول بعض أهل الاعتزال: «الإقرار غير مخلوق، وما سوى ذلك من الأعمال مخلوقة»^(٣).

وجعل الله للمكلفين مشيئة يختارون بها الخير والشر، ثم يحاسبهم على ما اختاروه، فإذا ارتفع الاختيار منهم، ارتفع التكليف عليهم؛ كالفرق بين القائم والنائم، والعاقِل والمجنون، والعايد والمخطئ، والذاكر والناسي، والعالم والجاهل؛ فهؤلاء قد يتساوى تصرفهم في الظاهر بالذنب بفعل المحذور، وترك المأمور؛ فيحاسب الأوّل، ولا يحاسب الثاني؛ لأنّ الاختيار في الأوّل وجّد، وفي الثاني فُقد؛ فتبعه الحساب والعقاب، وجوداً وعدماً.

﴿أمر الله ونهيهِ وقدرهُ، وتوهم بعض النفوس الظلم:﴾

وقد توهمت القدرية - من المعتزلة وغيرهم - : أن القول بإثبات القدر يلزم منه القول بظلم الله لعباده؛ فيكون ذلك حجة للعباد على

(١) «خلق أفعال العباد» (١٢٤)، والسنة لابن أبي عاصم (٣٥٧ و ٣٥٨) من حديث حذيفة مرفوعاً.

(٢) «رياض النفوس» (١/٤٥٤).

(٣) «خلق أفعال العباد» (١٢٥).

ربهم؛ فيريدون تنزيه الله عن فعل القبيح من الظلم والتعسف؛ فنقوا القدر بشيء متوهم دخلوا فيه؛ فشبهوا قدر الله بإكراه المخلوق للمخلوق.

والنسبية المتوهم: أصل ضلال الفرق في الله، وفي أسمائه وصفاته؛ قال الله مثبتاً لقدره: ﴿كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْتُهُ بِقَدْرٍ﴾ [القمر: ٤٩]، وقال مثبتاً لحجته التامة على الخلق: ﴿فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ﴾ [الأنعام: ١٤٩]، وقال نافية للظلم عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَمِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

ولا يلزم من إثبات ما في هذه الآيات القول بالتناقض، وقد كان توهم الظلم يقع في بعض النفوس حتى في الصدر الأول؛ وذلك لضعف العقل وقصوره عن فهم دقائق القدر وسره:

ففي «صحيح مسلم»، عن أبي الأسود الدبيلي؛ قال: «قال لي عمران بن الحصين: أرايت ما يعمل الناس اليوم، ويكذحون فيه؛ أشيء قضى عليهم، ومضى عليهم من قدر ما سبق، أو فيما يستقبلون به مما آتاهم به نبيهم، وثبتت الحجة عليهم؟

فقلت: بل شيء قضى عليهم، ومضى عليهم.

قال: فقال: أفلا يكون ظلماً؟

قال: ففرغت فزعاً شديداً، وقلت: كل شيء خلق الله، ومليك يده؛ فـ ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

فقال لي: برحمتك الله؛ إني لم أرَ بما سألتك إلا لأخبر عقلت^(١).

وكان الأئمة من السلف - ومن تبعهم من أهل الحديث والفقه والعربية - يدركون أن لا تناقض بين الإيمان بالقدر، وبين إيجاب العمل

والحساب عليه؛ يقول أبو عمرو بن العلاء: «أشهد أن الله يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، والله علينا الحُجَّةُ، وَمَنْ قَالَ: تَعَالَى أَحَاصِمُكَ، قُلْتُ لَهُ: أَغْنِ عَنَّا نَفْسَكَ»^(١)؛ فَيُثَبِّتُ الْقَدَرَ، وَيُمْسِكُ عَنِ الْجِدَالِ فِيهِ.

وكان ابنُ العلاء - وهو من أهل القرن الثاني - من أعلم أهل العربية باللسان، وَحُجَّتُهُ وَعِلْمُهُ الْعَرَبِيَّ عَامَّةً مِنْ كَلَامٍ وَبَيَانِ الْجَاهِلِيِّينَ وَقَصَاحَتِهِمْ؛ قَالَ الْأَصْمَعِيُّ: «جَلَسْتُ إِلَى أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ عَشَرَ حَجَجٍ، فَلَمْ أَسْمَعْهُ يَخْرُجُ بَيْتَ إِسْلَامِي»^(٢).

وينحو هذا قال يونس بن حبيب لما سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ؟ قَالَ: «لَا فِكْرَ لِي فِيهِ»^(٣).

❦ الْعِلْمُ بِالْأَسْبَابِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ:

وَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَخْرُجَ الْخَلْقُ عَنْ مَرَادِ اللَّهِ وَمَشِيتِهِ، حَتَّى لَوْ عَلِمَ الْأَسْبَابُ الَّتِي تُخْرِجُ عَنْهَا، فَلَنْ يَتِمَكَّنَ؛ فَإِنَّ اللَّهَ يُغْلِقُهَا عَلَيْهِ؛ لِيَبَيِّنَ لَهُ ضَعْفَهُ وَعَجْزَهُ أَمَامَ قُدْرَةِ اللَّهِ وَمَشِيتِهِ.

وَقَدْ جَاءَ رَجُلٌ إِلَى الْخَلِيلِ بْنِ أَحْمَدَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي شَيْءٌ مِنَ الْقَدَرِ؛ فَبَيِّنْ لِي ذَلِكَ، قَالَ الْخَلِيلُ: تُبْصِرُ شَيْئًا مِنْ مَخَارِجِ الْكَلَامِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ الْحَاءِ؟ قَالَ: مِنْ أَصْلِ اللِّسَانِ، قَالَ: أَيْنَ مَخْرَجُ الثَّاءِ؟ قَالَ: مِنْ طَرَفِ اللِّسَانِ، قَالَ: اجْعَلْ هَذَا مَكَانَ هَذَا، وَهَذَا مَكَانَ هَذَا، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: فَانْتَ عَبْدٌ مَدْبُورٌ»^(٤).

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ١٣٩).

(٢) «البيان والبيان» (١/ ٣٢١).

(٣) «إنباه الرواة» (٤/ ٧٦).

(٤) «تهذيب الكمال» (٨/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

﴿عِلْمُ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ، لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ؛﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤]:

كُلُّ مَا فِي الوجودِ خَلَقَ اللهُ، وهو عالمٌ محيطٌ بهم، لا يعزُبُ عنه شيءٌ من ذلك؛ جليلُهُ وعظيمُهُ، كثيرُهُ وقليلُهُ، كليَّاتُهُ مهما كَثُرَتْ، وجزئياتُهُ مهما دَقَّتْ، يَرَى الذَّرَّةَ، كما يَرَى المَجَرَّةَ، لا يَزِيدُ عِلْمُهُ فِي النُّورِ، ولا يَنْقُصُ فِي الظُّلَامِ، يَعْلَمُ ما كان وما يَكُونُ وما لم يَكُنْ لو كان كيف كان يَكُونُ.

قال تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْغَيْبِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظِلْمَةٍ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقال: ﴿وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [النمل: ٧٥]، وقال: ﴿لَا يَخْفَى عَلَى شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾ [ال عمران: ٥]، وقال: ﴿يَبْقَى إِلَهاً إِنَّكَ تَكُ مَشْقَالٌ حَبْرٌ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِي بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ [الفرقان: ١٦]، وقال: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾ [سبا: ٢].

وَيَعْلَمُ اللهُ ما لم يكن من العباد لو كان: كيف كان يكون، وكيف يؤوُلُ إليه أمره؛ فقد قال الله عن الكافرين الذين يَتَمَنَّوْنَ الرجوعَ إلى الدنيا بعدَ معابنةِ النار: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]، وقال تعالى عن حال المعاندين: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢٣].

وزعم بعض الفلاسفة والمتكلمين عدم علم الله بالجزئيات؛ فيرون أن الله يعلم الأشياء على وجه ثابت كلي، لكنه لا يدخل تحت عجلة الزمان؛ فلا يعلم الجزئيات التي يكون حدودها يوجب تجدد الإحاطة بها؛ فيحدث تغيراً في ذات العالم.

وقد أشار إلى هذا الجويني في «البرهان»^(١)؛ وهذا ضلالٌ مبين؛ فكل ما في الوجود خلق الله، وإذا كان خلقه، فهو عالم به، وقد استنكر الله على من فصل بين العلم والخلق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المك: ١٤].

وقد ردّ أئمة السنة هذه الضلالة، ووجدت في بعض مقالات المغاربة، وردّ عليهم أئمتها؛ كابن العربي^(٢)، بل قال المازري لشدّة فسادها: «وبؤدي لو محوت هذا من هذا الكتاب بماء بصري»^(٣)؛ يعني من كتاب الجويني.

❦ مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَحْذِلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِّفُهُ بِفَضْلِهِ؛ فَكُلُّ مَيْسَرٍ بِتَيْسِيرَةٍ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عِلْمِهِ وَقَدْرَةٍ؛ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ﴾:

لا يخرج الناس عن تقدير الله لهم، وتقديره لهم لا يعني: أنه سبحانه لا يريد من الكافرين شرعاً الإيمان، ولا يرضاهم لهم، ولكنه سبق في علمه ما هم فاعلون؛ فمن أراد الخير، هداه، ومن أراد الشر أضله؛

(٢) «المواصم» (ص ١٣٨).

(١) «البرهان» (١/ ١٤٥ - ١٤٦).

(٣) «إيضاح المصنوع» (ص ١٢٥).

فَاللَّهُ لَا يَحْرِمُ مَرِيدَ الْخَيْرِ مِنْهُ؛ وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «وَكُلُّ يَنْتَهِي إِلَى سَابِقِ عِلْمِهِ؛ لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ»^(١)، وَقَالَ: «وَحَدَلَ مَنْ عَصَاهُ وَكَفَّرَ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَيَسَّرَهُ لِذَلِكَ فَحَجَبَهُ وَأَضَلَّهُ؛ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا» [الكهف: ١٧]^(٢)، وَقَالَ هُنَا: «يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَحْدُلُهُ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُؤَقِّدُهُ بِفَضْلِهِ».

وَأَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ كَمَا تَقَدَّمَ بِالْإِمْسَاكِ عَمَّا سَكَتَ عَنْهُ الشَّرْعُ فِي الْقَدَرِ، وَوَجُوبِ الْإِيمَانِ وَالتَّسْلِيمِ؛ لِعَجْزِ الْعُقُولِ عَنِ الْإِدْرَاكِ؛ فَمَنْ دَخَلَهُ، بَحَثَ فِيمَا تَعَجَّزُ عَنْهُ الْعُقُولُ وَالْأَفْكَارُ، فَتَحَيَّرَ وَتَضَلَّ وَتَزَيَّغَ، وَقَدْ دَخَلَ فِي هَذَا الْبَابِ طَوَائِفُ، فَانْتَهَى بِهِمْ إِلَى ضَلَالٍ.

المُخَالَفُونَ فِي الْقَدَرِ:

وَقَدْ خَالَفَ فِي الْقَدَرِ طَوَائِفُ: جُفَاءً، وَغُلَاةً، وَأَشْبَاهُ غُلَاةٍ قَائِلُونَ بِالْكَسْبِ:

• أَمَّا الْجُفَاءُ الَّذِينَ يَنْقُونَ الْقَدَرَ: فَيَجْعَلُونَ تَصَرُّفَ الْمَخْلُوقِ مَنْفَرِدًا كَتَصَرُّفِ الْخَالِقِ، وَلَا مَشِيئَةَ لِلْخَالِقِ فَوْقَ مَشِيئَةِ الْمَخْلُوقِ بَعْدَ خَلْقِهِ، وَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُمْ وَدَبَّرَهُمْ، وَسَبَّبَ لَهُمْ وَتَرَكَّهُمْ.

وهؤلاء هم القدرية، وقد أظهر هذا القول مَعْبَدُ الْجُهَنِيِّ، وَعَيْلَانُ الدَّمَشْقِيِّ، وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْإِعْتِزَالِ.

وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَالْقَدَرِيَّةُ أَشَرُّ النَّاسِ، وَرَأَيْتُهُمْ أَهْلَ طَيْشٍ وَسَخَافَةٍ عَقُولٍ وَبِدْعٍ، بَأَيِّ كَثِيرَةٍ عَلَيْهِمْ؛ مِنْهَا قَوْلُ اللَّهِ ﷻ: ﴿لَا يَزَالُ بُلِّغُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١١٠]، وَمِنْهَا: ﴿وَأَوْحَىٰ إِلَيْكَ نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ

(٢) الموضع السابق.

(١) «الجامع» (ص ١١٠).

يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ ءَامَنَ ﴿[هود: ٢٦]، وقال: ﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاكِراً
كَفَّاراً﴾ [نوح: ٢٧]، وقال: ﴿مَا آتَيْتُ عَلَيْهِ بِفَتْنَيْنِ ﴿١١﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالٍ الْجَحِيمِ﴾
[الصافات: ١٦٢-١٦٣]، وقال: ﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ أَلْبَعَاثُهُمْ فَتَبِطُهُمْ﴾ [التوبة: ٤٦]، في آي كثيرة^(١).

وَالْقَدَرِيَّةُ أَصْلُوا لِقَوْلِهِمْ بِالْكَلَامِ وَالنَّظَرِ، ثُمَّ اسْتَدَلُّوا بِأَدْلَةٍ مُتَشَابِهَةٍ
فِي قُلُوبِهِمْ، تَوْهَمُوهَا حُجَّةً لِقَوْلِهِمْ:

وَذَلِكَ كَالآيَاتِ الَّتِي تَبَيَّنَ أَنَّ الْعِبَادَ يَفْعَلُونَ وَيَتْرَكُونَ، فَيُؤْمِنُونَ
وَيَكْفُرُونَ وَيَفْسُقُونَ، وَيَطِيعُونَ وَيَعْصُونَ.

وهذا كله داخلٌ في مشيئة العبد، ولا يُخْرِجُ مشيئة الله النافذة عليه.
وكاستدلالهم بأدلة إتيان الله لخلقه وصنعيته؛ كقوله تعالى: ﴿صُنِعَ
اللَّهُ الَّذِي آتَى كُلَّ شَيْءٍ ﴿[النمل: ٨٨]؛ فجعلوا لازم ذلك نفْيَ نِسْبَةِ تَصَرُّفَاتِ
الناسِ إلى الله؛ لِمَا تَتَضَمَّنُهُ مِنْ عَدَمِ إِتْقَانٍ وَإِخْلَالٍ، وَضَلَالٍ وَكُفْرٍ.

والله سبحانه يُرِيدُ أَصْلَ خَلْقِهِ حَيْثُ أَبْدَعَهُ وَأَتَقَنَهُ، وَأَمَّا فَسَادُ أَعْمَالِ
الناسِ: فَمِنْ مَشِيئَتِهِمْ الَّتِي أَوْذَنَ اللَّهُ بِهَا لِحِكْمَةٍ، فَلَمْ يَخْرُجُوا عَنْ إِرَادَتِهِ
وَتَقْدِيرِهِ، وَالْآيَةُ نَفْسُهَا دَالَّةٌ عَلَى إِبْطَالِ الْفَعْلِ لِلنَّاسِ؛ فَاللَّهُ قَالَ: ﴿صُنِعَ
اللَّهُ الَّذِي آتَى كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨]، فَلَمَّا ذَكَرَ صُنْعَ
الخالقِ، أَضَافَهُ إِلَى نَفْسِهِ: ﴿صُنِعَ اللَّهُ﴾؛ لِأَنَّهُ لَا مَشِيئَةَ لِأَحَدٍ مَعَهُ فِيهِ،
وَلَمَّا ذَكَرَ فَعْلَ النَّاسِ، أَضَافَهُ إِلَيْهِمْ: ﴿بِمَا تَفْعَلُونَ﴾؛ لِمَا لَهُمْ مِنْ اخْتِيَارٍ
وَمَشِيئَةٍ بَعْدَ مَشِيئَتِهِ.

وليس ما يَسْتَقْبِحُهُ النَّاسُ مِنْ ذَوَاتٍ وَأَفْعَالٍ دَلِيلًا عَلَى نِسْبَتِهَا

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١).

لغير الله؛ فالله يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، وهناك من الناس من يُولد مشوها مريضاً خديجاً؛ كالمبتور والمشلول، ومن يُولد برجل أو يد أو عين، أو بأكثر من عشرة أصابع، أو برأسين؛ وهذا كله لا يُجيزُ نسبة تلك الأجساد لخالق غير الله؛ وإنما جعلها الله كذلك لِحِكْمَةٍ.

وقد كان لازم قولهم: أَنَّ العبادَ يَخْلُقُونَ ما يَفْعَلُونَ؛ فجعلوا إلهين وخالقاً غير الله؛ فشابهوا بذلك المَجُوسَ الذين يَتَّخِذُونَ إلهين: إله الخير، وهو النور، وإله الشر، وهو الظلمة.

• وأما الغلاة: فهم الذين يقولون بالجبر؛ أي: أنه لا اختيار للمكلفين، ولا مشيئة، وحال المكلف كحال الجَمَادات؛ فالملائكة والإنسان والجان؛ كالكوكب والأجرام؛ فالإنسان مسير بلا اختيار: يقوم ويقعد ويتكلم، كما تطلع الشمس وتغرب.

وهؤلاء هم الجبرية، وقابلوا نفاة القدر بغلو، وأول من أشهره: الجَهُم بنُ صَفْوان، وقد كان شيخه الجَعْد بنُ دِرْهَم يقول به.

وهم كسابقيهم قالوا بالجبر، أرادوا تنزيه الله من وجوه مقابل للنفاة بالكلام والنظر، ثم استدلوا بأدلة الوحي:

- وذلك؛ كآيات الدالة على أَنَّ الله خالق كل شيء، وعلى نفي خالقي غيره؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

- وكذلك الأدلة التي تجعل نصرفة الإنسان تحت مشيئة الله وتدبيره؛ كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٣٠]، وجعلوا ذلك سلباً لإرادة الإنسان.

وحملوا الأدلة ما لا تحتل، وهي أدلة عليهم لا لهم، أدلة للحق الذي يقول به السلف؛ فالله تعالى خلق الناس وأفعالهم؛ فهو خالق كل شيء، وجعل لهم مشيئة تدل على اختيارهم وتصرفهم، ولكن بعد إذن الله ومشيئته، فلو كان للكواكب مشيئة كمشيئة الناس، لذكرها، وهم يجعلون الناس كالكواكب وسائر الجمادات؛ فلماذا خص الله الناس بالمشيئة، ولم يخص الكواكب بمثلها إلا لتمييز بينهم، وقد قال الله مضيئاً فعل النبي ﷺ بالرمي إليه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ [الأنفال: ١٧]؛ فأثبت لنبيه رمياً واختياراً: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾، وأثبت لنفسه القدرة والمشية الممضية لذلك: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾.

ولازم قولهم: أن التكاليف الشرعية جبر، وأن الطاعة والمعصية من العباد جبر.

وقد أثبت الله لعباده مشيئة بعد مشيئته، وإرادة بعد إرادته؛ قال تعالى: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ (١٨) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٨ - ٢٩]، وقال: ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذَكُّرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَيْبِهِ سَبِيلًا﴾ (١٩) ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الإنسان: ٢٩ - ٣٠]، وقال: ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذَكُّرَةٌ﴾ (٢٠) ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾ [عبس: ١١ - ١٢].

فقوله: ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨] إبطال لقول الجبرية، وقوله: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [التكوير: ٢٩] إبطال لقول القدرية؛ فكيف لعبد أن يفعل ما لا يشاؤه الله؟ لا يفعل أحد في الكون شيئاً بغير علمه وإذنه.

وأدلة الجبرية هي أدلة يُعرف بها فساد قول القدرية، وأدلة القدرية هي أدلة يُعرف بها فساد قول الجبرية، وكثيراً ما يُعرف فساد قول طائفة

بأدلة خصومها عليها، وفي طوائف الضلال من المجادلة والنقض بعضها لبعض ما لا يوجد عند غيرهم، خاصة في الطوائف التي تتقابل في قول باطل: واحدة في أقصاء يميننا، وثانية في أقصاء شمالنا.

وكان أئمة السنة في المغرب يردون قول القدرية والجبرية، ويحاجون من قال به؛ يقول عون بن يوسف الخزاعي - وهو من علماء القيروان، وكان أكبر من سحنون، ومن أصحاب عبد الله بن وهب -: «إذا أردت أن تكفر القدري، فقل له: ما أراد الله ﷻ من خلقه؟ فإن قال: أراد منهم الطاعة، فقد كفر؛ لأن منهم من عصى؛ وكلُّ إليه لا تتم إرادته، فليس بإله، وإن قال: أراد منهم المعصية، فقد كفر؛ لأن منهم من أطاع؛ وكلُّ إليه لا تتم إرادته، فليس بإله»^(١).

• وأما القائلون بالكسب: فجمهور الأشاعرة ومتأخروهم؛ يثبتون لله الخلق والمشية، ولكنهم يجعلون أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله وقدرته وحده، لا باختيار العبد ولا قدرته، ولا أثر له في ذلك، وإنما هو كاسب لها، وكسب العبد عندهم هو مقارنته لقدرته من غير أن يكون هناك من تأثير أو مدخل في وجوده سوى كونه محلاً له؛ كما يقوله صاحب «المواقف»^(٢).

وقد تأثر الأشاعرة القائلون بالكسب بالضرارية والنجارية قبلهم. وهذا القول يشابه قول الجبرية، ومن أشد ما شنع به المعتزلة عليهم؛ فهم ينفون أي قدرة للعبد أو تأثير في أفعاله؛ فإن الله قادر على إيجاد الحوادث التي يريد بها الإنسان بدون فعله، فهو مؤجدها وحده، ولو كان الإنسان مشاركاً مقترناً في إحداثها في الظاهر، فلا أثر له في الحقيقة.

(٢) «المواقف» (٣/٢٠٨ - ٢١٤).

(١) «رياض النفوس» (١/٣٨٦).

وقولهم هذا قريب من حَمَلِ رَجُلٍ كَبِيرٍ قَوِيٍّ حِجَارَةً ثَقِيلَةً يَقْدِرُ عَلَيْهَا وَحْدَهُ، فَيُشَارِكُهُ فِيهَا طِفْلٌ صَغِيرٌ - بِيَدٍ ضَعِيفَةٍ - لَا يَقْوَى عَلَى تَحْرِيكِ الْحِجَارَةِ، فَضَلًّا عَنْ حَمْلِهَا؛ فَيُدُّ الطِّفْلُ مَقْتَرِنَةً بِالْفِعْلِ، لَكِنَّهَا غَيْرُ مُؤَثِّرَةٍ فِي الْحَمْلِ.

وهذا القول من الأقوال التي لَا يَقْبَلُهَا النُّصْرُ، وَلَا يَعْضُدُّهَا الْعَقْلُ، وَلَا يُؤَيِّدُهَا الْحِسُّ؛ فَالْعَاقِلُ يَفْرُقُ بَيْنَ الرَّعْشَةِ الَّتِي تَغْلِبُ بِدَنِّهِ بِلا اخْتِيَارٍ، وَبَيْنَ فِعْلِهِ بِاخْتِيَارِهِ.

وقد كَانَ جَمَاعَةٌ مِنْ فَضَلَاءِ الْأَشَاعِرَةِ لَا يَقُولُونَ بِذَلِكَ؛ كَالْبَاقِلَانِيِّ^(١)، وَغَيْرِهِ.

❦ الْحَتْمِيَّةُ السَّبَبِيَّةُ:

وَنَشَأُ قَوْلَ الْفَائِلِينَ بِالْحَتْمِيَّةِ السَّبَبِيَّةِ؛ وَهَمُ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ الْكَوْنَ مُنْتَظِمًا بِنِظَامٍ مُحْكَمٍ لَا يَخْرُجُ عَنْهُ، وَكُلُّ وَاقِعَةٍ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ إِلَّا كَذَلِكَ، وَلَا شَأْنَ لِأَحَدٍ فِيهَا؛ فَإِنَّ اخْتِيَارَ اللَّهِ إِنَّمَا كَانَ فِي أَصْلِ الْإِبْجَادِ، لَا فِي تَتَبُعِ الْمَعَادَلَاتِ وَنَتَائِجِهَا؛ فَلَا يَرَوْنَ أَنَّ لِلْإِلَهِ إِرَادَةً تَتَعَرَّضُ لِلذَّكَ النَّظَامِ بِالتَّبْدِيلِ وَالتَّغْيِيرِ.

وهؤلاء جَبَرِيَّةٌ فِي الْمَبْتَدَأِ، وَقَدَرِيَّةٌ فِي الْمُنْتَهَى؛ وَبِهَذَا يَقُولُ كَثِيرٌ مِنَ الْفَلَسَفَةِ الْغَرِيبِينَ مِثْلُ سِيْثُورَا، وَكَانْتِ، وَهِيْجِل، وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَنِي الرُّوحَ؛ فَيَرَى أَنَّ كُلَّ جَسَدٍ مُحْكَمٌ بِقَوَانِينِ الطَّبِيعَةِ، إِلَّا الرُّوحَ؛ فَهِيَ طَلِيقَةٌ مِنْ هَذِهِ الْقَوَانِينِ، وَيَرَى أَنَّ عَلَيْهَا أَنْ تُجَاهِدَ الْجَسَدَ، وَتَلْتَمِسَ الْعَوْنَ مِنَ اللَّهِ بِالْمَعْرِفَةِ فِي جِهَادِهَا.

﴿ نَفْيُ الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ: ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنًى، أَوْ يَكُونَ خَالِقٌ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ، وَالْمُقَدَّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ، الْبَاعِثُ الرُّسُلَ إِلَيْهِمْ؛ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ﴾: ﴾

ذَكَرَ الْمُؤَلِّفُ ذَلِكَ؛ لِأَنَّ مُقْتَضَى نَفْيِ الْقَدَرِ: أَنَّهُ يَكُونُ فِي مُلْكِ اللَّهِ مَا لَا يَرِيدُهُ اللَّهُ؛ فَإِمَّا أَنْ تَكُونَ حَوَادِثُ الْكَوْنِ بِتَقْدِيرِهِ؛ فَهُوَ أَرَادَهَا قَدَرًا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مِنْ غَيْرِهِ؛ فَلَا شَكَّ أَنَّهُ لَا يَتَوَافَقُ أَحَدٌ مَعَ غَيْرِهِ فِي كُلِّ مَرَادٍ؛ فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ أَحَدُهُمَا يَرِيدُ مَا لَا يَرِيدُهُ الْآخَرُ؛ فَلِذَا لَزِمَ نَفْيُ الْقَدَرِ: أَنْ يُتَصَرَّفَ فِي كَوْنِهِ بِمَا لَا يَرِيدُهُ، وَيَعْجِزُ عَنْ دَفْعِهِ؛ تَعَالَى اللَّهُ عُلُوهَا كَبِيرًا؛ فَلَا يَكُونُ فِي مُلْكِ اللَّهِ إِلَّا مَا يَرِيدُهُ اللَّهُ، وَيَقْدَرُهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، مَحْبُوبٍ أَوْ مَكْرُوهٍ؛ وَلِهَذَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْقُدْسِيِّ فِي «مُسْلِمٍ»: (وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ)^(١)، وَفِي «الْمُسْنَدِ» بِلَفْظٍ: (وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ)^(٢).

وَبَعْضُهُمْ^(٣): يَكْرَهُ إِطْلَاقَ قَوْلٍ: «وَاللَّهُ عَلَى مَا يَشَاءُ قَادِرٌ»؛ لِأَنَّ قُدْرَةَ اللَّهِ أَوْسَعُ:

وَفِي هَذَا التَّعْلِيلِ نَظَرٌ؛ فَالْحَدِيثُ فِيهِ ثَابِتٌ، وَهُوَ يَتَضَمَّنُ إِبْطَالَ اللَّهِ، وَنَزِيهَاً لَهُ:

○ فَأَمَّا الْإِبْطَالُ: فَهُوَ إِبْطَالُ الْقَدَرِ وَالْحِكْمَةِ لَهُ.

(١) مُسْلِمٌ (١٨٧) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ. (٢) «الْمُسْنَدُ» (١/٤١٠) رَقْمُ (٣٨٩٩).

(٣) «الْمَنَاهِي اللَّفْظِيَّةُ» (ص ٥٥٥).

○ وأما التنزيه: فإن الله لا يشاء من الأقدار إلا ما هو خيرٌ كاملٌ أو غالبٌ، وله حكمةٌ فيه كله، وما لا يشاؤه الله، لم يُذكر في الحديث؛ لأن الله ينزه عن العيب؛ فما اختار الله من التقدير إلا ما هو أحسنٌ من غيره، وأتم وأحكم، وما لم يشأه دون ما شاءه حسناً وتاماً وحكمةً، ويختلف التباين في ذلك بحسب اختلاف الأعيان والأفعال والأحوال، والأزمان والأمكنة.

وقد جعل الله خلقه على نوعين في باب الاختيار والمشية:

□ خلق: لا اختيار لهم ولا مشية؛ كالجمادات من الكواكب والنجوم، والحجر والتراب؛ فهذه غير مكلفة؛ لأنها غير مختارة.

□ وخلق: لهم اختيار ومشية؛ وهم على قسمين:

أولاً: مكلفون بالدين والدنيا؛ وهم العقلاء؛ كالملائكة والإنس والجن؛ فهؤلاء يُمدحون بحسب ما يختارونه من الامتثال لله، وبحسب ما يجدونه من صبر على ذلك ومشقة وشدة:

وقد جعل الله في بعضهم: شهوات ورغبات يبتليهم بها، ويختبرهم في اتباع أمره، وتقديمه على شهواتهم ورغباتهم؛ وهذا كالإنس والجن.

ولم يجعل في خلقه بعضهم شيئاً من الشهوات والغرائز تُنازعهم الحق؛ ولهذا فهؤلاء الملائكة لا يخرجون عن أمر الله؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

ومن هنا: فضل أكثر العلماء من أهل السنة: الصالحين من بني آدم على الملائكة.

ثانياً: مكلفون بالدنيا بلا عقل؛ وهي البهائم؛ فالله خلقها، وجعل فيها إدراكاً، ولم يجعل فيها عقلاً؛ فتدرك دنياها، ولا تفهم تكاليف

العبادة كما يفهمه البشر، وعبادتها تسخيرية من جنس عبادة الجمادات، ولكن لها اختيار ومشيئة دنيوية، تعمل وتدبر باختيارها، وتُحاسب على خطئها الذي تفهمه في الدنيا والآخرة؛ ومن ذلك قوله ﷺ: (لَيَقْتَصِّنَ اللَّهُ لِلشَّاةِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرَنَاءِ)^(١)، وفي «الصحيحين»: أن رسول الله ﷺ أمر أم شريك بقتل الأوزاع، وقال: (كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ)^(٢).

ومن ذلك: إدراك الفأر لبعض ما تفعله من شيء؛ كما روى البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه؛ قال: قال رسول الله ﷺ: (أَطْفُوا الْمَصَابِيحَ؛ فَإِنَّ الْفَوْسِقَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْفَيْلَةَ؛ فَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ)^(٣).

وإدراك البهائم للأوامر الدنيوية مفطورة عليه بطبيعتها؛ ولهذا فهي تختلف وتتباين بحسب جنسها ونوعها؛ فبهيمة الأنعام ليست كالسباع؛ فالشياه إن تناطحت، تحاسبت، ولو أكل السبع الشاة، لم يُحاسب؛ لأن الله جعل رزق السبع فيها، ولم يجعل رزق الشياه بعضها من بعض.

رسالة النبي ﷺ، وكتابه:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «ثُمَّ خَتَمَ الرَّمَالَةَ وَالنَّدَارَةَ وَالنُّبُوَّةَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ ﷺ؛ فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا»:

بَعَثَ اللَّهُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا؛ لِنُبْلِيغِ عِبَادَتِهِ وَحَقَّهُ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّ الْعِبَادَةَ هِيَ الْحِكْمَةُ مِنَ الْخَلْقِ: «وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي» [الذاريات: ٥٦]، وقد ذكر الله أنه لم يدع أمة من الأمم إلا وقد أقام عليهم

(١) مسلم (٢٥٨٢) من حديث أبي هريرة؛ بنحوه.

(٢) البخاري (٣٣٥٩)، ومسلم (٢٢٣٧). (٣) البخاري (٣٣١٦) و٦٢٩٥.

حُجَّتَهُ، وَبَلَّغَهُمْ رِسَالَتَهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَالَ: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ﴾ [يونس: ٤٧]؛ فَكَانَتْ الرُّسُلُ تَتَابَعُ لِلْبَلَاغِ، نَبِيًّا بَعْدَ نَبِيٍّ؛ حَتَّى لَا يَغِيبَ الْحَقُّ مِنَ الْأَرْضِ بِالْكَلْبَةِ؛ قَالَ تَعَالَى عَنْ تَتَابُعِ رُسُلِهِ: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾ [المؤمنون: ٤٤].

وَتَتَابَعُ الرُّسُلُ حَتَّى تَقُومَ الْحُجَّةُ فِي الْأَرْضِ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَتَنْقُطَ أَعْدَارُهُمْ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

وَالْإِيمَانُ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ وَاجِبٌ، وَالْكَافِرُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ كَافِرٌ بِجَمِيعِهِمْ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفِرُّ مِنْ بَيْنِ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، وَقَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾ [النساء: ١٥٠]؛ فَجَعَلَ الْكَفَرَ بِهِ وَبِرُسُلِهِ وَاحِدًا، وَلَا يَلْزَمُ مِنَ الْإِيمَانِ بِرَسُولٍ اتِّبَاعُ شَرِيعَتِهِ، بَلْ إِنَّ الْإِيمَانَ بِهِ يَقْتَضِي تَصْدِيقَ الْخَبَرِ، وَالْإِقْرَارَ بِالْمَنْزِلَةِ وَالْفَضْلِ، وَأَمَّا الْإِتِّبَاعُ، فَقَدْ خَتَمَ اللَّهُ جَمِيعَ الشَّرَائِعِ بِرِسَالَةِ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ.

خِتَامُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِلرُّسُلَاتِ:

وَكُلُّ نَبِيٍّ يَبْعَثُهُ اللَّهُ لِأُمَّتِهِ وَقَوْمِهِ، وَيَجْعَلُ رِسَالَتَهُ مُقْبِلَةً بِزَمَانٍ نَتَهِي بِهِ، إِلَّا رِسَالَةَ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَقَدْ جَعَلَهَا اللَّهُ عَامَّةً لِلْعَالَمِينَ جِنًّا وَإِنْسًا، وَجَعَلَهَا دَائِمَةً وَخَاتِمَةً لِلرُّسُلَاتِ السَّابِقَةِ؛ فَلَا يَجُوزُ النَّدْبُ بِأَيِّ رِسَالَةٍ سَمَاقَةٍ سَابِقَةٍ بَعْدَ بَعَثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

أَمَّا عَمُومُ رِسَالَةِ النَّبِيِّ ﷺ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، فَلَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَّبِعْنِي﴾

النَّاسِ إِنْ رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴿[الأعراف: ١٥٨]، وقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله ﷺ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [سبا: ٢٨]، وفي الحديث: قال ﷺ: (كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) (١).

وأوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمد لو بعث وهم أحياء، وأخذ الميثاق عليهم بذلك؛ كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَّا ءَاتَيْنَاكُمْ مِن كِتَابٍ وَحَكَمُوا ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ [آل عمران: ٨١]؛ وهذا في الرُّسُلِ، وهو في العالمين من باب أولى؛ قال ابن عباس ﷺ: «ما بعث الله نبياً إلا أخذ عليه الميثاق: لئن بعث محمدٌ، وهو حيٌّ، ليؤمننَّ به ولينصرُنَّه، وأمره أن يأخذ على أُمَّته الميثاق: لئن بعث محمدٌ، وهم أحياء، ليؤمننَّ به ولينصرُنَّه» (٢).

وقد كان النبي ﷺ يُكَاتِبُ النَّاسَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِجَابَتِهِ عَلَيْهَا؛ فَيَبْعَثُ إِلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالصَّابِئَةِ وَالْمَشْرِكِينَ، وَيَبْعَثُ إِلَى الْعَرَبِ وَالْعَجَمِ، وَالْأَحْمَرِ وَالْأَبْيَضِ وَالْأَسْوَدِ، وَلَمْ يَفْرُقْ بَيْنَهُمْ فِي الْخُطَابِ إِلَّا بِمَا يُوجِبُ تَرْكَ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ دِينٍ سَابِقٍ؛ فَكُلُّ دَاخِلٍ فِي الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَدَعَ مَا كَانَ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ.

فَاللَّهُ أَمَرَ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِاتِّبَاعِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُمْ أَقْرَبُ الْأُمَمِ إِلَى أُمَّةِ مُحَمَّدٍ، وَكُتُبُهُمْ أَقْرَبُ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ إِلَى الْقُرْآنِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا

(١) البخاري (٣٣٥ و ٤٣٨)، ومسلم (٥٢١) من حديث جابر.

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٠٠ و ١٣/ ٥٤٦)، وعزاه الحافظ في «فتح الباري» (٤٣٤/ ٦) للبخاري.

الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ ءَامِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ ﴿[النساء: ٤٧]﴾ وقد خاطبهم الله في القرآن كثيرًا بـ: «يا أهل الكتاب»، وبـ «يا بني إسرائيل».

﴿حكم أتباع دين غير الإسلام:

وَمَنْ زَعَمَ: أَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، يَجُوزُ لَهُ اتِّبَاعُ مَا شَاءَ مِنَ الشَّرَائِعِ وَالْكِتَابِ الْآخَرَى، وَأَنْ يَتَدَيَّنَ لِلَّهِ بِغَيْرِ الْإِسْلَامِ، وَأَنَّهُ نَاجٍ فِي الْآخِرَةِ، مَعَ عِلْمِهِ بِالرَّسَالَةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ -: فَهُوَ كَافِرٌ بِاللَّهِ؛ قَالَ ﷺ: (وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ)^(١).

وعدم تجويز بقاء اليهودي والنصراني على ملته، لا يعني تعين قتله، بل عدم الجواز: لبيان كفره، وعدم صحة عمله، وأن من قامت عليه الحجة، فهو من أهل النار إن مات على ملته، ولا ينفعه إيمانه برسالة محمد ﷺ؛ إذا كان لم يتبعها ويتخذ لها؛ كمن يرى أنها خاصة بالعرب، أو أن الناس يُخَيَّرُونَ بين الملل، وكلها تؤدي إلى الجنة؛ فقد بين الله نسخ جميع الشرائع السابقة، وأخبر بتحريف ما سبق من الكتب مما بأيدي أهل الكتاب.

﴿والكفر - حيثل - جاء من جهات، أعظمها:

الأولى: عدم اتباع النبي ﷺ، وتجويز الخروج عن رسالته، وأن الأوامر المتواترة في الكتاب والسنة باتباعه لا معنى لها عندهم.
الثانية: الإيمان بصحة كتب أخبر الله بتحريفها، ونسخها بالقرآن؛

(١) مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة.

وهذا تكذيب لله ولرسوله، ورُوي أن النبي ﷺ وجد قطعة من التوراة مع عمر بن الخطاب، فقال له: (لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حلّ له إلا أن يتبعني)^(١)، حتى إن عيسى ﷺ ينزل في آخر الزمان، ويقتل الدجال والخزير، ويكسر الصليب، ولا يقضي إلا بشريعة محمد ﷺ^(٢).

الثالثة: أن كل جهاد النبي ﷺ للأمة الكافرة يهوداً ونصارى، ومشركين ومجوساً: أنه عذوان، وأن قتالهم كان سفكاً لدم معصوم، وغنائمهم سلب لمال معصوم، وسيبهم استعباد لأنفس حرة؛ إذ إنه قاتلهم وهم غير ملزمين برسالته؛ وهذا كفر عظيم، وضلال مبين.

الرابعة: أن جميع الأحكام في الشريعة التي تدل على تمايز المسلمين عن الكفار - أو بعضهم - باطلة؛ كأبواب الموالاة والمعاداة، والنكاح والذباح، والديات والموارث، وأحكام الردة ودخول البيت الحرام، والقرار بجزيرة العرب، وغير ذلك.

وأما كون النبي ﷺ خاتم الأنبياء، ولا نبي بعده: فلقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، وقوله ﷺ في «الصحيحين»: (أنا خاتم النبيين)^(٣)، وفيهما من حديث سعد بن أبي وقاص؛ أن النبي ﷺ قال لعلي: (ما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى، إلا أنه لا نبي بعدي)^(٤).

وكل دعوة للنبوّة بعده، فهي كذب، ومدّعيا كافر؛ يحكم بقتله ولو زعم أنه لا يخرج عن هدي الأنبياء وأنه لا جديد لديه عنهم؛ لأن وحي

(١) ابن أبي شيبة (٢٦٩٤٩)، وأحمد (٣/٢٨٧ رقم ١٥١٥٦).

(٢) البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤١٦)، ومسلم (٢٤٠٤).

السماء انقطع بموت النبي ﷺ إلى قيام الساعة، ولم يبق منه إلا الرؤيا الصالحة.

وَمَنْ زَعَمَ أَنَّهُ بِأَتِيهِ وَحْيٌ؛ فَإِنْ كَانَ صَادِقًا، فَهُوَ مِنَ الشَّيَاطِينِ يَسْأَلُونَ لَهُ؛ فَاللَّهُ سَمَّى وَسْوَاسَهُمْ وَحِيًّا وَمَنْزِلًا: ﴿هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَا نَزَّلَ الشَّيَاطِينُ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾ [الشعراء: ٢٢١ - ٢٢٢]، وقال: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوا بَيْنَكُمْ وَأَظْفَرْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

الإسلام وحرية الدين:

وَلَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لِأَحَدٍ خِيَارًا غَيْرَ الْإِسْلَامِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وَأَمَّا حُرِّيَّةُ الدِّينِ: فَاللَّهُ تَعَالَى كَمَا أَنَّهُ أَمَرَ النَّاسَ كَافَّةً بِاتِّبَاعِ نَبِيِّهِ ﷺ، وَعَدَمِ الْخُرُوجِ عَنْهُ، إِلَّا أَنَّهُ خَصَّ أَهْلَ الْكِتَابِ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى بِعَدَمِ الْقِتَالِ عَلَى الدَّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ وَإِنَّمَا خَيَّرَهُمْ عِنْدَ قُدْرَةِ الْمُسْلِمِينَ وَقُوَّتِهِمْ عَلَيْهِمْ: بَيْنَ الْإِسْلَامِ، أَوْ الْجِزْيَةِ، أَوْ الْقِتَالِ، وَتَجَوُّزِ الْمَهَادَنَةِ وَالْمَوَادَعَةِ وَالْمَسَالِمَةِ - بَيْنَهُمْ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - بِشُرُوطِهَا الْمَعْرُوفَةِ؛ كَمَا يَبَيِّنُهَا فِي «التفسير»^(١).

وَمَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ مِنْ أَيِّ مِلَّةٍ كَانَتْ، فَلَا يَسْعُهُ الْخُرُوجُ مِنَ الْإِسْلَامِ بِحَالٍ، وَلَا يَأْخُذُ أَحْكَامُهُ السَّابِقَةُ قَبْلَ دُخُولِ الْإِسْلَامِ لَوْ كَانَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا، وَيَجِبُ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ إِقَامَةُ حَدِّ الرَّدَّةِ عَلَيْهِ، وَقَدْ اسْتَفَاضَتْ فِي ذَلِكَ الْأَحَادِيثُ، وَبِهِ قَضَىٰ مَعَاذُ وَأَبُو مُوسَى فِي الْيَمَنِ؛

(١) سورة البقرة آية (٢٠٨)، وسورة التوبة آية (٢٩)، ومواضع من سورة الأنفال.

فِيمَنْ ارْتَدَّ مِنَ الْيَهُودِ^(١)، وَفِيهِ قَالَ ﷺ: (مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، قَاتِلُوهُ)^(٢)، وَقَدْ قَاتَلَ أَبُو بَكْرٍ الصُّدَيْقِيُّ وَالصَّحَابَةُ الْمُرْتَدِّينَ.

وَمَنْ كَانَ لَهُ شَوْكَةٌ وَقُوَّةٌ مِنَ الْمُرْتَدِّينَ، وَلَا قِبَلَ لِلْمُسْلِمِينَ بِهِ، فَتَجَوَّزَ مَهَادِنَتُهُ وَمَسَالَمَتُهُ لِمَصْلَحَتِهِمْ، وَحِفَظًا عَلَى شَوْكَتِهِمْ؛ كَمَا كَانَتْ طَوَائِفُ مِنَ الْفِرَقِ تَقِيْمُ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ وَاقِعَةٌ فِي مَكْفَرَاتٍ كَثِيرَةٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يَتَرَكُونَهُمْ وَيُهَادِنُونَهُمْ، وَرَبَّمَا عَامَلُوهُمْ عِنْدَ الْحَاجَةِ؛ وَذَلِكَ لِكثَرَةِ الطَوَائِفِ وَانْشِغَالِ الْمُسْلِمِينَ بِأُمُورِ جَمَاعَتِهِمْ، وَرَبَّمَا بَعْدُوا مِنْ خَارِجِهِمْ يَخْشَوْنَ تَرْبِصَهُ بِهِمْ.

﴿شُبُهَاتٌ فِي حُرِّيَّةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ﴾

وَأَمَّا الْاِسْتِدْلَالُ بِبَعْضِ الْأَدَلَّةِ الَّتِي يَظْهَرُ مِنْهَا قَبُولُ الرَّدَّةِ، أَوْ زَعَمَ بَعْضُهُمْ مِنْهَا مَسَاوَاةَ الْإِسْلَامِ بِغَيْرِهِ؛ كَقَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] -: فَهَذِهِ لَيْسَتْ أَدَلَّةٌ لِمَسَالِمَتِنَا هَذِهِ:

• أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]: فَقَدْ نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ الَّذِينَ بَقُوا عَلَى يَهُودِيَّتِهِمْ، وَأَرَادَ بَعْضُ الصَّحَابَةِ إِكْرَاهَهُمْ عَلَى الدِّخُولِ ابْتِدَاءً فِي الْإِسْلَامِ.

وَهَذَا لَا إِشْكَالَ فِيهِ؛ فَإِنَّهُ لَا يَجُوزُ إِكْرَاهُ أَهْلِ الْكِتَابِ عَلَيْهِ ابْتِدَاءً؛ كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ؛ وَهَذَا - مَعَ كَوْنِهِ لَا يَعْنِي الْإِقْرَارَ بِصِحَّةِ دِينِهِمْ، وَلَا أَنَّهُمْ لَوْ دَخَلُوا الْإِسْلَامَ، جَازَ لَهُمُ الْخُرُوجُ مِنْهُ - فَتِلْكَ مَسَائِلُ مُخْتَلِفَةٌ؛ كَمَا

(١) الْبُخَارِيُّ (٤٣٤١ وَ ٤٣٤٢ وَ ٤٣٤٤ وَ ٤٣٤٥ وَ ٦٩٢٣)، وَمُسْلِمٌ (١٧٣٣).

(٢) الْبُخَارِيُّ (٣٠١٧ وَ ٦٩٢٢) مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

روى أبو داود من حديث ابن عباس؛ قال: «كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَانًا، فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ، كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ، فَقَالُوا: لَا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا؛ فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]»^(١).

والقائل بأن هذه الآية تدل على جواز الخروج من الإسلام، أو أنه مساوٍ لغيره، ضَرَبَ بفهم ظاهر آية ألف آية وحديث وأبطلها؛ وهذا لا يقوله من جهة الشرع عالم، ولا من جهة النظر صاحب فكر؛ فالدليل لا يُضَرَّبُ به دليل آخر يُخَالِفُهُ من وجه ويُفَارِقُهُ من وجه؛ فكيف بإبطال ألف دليل، بظاهر دليل؟!!

• وأما قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]: فقد حَمَلَ بعضهم^(٢) هذه الآية على التخيير بين الإسلام وغيره، والمساواة بينهما؛ وهذا لا تدل عليه الآية؛ لا في ظاهرها، ولا في باطنها:

□ أما المساواة: فالآية تنفيها؛ فقد سَمَتِ الْإِيمَانَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إيمانًا، وسمت الإيمان بغيره كفرًا.

□ وأما القول بأنها تفيد التخيير بين الإيمان والكفر: فهذا كلام من لا يفهم لسان العرب؛ فالآية هي تهديد ووعد، وهو أسلوب معروف عند وضوح الحجة وإقامتها على أحد يتم تهديده وتحذيره بقولهم: «إِنْ شِئْتَ افْعَلْ، وَإِنْ شِئْتَ فَاتْرُكْ»؛ يعني: ستجد ثوابك وعقابك.

وهذا يدل عليه كمال الآية؛ فإن الله لما قال: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ

(١) أبو داود (٢٦٨٢).

(٢) انظر: «الكشاف» (٢/ ٦٧٧).

وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، قال بعد ذلك متوعدًا: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ نَارًا أَحْمَطَ بِهَمِّ سُورَتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٩]؛ وبهذا فسرهما الصحابة والتابعون، ولا خلاف بينهم في ذلك^(١).

ولكن من نظر في هذه الآية، نظر إلى كلمة منها؛ وهي قوله: ﴿فَمَنْ شَاءَ﴾ [الكهف: ٢٩]، ولم ينظر إلى السياق؛ فتوهم أن المشيئة تعني حرية الاختيار، والمشيئة هنا هي كقوله تعالى: ﴿أَفَنُتْلَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِي ءَامِنًا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

ولم يختلف المفسرون من السلف على صحة هذا المعنى؛ وبهذا قال ابن عباس، ومجاهد، وابن زيد^(٢).

وجاء بمعناه الحديث؛ كما في قوله ﷺ: (الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَحَافِظٌ عَلَىٰ وَالِدَيْكَ أَوْ أَتْرُكُ)^(٣)؛ وليس هذا تخييرًا بين العقوب والبر؛ وهو معروف في لسان العرب؛ فتأمر بالشيء وتخير فيه، والمراد: الوعيد والتهديد؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿لِيُكْفُرُوا بِمَا ءَلَيْسَتْ لَهُمْ فِتْنَةٌ فَيَسْأَلُوا عَذَابَ اللَّهِ الْعَذَابُ الْمَوْثِقُ﴾ [النحل: ٥٥]؛ وليس في هذا أمر بالكفر، ولكنه تهديد.

وكما يكون في التهديد والوعيد يكون في الرجاء؛ لكنه لا يفهم من مثل هذا السياق التخيير؛ كما في قول النبي ﷺ: (لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَىٰ أَهْلِ بَذْرِ، فَقَالَ: اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ)^(٤)؛ فلا يقول عاقل: «إنه يجوز لأهل بذر الكفر والفسوق والعصيان»، ولكن الآية السابقة

(١) «تفسير الطبري» (١٥/٢٤٤ - ٢٤٥)، و«الدر المشور» (٩/٥٢٩).

(٢) الموضوع السابق.

(٣) الترمذي (١٩٠٠)، وابن ماجه (٢٠٨٩ و٣٦٦٣) من حديث أبي الدرداء.

(٤) البخاري (٣٠٠٧)، ومسلم (٢٤٩٤) من حديث علي بن أبي طالب.

تهديدٌ ووعدٌ، والحديثُ رجاءٌ، وليس فيها جميعًا تخييرٌ وإبطالٌ
لأوامر الله .

﴿الإِيمَانُ بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيِّ، وَالْحِكْمَةُ مِنْ إِرْسَالِ الرِّسَالِ:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ، وَشَرَحَ بِهِ دِينَهُ الْقَوِيمَ، وَهَدَى بِهِ الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾:

الإِيمَانُ بِالْكَثْبِ السَّمَاوِيَّةِ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ؛ فَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِهَا
جَمِيعَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى
إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ
النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

وَالْمَكْذُوبُ بِوَاحِدٍ مِنْهَا مَكْذُوبٌ بِهَا جَمِيعُهَا؛ لِأَنَّهَا جَمِيعًا كَلَامُ اللَّهِ وَخَبَرُهُ، وَحُكْمُهُ وَتَشْرِيعُهُ، وَقَدْ وَصَفَ اللَّهُ الْكَافِرَ بِهَا بِالضَّلَالِ الْبَعِيدِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ [النساء: ١٣٦].

وَكُلُّ الْكُتُبِ نَدْعُو إِلَى أَصْلٍ وَاحِدٍ؛ وَهُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ، وَإِفْرَادُهُ بِالْعِبَادَةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَنِ الْفِرْعَانِ: ﴿وَأَرْسَلْنَا إِلَيْكَ الْكَتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

وَالْإِيمَانُ بِالْكِتَابِ لَا يَلْزَمُ مِنْهُ الْإِخْتِيَارُ مِنْ شُرَائِعِهَا مَا يَشَاءُ النَّاسُ؛

فإن هذا لا يجوز في شريعة محمد ﷺ، وهو خاتم الأنبياء والمرسلين؛
فإن في شريعته النسخ، وفيها المنسوخ؛ فلا يجوز العمل بالمنسوخ؛
فالإيمان بالكتاب وتعظيمه شيء، والعمل به شيء آخر، والقرآن نسخ ما
قبله من تشريعات الكتب السابقة؛ فالقرآن قاضٍ على شرائع ما سبق،
وحاكم عليها؛ كما قال تعالى: ﴿مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ
وَمُهَيِّئًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].



﴿وَقَوْلُ ابْنِ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وُشِّرَحَ بِهِ دِينُهُ الْقَوِيمُ، وَهَدَى بِهِ الصُّرَاطُ
الْمُسْتَقِيمُ﴾:

بيان لمنزلة القرآن والحكمة منه؛ فقد جعله الله حجة على عباده؛
فجعله بينا محكما، واضحا مفصلا؛ كل من أراد الحق فيه، وجدّه، ومن
في قلبه زيغ، زاع، وأما القرآن، فكله حق؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَأْتِيهِ
الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

﴿مصدر تفسير القرآن:

ومن الله إنزاله، وعليه بيانه؛ فليس لأحد أن يجنّده فيه برأيه
وهواه؛ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ
يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٤٤]؛ وهذا البيان من الله، لا من غيره؛ كما قال
تعالى: ﴿إِذَا قَرَأْتَ فَالْعِ قُرْآنَهُ ۖ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ﴾ [القيامة: ١٨ - ١٩]،
ولكن البيان نُسب إلى النبي ﷺ باعتبار بلاغه له؛ ولأن النبي ﷺ
مأمور بالاتباع لأمر الله؛ كما قال الله: ﴿فَأَسْتَفْتِمُ كَمَا أَمَرْتُ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾
[هود: ١١٢].

ومن صَحَّ لسانه العربي، وفهم لغات العرب، لم يحتج إلى تكلف

وتنطع في تأويل القرآن؛ فالأصل فيه: أن يفهمه العربي عند نزوله، ولكن لما بعد الزمان، وضعت اللسان، احتاج الناس إلى الرجوع إلى تأويل السلف من الصحابة والتابعين؛ حتى لا يحملوا القرآن على غير مراد الله.

وقد عصم الله نبيه ﷺ؛ فكان مفسراً للقرآن بقوله وفعله، و مترجماً لمعانيه بحياته، وقد كان يتخلق به، ويقوم بما أمر الله فيه؛ وقد قالت عائشة رضي الله عنها: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ»^(١)، وقد أمره الله بتلاوة كلامه وتعليمه للناس: «لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ» [آل عمران: ١٦٤]، والحكمة هي سنته؛ فإنها لا تتعارض مع القرآن لعصمته ﷺ، وإنما هي مبينة مفسرة له.

وكل ما استقر عليه فهم الصلح الأول من القرآن، فهو مراد الله فيه؛ لأن الله أنزله بلسانهم ليفهموه، ولا يسكت النبي ﷺ على معنى باطل استقر في نفوسهم؛ فهذا يخالف مقتضى الرسالة، والله مطلع على ما في نفوسهم من فهم.

ولو علم الله أن عامتهم أو أكثرهم فهموا القرآن على غير مراد الله، لأنزل الله البيان في ذلك؛ لأن هذا مقتضى حفظ دينه وتمايمه وكمالهم؛ فكمال القرآن وتمايم الدين هو للمعاني كما هو للحروف؛ قال تعالى: «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي» [المائدة: ٢].

ويجب الإيمان بكل ما جاء في كلام الله وكلام رسوله؛ فكل ذلك وحى من الله، وقد قرن الله طاعته بطاعة نبيه، ومعصيته بمعصيته؛ لأن

النبي ﷺ الأمرُ بأمرِ الله، الناهي بنهيهِ، ولا يخرجُ عن ذلك؛ فمن أحبَّ الله، ولم يُطع نبيّه، فدعواه كاذبة؛ كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١].

ومن جهل شيئاً من كلامِ الله، وجب عليه السؤالُ عن مرادِ الله عند من يعلمُهُ من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم من أهل العلم؛ وقد قال ابنُ أبي زَيْدٍ في «الجامع»: «وَنُصَدِّقُ بِمَا جَاءَنَا عَنِ اللَّهِ ﷻ فِي كِتَابِهِ، وَمَا نَبَتْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَخْبَارِهِ: يُوجِبُ الْعَمَلَ بِمُحْكَمِهِ، وَتُقَرَّرُ بِنَصِّ مُشْكِلِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَنَكِلُ مَا غَابَ عَنَّا مِنْ حَقِيقَةِ تَفْسِيرِهِ، إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: ﴿أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾» [آل عمران: ٧].

وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: إِنَّ الرَّاسِخِينَ يَعْلَمُونَ مُشْكِلَهُ، وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ؛ وَعَلَيْهِ يَدُلُّ الْكِتَابُ^(١).

الإيمانُ بالقيامةِ وما فيها:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَمُوتُ، كَمَا بَدَأَهُمْ يَعُودُونَ»﴾:

الإيمانُ بالبعثِ بعد الموتِ من أركانِ الإيمان، ولا يصحُّ إيمانُ أحدٍ إلا به، وقد قال النبي ﷺ - لَمَّا سَأَلَهُ جَبْرِيلُ عَنِ الْإِيمَانِ -: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ)^(٢).

ولعظمةِ البعثِ والإيمانِ به أقسمَ الله عليه في مواضع ثلاثة؛ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبا: ٣]،

(٢) سبق تخريجه.

(١) «الجامع» (ص ١١٤ - ١١٥).

وقال تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُخْرِجَهُمُ اللَّهُ مِنْ دِينِهِمْ وَلَنْ يَكُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ [التغابن: ٧]، وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَكْبِرُونَ أَنْ يَقُولُوا هُوَ قُلُوبُنَا لَمْ يَأْتِنَا بِهِ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ﴾ [يونس: ٥٣]؛ وتكرار الإقسام من الله على وعيد واحد، يدل على شدة عظمته، وشدة كفر المكذب به.

وقد قرّن الله الكفر باليوم الآخر بالكفر به سبحانه؛ كما قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ٢٩].

وكُلُّما كان الإنسان أكثر يقيناً بالبعث والحساب، والثواب والعقاب، كان أكثر عملاً في الدنيا، وأشدّ خشيةً لله؛ فإنّ مَنْ عَلِمَ حساباً، خافه، ومَنْ رجا لقاءه، استعدّ له، وطول الأمل يُضعِفُ ذلك في القلوب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ﴾ [يونس: ٧].

ولمّا ذكّر الله كفر الكافرين وعنادهم، ذكّر سبب ذلك؛ فقال: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ ٧ ﴿وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا﴾ [النبا: ٢٧ - ٢٨]، وقال: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِاللَّيْلِ ۚ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ أَلَيْسَ ۝٢ وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسَكِّينَ﴾ [الماعون: ١ - ٣].

وكثيراً ما يذكّر الله باليوم الآخر؛ ليستقيم الناس على أمر الله؛ قال تعالى: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ تُجْمَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وقال: ﴿وَأَتَقُوا يَوْمَ لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾ [البقرة: ٤٨، ١٢٣]، وقال: ﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا تَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾ [لقمان: ٣٣].

التنفخ في الصور:

وقد أخبر الله بالنفخ في الصور في القرآن نفخات: للفرع، وللصقي، وللقيام؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَنَزِعُ مِنْ فِي

الْسَمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ ذَاخِرِينَ ﴿٨٧﴾ [النمل: ٨٧]، وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُوعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ فِيكُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

واختلَفَ فِي النِّفَاحَاتِ:

فقيل: إِنَّهَا اثْنَانِ.

وقيل: إِنَّهَا ثَلَاثٌ.

وقيل: إِنَّهَا أَرْبَعٌ.

وقد بَيَّنَّتْ ذَلِكَ فِي «الْخُرَاسَانِيَّةِ»^(١).

﴿بَعَثَ الْأَجْسَادِ وَجَزَاؤَهَا﴾

والله يُعِيدُ أَجْسَادَ النَّاسِ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، لَا غَيْرَهَا، وَيُحْيِي الْعِظَامَ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا، لَا غَيْرَهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الأنبياء: ١٩]، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ﴿٥٠﴾ أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنبياء: ٥٠ - ٥١]، وَلَكِنَّ اللَّهَ يَزِيدُ فِي أَحْجَامِهِمْ وَحَالِهِمْ مِنْ جَنْسٍ مَا يَزِيدُهُ اللَّهُ فِيهِمْ فِي الدُّنْيَا؛ فَيَكْبُرُ الصَّغِيرُ، وَيَهْزُلُ الْعَظِيمُ، وَيَسْمَنُ الضَّعِيفُ، وَيَضَعُفُ السَّمِينُ، وَالزِّيَادَةُ فِيهِمْ لَا تَعْنِي: أَنَّ الْأَبْدَانَ لَيْسَتْ الْأَبْدَانُ، وَلَا أَنَّ الْجُلُودَ لَيْسَتْ الْجُلُودُ، وَلَا أَنَّ الْعِظَامَ لَيْسَتْ الْعِظَامُ.

وقد قال ابنُ أبي زَيْدٍ فِي عَقِيدَتِهِ فِي «الْجَامِعِ»: «وَأَنَّ الَّتِي أَطَاعَتْ

(١) «الخراسانية» (ص ٤٤٤).

وَعَصَتْ هِيَ الَّتِي تُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِتُجَارَى، وَالْجُلُودُ الَّتِي كَانَتْ فِي الدُّنْيَا هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ، وَالْأَلْسِنَةُ وَالْأَيْدِي وَالْأَرْجُلُ هِيَ الَّتِي تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى مَنْ تَشْهَدُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ^(١).

وَمَنْ كَفَرَ مِنَ الدَّهْرِيِّينَ مِمَّنْ يُؤْمِنُ بِالْخَلْقِ، لَمْ يَكْفُرْ بِالْبَعْثِ إِلَّا بِأَنَّ اللَّهَ يُعِيدُ ذَاتَهُ كَمَا هِيَ؛ فَهُوَ يُحْيِلُ هَذَا، وَأَمَّا خَلْقُ غَيْرِهِ مِنْ جَدِيدٍ، فَهُوَ يُؤْمِنُ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي خَلَقَهُ وَأَوْجَدَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ ضَلُّوا وَكَفَرُوا.

﴿أَشْرَاطُ السَّاعَةِ﴾

وَيَجِبُ الْإِيمَانُ بِمَا قَبْلَ السَّاعَةِ مِنْ عَلَامَاتٍ وَأَمَارَاتٍ وَأَشْرَاطٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾ [محمد: ١٨]، وَمَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ؛ كَخُرُوجِ الدَّجَالِ، وَالْدَّابَّةِ، وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَنَزُولِ عِيسَى، وَخُرُوجِ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا.

وَلِلَّسَّاعَةِ أَشْرَاطٌ كَبْرَى وَصَغْرَى، وَعَامَّةٌ الصَّغْرَى سَابِقَةٌ لِلْكَبْرَى، وَمِنْهَا مَا يَدْخُلُ فِيهَا، وَالْأَحَادِيثُ فِي هَذَا الْبَابِ كَثِيرَةٌ؛ مِنْهَا الصَّحِيحُ الْمَتَوَاتِرُ، وَمِنْهَا دُونَ ذَلِكَ، وَمِنْهَا الضَّعِيفُ يَسِيرُ الضَّعِيفُ، يُسْتَأْنَسُ بِهِ وَلَا يُجْزَمُ بِهِ، وَمِنْهَا الْوَاهِي وَالْمَطْرُوحُ وَالْمَكْذُوبُ؛ وَهَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ رَوَايَتُهُ إِلَّا لِبَيَانِ نَكَارَتِهِ.

﴿تَنْزِيلُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْوَاقِعِ﴾

وَلَا يَجُوزُ تَرْكُ الْأَوَامِرِ الشَّرْعِيَّةِ الظَّاهِرَةِ؛ لِأَجْلِ ظَنِّ فِي أَنَّ نَازِلَهُ أَوْ شَخْصًا هُوَ الْمَقْصُودُ فِي حَدِيثٍ يَسْبِقُ السَّاعَةَ؛ لِأَنَّ الْأَوَامِرَ قَطْعِيَّةً، وَتَطْبِيقُ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى الْحَوَادِثِ وَالْأَشْخَاصِ ظَنِّيٌّ؛ فَلَا يُتْرَكُ قَطْعِيٌّ

(١) «الجامع» (ص ١١٢).

لَطَنِي؛ وَهَذَا مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي يَغْفُلُ فِيهَا الْعَوَامُّ، وَرَبِّمَا بَعْضُ الْمُتَعَلِّمِينَ؛
بِإِنْزَالِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ عَلَى حَوَادِثٍ وَأَعْيَانٍ، ثُمَّ يَعْمَلُونَ بِمَقْتَضَى تَنْزِيلِهِمْ،
وَيُظَنُّونَ أَنَّهُمْ يَعْمَلُونَ بِالنَّصِّ الثَّابِتِ، وَهُمْ يَعْمَلُونَ بِظَنِّهِمْ، لَا بِالنَّصِّ،
وَكَثِيرًا مَا سُفِكَتْ دِمَاءٌ، وَوَقَعَتْ فِتَنٌ فِي النَّاسِ، وَاسْتُيْحِثَ حُرُمَاتٌ؛
بِسَبَبِ ذَلِكَ.

وَتَجْوِيزُ السَّلَفِ لِتَنْزِيلِ أَشْرَاطِ السَّاعَةِ، بَابٌ غَيْرُ الْبَابِ الَّذِي يَتَّبَعُهُ
عَمَلٌ وَتَشْرِيعٌ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَنْزِلُونَ ذَلِكَ عَلَى بَعْضِ الْحَوَادِثِ
وَالْأَشْخَاصِ؛ لِأَنَّ ذَلِكَ مِنْ بَابِ الْإِحْتِيَاطِ، ثُمَّ إِنَّهُمْ يَجْعَلُونَ ذَلِكَ
اسْتِثْنَاءً، لَا أَصْلًا يَسْتَقِلُّ بِهِ الْعَمَلُ وَالتَّوَكُّلُ.

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِلْسَّاعَةِ أَمَارَاتٍ؛ رَحْمَةً بِالنَّاسِ لِيَعْتَبِرَ مَنْ أُرِيدَ لَهُ
الْإِعْتِبَارُ، وَيَرْجِعَ مَنْ كُتِبَ لَهُ الْعَوْدَةُ؛ حَتَّى لَا تَقُومَ السَّاعَةُ إِلَّا وَقَدْ
انْقَطَعَتْ أَعْدَارُ النَّاسِ، وَقَامَتِ الْحُجُجُ الشَّرْعِيَّةُ وَالْكُونِيَّةُ عَلَيْهِمْ.

وَعَلِمُ السَّاعَةِ عِنْدَ اللَّهِ لَا يَجْلِيهَا لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ
اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَجْلِيهَا
لَوْفُهَا إِلَّا هُوَ﴾ [الأعراف: ١٨٧]، وَمَنْ زَعَمَ عِلْمَهُ أَوْ ادَّعَى لغيرِهِ الْعِلْمَ يَوْمَ
مَعْيَنٍ مُحْدُودٍ تَقُومُ فِيهِ السَّاعَةُ، فَقَدْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَكَذَّبَ خَبْرَهُ.

❦ الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ ﷻ ضَاعَفَ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ،
وَصَفَحَ لَهُمْ بِالتَّوْبَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ، وَغَفَرَ لَهُمُ الصَّغَائِرَ، بِاجْتِنَابِ
الْكِبَائِرِ، وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَنْتُبْ مِنَ الْكِبَائِرِ صَائِرًا إِلَى مَشِيشَتِهِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا
يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨]:

يُحْصِي اللَّهُ عَلَى عِبَادِهِ كُلَّ أَعْمَالِهِمْ، دَقِيقَهَا وَجَلِيلَهَا، صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا، لَا يَتْرُكُ مِنْ أَعْمَالِهِمْ دَقِيقَ حَسَنَةٍ وَلَا مَبِئَةَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ﴾ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ [المجادلة: ٦]، وَقَالَ: ﴿وَيَقُولُونَ بَوَالِغًا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يَقَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَكْسِبُهَا الْعَبْدُ تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرَةٍ، وَالسَّيِّئَةُ لَا تُكْتَبُ عَلَيْهِ إِلَّا بِمِثْلِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَافِلًا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]، وَقَدْ ثَبَتَ الْحَدِيثُ فِي ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ؛ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ^(١)، وَأَبِي هُرَيْرَةَ^(٢)، وَأَنْسٍ^(٣)، وَأَبِي ذَرٍّ^(٤)، وَغَيْرِهِمْ^(٥).

وَمِنْ لُطْفِهِ: أَنْ فَتَحَ بَابَ التَّوْبَةِ لِمَنْ تَابَ؛ فَمَنْ تَابَ وَأَنَابَ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، مَهْمَا كَانَ ذَنْبُهُ وَلَوْ كَانَ كُفْرًا؛ فَاللَّهُ لَا يَتَعَاظَمُهُ ذَنْبٌ؛ فَمَغْفِرَتُهُ تَعْمُ جَمِيعَ الذُّنُوبِ صَغِيرَهَا وَكَبِيرَهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَبْعَادَى الَّذِينَ اسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

بَلْ إِنَّ اللَّهَ يَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ؛ قَالَ ﷺ: (لَا أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدٍ مِنْ أَحَدِكُمْ؛ سَقَطَ عَلَى بَعْبِرِهِ، وَقَدْ أَضْلَهُ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ...) ^(٦)، وَقَالَ:

(١) البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).

(٢) البخاري (٤٢ و ٧٥٠١)، ومسلم (١٢٨ و ١٢٩ و ١٣٠).

(٣) مسلم (١٦٢).

(٤) مسلم (٢٦٨٧).

(٥) كُحْرَيْمُ بْنُ فَاتِكٍ عِنْدَ أَحْمَدَ (٤/٣٢١ و ٣٤٥ و ٣٤٦ رَقْم ١٨٩٠٠ و ١٩٠٣٥ و ١٩٠٣٩).

وَابْنُ حَبَّانَ (٦١٧١).

(٦) البخاري (٦٣٠٩)، ومسلم (٢٧٤٧) مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَاللَّفْظُ لِلْبُخَارِيِّ.

(وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذْنِبُوا، لَذَهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ، وَلَجَاءَ بِقَوْمٍ يُذْنِبُونَ فَيَسْتَغْفِرُونَ) ^(١)؛ لَأَنَّ اللَّهَ جَبَلَهُمْ عَلَى الْخَطَا؛ فِي الْحَدِيثِ: (كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ) ^(٢).

﴿حَكْمٌ مَن مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ﴾

وَمَن ارْتَكَبَ الصَّغَائِرَ، واجْتَنَبَ الْكِبَائِرَ، كَفَّرَ اللَّهُ صَغَائِرَهُ عَنْهُ، وَلَمْ يُؤَاخِذْهُ بِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١]، وَجَعَلَ لَذَلِكَ أَسْبَابًا كَثِيرَةً:

منها: عَمَلُهُ الصَّالِحُ؛ كَالصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَالْجُمُعَةِ إِلَى الْجُمُعَةِ، وَرَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ الْمَبْرُورِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.

وَقَدْ يَغْفِرُ اللَّهُ لِلْمُذْنِبِ ذَنْبَهُ بِمَشِيئَتِهِ وَلُطْفِهِ، وَإِنْ لَمْ يَفْعَلِ الْعَبْدُ سَبِيًّا؛ وَهَذَا مُقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ، وَسَعَةِ فَضْلِهِ، وَسَبَقَ رَحْمَتُهُ لِعُصْبِهِ.

وَأَمَّا أَصْحَابُ الْكِبَائِرِ، إِنْ لَمْ يَتُوبُوا، فَهَم تَحْتَ مَشِيئَةِ اللَّهِ: إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ، وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ نصوصُ الْوَحْيِ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ: أَنَّ أَصْحَابَ الْكِبَائِرِ غَيْرَ التَّائِبِينَ عَلَى فَرِيقَيْنِ:

فَرِيقٌ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ بِرَحْمَتِهِ، وَبِمَا يَهَيِّئُهُ اللَّهُ مِنْ أَسْبَابٍ خَارِجَةٍ عَنْ الْعَاصِي؛ كَدَعَاءٍ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِ، أَوْ عَمَلٍ لَهُ صَالِحٍ آخَرَ، عَظَّمَهُ اللَّهُ فَغَلَبَ عَمَلُهُ السَّيِّئَ، أَوْ أَنْ يَقْبَلَ شَفَاعَةُ غَيْرِهِ لَهُ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ أَوْ غَيْرِهِمَا، أَوْ أَنْ يُجَرِّيَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنْ أَسْبَابٍ فِيهِ، يَكْفُرُ بِهَا مِنْ مَعَاصِيهِ؛ كَالْمَصَائِبِ وَالْهَمُومِ فِي الدُّنْيَا، أَوْ مَا يَلْحَقُهُ مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ فِي الْبَرْزَخِ، وَالْمَوْقِفِ

(١) مسلم (٢٧٤٩) من حديث أبي هريرة.

(٢) الترمذي (٢٤٩٩)، وابن ماجه (٤٢٥١) من حديث أنس.

وَالْعَرْضُ عَلَى اللَّهِ وَهَوْلُ الصَّرَاطِ، وَغَيْرَ ذَلِكَ^(١).
وَفَرِيقٌ: لَا يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُ كِبِيرَتُهُ؛ فَيُعَذِّبُهُ بِمَا يَطْهِّرُهُ اللَّهُ بِهِ فِي النَّارِ،
ثُمَّ مَالَهُ إِلَى الْجَنَّةِ.
وَالْأَصْلُ: أَنَّ الْفَرِيقَ الْأَوَّلَ أَكْثَرُ مِنَ الْفَرِيقِ الثَّانِي؛ لِسَعَةِ رَحْمَةِ اللَّهِ
وَسَبْقِهَا لِعُصْبِهِ.

﴿مَصْبِرٌ مَّنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ﴾

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَمَنْ عَاقَبَهُ اللَّهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ
بِهِ جَنَّتَهُ: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ٧]﴾:

مَنْ شَاءَ اللَّهُ عِقَابُهُ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ، فَلَا خِلَافَ فِي أَنَّهُ لَا يَخْلُدُ
فِيهَا كَالْكَافِرِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ وَعَدَ بِالْإِنَابَةِ عَلَى ذَرَّةٍ الْإِيمَانَ بِالْجَنَّةِ؛ فَفِي
«الصَّحِيحَيْنِ»، قَالَ ﷺ: (أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ
مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ)^(٢)، وَفِيهِمَا قَالَ: (حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ
مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْْبُدُ اللَّهَ،
فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ
السُّجُودِ، فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ؛ فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ؛
فَيُخْرِجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا)^(٣)، وَفِيهِمَا قَالَ ﷺ: (يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ
مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ)^(٤)، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَوْ أَحَدِهِمَا، مِنْ هَذَا
الْمَعْنَى أَحَادِيثُ كَثِيرَةٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنْسٍ، وَأَبِي سَعِيدٍ،

(١) النظر: «مجموع الفتاوى» (٧/ ٤٨٧ - ٥٠١)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (٢/ ٤٥١).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٤٤)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

وجابر^(١)، وعبد الله^(٢).

❦ وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة:

فذهبت الخوارج والمعتزلة: إلى سلب الإيمان منه، وأنه لا يدخل الجنة، ويخلد في النار.

وذهبت طوائف من المرجئة: إلى أنه لا يدخل النار أحد من المسلمين مهما بلغ ذنبه.

وقد دلّ الدليل في «الصحيحين»^(٣) على تعذيب أقوام في النار من عصاة بني آدم، وإخراج أقوام من النار قد امْتَحَشُوا واحْتَرَقُوا، إلا مواضع السجود فيهم، وأنه يخرج من النار من كان في قلبه ذرة من إيمان.

وهذه الأحاديث تشهد لصحة ما ذهب إليه أهل السنة في حكم مرتكب الكبيرة، وفيها رد على مذاهب هذه الطوائف المخالفة.

❦ الشفاعة وأحكامها:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَيُخْرِجُ مِنْهَا بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ ﷺ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِهِ»:

الشفاعة ثابتة؛ وهي حق قطعي لا ينكر أصلها مسلم، والشفع ضد الوثر؛ وهو: ضم واحد أو أكثر إلى واحد أو أكثر؛ ليصل إلى حاجة يعجز عنها بنفسه.

(١) البخاري (٦٥٥٨)، ومسلم (١٩١).

(٢) البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٦).

(٣) سبق تخريجها قبل قليل.

وهذا من رحمة الله، وسعة فضله: أن جعل الأسباب المُنجية من النار والمُدخلة للجنة متعددة.

والشفاعة تكون للنجاة والسلامة من العذاب أو الكرب، وتكون لتخفيف العذاب، وتكون لزوال العذاب، وتكون لدخول الجنة، وتكون للارتفاع فيها درجة فوق ما يستحقه العبد من غير الشفاعة:

■ أما الشفاعة التي تكون للنجاة والسلامة: فكالشفاعة لأهل الموقف بتخفيف الكرب عليهم: بأن يعجل الله في حسابهم^(١)، وكالشفاعة للنجاة من العذاب لمن كتب الله عليه النار، فيُنجيه الله منها بشفاعة غيره^(٢).

■ وأما الشفاعة التي تكون لتخفيف العذاب: فكشفاعة النبي ﷺ لعمه أبي طالب^(٣)، وشفاعته وشفاعة غيره للعصاة من المؤمنين التخفيف عنهم^(٤).

■ وأما الشفاعة التي تكون لزوال العذاب: فكالشفاعة في أهل النار من عصاة الموحدين بخروجهم من النار؛ فإن الأدلة استفاضت أن أقواماً من أهل الكبائر الموحدين يُعذبون في النار؛ إذا لم يرحمهم الله قبل ذلك^(٥).

■ وأما الشفاعة التي تكون لدخول الجنة: فكشفاعة النبي ﷺ للأمم أن تدخل الجنة بعدما يجاوزون الصراط^(٦).

(١) البخاري (٣٣٤٠)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة. والبخاري (٧٤١٠)، ومسلم (١٩٣) من حديث أنس.

(٢) «البداية والنهاية» (١٨٩/٢٠ - ١٩٢).

(٣) البخاري (٣٨٨٣)، ومسلم (٢٠٩) من حديث العباس.

(٤) البخاري (٦٥٦٠، ٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢، ١٨٣، ١٨٤).

(٥) سبق قبل قليل من حديث أبي هريرة وأبي سعيد وأنس وغيرهم.

(٦) كما عند مسلم (١٩٦ و ١٩٧) من حديث أنس، و(١٩٥) من حديث أبي هريرة وحذيفة.

■ وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ الَّتِي تَكُونُ لِلارْتِفَاعِ فِي الْجَنَّةِ: فَهِيَ شَفَاعَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَغَيْرِهِ مِنَ الْمَلَائِكَةِ وَالْأَنْبِيَاءِ وَالصَّالِحِينَ لغيرِهِمْ: بَأَنْ يَلْحَقُوا بِهِمْ، أَوْ مَنْ دُونَهُمْ مِمَّنْ قَصُرَ عَمَلُهُمْ عَنْ بَلُوغِ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ^(١)، وَكشْفَاعَةُ الْأَزْوَاجِ وَالْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ وَالْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ^(٢).

وَلَا يَشْفَعُ إِلَّا مُؤْمِنٌ، وَلَا تُقْبَلُ الشَّفَاعَةُ مِنْ غَيْرِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْكَافِرِ:

وَكَلَّمَا ضَعُفَ إِيْمَانُ الْعَبْدِ، ضَعُفَ احْتِمَالُ شَفَاعَتِهِ؛ حَتَّى يَكُونَ أَضْعَفُ الْأُمَّةِ إِيْمَانًا لَا يَشْفَعُ لِأَحَدٍ؛ لِأَنَّهُ لَنْ يَشْفَعَ لِمَنْ فَوْقَهُ؛ لِأَنَّهُ أَقْوَى إِيْمَانًا مِنْهُ، وَلَيْسَ تَحْتَهُ أَحَدٌ يَشْفَعُ لَهُ.

وَكَلَّمَا عَلَتْ مَرْتَبَةُ الْمُؤْمِنِ، قَلَّ الشَّافِعُونَ لَهُ؛ لِعُلُوِّهِ عَلَيْهِمْ، وَبَلُوغِهِ مَرْتَبَةَ تَمَامِ الرِّضَا أَوْ مَقَارِبَتِهَا؛ وَلِهَذَا لَمْ يَثْبُتْ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ يَشْفَعُ لَهُ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ الْأَنْبِيَاءِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ؛ فَكَانَ أَعْظَمُهُمْ شَفَاعَةً لغيرِهِ، وَغَيْرُهُ عَدِيمٌ الشَّفَاعَةِ لَهُ.

وَلَا يَأْذُنُ بِالشَّفَاعَةِ إِلَّا اللَّهُ، وَلَيْسَ الْإِذْنُ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ؛ مَهْمَا عَلَتْ مَنْزِلَتُهُ وَارْتَفَعَ شَأْنُهُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، وَقَالَ: ﴿وَيَسْتَعِذُّونَ مِنْ دُورِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعْنَاهُمْ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

وَالشَّفَاعَةُ لَا تَكُونُ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَكُونَ فِيهَا أَمْرَانِ:

- إِذْنُ اللَّهِ لِلشَّافِعِ أَنْ يَشْفَعَ.

- وَرِضَا عَنْ الْمَشْفُوعِ لَهُ.

(١) كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي مُوسَى عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٤٣٢٣ وَ ٦٣٨٣)، وَمُسْلِمٍ (٢٤٩٨). وَحَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ (٩٢٠).

(٢) كَمَا عِنْدَ مُسْلِمٍ (٢٦٣٥) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَهُوَ فِي شَفَاعَةِ الْآبَاءِ لِلْأَبْنَاءِ.

قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُقْبَلُ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَرِضَى﴾ [النجم: ٢٦]؛ فالكاfer لا يشفع، ولا يشفع له؛ لأن الله لا يرضى عن الكافرين؛ كما قال تعالى: ﴿فَلَا تَكُنْ اللَّهُ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]، والشفاعة لا بُدَّ فيها من رضا سبحانه، والكاfer لا يتفجع بالشفاعة؛ كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَتْمَتُهَا شَفَعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ [المدثر: ٤٨].

وقد أنكر بعض الطوائف الشفاعة بحسب أصولهم، وفرعوا على ذلك نقضها وإبطالها، ومنهم: مَنْ يُنْكِرُهَا عَامَّةً، ومنهم: مَنْ يُنْكِرُ بعضها:

فالخوارج والمعتزلة لا يرون صاحب الكبيرة مؤمناً؛ وعلى هذا: فلا شفاعة عندهم للعصاة من المسلمين؛ لأنهم سلبوهم اسم الإيمان، ويقابلهم المرجئة الذين لا يرون الشفاعة للعصاة أيضاً؛ لأن المعصية لا تؤثر على الإيمان عندهم؛ وعلى هذا: فلا يدخلون النار بها أصلاً، فضلاً عن تخفيف العذاب عليهم؛ فلا يدخل النار عند الخوارج والمعتزلة والمرجئة إلا نفس كافرة.

فالخوارج والمعتزلة والمرجئة أنكروا باعتبار ما قرروا.

وإطلاق أن الخوارج والمعتزلة والمرجئة يقولون بإنكار جميع أنواع الشفاعة غلط عليهم.

❦ رؤية الله في الآخرة:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ، وَأَثَرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ﴾:

استفاضت النصوص على رؤية الله في الآخرة، ولم يختلف الصحابة والتابعون ولا معروف بعلم من أتباعهم في ذلك:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُؤْمَرُ الْغَائِرَةُ ﴿٢٢﴾ إِنَّ رَبَّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]؛ أي: تنظر إلى ربها بعيني رأيها؛ وهذا ما قرره السلف في تأويلها.

وقد سأل أشهب مالك بن أنس عنها؟ فقال: «أينظرون إلى الله؟ قال: نعم؛ بأعينهم هاتين، قال أشهب: فإن قوماً يقولون: ناظرة، بمعنى: منتظرة إلى الشواب، قال: كذبوا، بل تنظر إلى الله؛ أما سمعت قول موسى: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الاعراف: ١٤٣]؛ أترأه سأل محالاً؟... وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَيزُ لَمَحْجُونُونَ﴾ [المطففين: ١٥]»^(١).

فإذا كان هناك محجوبون، فهناك ناظرون؛ وهذا لازم القول، وقد استدلل بهذه الآية على الرؤية: مالك^(٢)، والشافعي^(٣)، وجماعة من أهل العربية؛ كغلب^(٤)، وغيره^(٥).

وقد جاء اللقاء بالله يوم القيامة في مواضع من الوحي؛ ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَتَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤]، ولأزم اللقاء: الرؤية عند العرب^(٦)، وحكي الإجماع على ذلك؛ كما حكاه غلب^(٧).

وقد كان سحنون يلقن ابن القصار في مرض موته: «أن الله يرى يوم القيامة»^(٨)، وكان أبو العباس بن طالب يستفتح خطبة الجمعة على

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٧١)، و«ترتيب المدارك» (٤٣/٢).

(٢) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨). (٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٩).

(٤) «ياقوتة الصراط» (ص ٥٦١).

(٥) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٣٠٠ - ٣٠١)، و«الرد على الجهمية» للدارمي ١٦٦ و١٦٧.

(٦) «الشرعة» للأجري (٩٨١/٢). (٧) «الإبانة» لابن بطة (٦٢/٧).

(٨) «رياض النفوس» (٣٦٧/١ - ٣٦٨)، وقد سبق.

مُنِيرِ الْقَيَّرَوَانِ بِإثبات رؤية الله في الآخرة^(١).

ومن الأدلة: قوله تعالى: ﴿لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ نُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنْ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرِنُنِي﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ فالله منع موسى من رؤيته في الدنيا، ولأزم ذلك تمكينه منها في الآخرة.

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى لَا يَسْأَلُ إِلَّا التَّمَكِينَ، لَا يَسْأَلُ الْمُحَالَ.

وكذلك: فَإِنَّ اللَّهَ تَجَلَّى لِلْجَبَلِ بِنَفْسِهِ؛ لِثَرِيٍّ مُوسَى أَنْ لَا طَاقَةَ فِي خِلْقَتِهِ - الَّتِي هُوَ عَلَيْهَا فِي الدُّنْيَا - عَلَى رُؤْيَا اللَّهِ؛ لِأَنَّ الْجَبَلَ - وَهُوَ أَقْوَى مِنْهُ، وَأَشَدُّ خَلْقًا - لَمْ يَتَحَمَّلْ؛ فَاصْبَحَ دُكًّا.

وقد جعل ابن عبد البر دَلَالَةَ الْآيَةِ وَاضِحَةً عَلَى رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ^(٢)؛ وبهذا يقول أهلُ العريَّةِ فِي مَعْنَى التَّجَلَّى؛ كَالْخَلِيلِ وَغَيْرِهِ؛ قَالُوا: «تَجَلَّى: ظَهَرَ وَبَانَ»^(٣).

وَمَنْ يُعَارِضُ هَذِهِ الْآيَةَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْبَصَرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فَقَدْ أَخْطَأَ؛ لِأَنَّ الْإِدْرَاكَ هُنَا؛ بِمَعْنَى: الْإِحَاطَةُ، وَعَدَمُ الْإِدْرَاكِ وَالْإِحَاطَةُ لَا يَنْفِي الرُّؤْيَا؛ فَقَدْ تَرَى مَنْ لَا تُدْرِكُهُ وَلَا تَحِيطُ بِهِ، وَالْإِدْرَاكَ فِي الْآيَةِ الْإِحَاطَةُ، وَهِيَ قَدْرٌ زَائِدٌ عَنْ مَجْرَدِ الرُّؤْيَا، وَهُوَ مُمْتَنِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَاللَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الرُّؤْيَا وَالْإِدْرَاكِ بِقَوْلِهِ عَنْ أَصْحَابِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ: ﴿فَلَمَّا تَرَا الْجَمْعَانِ قَالُ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرِكُونَ﴾ [الشعراء: ٦١]؛ رَأَوْهُمْ أَوَّلًا، ثُمَّ خَافُوا إِدْرَاكَهُمْ ثَانِيًا.

وَكَانَ مَالِكٌ وَأَصْحَابُهُ يَشُدُّونَ عَلَى مُنْكَرِ رُؤْيَا اللَّهِ مِنْ أَهْلِ الْكَلَامِ،

(١) ترتيب المدارك (٤/٢١٤).

(٢) التمهيد (٧/١٥٣).

(٣) العين (٦/١٨٠)، ومعاني القرآن للزجاج (٢/٣٧٣)، وتهذيب اللغة (١١/١٨٥).

قِيلَ لِمَالِكٍ: «إِنَّهُمْ يَزْعُمُونَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى!»، فَقَالَ مَالِكٌ: «السَّيْفُ السَّيْفُ»^(١).

وَقَدْ ضَرَبَ أَسَدُ بْنُ الْفَرَاتِ فِي مَجْلِسِهِ بِالْمَسْجِدِ بِنَعْلَيْهِ رَجُلًا أَنْكَرَ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ، وَكَانَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، لَوْ أَدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَخَجِثْتُ عَنْ رُؤْيَا اللَّهِ، لَشَكَّكْتُ، وَلَآنَا أَسْرُ بِرُؤْيَا رَبِّي مِنِّي بِالْجَنَّةِ»^(٢).
وَلِلشَّافِعِيِّ كَلَامٌ قَرِيبٌ مِنْ هَذَا^(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْمَاجِشُونِ: «مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُيِبَ»^(٤).

وَصَنَّفَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمَغَارِبَةِ فِي رُؤْيَا اللَّهِ رَدًّا عَلَى الْمُنْكَرِينَ لَهَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ؛ فَكَتَبَ يَحْيَى بْنُ عُمَرَ كِتَابَ «الرُّؤْيَا»، وَكَتَبَ ابْنُ وَضَّاحٍ كِتَابَ «مَا جَاءَ مِنَ الْحَدِيثِ فِي النَّظَرِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى»، وَأَكْثَرَ مِنْ رِوَايَةِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ فِي الرُّؤْيَا؛ حَتَّى كَانَ عُمْدَةً لِلْمَغَارِبَةِ فِي هَذَا الْبَابِ؛ حَتَّى قَالَ أَبُو مُوسَى الْأَنْصَارِيُّ: «كَانَ الْمَغَارِبَةُ يَرْوُونَ أَقْوَالَ رُؤْيَا اللَّهِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ وَضَّاحٍ الْأَنْدَلُسِيِّ».

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَرَاهُ أَوْلِيَاؤُهُ فِي الْمَعَادِ بِأَبْصَارٍ وَجُوهِهِمْ لَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَايِهِ؛ كَمَا قَالَ ﷺ فِي كِتَابِهِ وَعَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ؛ قَالَ الرَّسُولُ ﷺ فِي قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمُتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، قَالَ: (الْحُسْنَى: الْجَنَّةُ، وَالزِّيَادَةُ: النَّظَرُ إِلَى

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨ و ٨٧٢).

(٢) «رياض النفوس» (١/٢٦٤).

(٣) «شرح أصول اعتقاد أهل السنة» (٣/٥٦٠).

(٤) نَسَبَهُ وَغَيْرَهُ مِنْ آثَارِ السَّلَفِ وَالْأَئِمَّةِ مُحَمَّدُ بْنُ وَضَّاحٍ فِي كِتَابِ «الرُّؤْيَا».

وَجِهُ اللَّهِ تَعَالَى^(١)، قِيلَ لِمَالِكٍ: أَيْرَى اللَّهُ ﷻ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿يَوْمَ يَوْمِهِ نَاصِرَةٌ﴾ [٢١] لَكَ رَيْهَا نَاصِرَةٌ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]، وَقَالَ ﷻ فِي أُخْرَى: ﴿كَأَنَّ إِيَّاهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَ يَوْمِهِمْ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، قَالَ مَالِكٌ: قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: دُونَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ^(٢).

﴿الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعَدَّهَا اللَّهُ﴾

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَهِيَ الَّتِي أَهْبَطَ مِنْهَا آدَمُ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتُهُ إِلَى أَرْضِهِ، بِمَا سَبَقَ فِي سَابِقِ عِلْمِهِ، وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَالْحَدَّ فِي آيَاتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَحْجُوبِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ﴾:﴾

ذَكَرَ اللَّهُ الْجَنَّةَ الَّتِي ادْخَلَهَا آدَمُ وَزَوْجُهُ، وَلَمْ يَقْبِذْ: ﴿وَقُلْنَا يَتَادُمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥].

والأصل: كونها جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي يؤولُ إِلَيْهَا أَمْرُ الْمُؤْمِنِينَ جَمِيعًا، وَقَدْ كَانَ آدَمُ وَخَوَاءُ - وَمَعَهُمْ عَدُوُّهُمْ إِبْلِيسُ - فِي جَنَّةِ السَّمَاءِ؛ وَلِهَذَا أَهْبَطَهُمُ اللَّهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَقَالَ: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٨]، وَقَالَ: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِعِصْيَانِكُمْ وَكُفْرِي فِي الْأَرْضِ مُسْتَفِرًّا وَمَنْعَ إِلَى جَهَنَّمَ﴾ [البقرة: ٣٦]، وَقَدْ ثَبَتَ فِي «الصَّحِيحِ»: أَنَّ آدَمَ تُطْلَبُ مِنْهُ الشَّفَاعَةُ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَعْتَذِرُ مِنْهَا، ثُمَّ يَقُولُ: (وَهَلْ أَخْرَجَكُمْ مِنَ الْجَنَّةِ إِلَّا خَطِيئَةُ أَبِيكُمْ آدَمَ) (٣)؛ فَذَلَّ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا هِيَ الَّتِي سَيَعُودُونَ إِلَيْهَا.

(٢) «الجامع» (ص ١٢٣ - ١٢٤).

(١) «الجامع» (ص ١٠٩).

(٣) مسلم (١٩٥).

وقد جاء ذُكْرُ الْجَنَّةِ التي دَخَلَهَا آدَمُ في القرآنِ معرفةً بلامِ التعريفِ، ولم يذكُرْها منكرةً؛ قال تعالى: ﴿أَسْكَنْ أَتَى وَوَدَّكَ الْجَنَّةَ﴾ [الأعراف: ١٩]، وقال: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى﴾ [طه: ١١٧]، ولا جَنَّةَ يَعْمَدُهَا المخاطبونَ وَيَعْرِفُونَهَا عندَ سَمَاعِهَا إلا جَنَّةَ الْخُلْدِ.

وقولُ ابنِ أبي زَيْدٍ: «وَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ»، لا يريدُ به: أنَّ بعضَ عصاةِ الموحِّدين لا يدخُلونَ النارَ، وإنما هذا ذِكرُهُ بقيدِ الخلودِ، والمؤمنُ لا يخلُدُ في النارِ ولو عُذِّبَ فيها؛ ولهذا قَيِّدَ، فقال: «دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ».

ولا يَرَى الْكُفَّارُ رَبَّهُمْ يومَ القيامةِ؛ لأنَّ رُؤْيَاهُ نعيمٌ، ولا نعيمَ لهم؛ وقد قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، وقال رجلٌ لِمَالِكٍ: يا أبا عبدِ اللهِ، هل يَرَى الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يومَ القيامةِ؟ فقال مَالِكٌ: «لو لم يَرِ الْمُؤْمِنُونَ رَبَّهُمْ يومَ القيامةِ، لم يعيِّرِ اللهُ الْكُفَّارَ بِالْحِجَابِ؛ قال اللهُ تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُورُونَ﴾ [المطففين: ١٥]»^(١).

وبهذا استدَلَّ الشافعيُّ وأحمدُ^(٢).

﴿خُلِقَ الْجَنَّةُ وَالنَّارُ﴾

قال في «الجامع»: «وَأَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقْنَا؛ أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ، لَا تَفْنِيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ»^(٣).

أخبرَ اللهُ بِخُلُقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وأَنَّهُ أَعَدَّهُمَا قَبْلَ يومِ القيامةِ لأهلِهما؛ كما قال تعالى عن الْجَنَّةِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]،

(٢) «الرد على الجهمية» (ص ١٣٣).

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (٨٠٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٠).

وقال عن النارِ: ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٤، وآل عمران: ١٣١]؛ فأعدادُها سابقٌ لِعَمَلِ الْعَامِلِينَ، وأعدَّها اللهُ لِسَابِقِ عِلْمِهِ وَتَقْدِيرِهِ، وَلَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ، أَرَى الْجَنَّةَ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ﴿١٣﴾ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ﴿١٤﴾ عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾ [النجم: ١٣ - ١٥]، وَقَدْ أَرَى الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي أَحَادِيثَ كَثِيرَةٍ^(١).

وَقَدْ رَأَى النَّبِيُّ ﷺ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ فِي الْمَنَامِ، وَرَوَى الْأَنْبِيَاءُ حَقًّا، لَيْسَتْ كَأَحْلَامِ النَّاسِ؛ وَبِهَذَا يَسْتَدِلُّ أَحْمَدُ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ قَدْ خُلِقَتَا؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ حَنْبَلٌ^(٢)، وَأَدْلُهُ خَلْقُ اللَّهِ لِلْجَنَّةِ وَالنَّارِ صَرِيحَةً مُتَوَاتِرَةً، وَقَدْ جَزَمَ أَحْمَدُ بِكَفْرِ مَنْكَرِ ذَلِكَ؛ كَمَا نَقَلَهُ عَنْهُ الْأَنْدَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ^(٣).

وَكُلُّ مَنْ نَفَى الْقَدَرَ، لَزِمَهُ الْقَوْلُ بِنَفْيِ سَبْقِ خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ.

﴿خُلُودُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ﴾

وَقَدْ قَالَتْ بَعْضُ الطَّوَائِفِ: إِنَّ أَعْمَالَ اللَّهِ لَهَا آخِرٌ، وَمِنْهَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَعَلَى هَذَا تَفَنِّيَانِ؛ وَهُوَ قَوْلُ الْجَهْمِ بْنِ صَفْوَانَ^(٤).

وَرَبَّمَا اسْتَدَلَّ بَعْضُهُمْ بِبَعْضِ عُمُومَاتِ الْقُرْآنِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿كُلُّ مَنٍّ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [الفصص: ٨٨].

وَيُجْمَعُ السَّلَفُ عَلَى أَنَّ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ لَا تَفْنَيَانِ، وَإِنَّمَا ثَمَّةٌ كَلَامٌ قَلِيلٌ لِبَعْضِهِمْ فِي فَنَاءِ النَّارِ^(٥)، وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ أَبَدِيَّةَ النَّارِ فِي مَوَاضِعَ مِنْ

(١) كَمَا فِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٨٦)، وَمُسْلِمَ (٩٠٥). وَحَدِيثِ أَنَسٍ أَيْضًا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ (٥٤٠)، وَمُسْلِمَ (٤٢٦).

(٢) «طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ» (٣١١/١). (٣) «طَبَقَاتُ الْحَنَابِلَةِ» (٣٣٩/٢).

(٤) «مَقَالَاتُ الْإِسْلَامِيِّينَ» (٣٩٦/٢)، وَ«دُرَرُ التَّعَارُضِ» (٣٥٨/٢).

(٥) انْظُرْ: رِسَالَةَ «رَفْعِ الْأَسْتَارِ»، وَ«الرَّدَّ عَلَى مَنْ قَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ».

كتابهِ ﷺ؛ قال تعالى: ﴿خَلِّدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾ [النساء: ١٦٩، والأحزاب: ٦٥، والجن: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ مَنْ يَأْتِي رَبَّهُ مَجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ [طه: ٧٤]، وقد صحَّ الحديثُ بالإتيانِ بالموتِ في صورة كبشٍ أَمْلَحَ، فيُذْبَحُ بين الجنةِ والنارِ^(١)، والقولُ بفناءِ الجنةِ أعظمُ من القولِ بفناءِ النارِ، وقد جَزَمَ أحمدُ بنُ حنبلٍ بكفرِ مَنْ قال بفناءِ الجنةِ خاصةً؛ كما في رسالتهِ إلى مسددٍ^(٢).

وقد تكلَّمنا على ذلك بالتفصيلِ في «الخُرَاسَانِيَّةِ»^(٣).

صفةُ المجيءِ لله:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢]؛ لِعَرَضِ الْأَمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَثَوَابِهَا: تُثَبَّتُ صِفَةُ الْمَجِيءِ لِلَّهِ تَعَالَى حَقِيقَةً كَمَا يَلِيقُ بِهِ، لَا كَمَا يَلِيقُ بِالْمَخْلُوقِ، وَإِبَاتُهَا كِلَابَاتٍ سَائِرِ أَعْمَالِهِ الْاِخْتِيَارِيَّةِ؛ كَالِاسْتَوَاءِ وَالنُّزُولِ وَغَيْرِهِمَا، وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ إِبَاتَهَا حَقِيقَةً بِقَوْلِهِ فِي «الْجَامِعِ»: «بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ جَائِئًا»^(٤).

وَالْإِتْيَانُ وَالْمَجِيءُ: مِنَ الصِّفَاتِ الْفَعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ [البقرة: ٢١٠]، وَقَالَ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِكَ بَعْضُ أَمَّااتِ رَبِّكَ﴾ [الأنعام: ١٥٨]، وَقَالَ: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًا صَفًا﴾ [الفجر: ٢٢].

(١) البخاري (٤٧٣٠)، ومسلم (٢٨٤٩) من حديث أبي سعيد.

(٢) «طبقات الحنابلة» (٤٢٦/٢).

(٣) «الخُرَاسَانِيَّة» (ص ٣٥٠).

(٤) «الجامع» (ص ١٠٧ - ١٠٨).

وقد حكى أبو الحسن الأشعري الإجماع على إثبات المجيء لله يوم القيامة؛ كما في «رسالته إلى أهل الثغر»^(١).

وقد روى حنبل عن أحمد: أنه تأول المجيء بمجيء قدرته، وأن الإتيان إتيان أمره.

ولم يرو ذلك عن أحمد أحد غيره، وقد أنكره عليه بعض الأصحاب؛ لأنه لا يجري على أصوله؛ قال أبو إسحاق بن شاقلاً: «هذا غلط من حنبل، لا شك فيه»، وأراد أبو إسحاق بذلك: أن مذهبه حمل الآية على ظاهرها في مجيء الذات؛ هذا ظاهر كلامه^(٢).

وهذا لو صحَّ عن أحمد، فليس هو يجري على أصول أهل التأويل؛ لأن أصول أحمد: الإثبات لأفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة.

وربما استحضّر نفاه الأفعال الاختيارية لله كيفية معينة؛ فحملهم ذلك على التأويل أو التعطيل.

وقد سمع الإمام أحمد قاصداً يروي حديث النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغيير حال، فارتعد أحمد، واصفرَّ لونه، وقال لابنه عبد الله: قف بنا على هذا المتخوِّص، فلما حاذاه، قال: يا هذا؛ رسول الله أغير على ربِّه منك؟ قل كما قال رسول الله ﷺ»، وانصرف^(٣).

والإتيان والمجيء لله يُثبت حقيقة تليق به، بلا تأويل ولا تكييف

(١) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٢٧).

(٢) «إبطال التأويلات» (١/١٣٢)، و«مجموع الفتاوى» (٤٠٤/١٦ - ٤٠٦).

(٣) «الاقتصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

ولا تمثيل، وقد بين ابن أبي زيد ثبوت ذلك حقيقة؛ كما هو ظاهر كلامه في «الجامع»؛ حيث قال: «وَمِمَّا جَاءَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ: أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَضَعُ كُرْسِيَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفَضْلِ الْقَضَاءِ»^(١).

ولإثبات المجيء والإتيان، والتزول لله، حقيقة تليق به، لا يلزم منه التشبيه.

وربما جرى بعض أهل السنة على الأصول الكلامية؛ فجعلوا لوازم لا دليل عليها إثباتاً ونفيًا، عند إثبات المجيء والإتيان والتزول؛ كالحركة والانتقال وخلو العرش؛ فأرادوا تنزيه الله عن تلك اللوازم؛ فرجعوا إلى ما أثبتته الشرع، فتأولوه.

والحق: الإمساك عن تلك اللوازم؛ فكونها لازمة للمخلوق، لا يجوز الخوض فيها في حق الخالق؛ فمن لا يشبهه شيء في صفاته لا يشبهه شيء في لوازمها.

واستنكار ابن عبد البر للفظه: «إِنَّهُ يَنْزِلُ بِذَاتِهِ» في «الاستذكار»، من هذا الباب؛ قال: «وقد قالت فرقة متسببة إلى السنة: إنه يَنْزِلُ بِذَاتِهِ؛ وهذا قول مهجور؛ لأنه تعالى ذكره ليس بِمَحَلٍّ لِلْحَرَكَاتِ، ولا فيه شيء من علامات المخلوقات»^(٢).

ومثله: قوله في «المجيء» في كتابه «التمهيد»: «وليس مجيئه حركة، ولا زوالاً، ولا انتقالاً؛ لأن ذلك إنما يكون إذا كان الجاني جسمًا»^(٣)؛ وهذا من ابن عبد البر هو قول أبي الحسن في «الرسالة إلى أهل الثغر»^(٤).

(٢) «الاستذكار» (٨/١٥٣).

(٤) «رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٢٧).

(١) «الجامع» (ص ١٠٨).

(٣) «التمهيد» (٧/١٣٧).

وقد كان الإمام أحمد يُنكر مَنْ يُوردُ هذه اللوازم: «الزوال، والانتقال، وتغيُّر الحال»؛ بحُجَّة نفيها عند إثبات النزول، وقد سَمِعَ أحمدُ قاصًّا يروي حديثَ النزول، ويقول: «بلا زوال، ولا انتقال، ولا تغيُّر حال، فارتعدَ أحمدُ، واصفرَّ لَوْنُهُ، وقال لابنهِ عبدُ الله: قِف بنا على هذا المتخرِّص، فلَمَّا حاذاه، قال: يا هذا؛ رسولُ الله أُعيرَ على رَبِّهِ مِنْكَ، قُلْ كما قال رسولُ الله ﷺ، وانصرفت^(١).

وابنُ عبدِ البرِّ مُثبِتٌ للاستواء على ظاهره؛ وهو على طريقة السلف في الصفات، وإن جرى في مواضع قليلة من كلامه التقريرُ على ما يُشابه في الظاهر طريقة أهل الكلام؛ وهذا لا يُخرِجُه عن أصله الذي هو عليه؛ في عامَّة تقريره المجمل والمفصل.

الميزان والوزن:

❁ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَتَوَضَّعَ الْمَوَازِينُ لِوِزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ؛ فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ٨]:

الميزانُ حقٌّ؛ كما قال مالكُ بن أنسٍ وغيره^(٢)، وقد عدَّه أحمدُ وابنُ المدينيِّ من أصولِ السُّنة^(٣)، وقد جاء ذلك في الكتاب، وتواتر في السُّنة، واجمعت عليه الأمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾ [الأنبياء: ٤٧].

ويضعُ الله الميزانَ؛ لِيُقِيمَ الحُجَّةَ على عباده، فيروا أعمالهم، ويقرؤوا صُحفهم، ويُبصِّروا موازينهم بأنفسهم؛ ليعرفوا ما يستحقُّون، من

(١) «الانقصاد في الاعتقاد» (ص ١١٠).

(٢) «أصول السُّنة» لابن أبي زمنين (ص ١٦٥).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (٣١٧ و ٣١٨).

النعيم والعذاب، وَيَعْرِفُوا مَقْدَارَ ذَلِكَ، وَإِذَا جَاءَتْهُمْ رَحْمَةٌ مِنْ اللَّهِ، عَرَفُوا قَدْرَهَا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ﴾ (١) ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ۖ﴾ (٢) ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۖ﴾ (٣) ﴿فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۖ﴾ (٤) ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ۖ﴾ (٥) ﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (٦) [القارعة: ٦ - ١١].

وَتُوزَنُ جَمِيعُ الْأَعْمَالِ؛ وَيَجْعَلُ اللَّهُ لِكُلِّ عَمَلٍ وَزَنًا بِالْعَدْلِ، وَفِي «الصحيح» قَالَ ﷺ: (الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) (١).

وَتُوزَنُ كَذَلِكَ الْأَبْدَانُ؛ كَمَا فِي الْحَدِيثِ: (يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالرَّجُلِ السَّمِينِ، فَلَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ)، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] (٢)، وَفِي فَضْلِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ ﷺ: (أَتَعْبُدُونَ مِنْ دِقَّةِ سَاقِيهِ؟) فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثَقُلٌ مِنْ أَحَدٍ (٣).

وَكَذَلِكَ تُوزَنُ الْكُتُبُ؛ كَمَا فِي حَدِيثِ صَاحِبِ الْبِطَاقَةِ، وَفِيهِ: (فَطَاشَتِ السُّجُلَاتُ، وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ) (٤).

وَلَا يَثْبُتُ فِي حَجْمِ الْمِيزَانِ حَدِيثٌ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ لَهُ كِفَّتَيْنِ؛ لظَاهِرِ حَدِيثِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ؛ وَهُوَ حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ، وَفِيهِ: (فَتَوَضَّعَتِ السُّجُلَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السُّجُلَاتُ) (٥)؛ وَبِهَذَا يَقُولُ الْأَكْثَرُ، وَحَكَى أَبُو إِسْحَاقَ الزَّجَّاجُ الْإِجْمَاعَ عَلَى ذَلِكَ (٦).

(١) مسلم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.

(٢) البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥) من حديث أبي هريرة.

(٣) أحمد (٤٢٠/١) رقم (٣٩٩١)، وابن حبان (٧٠٦٩).

(٤) الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٥) الموضوع السابق.

(٦) «فتح الباري» (٥٣٨/١٣).

ومنهم: مَنْ أَنْكَرَ الْكَفَّتَيْنِ؛ كَابِنِ حَزْمٍ^(١).

وَرُوِيَ عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ؛ كَسَلْمَانَ، وَابْنِ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبَعْضِ التَّابِعِينَ؛ كَالْحَسَنِ^(٣): أَنَّ لَهُ لِسَانًا؛ يَعْنِي: مَا بَيْنَ الْكَفَّتَيْنِ مِمَّا يَبِينُ الرَّجْحَانُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِصِفَتِهِ.

❦ صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيامة:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَيُؤْتَوْنَ صَحَائِفَهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ؛ فـ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ ۖ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧ - ٨]، وَمَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (فِي «الجامع»): بِشِمَالِهِ^(٤) فَأُولَئِكَ يَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾:

يَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ، وَيُحْصُونَ عَلَيْهِمْ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ؛ حَتَّى يَرَى الْعَبْدُ مَا كُتِبَ عَلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِعَيْنِهِ، وَيَقْرَأُهُ؛ سِوَاءَ كَانَ قَارِئًا فِي الدُّنْيَا، أَوْ لَمْ يَكُنْ قَارِئًا؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمَتْهُ طَلَبُهُ فِي عُنُقِهِ وَخُجِرَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾ ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٤]، وَطَائِرُهُ: عَمَلُهُ؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ^(٥).

وَالْمُؤْمِنُ يُؤْتَى كِتَابُهُ بِيَمِينِهِ إِكْرَامًا وَبِشَارَةً لَهُ؛ فَهَذَا ظَاهِرٌ؛ حَيْثُ إِنَّهُ يَبْشُرُ بِكِتَابِهِ، وَيُرِيدُ أَنْ يَقْرَأَهُ النَّاسُ مَعَهُ؛ لِمَا بُشِّرَ بِمَا فِيهِ مِنْ خَيْرٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَى كِتَابَهُ يَمِينَهُ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَأُوا كِتَابِي﴾

[الحاقة: ١٩].

(١) «الفصل في الملل والنحل» (٥٥/٤). (٢) «شعب الإيمان» (٢٧٨).

(٣) «مسائل حرب» (١٧٤٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (٢٢١٠).

(٤) «الجامع» (ص ١١٢).

(٥) «تفسير عبد الرزاق» (٣٧٤/١)، و«تفسير ابن جرير» (٥١٩/١٤ و ٥٢٠ و ٥٢٣ و ٥٢٤).

وَأَمَّا الْكَافِرُ، فَيُوتَى كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وِرَاءِ ظَهْرِهِ، لَا يُوتَى بِهِ مِنْ أَمَامِهِ؛
لَأَنَّ الْأَمَامَ إِكْرَامٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَلْتَنِنِي لَوْ أُوْتِيَ
كِتَابِي﴾ [الحاقة: ٢٥]، وَقَالَ: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ﴾ [الانشقاق: ١٠].

وَاخْتَلَفَ فِي صَاحِبِ الْكِبِيرَةِ الَّذِي لَمْ يَغْفِرِ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
وَأَرَادَ عَذَابُهُ؛ هَلْ يَأْخُذُ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ أَوْ بِشِمَالِهِ، عَلَى قَوْلَيْنِ:

- فَمِنْهُمْ ^(١) مَنْ قَالَ: بِشِمَالِهِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ كَتَبَ عَلَيْهِ الْعَذَابَ فِي النَّارِ إِلَى
أَمَدٍ؛ وَهَذَا يَنَافِي اسْتِبْشَارَهُ بِالنَّجَاةِ، وَمِثْلُهُ لَا يَقَالُ فِيهِ: إِنَّ حَسَابَهُ يَسِيرٌ؛
كَمَا فِي أَصْحَابِ الْيَمِينِ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ
فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ ⑧ وَتَقَلِّبُ إِلَيْكَ أَهْلِيهِ مَسْرُورًا ⑨ [الانشقاق: ٧ - ٩]؛
فَمَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ الْمُؤْخِرِينَ، لَا يَتَقَلِّبُ مَسْرُورًا إِلَى أَهْلِهِ.

- وَذَهَبَ آخَرُونَ ^(٢): إِلَى أَنَّهُ يَأْخُذُهُ بِيَمِينِهِ؛ وَلَكِنَّهُ لَا يَسْتَبْشِرُ
اسْتِبْشَارَ النَّاجِينَ، وَلَا يُسَرُّ كَسْرُورِهِمْ؛ فَالنَّاسُ عَلَى مَرَاتِبَ فِي هَذَا.

- وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ ثَالِثٍ: أَنَّ الْعَصَاةَ يَأْخُذُونَ كُتُبَهُمْ وَرَاءَ ظَهْرِهِمْ،
وَأَمَّا الْمُؤْمِنُونَ: فَيَأْخُذُونَهَا بِأَيْمَانِهِمْ، وَأَمَّا الْكَفَّارُ: فَبِشِمَالِهِمْ؛ وَبِهَذَا قَالَ
ابْنُ حَزْمٍ ^(٣)؛ وَفِيهِ نَظَرٌ.

❦ الصراط وأحوال الناس فيه:

❶ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الصَّرَاطَ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ؛
فَتَأْجُونَ مُتَقَاتِرُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْبَقَتْهُمْ فِيهَا
أَعْمَالُهُمْ﴾:

(٢) «لوامع الأنوار» (١٨٣/٢).

(١) «لوامع الأنوار» (١٨٣/٢).

(٣) «المحلى» (١٧/١).

والصراطُ حَقٌّ باتِّفاقِ السلف، وهو جِسْرٌ مورودٌ على مَنِّ جَهَنَّمَ، وهو المرادُ بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَنْكُرُ إِلَّا وَايْدَهُ﴾ [مريم: ٧١]؛ يعني: جَهَنَّمَ، والورودُ يكونُ على الصراطِ، لا يَصِلُ أَحَدٌ إلى مكانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ إلا مِنْ فوقِهِ إِنْ كانَ مُؤْمِنًا، وَإِنْ كانَ غَيْرَ مُؤْمِنٍ، فيسْقُطُ ويَهْلِكُ مع الهالِكِينَ، وفي «الصحيحَيْنِ» من حديثِ طويلٍ، فيه: (وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ)، قال رسولُ الله ﷺ: (فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجْبِزُ، ودُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ، وَيَهْ كَلَالِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ؛ أَمَا رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟! قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهَا لَا يَعْلَمُ قَدْرَ عَظَمَتِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، فَتَخْطِفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، مِنْهُمْ الْمُؤَبَّقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ الْمُخْرَدُ، ثُمَّ يَنْجُو...)^(١)؛ الحديث.

ويَمُرُّ النَّاسُ عَلَيْهِ بِحَسَبِ إِيْمَانِهِمْ، وَسُرْعَةُ سَقُوطِهِمْ بِمَقْدَارِ كُفْرِهِمْ وَفُجُورِهِمْ، وَاتَّبَتْ النَّاسَ عَلَى صِرَاطِ الدُّنْيَا أَثْبَتُهُمْ وَأَسْرَعُهُمْ عَلَى صِرَاطِ الآخِرَةِ؛ كما في «الصحيحَيْنِ» في الحديث؛ قال: (الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرَّكَابِ؛ فَتَاجِ مُسَلِّمٍ، وَتَاجِ مَخْذُوشٍ، وَمَكْدُوسٍ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا)^(٢).

وهو دَقِيقُ مَزَلَّةٍ قَدَمٌ إِلَّا لِمَنْ ثَبَّتَهُ اللَّهُ؛ كما قال ابنُ مسعودٍ: «وَالصِّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَخَضُ مَزَلَّةٍ»^(٣)، وقال سلمانُ: «إِنَّ كَحَدَّ الْمُوسَى»^(٤).

(١) البخاري (٦٥٧٣)، ومسلم (١٨٢) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد.

(٣) «تعظيم قدر الصلاة» (٢٧٨). وقد روي عنه مرفوعًا.

(٤) ابن أبي شيبة (٣٥٣٣٥)، وابن الأعرابي (١٨٢٧). وقد روي عنه مرفوعًا.

ودقة الصراط إنما هي من أقوال الصحابة والسلف، وليس في ذلك شيء مرفوع، وما لم يختلف عليه السلف، فالأصل: أن له أصلاً.
ولا يجوز إنكار الصراط لمجرد الاستنكار العقلي؛ كما يفعل ذلك طوائف من الماديين والمعتزلة؛ فإن العقل لو كان حكماً على النص، لكان إنكاره لغير ذلك من أمور القيامة أولى من إنكار الصراط؛ ولكن ما ثبت به النص من الغيبات لا يجوز لأحد إنكاره بالعقل؛ فإنه ليس في صريح العقل ما يحيل ذلك.

الحوض المورود:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، تَرْدُهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيْرَ»﴾:

حوض النبي ﷺ حق، وقد استفاض فيه الحديث واشتهر، بل تواتر حتى رواه أكثر من خمسين صحابياً، باسمه ومعناه، وكان يعرفه عوام أهل الصدر الأول، وهو رجاء الجميع ودعاؤهم؛ قال ﷺ: (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاءُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِبْرَانُهُ كَنْجُومِ السَّمَاءِ؛ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا، فَلَا يَظْمَأُ أَبَدًا)^(١).

ولا يشرب من الحوض إلا نفس مؤمنة من أمة محمد ﷺ؛ وذلك أن من شرب منه لا يظمأ أبداً، ومن كتب الله عليه النار، فلا بد أن يظمأ، وفي الحديث قال ﷺ: (إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُهُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي؛ فَيَقَالُ: هَلْ شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بِعَذَابِكَ؟ وَاللَّهِ مَا يَرْجُوا بِرَجْمُونِ عَلَى أَعْقَابِهِمْ)^(٢).

(١) البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٢٩٢) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٢) البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣) عن أسماء بنت أبي بكر.

والْحَوْضُ قَبْلَ الصَّرَاطِ فِي الْمَوْقِفِ عِنْدَ طُولِ الْمَقَامِ، بَعْدَ الْبَغْثِ
وَدُنُو الشَّمْسِ وَشِدَّةِ الْعَطَشِ؛ فَذَلِكَ أَعْظَمُ فِي الْمِنَّةِ، وَأَظْهَرُ فِي النِّعَمِ.
وَالْأَظْهَرُ: أَنَّ لِلْأَنْبِيَاءِ حَوْضًا لَهُمْ وَلِأُمَّمِهِمْ، وَلَمْ يَثْبُثْ تَخْصِيصُ
النَّبِيِّ ﷺ بِهِ، وَأَنَّهُ لَيْسَ لِلْأَنْبِيَاءِ مِثْلُهُ، وَالْمَوْقِفُ فِيهِ أَنْبِيَاءٌ وَأَوْلِيَاءٌ مِنْ غَيْرِ
الْأُمَّةِ، وَحَوْضُ النَّبِيِّ خَاصٌّ بِهِ وَبِأُمَّتِهِ، وَمَقْتَضَى رَحْمَةِ اللَّهِ وَفَضْلِهِ: عَمُومُ
ذَلِكَ لِأَمْثَالِهِمْ، وَإِنْ اخْتَلَفَ النُّوعُ وَالسَّعَةِ؛ فَالْحَاجَةُ فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ
عَامَّةٌ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ وَغَيْرِهَا.

وَقَدْ أَنْكَرَ الْحَوْضَ بَعْضُ الْمَادِّيِّينَ وَالْمَعْتَزِلَةِ^(١)، مَعَ كَثْرَةِ الْأَدْلَةِ
وَتَوَاتُرِهَا؛ وَهَذَا مِنْ أَعْظَمِ الْبِدَعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يُرَدَّ الدَّلِيلُ لِلنَّظَرِ.

❦ حَقِيقَةُ الْإِيمَانِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الْإِيمَانَ: قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ،
وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ﴾:

الْإِيمَانُ: قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَاعْتِقَادٌ؛ وَهَذِهِ حَقِيقَتُهُ؛ فَلِلْإِيمَانِ ظَاهِرٌ
وِبَاطِنٌ؛ وَهُمَا مُتَلَازِمَانِ، الْبَاطِنُ: الْاعْتِقَادُ، وَالظَّاهِرُ: قَوْلُ اللِّسَانِ،
وَعَمَلُ الْجَوَارِحِ، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ عِبَارَاتُ السَّلَفِ فِي بَيَانِ ذَلِكَ، إِلَّا أَنَّهُمْ
لَا يَخْتَلِفُونَ عَلَى حَقِيقَةِ الْإِيمَانِ تِلْكَ، وَقَدْ حَكَّى ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ الْإِجْمَاعَ
عَلَى ذَلِكَ^(٢).

وَقَدْ كَانَ مَالِكٌ يَعْبِّرُ عَنْ ذَلِكَ بِعِبَارَاتٍ:

فَتَارَةً بِقَوْلٍ: الْإِيمَانُ: الْمَعْرِفَةُ، وَالْإِقْرَارُ، وَالْعَمَلُ^(٣).

(١) «التمهيد» لابن عبد البر (٢/ ٢٩١)، و«الانتصار» للمعزاني (٣/ ٧٢٠).

(٢) «التمهيد» (٢/ ٢٩١ و ٩/ ٢٣٨ و ٢٤٣).

(٣) «مسائل حرب» (١٦١٠)، و«السنن» لعبد الله (٦١٢).

ونارة يقول: الإيمان: قول وعمل^(١).

وجميع أصحاب مالِك على هذا، لا يُحفظ عن واحد منهم مخالفة فيه، وكان أبو مُصعب أحمد بن أبي بكر - وهو من أصحاب مالِك، وفقية المدينة - يقول: «الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر»^(٢).

والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمال طائفتان:
الطائفة الأولى: المرجئة:

وهم على فِرَق ومذاهب؛ منهم: الغلاة، ومنهم: دُونَ ذلك:
فأقربهم منزلة: مَنْ جعلَ العملَ مِنَ الإيمانِ؛ ولكنه لم يجعلَ له أثراً على أصله، وإنما أثره على فرعِهِ؛ أي: أَنَّ وجودَ العملِ ونقصه وزواله يزيدُ الإيمانَ وينقصه، ولكنَّ فقدَ العملِ لا يُزيلُ الإيمانَ.

وهذا القولُ أقربُ أقوالِ طوائفِ الإرجاءِ في الإيمانِ إلى السلف؛ وبهذا القولِ يقولُ جماعةٌ من أئمةِ الحديثِ وشُرَاحِهِ المتأخِّرين^(٣)؛ فهم لم يُخرِجُوا العملَ مِنَ مسمَى الإيمانِ تفرُّيعاً، ولكنَّهم أخرجوه أصلاً؛ فوافقوا السلفَ في التعبيرِ، وخالفوهم في الأثر.

ومن المرجئة: مَنْ نَزَلَ مَرْتَبَةً عَنْ أُولَئِكَ^(٤)؛ فأخرجَ العملَ كُلَّهُ مِنَ مسمَى الإيمانِ؛ فجعلَ الإيمانَ قولاً واعتقاداً؛ إذ لم يكنْ للعملِ عندهم أثرٌ على زوالِ الإيمانِ، فأخرجوه منه بالكلية؛ فوافقتْ هذه الفِرقةُ السلفَ

(١) «مسائل حرب» (١٥٦٨ و ١٥٧٠ و ١٥٧٣)، و«السُّنة» لعبد الله (٢١٣ و ٥٣٢ و ٦٣٦ و ٦٣٨ و ٧٠٢).

(٣) «فتح الباري» (٤٦/١).

(٢) «ترتيب المدارك» (٣/٣٤٨).

(٤) «الفقه الأكبر» (ص ٣٠٤).

بأن جعلوا للإيمان ظاهراً وباطناً، ولكنهم قَصَرُوا الظاهرَ على القول فقط، ويأتي الكلام على حقيقة الإيمان وحُكم المخالفين فيه.

ومن المرجحة: مَنْ نَزَلَ مرتبة؛ فأخرجَ القولَ من الإيمانِ أيضاً؛ فلم يجعلوا للإيمانِ ظاهراً بالكلية، وجعلوه في القلبِ فقط، وللقلبِ قولٌ وعملٌ؛ وهؤلاء على طائفتين:

- طائفة^(١): جعلت الإيمان: قول القلب؛ وهو المعرفة والتصديق؛ وهؤلاء غلاةُ المرجحة؛ وهم الجهمية.

- وطائفة^(٢): جعلت قول القلب وعمله كليهما الإيمان؛ فقول القلب: معرفته وتصديقه، وأمّا عمله: فخوفه ورجاؤه، ومحَبَّته وتوَكُّله وإخلاصه.

وقول هذه الطائفة مع كونه أخفّ ضلّالاً من الطائفة الأولى، إلا أنه يُناقض نفسه؛ وذلك أن عمل القلب محبةً وخوفاً ورجاءً وتوَكُّلاً، لا يُمكنُ وجوده إلا مع قول اللسان وعمل الجوارح.

وكان الأئمةُ المغاربة يُنكروُن إخراجَ العملِ من الإيمان، وجعلهُ في منزلةٍ مختلفةٍ عن الاعتقادِ والقول^(٣)، ولَمَّا نُسِبَ هذا القولُ إلى يحيى بن سَلَام بلا بَيِّنَةٍ، أنكرَ عليه الناسُ حتى بلغَ ذلك ابنَ وَهْبٍ في المَشْرِقِ، ووصَفَهُ بالمرجعي، ثُمَّ زالت التَّهْمَةُ عن يحيى ببيانه، وأنه على ما كان عليه من سلف؛ كمالك، وسُفيان، وغيرهما: أن الإيمانَ قولٌ وعملٌ^(٤).

(١) «مجموع الفتاوى» (١٨٨/٧).

(٢) «الملل والنحل» للشهرستاني (١٠١/١).

(٣) «التمهيد» لابن عبد البر (٢٣٨/٢).

(٤) «طبقات علماء إفريقية» (ص ٣٧ - ٣٨)، و«رياض النفوس» (١٩١/١ - ١٩٢).

الطائفة الثانية: الخوارج والمعتزلة؛ وهم الوعيدية:

ولم يكن مذهب الخوارج له أصول وكتب يدرُسها الناس في المغرب، وإنما يكفي في أهله الجهل، وأخذ مطلقاً الشريعة وعموماتها ومتشابهاتها، وتغيب مخصصاتها ومفيداتا ومحكماتها.

وفتنه الخوارج: في التكفير بغير مكفر من الذنوب وسائر الأعمال، وبهذا عظمت فتنتهم في المسلمين؛ فأضحوا يستطيلون شراً، ويربصون بالمسلمين فساداً، ولو تمكنوا من المسلمين، لكان فعلهم فيهم يقرب من فعل الرافضة، وقد فعلوا في القيروان قرياً مما فعله الرافضة، إلا أنهم أوغل في التستر باستعمال الشريعة؛ فسفكوا الدماء تكفيراً، وانتهكوا الأعراض سبياً، وسلبوا المال غنيمة.

وقد أراد قبل ذلك علماء المغرب القتال مع أبي يزيد مخلد بن كبداد الخارجي ضد الرافضة العبيديين، وقد أظهر أبو يزيد التنسك، واستعظم المسلمون ما فعله الرافضة؛ فقاتلوا معه، وكان يرمي بمن تبعه من أهل السنة في وجه خصومه ليقتلهم، فيكون الأمر له؛ فلا يشقى بهم من بعده؛ فكان يقول لاتباعه: «إذا التقيتهم مع القوم - يعني: الرافضة - فانكشفوا عن أهل القيروان؛ حتى يتمكن أعداؤكم من قتلهم؛ فيكونوا هم الذين قتلوهم، لا نحن؛ فنستريح منهم»^(١).

والرافضة والخوارج لا يؤتمنون في إمرة على المسلمين؛ وخاصة في القتال؛ وكلهم يعمد إلى قتل العلماء قبل غيرهم. وقد اختلف في تكفير الخوارج^(٢).

(١) «البيان المغرب» لابن عذاري المراكشي (٢١٨/١)، و«تاريخ الإسلام» (٦٣٦/٧).

(٢) «فتح الباري» (٢٩٩/١٢ - ٣٠١).

والأكثر: على عدم كفرهم؛ ما لم يَقْعُوا في إنكار معلوم من الدين بالضرورة؛ فإنهم طوائف متنوعة، ومشارب كثيرة؛ منهم غلاة، ومنهم دون ذلك، وقد توقف مالك وأحمد وغيرهما في تكفيرهم^(١)، وقد قيل لمالك: «فالحديث: (مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا)^(٢)؟ قَالَ: أَرَاهُ فِي الْحَرُورِيَّةِ، قِيلَ: فَتَرَاهُمْ بِذَلِكَ كُفَّارًا؟ قَالَ: مَا أَذْرِي يَا هَذَا»^(٣).

أسباب الافتتان برأي الخوارج:

وأكثر من يفتتن بالخوارج: فبسبب شجاعتهم؛ فإنهم يقاتلون؛ إما أن يَفْتَنُوا أو يُفْتَنُوا، وبسبب انتصارهم لكل من تسلط عليه السلطان، ولا يفرقون بين مظلوم وغير مظلوم، كما فعل الأزارقة حينما كسروا سجن البصرة، فلحق بهم من كان فيه وبايعهم.

وهم أشد الناس توهماً لنصرة الدين والمظلوم، ولا يُعزّون ديناً، ولا ينصرون مظلوماً، وربما أضروا بالدين والمظلوم؛ قال عاصم بن أبي النجود في خارجي: «والله! ما أعزّ هذا من دين، ولا دفع عن مظلوم»^(٤).

وكذلك: يفتن الناس بشانهم وتمسكهم برأيهم كما لو كان وحياً؛ فلم يتزخروا وهم يقاتلون المهاجرين والأنصار، وليس في صفهم صحابي واحد^(٥)، وحينما توعد أبو أيوب الأنصاري ﷺ أحدهم بالنار،

(١) «السنة» للخلال (١/١٤٥ - ١٤٦)، و«مجموع الفتاوى» (١٢/٤٨٦)، و«شرح الموطأ» للزرقاني (١/٣٧٠).

(٢) البخاري (٦١٠٤)، ومسلم (٦٠) من حديث ابن عمر.

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٥). (٤) «السنة» لعبد الله (١٥٣١).

(٥) النسائي في «الكبرى» (٧/٤٨٠).

رَدَّ عَلَيْهِ: «سَتَعْلَمُ أَيُّنَا أَوْلَىٰ بِهَا»^(١)، وكما قال شَيْبَةُ الْخَارِجِيُّ: «مِنْ دِينِنَا: قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَىٰ غَيْرِ رَأْيِنَا؛ مِنَّا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا»^(٢) حتى إنَّهم لَا يَحَابُونَ قَرِيبًا وَلَا بَعِيدًا بِفَهْمِهِمْ؛ حَتَّىٰ إِنَّ الْأَزْرَقَ وَالِدَ نَافِعٍ - وَكَانَ رَجُلًا سُنِّيًّا - لَمَّا مَاتَ، لَمْ يَصِلْ عَلَيْهِ نَافِعٌ^(٣).

وَتَبَّاتِهِمْ عَلَىٰ بَاطِلِهِمْ بِسَبَبِ شِدَّةِ يُقْتِهِمْ فِي فَهْمِهِمْ لِكِتَابِ اللَّهِ، وَقَدْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنْفُسَهُمْ أَعْلَمَ بِكِتَابِ اللَّهِ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَهُمْ لَمْ يَقْصِدُوا مَعَارِضَةَ الْقُرْآنِ، وَلَكِنَّهُمْ فَهَمُّوهُ بِالْخَطَأِ، فَتَعَصَّبُوا لِفَهْمِهِمْ، وَفِي الْخَوَارِجِ مِنْ صِلَابَةِ الرَّأْيِ وَضَعْفِ السِّيَاسَةِ مَا يَسْتَخْدِمُهُمْ بِهِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَالرَّافِضَةُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ.

وَمِنْ الصَّحَابَةِ: مَنْ يُشْفِقُ عَلَىٰ حَالِهِمْ؛ لِشِدَّةِ تَمَسُّكِهِمْ بِبَاطِلٍ يَتَوَهَّمُونَهُ حَقًّا؛ فَقَدْ دَمَعَتْ عَيْنَا أَبِي أَمَامَةَ لَمَّا رَأَاهُمْ قَتَلِي؛ فَسُئِلَ عَنْ ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «رَحْمَةٌ لَهُمْ؛ لِأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ»^(٤).

الْصِّفَةُ الْجَامِعَةُ لِلْخَوَارِجِ:

وَلَا يَجْمَعُ الْخَوَارِجُ مِنَ الصِّفَاتِ إِلَّا صِفَتَانِ:

- التَّكْفِيرُ بِغَيْرِ مَكْفُرٍ.

- وَاسْتِبَاحَةُ الدِّمِّ بِذَلِكَ.

وَأَمَّا مَا يَذْكُرُهُ بَعْضُ الْفُقَهَاءِ مِنْ عَقَائِدِ الْخَوَارِجِ وَضَلَالَاتِهِمْ،

وَلَا يَذْكُرُهُ الْآخَرُ، فَلِأَنَّ كُلَّ فَقِيهٍ أَضَافَ وَصْفًا رَأَاهُ فِيهِمْ أَوْ بَلَغَهُ عَنْهُمْ؛

(١) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٨٧/٥)، وَ«الْبَدَايَةُ وَالنِّهَايَةُ» (٥٨٨/١٠).

(٢) «تَارِيخُ الطَّبَرِيِّ» (٢٨١/٦).

(٣) «أَنْسَابُ الْأَشْرَافِ» (١٥٤/٧).

(٤) عَبْدِ الرَّزَاقِ (١٨٦٦٣)، وَابْنُ أَبِي شَيْبَةَ (٣٩٠٤٧).

لأنهم يتجدّدون في الفهم، ويتنوّعون في الآراء؛ لأن إمامهم: فهمهم! ولكنهم يتفقون في هذين الأصلين في كلّ العصور؛ وبهذا استدّل عليهم عليّ بن أبي طالب؛ إذ لما حدّث بحديث الخوارج، قال عن أهل النهرّوان: «أزجو أن يكونوا هم؛ فإنهم سفكوا الدّم الحرام»؛ رواه مسلم^(١)؛ فعضّد رأيهم بكفر المسلمين بفعلهم باستحلال دمهم، ولم يبحّث صفة أخرى غير ذلك.

وقد يُطلّق الخوارج من الكلام المُجمل ما يوافق الحق، ولكنهم يضلّون في تفسيره وتطبيقه، ويغترّ بهم العامة نظراً لأقوالهم، وإهمالاً لتفسيراتهم، وقد كان أبو حمزة المختار بن عوف الأزدي - أحد أئمّة الخوارج في القرن الثاني - يقول: «الناس منّا ونحن منهم، إلا عابد وثّن، أو كفر أهل الكتاب، أو سُلطاناً جائراً، أو شأداً على عضده»^(٢)؛ يتأوّل بذلك حديث: (أمرأه يكونون بعدي، لا يقتلون بهديي، ولا يستنّون بسنتي؛ فمن صدّقهم بكذبهم، وأعانهم على ظلمهم، فأولئك ليسوا مني، ولست منهم...) ^(٣).

ومن نظر لشدة عبادة الخوارج، وحسن كلامهم، تحير في أمرهم؛ كما تحير في ذلك بعض السلف فسأل ابن عباس؟ فقال: «ليسوا بأشدّ من اليهود والنصارى وهم يضلّون»^(٤)، ولما قتل عليّ أهل النهرّوان، انفضّ عنه بعض أنصاره لأجل ذلك^(٥).

(١) مسلم (١٠٦٦).

(٢) «تاريخ خليفة بن خياط» (ص ٣٨٦)، و«تاريخ الطبري» (٧/٣٩٦).

(٣) «جامع معمر» (٢٠٧١٩).

(٤) «المصنّف» لابن أبي شيبة (٧٣٤/٨).

(٥) «تاريخ الطبري» (٨٩/٥ - ٩٠).

وَيُسْرَعُ نُصْحُهُمْ قَبْلَ قِتَالِهِمْ:

وكان بعضُ السلف يرى عدمَ قتالِهِمْ حتَّى يَبْدُؤُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ
كما فَعَلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وبه قال الشافعي^(١)؛ فتعلِيمُهُمْ يَرْفَعُ الْجَهْلَ
عن كثيرٍ منهم وَيَعُوذُونَ، وقد بَعَثَ عَلِيُّ بْنُ عَبَّاسٍ^(٢)، وَبَعَثَ عُمَرُ بْنُ
عَبْدِ الْعَزِيزِ عَوْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ^(٣)؛ لِمَنَاظَرَتِهِمْ وَنُصْحِهِمْ، وقد سُئِلَ أَحْمَدُ
عن إسماعيل الخارِجِيِّ الحديث؟ فقال: «نَعَمْ؛ أَعْطَاهُ لَعْلَّ اللَّهَ يَنْفَعُهُ بِهِ»^(٤).
وَرُوِيَ عن بعضِ السلف التفرُّقُ بين قِتَالِ الْخَوَارِجِ لِإِمَامٍ جَوْرِ وَبَيْنَ
قِتَالِهِمْ لِإِمَامٍ عَدْلٍ؛ فَرَأَوْا اعْتِزَالَه عند قتالِهِمْ لِإِمَامٍ جَوْرِ عَلَى الْوَلَايَةِ،
وَرُوِيَ هَذَا عن عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ قَالَ: «وَأِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا
تَقَاتِلُوهُمْ» كما رواه الطَّبْرِيُّ^(٥)، وفيه رجلٌ لَا يُعْرَفُ^(٦)، وبهذا قال مالِكٌ
وأحمدٌ - في رواية - وابنُ القاسمِ^(٧).

الموقف عند اجتماع الضلالات:

وَإِذَا اجْتَمَعَتِ الضَّلَالَاتُ فِي زَمَنٍ مِنَ الْأَزْمِنَةِ وَتَقَاتَلَ أَهْلُهَا، فَلَا
يَنْتَصِرُ الْمُسْلِمُ لَطَائِفَةٍ قُوًى أُخْرَى، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ مَا كَانَ لِصَالِحِ الْمُسْلِمِينَ،

(١) «البداية والنهاية» (١٠/٥٧٠).

(٢) «مصنف عبد الرزاق» (١٨٦٧٨)، و«مصنف ابن أبي شيبة» (٣٩٠٥٥).

(٣) «الطبقات الكبرى» (٧/٣٥٠)، و«السُّنَنُ» لعبد الله (١٥٠٢ و ١٥٤٠).

(٤) «طبقات الحنابلة» (٢/٢٣٠).

(٥) عزاه له الحافظ في «فتح الباري» (١٢/٣٠١). وأخرجه ابن أبي شيبة (٣٩٠٧١)،

وأبو يعلى في «حديث بNDAR» (٣٥).

(٦) قال الحافظ في الموضع السابق: وقد أخرج الطبري بسند صحيح عن عبد الله بن

الحارث، عن رجل من بني نصر، عن عليٍّ... فذكره. وعند ابن أبي شيبة: رجل

من بني نصر بن معاوية وعند أبي يعلى: رجل من بني نصر.

(٧) «السُّنَنُ» للخلال (ص ١١٣)، و«الملونة» (١/٥٣٠)، و«البيان والتحصيل» (٢/٦٠٢)،

و«أحكام القرآن» لابن العربي (٤/٥٣).

وإن تفارَيتُ أو شكَّ، توقَّف واعتزَل؛ فهو أسلمُ لدينهِ ونفسِهِ.

والخوارجُ يجعلون رأيهم دينًا، والزنادقةُ يجعلون الدينَ رأيًا، وأهلُ السنَّةِ يفرِّقون بين الدينِ والرأي، ومواضعُ القطعِ ومواضعُ الاجتهاد، وأئمةُ الجورِ والمرجئةُ يحبُّون الإكثارَ من ذمِّ الخوارجِ، والخوارجُ يحبُّون الإكثارَ من ذمِّ أئمةِ الجورِ والمرجئةِ.

وكلُّ فئةٍ تَسحبُ ذمَّ الأخرى على كلِّ مخالفٍ فيها ولو كان وسَطًا بينهم من أهلِ الاعتدالِ.

والعالمُ المُنصفُ لا يتكلَّمُ بما تُحِبُّه كُلُّ فئةٍ في خصمِها، بل بما يُحِبُّه اللهُ فيهم؛ فكم نأذَى الحقَّ، بمحاباةِ الخلقِ!

الموازنةُ بين المرجئةِ والخوارجِ:

والمرجئةُ أشدُّ خطرًا وأثرًا على الإسلامِ من الخوارجِ في البلادِ، والخوارجُ أشدُّ عليه من المرجئةِ في مواضعِ الجهاد؛ لأنَّهم يقدمون قتالَ المسلمينَ في زمنِ شدَّةِ الحاجةِ بصدِّ عاديةِ الكافرين، ويُعينون - وإن لم يشعروا - الكُفَّارَ على الإسلامِ من خارجِه، والمرجئةُ عليه من داخلِه، ويفعلُ الخوارجُ ذلك بتخلُّلِ الكفرِ والبِدعةِ من خلالِ ثغورِ شغلوا المسلمينَ عن جماعَتِها، وربما أعانهم الكُفَّارُ على المسلمينَ خديعةً بما يتوهمونه غنيمةً ونصرًا.

زيادةُ الإيمانِ ونقصانه:

قال ابنُ أبي رَيْدٍ: ﴿يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا؛ فَيَكُونُ فِيهَا النِّقْصُ، وَبِهَا الزِّيَادَةُ﴾:

والإيمانُ يزيدُ وينقصُ؛ يزيدُ بالطاعةِ، وينقصُ بالمعصيةِ، وقد عبَّرَ

ابن أبي زيد بنحو هذا في كتابه «الجامع»^(١)، ولكنه هنا جعل الزيادة والنقصان بزيادة الأعمال ونقصها؛ ليكون أشمل في المعنى؛ فإن الإيمان ينقص إن نقصت الطاعات ولو لم يرتكب المؤمن معصية؛ فمن كان يقوم الليل ويحبيه، يزيد إيمانه، فإن ترك قيام الليل، لم يكن إيمانه بدون القيام مثله مع القيام.

وقد تواترت الأدلة في زيادة الإيمان ونقصانه من الكتاب والسنة؛ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ١٢]، وقال: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدَ جَعَلُوا لَكُم مَّلَكًا فَخَشَعُوا لَهُمُ آيَاتُنَا وَإِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ [ال عمران: ١٧٣]، وقال: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ﴾ [الفتح: ٤].

وفي «الصحيح» من حديث أبي سعيد رضي الله عنه مرفوعاً: (يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ ﷻ: أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرَدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ...) ^(٢).

ومن ذلك: قوله ﷻ: (الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً) - وفي رواية: (بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً) - (أَفْضَلُهَا: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى مِنَ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ: شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيْمَانِ) ^(٣).

وليس في المسألة خلاف عند الصحابة والتابعين وأتباعهم؛ جاء

(١) «الجامع» (ص ١١٠).

(٢) البخاري (٢٢)، ومسلم (١٨٤).

(٣) البخاري (٩)، ومسلم (٣٥).

ذلك عن معاذ^(١)، وأبي هريرة^(٢)، وابن عباس^(٣)، وجُنْدُب^(٤)، وعُمَيْرُ بْنُ حَبِيبٍ^(٥)، وسعيد بن جبيرة^(٦)؛ قال يحيى بن سعيد القطان: «ما أدركتُ أحداً من أصحابنا إلا على سُنَّتِنَا في الإيمان، ويقولون: الإيمان يزيد وينقص»^(٧).

وقد حكى الإجماع على ذلك غير واحد؛ كعبد الرزاق^(٨)، وأحمد^(٩)، والبخاري^(١٠)، وأبي حاتم^(١١)، وأبي زُرْعَةَ^(١٢)، وأبي عُبَيْدٍ^(١٣)، وابن عبد البر^(١٤)، وغيرهم^(١٥)، ولصراحة الأدلة على ذلك من الكتاب والسنة جَزَمَ بعض أصحاب مالك بكفر منكر زيادة الإيمان ونقصانه؛ كأبي مُصْعَبٍ أَحْمَدَ بْنِ أَبِي بَكْرٍ فقيه المدينة^(١٦).

والإيمان كما يزيد بالطاعة، فإنه ينقص بتركها، ولو لم يكن الترك حراماً؛ كما في الخبر في الحائض: وَمَا نَقَصَانُ دِينَهَا؟ قَالَ: (تَمَكُّثُ كَذَا

(١) علقه البخاري (١١/١) عن معاذ قال: «اجلس بنا نُؤَمِّنُ ساعة».

(٢) «السُّنَّةُ» للخلال (١١١٨)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧١١).

(٣) ابن ماجه (٧٤)، واللالكائي (١٧١٢) عن ابن عباس وأبي هريرة.

(٤) «الإبانة» لابن بطة (١١٣٦/كتاب الإيمان)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧١٥).

(٥) ابن أبي شيبة (٣٠٩٦٣)، وعبد الله في «السُّنَّةُ» (٦٢٤ و ٦٢٥ و ٦٨٠).

(٦) «الإبانة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(٧) «مسائل أحمد» رواية ابن هانئ (١٨٩٨).

(٨) «شرح أصول الاعتقاد» (١٧٣٧)، و«الاستذكار» (١٣٤/٢٦).

(٩) «طبقات الحنابلة» (٣٤٩/١ - ٣٥٠)، و«مناقب أحمد» لابن الجوزي (ص ١٧٢).

(١٠) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢٠)، وليس فيه لفظة: يزيد وينقص. وانظر: «فتح الباري» (٤٧/١).

(١١) «شرح أصول الاعتقاد» (٣٢١).

(١٢) «التمهيد» (٢٣٨/٩).

(١٣) «الإبانة» (١١١٧/كتاب الإيمان).

(١٤) «التمهيد» (٢٣٨/٩).

(١٥) كالفسوي، والطبري، وأبي الحسن الأشعري. انظر: «صريح السُّنَّة» (٢٧)، و«رسالة إلى أهل الثغر» (ص ٢٧٢)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٧٥٣).

(١٦) «ترتيب المدارك» (١٨٨/١).

وَكَذًا يَوْمًا لَا تُصَلِّيَ لِلَّهِ سَجْدَةً^(١) فصار تركُ الطاعة - ولو كان بأمرٍ خارجٍ عن الإرادة - مؤثرًا على الإيمان، فكيف بتركِ النوافلِ التي يُسنُّ فعلُها، وقد قال أحمدٌ: «إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقَصَ»^(٢)، ونقلَ صالحٌ عن أبيه أحمدٌ: «نَقَصَانُهُ بِتَرْكِ الْعَمَلِ»^(٣).

❦ زوال الإيمان وكماله:

وَالْإِيمَانُ يَنْقُصُ حَتَّى يَزُولَ كُلُّهُ، وَيَزِيدُ وَلَكِنْ لَا يَبْلُغُ أَحَدُ مَرْتَبَةِ الْكَمَالِ النَّامِ، وَالْكَامِلُ مَمَكِّنٌ لِكُنْهٍ لَا يَحْصُلُ فِي النَّاسِ؛ فإِمَّا كَانَ الشَّيْءُ شَيْئًا، وَحَصُولُهُ شَيْئًا آخَرَ، وَاسْتَنَى إِسْحَاقُ الْأَنْبِيَاءَ؛ فَرَأَى أَنَّهُ يُشْهَدُ لَهُمْ بِاسْتِكْمَالِ الْإِيمَانِ، وَبُلُوغِ غَايَتِهِ، وَلَكِنْ الْأَنْبِيَاءُ يَتَفَاضَلُونَ فِيْمَا بَيْنَهُمْ فِي الْإِيمَانِ الْمُسْتَحَبِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ مَالِكٌ: «لَيْسَ لِلْإِيمَانِ مُنْتَهَى؛ هُوَ فِي زِيَادَةٍ أَبَدًا»^(٤).

وقال سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ: «لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاءُ، مَا بَلَغَتْ الْإِيمَانُ»^(٥).

❦ نقصان الإيمان عند مالك:

وَلَا يَخْتَلِفُ الْقَوْلُ عَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ فِي زِيَادَةِ الْإِيمَانِ، وَلَهُ فِي نَقْصَانِهِ رَوَايَتَانِ:

الْأُولَى: الْقَوْلُ بِنَقْصَانِهِ؛ وَقَدْ حَكَاهَا عَنْهُ ابْنُ نَافِعٍ، وَمُحَمَّدُ بْنُ

(١) البخاري (٣٠٤)، ومسلم (٨٠) من حديث أبي سعيد، ومسلم (٧٩) من حديث ابن عمر، و(٨٠) من حديث أبي هريرة.

(٢) «السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ (١٠١٣)». (٣) «مسائل أحمد» (٦٨١ و ١٥١٩).

(٤) «السُّنَّةُ لِعَبْدِ اللَّهِ (٦٨٧ و ٧٣٧)».

(٥) «تعظيم قدر الصلاة» (٨٠١)، و«السُّنَّةُ لِلْخَلَالِ (١٥٤٧)».

يحيى، وغيرهما^(١).

والثانية: يُمسيك فيها عن الكلام في نقصانيه^(٢)؛ لا لعدم تحققه، وإنما لأن النصوص لم تنص عليه بلفظه، فأراد الامتثال.

ومن نقل عنه أنه يقول بعدم نقصان الإيمان والجزم بذلك، فقد أخطأ في النقل أو في فهم قوله.

وكان ابن أبي زيد - كما في «الجامع»^(٣) - يجعل توقف مالك عن النقصان خوفاً من الذريعة أن تُتأول أنه ينقص حتى يذهب كله؛ فيؤول ذلك إلى قول الخوارج الذين يحيطون الإيمان بالذنوب، ويجعل قول مالك في النقص فيما وقعت فيه الزيادة؛ وهو العمل؛ ولهذا نقل عنه ابن أبي زيد أنه قيل لمالك: «فبعضه - يعني: الإيمان - أفضل من بعض؟» قال: نعم^(٤).

❦ الاستثناء في الإيمان:

ولما كان الإيمان شيئاً واحداً عند طوائف من المرجئة، فلا يرون أن الإيمان يزيد وينقص - تبع ذلك عندهم القول بعدم الاستثناء في الإيمان، وهو أن المؤمن يقول: «أنا مؤمن»، ولا يستثنى، فيزيد على ذلك: «إن شاء الله»، ومنهم: من يمنع من الاستثناء ويحرمه.

والذي عليه عامة السلف: الاستثناء في الإيمان؛ لأن الإيمان يزيد

(١) «مسائل حرب» (١٥٦٨)، و«السنة لعبد الله» (٢١٣ و ٦٣٦)، و«السنة للخلال» (١٠١٤ و ١٠٨٢)، و«القضاء والقدر» (٥٧٢).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢١)، و«الانتقاء» (ص ٣٣)، و«التمهيد» (٢٥٢/٩)، و«ترتيب المدارك» (٤٣/٢)، و«المقدمات الممهدة» (٥٧/١).

(٣) «الجامع» (ص ١٢٢). (٤) الموضع السابق.

وينقُصُ، والاستثناء يَقَعُ على مقداره، لا على أصلِ ثبوته، وفيه دفعٌ
لتزكية النفس^(١).

وأما الاستثناء شُكًّا في الإيمان، فلا يجوز؛ وعلى هذا: يُحْمَلُ ما
جاء عن مالك، لما قيل له: «أقول: مؤمنٌ، والله محمودٌ، أو: إن
شاء الله؟ فقال: قل: مؤمنٌ، ولا تَحْلِظْ معها غيرها»^(٢).
وينحو هذا قال سُخُونٌ^(٣).

فلا استثناء في الإيمان الذي عليه السَّلَفُ، هو أن يقول: «أنا مؤمنٌ
إن شاء الله».

ومن أدلة ذلك: ظاهرُ الكتابِ والسُّنَّةِ والآثر؛ فالله تعالى يقولُ
لنبيه ﷺ وأصحابه: ﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ﴾ [الفتح:
٢٧]، ويقولُ النبي ﷺ للمَوْتَى: (وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ)^(٤)، ولا بُدَّ
أنَّهم داخلُونَ مَكَّةَ، ولا بُدَّ أنَّهم مَيِّتُونَ؛ فالاستثناء وَقَعَ على أشياء،
منها: الإيمانُ، وأنَّهم داخلُونَ مَكَّةَ، وأنَّهم لَاحِقُونَ بهم على الإيمانِ.
وأما في الإسلام، فيقول: «أنا مسلمٌ»، ولا يَسْتَنِي؛ كما نصَّ عليه
أحمد وغيره^(٥)؛ لأنَّ الإسلامَ أَوْسَعُ دائرةً من الإيمانِ.

الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ
وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ﴾:

(١) «الإيمان» لأبي عبيد (ص ٣٤ - ٣٨). (٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٢).

(٣) الموضع السابق.

(٤) مسلم (٢٤٩) من حديث أبي هريرة، و(٩٧٤) من حديث عائشة، و(٩٧٥) من حديث بريدة.

(٥) «السُّنَّة» للخلال (١٠٨٧ و ١٠٨٨)، و«الإبانة» لابن بطة (١٢٠١/الإيمان).

الإيمان: قولٌ وعملٌ واعتقاد؛ وبهذا يقول السلف بإجماعهم^(١)،
ولا يصحّ واحدٌ من هذه الثلاثة إلا بالآخر:

فَمَنْ انتَفَى مِنَ الْعَمَلِ كُلَّهُ؛ كَمَنْ انتَفَى مِنَ الْقَوْلِ كُلَّهُ، أَوْ الْإِعْتِقَادِ
كُلَّهُ، وَمَنْ انتَفَى مِنَ الْقَوْلِ كُلَّهُ؛ كَمَنْ انتَفَى مِنَ الْإِعْتِقَادِ كُلَّهُ، أَوْ الْعَمَلِ
كُلَّهُ، وَمَنْ انتَفَى مِنَ الْإِعْتِقَادِ كُلَّهُ؛ كَمَنْ انتَفَى مِنَ الْقَوْلِ كُلَّهُ، أَوْ الْعَمَلِ
كُلَّهُ؛ وَانْتِفَاءُ وَاحِدٍ مِنَ الثَّلَاثَةِ بِجَمِيعِهِ كَانْتِفَاءُ الثَّلَاثَةِ.

ولكن ليس المراد من ذلك انتفاء أيّ جزءٍ من الثلاثة؛ فهذا قولٌ
يوافقُ أصولَ الخوارج؛ فإنَّ السلفَ وأهلَ السُّنَّةِ لا يكفُّونَ أحداً بتركِ
شيءٍ معيَّنٍ مِنَ الْبَاطِنِ أَوْ الظَّاهِرِ، إِلَّا بِدَلِيلٍ خَاصٍّ، وَيُفَرِّقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ
الْكُلِّيِّ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ؛ كَمَا كَانَ يَقُولُهُ أَئِمَّةُ السَّلَفِ؛ كَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ،
وَابْنِ عُيَيْنَةَ، وَمَالِكٍ، وَالشَّافِعِيِّ، وَأَحْمَدَ، وَإِسْحَاقَ، وَالْحَمِيدِيَّ،
وَأَبِي ثَوْرٍ^(٢).

وقال الوليد بن مسليم: «سَمِعْتُ الْأَوْزَاعِيَّ، وَمَالِكَ بْنَ أَنَسٍ،
وَسَعِيدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلا عَمَلٍ،
ويقولون: لا إيمانَ إلَّا بعملٍ، ولا عملَ إلَّا بإيمانٍ»^(٣).

❦ حكمُ تاركِ العملِ كُلِّهِ:

وَمَنْ آمَنَ بِقَلْبِهِ، وَأَقَرَّ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِأَرْكَانِهِ شَيْئاً مِنَ الْعَمَلِ -: لَمْ
يَصِحَّ إِيمَانُهُ عِنْدَ السَّلَفِ، وَكَانَ الْأَئِمَّةُ يَعْتَفُونَ عَلَى مَنْ يَقُولُ بِخِلَافِ ذَلِكَ.

(١) سبق عند الكلام على مسألة زيادة الإيمان ونقصانه.

(٢) «أصول الاعتقاد» (١/٥٧، ٣٤٨، ٤/٨٤٨، ٨٤٩، ٥/٨٨٦)، و«السُّنَّة» للخلال

(٣/٥٧٠)، و«أصول السُّنَّة» للحميدي (ص ٣٨)، و«السُّنَّة» لعبد الله بن أحمد (١/٣٤٨)،

و«فتح الباري» لابن رجب (١/٢١).

(٣) «شرح أصول الاعتقاد» (١٥٨٦).

وكان أحمد لا يكفر من يجعل الإيمان قولاً واعتقاداً بلا عمل، ويصفه بالبذعة والإرجاء، ويقول: «أدعوا لهم بالصلاح»^(١).

وعن أحمد رواية أخرى رواها حنبل: أن من ترك العمل كله حتى يموت، ولا يرى العمل كله له أثر في ثبوت الإيمان ولا نفيه: «أنه كافر بالله»^(٢)؛ وهو قول الحميدي^(٣).

والأحاديث التي فيها: أن من نطق بالشهادتين، دخل الجنة، حملها السلف على أنها قبل أن تحدد الحدود، وتنزل الفرائض؛ قال ذلك الضحاك بن مزاحم^(٤)، والزهري^(٥)، وأحمد^(٦)، وغيرهم.

وقال أبو ثور: «فأما الطائفة التي ذهبت إلى أن العمل ليس من الإيمان، فيقال لهم: ماذا أراد الله من العباد؛ إذ قال لهم: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [البقرة: ٤٣]؛ الإقرار بذلك، أو الإقرار والعمل؟

فإن قالت: إن الله أراد الإقرار، ولم يرد العمل، فقد كفرت عند أهل العلم؛ من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا، ولا يؤتوا الزكاة!

وإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل، قيل: فإذا كان أراد منهم الأمرين جميعاً، لم زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر، وقد أرادهما جميعاً؟

أرايتم لو أن رجلاً قال: أعمل جميع ما أمر به الله، ولا أقر به؛ أكون مؤمناً؟

(١) «السنة» للخلال (٩٨٩).

(٢) «السنة» للخلال (١٠٢٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٥٩٥).

(٣) «السنة» للخلال (١٠٢٧)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٥٩٤).

(٤) «السنة» للخلال (١٢٤١)، و«الشرعية» (٣٠٣).

(٥) «صحيح مسلم» (٢٦٤). (٦) «السنة» للخلال (٥٦٤/٣).

فإن قالوا: لا.

قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به، ولا أعمل به؛
أ يكون مؤمنًا؟

فإن قالوا: نعم.

قيل لهم: ما الفرق؟ فقد زعمتم أن الله أراد الأمرين جميعًا، فإن
جاز أن يكون بأحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا
عمل به ولم يُقر مؤمنًا؛ لا فرق بين ذلك.

فإن احتج، فقال: لو أن رجلًا أسلم، فأقر بجميع ما جاء به
النبي ﷺ: أ يكون مؤمنًا بهذا الإقرار قبل أن يجيء وقت عمل؟ قيل له:
إنما يطلق له الاسم بتصديقه أن العمل عليه بقوله أن يعمل في وقته إذا
جاء، وليس عليه في هذا الوقت الإقرار بجميع ما يكون به مؤمنًا، ولو
قال: أقر ولا أعمل، لم يطلق عليه اسم الإيمان^(١).

﴿ أثر إخراج العمل من الإيمان: ﴾

والأصل: أن من أخرج شيئًا من الإيمان؛ سواء القلب أو القول
أو العمل، فإنه لا يجعل للذنوب الواقعة في الشيء الذي أخرجه أثرًا
على الإيمان؛ لأنها ليست منه أصلًا؛ فمن أخرج قول اللسان من
الإيمان، فلا يرى ذنوب اللسان وكفره مؤثرًا على الإيمان؛ لأن القول
عنده ليس من الإيمان؛ فتبعا لذلك لا يأتي منه كفر أو ذنب مؤثر عليه.

وكل طوائف الإرجاء التي تُخرج العمل من الإيمان بالكلية،
لا تجعل لأفعال الذنوب أثرًا عليه؛ فتقول: «لا تضر الذنوب مع

(١) «شرح أصول الاعتقاد» (١٥٩٠)، و«مجموع الفتاوى» (٣٨٨/٧ - ٣٨٩).

التوحيد»، وقد كان أئمة المغرب يُنكرونه؛ كما كان محمد بن سحنون يقول: «لا أقول ما قالت المرجئة: لا تضر الذنوب مع التوحيد»^(١).

وأما تعبیر ابن أبي زيد بالكمال في قوله: «وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ»، فلا يعني من ذلك: أن من ترك العمل بالكلية: أنه مؤمن، ولكنه عجز بالكمال، يُريد: كمال الإيمان في واحد، لا يتحقق إلا بكمال البقية، لا أصل وجود الإيمان؛ فلا يمكن أن يكون الرجل كامل الإيمان بالأقوال، وهو غير كامل في العمل، ولا يكمل قوله وعمله ظاهراً، وهو بلا نية؛ فلا بد أن ينقص من الثلاثة مقداراً متقارباً أو متطابقاً، وكمال واحد منها يعني كمال الاثنين.

ويدل على ذلك أنه قال: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِنِيَّةٍ»؛ فيستحيل أنه يصحح القول والعمل الصالح بلا وجود شيء من النية؛ فيكون قوله أن المرائي مقبول العمل، ولكن عمله ناقص؛ وهذا غلط.

وكذلك قوله: «وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ وَنِيَّةٍ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ»؛ فيستحيل أيضاً: أنه يصحح العمل بالبدعة، وأن من جاء ببدعة أن عمله صحيح، لكنه ناقص.

فسياق قوله يقتضي أنه أراد كمال الثلاثة جميعاً، ونقصانها جميعاً؛ وهذا يوافق ما سبق من قول الأئمة: أنه لا إيمان إلا بعمل، ولا عمل إلا بإيمان.

والباطن والظاهر كله مؤثر في إيمان الإنسان ولو كان دقيقاً،

وأعمال القلوب - كالخوف والرجاء والمحبة، والتوكل والاستعانة والاستغاثة - يؤخذ العبد عليها إذا وضعها في غير موضعها، فللمخلوق قدر يناسب ما أعطاه الله، والزيادة على ذلك أخذ من حق الله، وجعله في المخلوق؛ كالخوف؛ حينما يوضع في الوهم، خطأ، وقد يأنم صاحبه؛ يقول النبي ﷺ في الحيات: (مَنْ تَرَكَ مِنْهُنَّ شَيْئًا خِيفَتْهُنَّ، فَلَيْسَ مِنَّا) ^(١).

التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف:

﴿قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ»:

أهل القبلة: مَنْ تَوَجَّهَ مع المسلمين إلى قِبْلَتِهِمْ وهي الكعبة؛ سُمُوا بذلك للمفارقة بينهم وبين أرباب الملل الأخرى الذين لا يتوجهون إليها؛ لأنَّ كُفْرَهُمْ أَصْلِيٌّ ثابت؛ فلم يثبت حتى يقال برفعِهِ؛ فإنه لا يرتفع الإيمان من العبد إلا بالكُفر والشرك، مهما وقع في الذنوب والمعاصي ولو كانت كباير أو موبقات.

وقد وقع جماعة من الناس في زمن النبي ﷺ في ذنوب؛ كالقتل والسَّرقة والزَّنى، والكذب والغيبة والنميمة، ولم يُخرج هو ولا خلفاؤه واحداً منهم عن الإسلام، ولا عاملوه معاملة الكافر؛ بل كان ينهى عن لعن شارِبِ الخمر مرَّاتٍ، ويعتذر له بأنه يحبُّ الله ورسوله ^(٢).

فلا يحبط الإيمان والعمل إلا الكفر والشرك، لا الذنب وإن كان كبيراً؛ فإنَّ الذنوب قد تؤثر على بعض حسنات العبد إذا شاء الله ذلك،

(١) أحمد (٢/٥٢٠ رقم ١٠٧٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٦٧٨٠) من حديث عمر.

ولكن لا تحبطها جميعها؛ قال سبحانه: ﴿لَنْ أَشْرَكَتَ لِحَبْطِ عَمَلِكَ﴾ [الزمر: ٦٥].

ولا يختلف الصحابة والتابعون وأئمة الإسلام في ذلك:

قال مالك: «أهل الذنوب مؤمنون مذبذبون»^(١).

وقال زهير بن عباد: «كل من أدركت من المشايخ - مالك بن أنس، وسفيان بن عيينة، وعيسى بن يونس، وفصيل بن عياض، وعبد الله بن المبارك، ووكيع بن الجراح، وغيرهم - لا يكفرون أحدا بذنب، ولا يشهدون لأحد أنه في الجنة»^(٢).

وقد خالف في هذا الباب بعض الطوائف:

- كالخوارج والمعتزلة: فسلبوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة.

- وكالمُرَجئة: فلم يجعلوا الذنب مؤثرا على الإيمان.

وكل هذه الطوائف التزمت بالأصل الذي اتفقوا عليه: أن الإيمان شيء واحد لا يتجزأ: إن زال بعضه، زال كله؛ ففرطت طائفة، وأفرطت أخرى.

والخوارج والمعتزلة: محجوجون بما تواتر في النصوص من إيمان مرتكب الكبيرة، ومن هذا الباب: أنزل الله أحكام الحدود على السارق والزاني، والقاتل وشارب الخمر، ولو كانت كفرا، لكان حدها واحدا؛ وهو الردة؛ لأنه لا فرق عند الخوارج في حقيقة سلب الإيمان بين مرتكب الكبيرة عندهم، وفاعل الكفر الذي يتفقون فيه مع غيرهم من أهل السنة.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٣).

(٢) «أصول السنة» لابن أبي زمنين (ص ٢٢٢).

والمُرَجَّةُ: محجوجون بما تواترَ من أدلة زيادة الإيمان بالطاعات، ونقصائه بالمعاصي، وما يتبع ذلك من لوازم تفاوت مراتب المؤمنين في الجنة، وتعذيب بعض عصاة المؤمنين في النار، ثم إخراجهم منها برحمة الله.

❦ أرواح المَوْتَى وأحوالها:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾:

الأرواح كائنة قائمة بذاتها، تُنعم وتُعذب، وتُسقى وتُسعد بنفسها، ولا يلزم أن يكون معها البدن في ذلك؛ لأنها مغايرة له، فليست عضواً منه كاليد والوجه، وهي مخلوقة بلا خلاف؛ فالله خالق كل شيء، وهي من أمر الله يعلم حقيقتها وكنهها؛ كما قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

وللأرواح مستقر غير الأبدان بعد موتها، ويُعيدُها الله إلى الأبدان في حياة البرزخ عند سؤال الفَتَّانِ؛ كما يُعيدُ الله روح النبي ﷺ إليه في قبره؛ قال ﷺ: (مَا مِنْ رَجُلٍ يُسَلَّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي؛ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ)^(١)، وقد كانت قبل ذلك في الرفيق الأعلى؛ كما قال ﷺ لما حضرته الوفاة: (اللَّهُمَّ، الرَّفِيقَ الْأَعْلَى)^(٢).

(١) أبو داود (٢٠٤١) من حديث أبي هريرة.

(٢) البخاري (٤٤٦٣ و ٦٣٤٨ و ٦٥٠٩)، ومسلم (٢٤٤٤) من حديث عائشة.

وقد جاءت الأدلة في مستقر الأرواح، بعد موت الأبدان:

○ أما أرواح الشهداء: فكما قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاكَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٩]، وقد روى ابن مسعود عن النبي ﷺ قوله: (أرواحهم في أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تشرع من الجنة حيث شاءت، ثم تأتي إلى تلك القناديل)^(١).

○ وأما أرواح المؤمنين عامة: فإنها تكون طيورًا تعلق في شجر الجنة؛ كما قال النبي ﷺ: (إنما نسمه المسلم طير يعلق في شجر الجنة، حتى يرجعها الله إلى جسده إلى يوم القيامة)^(٢)، وإن كانت أرواح المؤمنين في الجنة، فإن الله يعيدها إلى أبدانها متى شاء.

وكون أرواح المؤمنين في الجنة: يشهد به ظاهر الحديث؛ وبه قال الشافعي وأحمد وغيرهما^(٣).

ومنهم من قال: إن أرواحهم بأقنية القبور؛ باعتبار أنه يقال له: «هذا مقعدك»، وأنه يسلم على أهل القبور؛ وبهذا قال ابن عبد البر^(٤).

وفيه نظر؛ فالحديث صريح في أنها في الجنة، والمقعد إنما هو للبدن، والله يعيد الروح متى شاء؛ فينزلها من الجنة، ثم يرفعها.

وروي عن مالك أنه قال: «بلغني أن الأرواح مرسلة تذهب حيث شاءت»^(٥).

(١) مسلم (١٨٨٧).

(٢) الترمذي (١٦٤١)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١) من حديث كعب بن مالك.

(٣) انظر: «مجموع الفتاوى» (٤٤٧/٥).

(٤) نقله ابن عبد البر في «التمهيد» (٦٥/١١) عن ابن وضاح.

(٥) «الاستذكار» (٣٦١/٨).

وهذا باعتبار ما ورد من نصوص تُفيدُ حضورها في أماكن؛ منها:
عند سؤال الملكين^(١)، وعن يمين آدم في السماء^(٢)، وفي الجنة، ولكن
مع صحة الحديث يُقال: إن أصلها في الجنة، والله يَأْذُنُ لها بالخروج
متى شاء.

○ وأما أرواح الكافرين: ففي الهاوية؛ كما في الحديث: (أَنَّ
الْمَلَائِكَةَ تَقْبِضُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْفُقُ بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ
الْمَلَائِكَةُ: مَا أَطْيَبَ هَلِهُ الرِّيحُ الَّتِي جَاءَتْكُمْ مِنَ الْأَرْضِ! فَيَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحُ
الْمُؤْمِنِينَ، فَلَهُمْ أَشَدُّ قَرَحًا مِنْ أَحَدِكُمْ بِغَائِبِهِ يَقْدَمُ عَلَيْهِ، فَيَسْأَلُونَهُ: مَاذَا
فَعَلَ فَلَانٌ؟ مَاذَا فَعَلَ فَلَانٌ؟ فَيَقُولُونَ: دَعَوْهُ؛ فَإِنَّهُ كَانَ فِي عَمِّ الدُّنْيَا،
فَيَقُولُ: قَدْ مَاتَ، أَمَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: ذَهَبَ بِهِ إِلَى أُمِّهِ الْهَآوِيَةِ)^(٣).

وفيه: أَنَّ المكانَ في باطن الأرض؛ حيث قال: (تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّ
رِيحَ، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بِأَبِ بَابِ الْأَرْضِ، فَيَقُولُونَ: مَا أَتَنَّنَ هَلِهُ الرِّيحُ! حَتَّى
يَأْتُونَ بِهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ)^(٤).

وقد جاء عن بعض السلف أَنَّ أرواح الكافرين في بئرِ بَرَهُوت وهو
بَحْضَرَمُوت، كما رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ
قال: «شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بَحْضَرَمُوت يُقَالُ لَهُ:
بَرَهُوت»^(٥).

(١) كما في حديث البراء بن عازب عند أحمد (٢٨٧/٤ و ٢٨٨) رقم ١٨٥٣٤ و ١٨٥٣٥ و (١٨٥٣٦).

(٢) كما في حديث أبي ذر عند البخاري (٣٤٩ و ٣٣٤٢)، ومسلم (١٦٣).

(٣) النسائي (١٨٣٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) الموضع السابق.

(٥) «المصنف» (٩١١٨).

وينحوه رُوِي عن عبد الله بن عمرو^(١) ومقاتل بن سليمان^(٢)، وليس فيه شيء مرفوع.

وقد جزم ابن أبي زيد في «الجامع»: «أَنَّ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي سِجِّينٍ»^(٣).

وقد صَحَّ الدَّلِيلُ: أَنَّ الْعَذَابَ وَالنَّعِيمَ فِي حَيَاةِ الْبَرْزَخِ، يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَجَلِ كُلِّ عَذَابٍ وَنَعِيمٍ، وَمَقْدَارِهِ وَنَوْعِهِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦].

وعن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما؛ قال: «وَقَفَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى قَلْبِ بَذْرِ، فَقَالَ: (هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟) ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ»^(٤).

وروى أحمد من حديث عائشة مرفوعًا: (فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الشَّوْءَ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ فَرْعًا)^(٥).

❦ الْقَبْرِ وَفَنَتْهُ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُفْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ؛ ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾» [إبراهيم: ٢٧]:

(١) ابن حبان بعد حديث (٣٠١٣). وانظر: «الروح» (١/٣٢١ - ٣٢٢).
(٢) «تفسير مقاتل» (٣/٤٤١ و ٤٤٦). (٣) «الجامع» (ص ١١١).
(٤) البخاري (٣٩٨٠)، ومسلم (٩٣٢). (٥) أحمد (١٣٩/٦) رقم (٢٥٠٨٩).

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِـ «حَيَاةِ الْبَرْزَخِ»، وهي: ما بين الدنيا وقيام الساعة؛
 فَالنَّاسُ يَمُوتُونَ فِي ثَلَاثٍ: الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَحَيَاةِ الْبَرْزَخِ، وَالْحَيَاةِ الْآخِرَةِ.
 وَإِنَّمَا سُمِّيَتْ حَيَاةُ الْبَرْزَخِ؛ لَكُونِهَا بَرْزَخًا حَاجِزًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛
 كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ ذَلَّلَهُمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].
 وَتَبْدَأُ حَيَاةُ الْبَرْزَخِ مِنْ خُرُوجِ الرُّوحِ وَمَفَارَقَةِ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ.
 وَقَدْ تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ فِي حَيَاةِ الْبَرْزَخِ وَفِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ، وَقَدْ جَاءَ
 مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ، وَالْبَرَاءِ، وَأَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَأَبِي قَتَادَةَ،
 وَغَيْرِهِمْ^(١).

أَمَّا فِتْنَةُ الْقَبْرِ: فَالْمَرَادُ بِهَا: مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الْمَيِّتُ مِنْ امْتِحَانٍ وَابْتِلَاءٍ
 وَسُؤَالٍ، وَمَا يَلْحَقُهُ مِنْ كَرْبٍ وَشِدَّةٍ، وَقَزَعٍ وَهَلَعٍ، وَقَدْ قَالَ ﷺ: (إِنَّ
 هَذِهِ الْأُمَّةُ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا)^(٢)، وَقَالَ: (وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي
 قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ)^(٣).

وَتَعَادُ رُوحُ الْمَيِّتِ إِلَيْهِ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ^(٤)، فَيَحْبَا حَيَاةَ
 كَحَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا بِيَقَظَةٍ وَانْتِبَاهٍ، وَلَيْسَتْ مَنَامًا وَخِيَالًا؛ قَالَ عُمَرُ: «أَيُّدُ
 إِلَيْنَا عُقُولُنَا؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (نَعَمْ؛ كَهَيِّتِكُمْ الْيَوْمَ)^(٥)».

وَرُويَ فِي «التِّرْمِذِيِّ»: أَنَّ اسْمَ الْفَتَّانَيْنِ مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَأَنَّهُمَا
 أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ^(٦)، وَالْفِتْنَةُ بِالسُّؤَالِ عَنْ ثَلَاثٍ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ

(١) انظر: «شرح الصلوة» (ص ١١٧ - ١٣٧).

(٢) مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت.

(٣) البخاري (٨٦)، ومسلم (٩٠٥) من حديث أسماء بنت أبي بكر.

(٤) سبق تخريجه قريبًا.

(٥) أحمد (١٧٢/٢) رقم (٦٦٠٣) من حديث عبد الله بن عمرو.

(٦) الترمذي (١٠٧١) من حديث أبي هريرة.

البراء؛ قال ﷺ: (فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ، فَيَنْتَهَرَانِيهِ وَيُجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ مَا دِينُكَ؟ مَنْ نَبِيُّكَ؟ وَهِيَ آخِرُ فِتْنَةٍ تُعْرَضُ عَلَى الْمُؤْمِنِ؛ فَذَلِكَ حِينَ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]، فيقول: رَبِّيَ اللَّهُ، وَدِينِي الْإِسْلَامُ، وَنَبِيِّ مُحَمَّدٌ ﷺ؛ فَيَنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ صَدَقَ عَبْدِي^(١).

وَأَمَّا عَذَابُ الْقَبْرِ: فهو حقٌّ كذلك؛ ثَبَتَ فِيهِ الدَّلِيلُ مِنْ وَجْهِ كَثِيرَةٍ، وَقَدْ أَخْبَرَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ مِنْ قَبْلُ، وَثَبَتَ بِهِ النَّصُّ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، وَفِي «الصَّحِيحَيْنِ» أَيْضًا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي دَعَائِهِ فِي الصَّلَاةِ: (اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ)^(٢).

وعذابُ القبر: يَلْحَقُ الْكَافِرِينَ وَمَنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ الْمُقْصِرِينَ، وَقَدْ مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ بِقَبْرَيْنِ؛ فَقَالَ: (إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ)^(٣)، وَهَذَانِ مُسْلِمَانِ؛ فَلَوْ كَانَا كَافِرَيْنِ، لَكَانَ عَذَابُهُمَا عَلَى الْكُفْرِ أَوْلَى مِنْ عَذَابِهِمَا عَلَى الْبُؤْلِ وَالنَّمِيمَةِ، وَلَمْ يَتَّخِذِ النَّبِيُّ ﷺ سَبَبًا لِلتَّخْفِيفِ عَنْهُمَا.

وقد ذَكَرَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «جَامِعِهِ»: «أَنَّ النَّاسَ يُضْغَطُونَ وَيُبْلَوْنَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ مَنْطِقَ مَنْ أَحَبَّ تَثْبِيتهُ»^(٤).

(١) سبق تخريجه قريباً.

(٢) البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩) من حديث عائشة.

(٣) البخاري (٢١٦)، ومسلم (٢٩٢) من حديث ابن عباس.

(٤) «الجامع» (ص ١١٢).

وَضُمُّهُ الْقَبْرِ قَدْ جَاءَ فِيهَا عِدَّةُ أَحَادِيثَ مِنْ وَجْهِ مُتَعَدِّدَةٍ، وَفِيهَا جَمَلَةٌ مِنَ الْأَثَارِ عَنِ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ؛ فَقَدْ جَاءَ فِي «الْمُسْنَدِ» مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: (إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَغْطَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ)^(١)؛ وَلَهُ طَرُقٌ مُتَعَدِّدَةٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ^(٢)، وَابْنِ عَبَّاسٍ^(٣)، وَغَيْرِهِمَا^(٤).

وَقَدْ أُنْكَرَ بَعْضُ طَوَائِفِ الضَّلَالِ وَالْمَادِّيُونَ عَذَابَ الْقَبْرِ؛ بِاعْتِبَارِ رُؤْيَيْهِمْ لِلْمَيِّتِ وَلَيْسَ عَلَيْهِ عَذَابٌ يُرَى، وَاللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَحْجُبَ عَنْهُمْ مَا يَشَاءُ؛ كَمَا حَجَبَ عَنْهُمْ الرُّوحَ الَّتِي بِهَا حَيَاتُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهَا، وَكَمَا يَرَى الْجِنُّ الْإِنْسَانَ وَلَا يَرَاهُمْ.

❦ كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْمَكْلُوفِينَ

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ عَلَى الْعِبَادِ حَفْظَةَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ﴾:

يَجِبُ الْإِيمَانُ بِالْمَلَائِكَةِ؛ فَالْإِيمَانُ بِهِمْ رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ، وَأَنْتَهُمْ عِبَادُ اللَّهِ مُقَرَّبُونَ، وَفِي حَدِيثِ جَبْرِيلَ لَمَّا سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ عَنِ الْإِيمَانِ؟ قَالَ: (الْإِيمَانُ: أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدْرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ)^(٥).

وَقَدْ قَرَنَ اللَّهُ الْإِيمَانَ بِالْمَلَائِكَةِ بِالْإِيمَانِ بِهِ سُبْحَانَهُ؛ فَقَالَ: ﴿كُلُّ

(١) «الْمُسْنَدُ» (٦/٥٥ و ٩٨ و رقم ٢٤٢٨٣ و ٢٤٦٦٣).

(٢) حَدَّثَ النَّسَائِيُّ (٢٠٥٥).

(٣) حَدَّثَ الطَّبْرَانِيُّ فِي «الْكَبِيرِ» (١٠/٤٠٦ و رقم ١٠٨٢٧).

(٤) كَأَنَسٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى؛ كَمَا فِي «إِتْحَافِ الْخَيْرَةِ» (٢/٤٩٣).

(٥) سَبَقَ تَخْرِيجُهُ.

ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ﴿البقرة: ٢٨٥﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ الْإِنسَانَ مَنِ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧].

والملائكة كثير لا يحصيهم عدا إلا الله؛ ولكن قد يأتي في الوحي بيان لعدد بعضهم في عمل معين، أو موضع معين، أو زمان معين:

منهم: الواحد؛ كالموكل بالوحي، وخازن الجنة، وخازن النار، وملك الجبال، وقابض الأرواح، وناfix الصور، وناfix الروح.

ومنهم: اثنان؛ كالموكلين بالكتابة: رقيب وعتيد.

ومنهم: ثمانية؛ كحملة العرش.

ومنهم: تسعة عشر؛ وهم خزنة النار، ومقدمهم مالك.

ومنهم: سبعون ألفا؛ وهم الذين يطوفون بالبيت المعمور؛ كما في الحديث قال ﷺ: (... فَرَفَعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جَبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؛ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا، لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ)؛ متفق عليه^(١).

ومن الملائكة: الحفظة الذين يحضرون على العباد أفعالهم، ويكتبونها؛ لإقامة الحجة عليهم؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٥﴾ كِرَامًا كَبِيرِينَ ﴿١٦﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ﴾ [الانفطار: ١٥ - ١٦]، وقال: ﴿إِذْ بَلَغَ الثَّقَلَانِ مِنَ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَيْدٌ ﴿٧﴾ مَا يَلْفُظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٧ - ١٨].

والله يعلم أفعال العباد وأقوالهم ونياتهم، ولا يحتاج الله إلى أحد يحصي ذلك له ليغلم ويحاسب، ولكن الله أراد إقامة الحجة على عباده وقطع أعدائهم بإحصاء محسوس.

(١) البخاري (٣٢٠٧)، ومسلم (١٦٤) من حديث مالك بن صعصعة.

وأما علم الله وإحاطته، فلا يحتاج إلى كَتَبَةٍ وَحَفَظَةٍ؛ فكل ذلك يسير عليه؛ فقد فرّق الله بين علمه وبين الكتاب، وأنّ علم كل شيء عليه يسير بكتاب وقبل الكتاب؛ كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْسِلُ مِنْ أُنْثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمِّرُ مِنْ نَفْسٍ وَلَا يَمُدُّ مِنْ عَمْرٍو إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [فاطر: ١١].

وكل الملائكة عِبَادٌ مُكْرَمُونَ، ليس لهم من خصائص الربوبية والالهوية شيء، خلقهم الله من نور؛ قال الله عن عبادتهم: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْصِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْترُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩ - ٢٠]، وقال: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٠﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَقْمَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦ - ٢٧]، وقال: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦].

❦ الأرواح وقبضها:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ (في الجامع: كُلُّهَا)﴾^(١) بِإِذْنِ رَبِّهِ:

خلق الله الأرواح كما خلق الأجساد، وخلقها للأرواح سابق لخلقها للأجساد، وقد حكى الإجماع على ذلك إسحاق وغيره^(٢).

وقد وكل الله بالأرواح ملكاً يبدأ مع الإنسان في تكوينه في بطن أمه، ويستأذن ربه في كل عمل يعمل؛ كما في «الصحيحين» عن أنس بن

(٢) «التمهيد» لابن عبد البر (١٨/٨٤).

(١) «الجامع» (ص ١١١).

مالك - ورفع الحديث - أنه قال: (إِنَّ اللَّهَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّحِمِ مَلَكًا، يَقُولُ: أَيُّ رَبِّ، نُطْقَةً، أَيُّ رَبِّ، حَلَقَةً، أَيُّ رَبِّ، مُضْغَةً؛ فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَفْضِيَ خَلْقًا، قَالَ: قَالَ الْمَلَكُ: أَيُّ رَبِّ، ذَكَرَ أَوْ أَنْثَى؟ شَفِي أَوْ سَعِيدٌ؟ فَمَا الرُّزْقُ؟ فَمَا الْأَجَلُ؟ فَيَكْتَبُ كَذَلِكَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ^(١)).

ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوحُ؛ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي «الصَّحِيحَيْنِ»^(٢).

وَالْمَلَكُ الْمَوْكَّلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ نَفْسِهَا، غَيْرُ الْمَلَكِ الْمَوْكَّلِ بِالرُّوحِ عِنْدَ قَبْضِهَا.

ثُمَّ إِنَّ الْمَلَكَ الْمَوْكَّلَ مِنَ اللَّهِ بِالتَّخْلِيقِ وَيَنْفَخُ الرُّوحَ وَاحِدًا، لَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ؛ فِي ظَاهِرِ النُّصُوصِ.

وَأَمَّا مَلَكُ قَبْضِ الرُّوحِ، فَوَاحِدٌ مُقَدَّمٌ، وَمَعَهُ غَيْرُهُ:

أَمَّا كَوْنُهُ وَاحِدًا مُقَدَّمًا، ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة: ١١].

وَأَمَّا كَوْنُهُ مَعَهُ غَيْرُهُ، ففِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهُهُمْ وَأُذُنُهُمْ﴾ [محمد: ٢٧]، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدُكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١].

وَمَلَكُ الْمَوْتِ الْمُقَدَّمُ يَقْبِضُ، وَالْبَقِيَّةُ يُعِينُونَ فِي قَبْضِ الرُّوحِ، وَتَجْهِيذِهَا، وَرَفْعِهَا؛ كَمَا فِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ فِي «الْمُسْنَدِ»؛ قَالَ ﷺ: (إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ،

(١) البخاري (٣١٨)، ومسلم (٢٦٤٦).

(٢) البخاري (٣٢٠٨)، ومسلم (٢٦٤٣).

نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِبُضْ أَلْوَجُوهِ؛ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ،
مَعَهُمْ كَفَرٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا
مِنَهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ﷺ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ... (١)
الحديث (١).

قال إبراهيم النخعي: «لِمَلَكِ الْمَوْتِ أَعْوَانٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، يَتَوَقَّوْنَ
عَنْ أَمْرِهِ» (٢).

ويكون قبض الأرواح بعلم الله وحده، لا يستقدمون ساعة
ولا يستأخرون.

❦ فضل خير القرون:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَأَنَّ خَيْرَ الْقُرُونِ: الْقَرْنُ الَّذِي رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ،
وَأَمَّنُوا بِهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»:

أَفْضَلُ الْأَزْمِنَةِ الَّتِي فِيهِ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَصْحَابُهُ خَيْرٌ مِنْ أَصْحَابِ
غَيْرِهِ؛ لِأَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ تَعَدَّى فَضْلُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَا انْصَلَّ بِهِ
مِنَ الزَّمَانِ؛ فَكَانَ أَفْضَلُ الْقُرُونِ بَعْدَ قَرْنِهِ الَّذِي يَلِيهِمْ، ثُمَّ الَّذِي يَلِيهِمْ؛
فَالتَّابِعُونَ لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنَ التَّابِعِينَ لِأَصْحَابِ غَيْرِهِ مِنَ
الْأَنْبِيَاءِ، وَهَكَذَا فِي أَتْبَاعِ الْأَتْبَاعِ؛ قَالَ ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ
يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ) (٣).

(١) سبق تخريجه.

(٢) تفسير ابن جرير (٩/٢٩٠ و ٢٩١)، ومعاني القرآن للنحاس (٢/٤٣٨ - ٤٣٩)،
وسمعاني (٢/١١٢).

(٣) البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣) من حديث ابن مسعود.

﴿ معنى القرن: ﴾

والمراد بالقرن: الطَّبَقَةُ، وأَوَّلُهُم: الصحابة، ثُمَّ التَّابِعُونَ، ثُمَّ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ، وليس المراد بذلك: القرن الذي هو مِئَةُ سَنَةٍ، والذي يُورِّثُ عليه المؤرِّخون.

والقرن المفضَّل: أَوَّلُهُ أَفْضَلُ مِنْ آخِرِهِ؛ لَأَنَّ فَضْلَهُ بِفَضْلِ أَهْلِهِ، وَفَضْلُ أَهْلِهِ بِسَبْقِهِمْ وَقُرْبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَيَذْهَبُ فَضْلُ ذَلِكَ الْقَرْنِ بِذَهَابِ جُمْهُورِ أَهْلِهِ.

وقد انصَرَمَتْ عَامَّةُ الْقُرُونِ الْمَفْضَلَةِ بِأَتْبَاعِ التَّابِعِينَ؛ وَذَلِكَ قَبْلَ تَمَامِ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، وَلَيْسَ فِي الْمِئَةِ الثَّالِثَةِ مِنْهُمْ كَبِيرٌ أَحَدٌ، مَعَ فَضْلِ كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِهَا فِي الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ.

وَالْفَضْلُ الْمُتَعَلِّقُ بِالْقَرْنِ إِنَّمَا هُوَ لِجُمْهُورِهِمْ، وَجُمْهُورُ الصَّحَابَةِ كَانَ فِي زَمَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْأَرْبَعَةِ، وَمَنْ بَقِيَ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَلَا يُنْتَزَعُ فَضْلُهُ؛ فَفَضْلُهُ مَعَهُ وَلَوْ تَأَخَّرَ بَقَاؤُهُ.

وَهَكَذَا فِي التَّابِعِينَ، وَذَهَبَ جُمْهُورُهُمْ قَبْلَ تَمَامِ الْمِئَةِ.

وَمِثْلُهُمْ أَتْبَاعُ التَّابِعِينَ؛ فَذَهَابَ جُمْهُورُهُمْ قَبِيلَ مُتَصَفِّ الْمِئَةِ الثَّانِيَةِ، وَمَنْ تَأَخَّرَ مِنْهُمْ، فَفَضْلُهُ بَاقٍ مَعَهُ؛ إِلَّا أَنَّ فَضْلَ زَمَانِهِ ضَعُفَ وَقَلَّ.

وَالْقَرْنُ يُطْلَقُ عَلَى الْحَقْبَةِ مِنَ الزَّمَنِ الَّتِي يَعِيشُ فِيهَا الْجِيلُ مِنْ وَلَادَتِهِ إِلَى وَفَاتِهِ، وَيُطْلَقُ كَذَلِكَ عَلَى الْمِئَةِ عَامٍ؛ وَمِنْ ذَلِكَ: مَا يُرَوَى عِنْدَ الْحَاكِمِ مَرْفُوعًا: (يَعِيشُ هَذَا الْغُلَامُ قَرْنًا؛ فَعَاشَ مِئَةَ سَنَةٍ^(١))؛ بِعَنْ: عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسَيْرٍ.

﴿ فضل الصحابة، وتفاضلهم: ﴾

ولا خلاف في فضل الصحابة عامة، وأنهم خيرُ الناس بعد الأنبياء، وخيرُ الأمة بعد نبيها ﷺ، وفضلهم من فضل النبي ﷺ، والنبي ﷺ أفضل الأنبياء، وقد ذكر الله فضلهم في التوراة والإنجيل والقرآن؛ قال تعالى: ﴿يُحَمَّدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّامًا سَاجِدًا يَنْتَعِنُونَ فَلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَنْ لَمْ يَرْحَمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَّرَ أَخْرَجَ سَطْرَهُ فَتَزَرَّهُ فَاَسْتَغْلَظَ فَاَسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩].

ومن رأى النبي ﷺ ولو ساعة مؤمناً به، فهو صحابي، وهو أفضل ممّن جاء ولم ير النبي ﷺ؛ كما قال ابن أبي زيد في «جامعه»؛ قال: «وَكُلُّ مَنْ صَحِبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ رَأَاهُ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ بِذَلِكَ أَفْضَلُ مِنْ أَفْضَلِ التَّابِعِينَ»^(١).

وأفضل الصحابة: من جمع مع الإيمان به نصرته، وأكثرهم جمعاً لهذين وأقدمهم فيهما، فهو أفضلهم؛ ولهذا فضل الله المهاجرين على الأنصار، وفضل الله السابقين على اللاحقين، وفضل من أسلم قبل الفتح على من أسلم بعده.

وفي هذا قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلًا أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا وَكُلًّا وَعدَّ اللَّهُ الْحَسَنَ﴾ [الحديد: ١٠]؛ فلم يذكر الله سبق الإيمان فقط، وإنما ذكر معه ما يدلُّ

على النصر؛ فقال: «أَتَفَقَّ وَقَاتَلَ»، وكلما كان إسلام الصحابي في زمنٍ أشدَّ من غيره، كان أفضلَ منه، ولما كانت حال المهاجرين أشدَّ من الأنصار، فُضِّلُوا عليهم، ولم يكن في المهاجرين نفاق؛ كما قاله أحمدٌ فيما نقله عنه المروزي^(١).

وقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

ومن هذا: كان فضلُ مَنْ شَهِدَ بَدْرًا على مَنْ شَهِدَ أَحَدًا فقط، ومَنْ بَايَعَ تحتَ الشجرة على مَنْ لم يُبايِعْ؛ لتحقيقِ النصر في هذه المواقف مع الإيمان؛ قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

الوقوف في الصحابة:

حُبُّ الصحابة وتوقيرهم: من أعظمِ القربات؛ لأنه من تعظيمِ النبي ﷺ تعظيمُ أصحابه، ومن إجلالِ الله إجلالُ أصحابِ نبيه:

فمن عبد الله بن مغفلِ المُرَني؛ قال: قال رسولُ الله ﷺ: (اللهُ اللهُ في أصحابي! اللهُ اللهُ في أصحابي! لا تَخْلُوهُمْ غَرْضًا بَغِيًّا؛ فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وَمَنْ آذَى اللهُ فَبُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ)^(٢).

وقال أحمدُ بنُ حنبلٍ: «فَحُبُّهُمْ سُنَّةٌ، والدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، والافتداءُ

(٢) الترمذي (٣٨٦٢).

(١) مجموع الفتاوى (٢٠١/٧).

بهم وسيلة، والأخذ بآثارهم فضيلة^(١).

ولا يَقَعُ فيهم إلا مبتلى في دينه.

وَمَنْ طَعَنَ فِي الصَّحَابَةِ أَوْ فِي وَاحِدٍ مِنْهُمْ، فَلَا يَخْلُو مِنَ الْوُقُوعِ فِي
الْبِدْعَتَيْنِ: إِمَّا الْكِبْرَى الْمَكْفُورَةَ، وَإِمَّا الصَّغْرَى الْمُضِلَّةَ:

أَمَّا الْبِدْعَةُ الْكِبْرَى الْمَكْفُورَةُ: فَكَمَنْ تَنَقَّصَهُمْ، أَوْ سَبَّاهُمْ فِي شَيْءٍ
ثَبَّتَ بِالتَّوَاتُرِ خِلَافَهُ؛ وَهَذَا كَمَنْ سَبَّ جَمِيعَ الصَّحَابَةِ أَوْ عَامَّتَهُمْ؛ فَهَذَا
أَرَادَ مُصَحِّحَتَهُمْ، وَلَمْ يُرِدْ أَعْيَانَهُمْ، وَلَوْ زَعَمَ خِلَافَ ذَلِكَ، وَفَضَّلَهُمْ
جَمِيعَهُمْ أَوْ عَامَّتَهُمْ مُتَوَاتِرٌ لَا خِلَافَ فِيهِ.

وَمِثْلُ ذَلِكَ: مَنْ طَعَنَ فِي عِرْضِ عَائِشَةَ، وَاللَّهُ قَدْ بَرَّأَهَا فِي الْقُرْآنِ،
وَنَحْوُ ذَلِكَ، أَوْ طَعَنَ فِي الْمُهَاجِرِينَ أَوْ الْأَنْصَارِ، أَوْ مَنْ بَايَعَ تَحْتَ
الشَّجَرَةِ، أَوْ طَعَنَ فِي عُمومِ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَحَدٍ؛ فَأُولَئِكَ تَوَاتَرَ فَضْلُهُمْ وَثَبَّتَ؛
فَالطَّعْنُ فِي جَمِيعِهِمْ أَوْ عَامَّتِهِمْ كُفْرٌ.

وَمِثْلُهُ: الطَّعْنُ فِي وَاحِدٍ تَوَاتَرَ فَضْلُهُ كَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَعَائِشَةُ؛
قَالَ مَالِكٌ: «مَنْ سَبَّ عَائِشَةَ، قُتِلَ، قِيلَ لَهُ: لِمَ؟ قَالَ: مَنْ رَمَاهَا، فَقَدْ
خَالَفَ الْقُرْآنَ»^(٢).

وَقَدْ جَاءَ عَنْ أَحْمَدَ: أَنَّهُ سُئِلَ عَمَّنْ يَشْتُمُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ
وعائشة؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ؟ فَقَالَ: «مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ»^(٣).

وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ مَنْ حَمَلَ غِيظًا فِي قَلْبِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ كَافِرًا، كَمَا فِي
قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَيَنْفِظَنَّ مِنْ آلِ الْكُفَّارِ﴾ [الفتح: ٢٩]؛ وَبِهَذَا اسْتَدَلَّ مَالِكٌ^(٤)

(١) انظر: «طبقات الحنابلة» (١/٦٣ - ٦٤).

(٢) «مسند الموطأ» (٨٧)، و«المحلى» (١١/٤١٤ - ٤١٥).

(٣) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (٧٧٩ و ٧٨٢). (٤) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (٧٦٠).

وأبو معمر الكرخي^(١) وغيرهما.

وأما البذعة الصغرى المضللة: فكمن وقع في شيء فيهم لم يثبت بالتواتر خلافه، وإن صح فيه الخبر.

فهذا مبتدع؛ لعدوانه على جناب الصحابة ولو كان واحداً.

وخرج من بذعة الكفر؛ لكونه لم يُنكر متواتراً معلوماً من الدين ضرورة؛ كمن يسب من صح فضل ولم يتواتر، أو ذم خصلة فيه لم يثبت بالتواتر خلافها؛ كالْبُخْلِ والكذب والجبن، وإنما بُدع لعدوانه على أصحاب النبي ﷺ، ومخالفته لوصيته فيهم؛ كما قال ﷺ في «الصحيحين»: (لَا تُسَبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ)^(٢)، وروى أحمد والترمذي عنه ﷺ؛ قال: (أَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)^(٣).

وقد قال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلاً يذكر أصحاب رسول الله ﷺ بسوء، فاتهمة على الإسلام»^(٤).

❦ التفاضل بين الصحابة:

❦ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ:

أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ عُثْمَانُ، ثُمَّ عَلِيٌّ؛ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ»:

كان الصنر الأول يجلسون الصحابة، ويعظمون قدرهم على سبيل

(١) «السنن» للخلال (٦٦٦).

(٢) البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١) من حديث أبي سعيد.

(٣) أحمد (١٨/١) ٢٦ رقم ١١٤ و (١٧٧)، والترمذي (٢١٦٥) من حديث عمر.

(٤) «شرح أصول الاعتقاد» (٢٣٥٩).

الإجمال والتفصيل، ولم يكونوا يُؤغِلُونَ في التفضيل بينهم؛ لعدم قيام المَوْجِبِ لذلك، ولأنَّهم على الفِطْرَةِ الصحيحة، ولم تَظْهَرِ البدْعُ في الوقِيعَةِ في الصحابة والطعن فيهم؛ فكانوا يَعْرِفُونَ مقاديرَهُمْ وفضلَهُمْ وَيَحْكُونَهُ، وَيَعْرِفُونَ تفاضْلَهُمْ في صدورِهِمْ، وإنْ أَمْسَكُوا عن التعبيرِ عن ذلك:

كما قال مالكٌ: «إِنَّ التَّفَاضُلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ الَّذِينَ مَضَوْا، وَإِنَّمَا كَانَ مِنْ هَذِهِمُ الْإِمْسَاكُ عَنْ مِثْلِ هَذَا»^(١).

وقولُ مالك هذا مِنْ جَنَسِ قولِ النَّبِيِّ ﷺ: (لَا تَخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ)^(٢)، وقولِهِ ﷺ: (لَا تَخَيَّرُونِي عَلَى مُوسَى)^(٣)، وفي حديثِ ثَانٍ، قال ﷺ: (لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى)^(٤)؛ لَأَنَّ مِنَ التَّفْضِيلِ مَا يَتَوَهَّمُ بِهِ السَّامِعُ نَقْصَ الْمَفْضُولِ وَعَيْبًا فِيهِ.

وقد كان مالكٌ نَفْسُهُ يَفْضُلُ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ عَلَى غَيْرِهِمَا^(٥).

وتفاضُلُ الصَّحَابَةِ فِي بَعْضِ الْخِصَالِ، لَا يَعْنِي الْقَضْلَ الْمَطْلَقَ؛ فَقَدْ يَفْضُلُ وَاحِدُ الصَّحَابَةِ فِي خُصْلَةٍ - كَالشَّجَاعَةِ وَالْكَرَمِ وَالْحِلْمِ - وَغَيْرُهُ أَفْضَلُ مِنْهُ؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ ابْنِ عُمَرَ: «مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ»، فَقِيلَ لِابْنِ عُمَرَ: هُوَ كَانَ أَسْوَدَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ؟ قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهِ أَحَبُّ مِنْهُ، وَهُوَ وَاللَّهُ أَسْوَدُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ»^(٦)، وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ - أَيْضًا -:

(١) «الاستذكار» (٢٤١/١٤ و ٢٤٣)؛ بنحوه.

(٢) البخاري (٢٤١٢ و ٦٩١٦)، ومسلم (٢٣٧٤) من حديث أبي سعيد.

(٣) البخاري (٢٤١١ و ٣٤٠٨ و ٦٥١٧ و ٧٤٧٢)، ومسلم (٢٣٧٣) من حديث أبي هريرة.

(٤) البخاري (٣٣٩٥)، ومسلم (٢٣٧٧) من حديث ابن عباس.

(٥) «الاستذكار» (٢٤٤/١٤)، و«الانتقاء» (ص ٣٥).

(٦) «الآحاد والمثاني» (٥١٦)، و«السنة للخلال» (٦٧٩).

«إِنَّهُ أَسْوَدُ مِنْ عُمَرَ وَعُثْمَانُ»^(١)، و«أَسْوَدُ»؛ بمعنى: أَسْحَى^(٢)، وفي هذا يقول أحمدُ: «أَعْطَى معاويةَ أهلَ المدينةَ عَطَايَا ما أَعْطَاهَا خَلِيفَةُ كانَ قَبْلَهُ»^(٣).

التوسُّع في التفضيل بين الصحابة:

وقد بدأ التوسُّع في أبواب التفضيل بين الصحابة، والنزاع فيه: في العَجَم، وكان مَدْخَلًا لتَنْقِصِ المفضول؛ فبدؤوا بالتفضيل، ثم تدرَّجوا والتَّمَسُّوا أسبابَ الكمالِ في الفاضل، ثم تدرَّجوا والتَّمَسُّوا أسبابَ النقصِ في المفضول، ثم استدرَّجهم الشيطانُ للدخولِ في أبوابِ النقائصِ وتُلَبِّ الصحابةِ وعَنيهم.

وقد قال عبدُ الله بنُ أبي حَسَّانٍ - تلميذُ مالِكٍ - لَمَّا سُئِلَ عن التفاضلِ بينَ خيارِ الصحابةِ؟ فَرَفَعَ يَدَهُ، وَضَرَبَ السَّائِلَ، وقال: «ليس هذا دِينُ قُرَيْشٍ، ولا دِينُ العَرَبِ؛ هذا دِينُ أَهْلِ قُمْ»^(٤)؛ وهو يُدْرِكُ تَفَاضُلَ الصحابةِ على الحَقِيقَةِ، وَلَكِنَّهُ يَعْلَمُ ما يُرَادُ مِن فَتْحِ هذا البابِ، وَلَمَّا فُتِحَ في المَشْرِقِ، وانتهى بأصحابِهِ إلى ما انتهَى إليه، كان المغاربةُ أَوَّلَ الأمرِ يُغْلِقُونَ فَتْحَ هذا البابِ؛ حتى لا يَنْتَهِيَ في المَغْرِبِ إلى ما انتهَى إليه في المَشْرِقِ؛ وهذا مِن كَمالِ العِلْمِ والحِكمةِ.

ومن هذا الباب: إمساكُ مالِكٍ وغيرِهِ في إحدى الروايتين عن التفضيلِ بين عُثْمَانَ وعليٍّ، وقولُهُ: «ما أَذْرَكْتُ أَحَدًا أَقْتَدِي بِهِ يَفْضَلُ أَحَدَهُما على صاحِبِهِ»^(٥).

ولا يَخْتَلِفُ المُسْلِمُونَ في فَضْلِ الصحابةِ، وأنَّ فَضْلَهُم فرْعٌ عن

(١) الموضع السابق.

(٢) انظر: «النهاية» لابن الأثير (٤١٨/٢). (٣) كما في رواية الحلال السابقة.

(٤) «رياض النفوس» (٢٨٧/١).

(٥) «المدونة» (٤/٦٧٠)، و«الاستذكار» (١٤/٢٤٠).

فضل النبي ﷺ، وكما يتفاضل الأنبياء، فإن الصحابة يتفاضلون فيما بينهم من باب أولى.

وقد كان سُخُونٌ يلقنُ ابنَ القَصَارِ في مَرَضِ مَوْتِهِ: «أَنْ أَفْضَلَ هَذِهِ الْأُمَّةُ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ»^(١).

وَلَا يَخْتَلِفُ السَّلَفُ فِي هَذَا، وَوَقَعَ فِي قَلِيلٍ مِنْهُمْ نِزَاعٌ فِي التَّفَاضُلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ^(٢):

فَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عُثْمَانَ عَلَى عَلِيٍّ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ فَضَّلَ عَلِيًّا عَلَى عُثْمَانَ.

وَمِنْهُمْ: مَنْ تَوَقَّفَ.

ثُمَّ اسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى أَنَّ تَرْتِيْبَهُمْ فِي الْفَضْلِ؛ كَتَرْتِيْبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ: عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ، وَقَدْ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ: وَاللَّهِ مَا بَايَعْتُ لِعُثْمَانَ حَتَّى سَأَلْتُ صِبْيَانَ الْمَدِينَةِ؛ فَقَالُوا: عُثْمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ^(٣).

وَقَدْ وَصَفَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ هَذَا الْقَوْلَ فِي «جَامِعِهِ»، بِأَنَّهُ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ؛ قَالَ: «وَهُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْحَدِيثِ، ثُمَّ بَقِيَّةُ الْعَشْرَةِ، ثُمَّ أَهْلُ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، ثُمَّ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَمِنْ جَمِيعِ أَصْحَابِهِ؛ عَلَى قَدْرِ الْهِجْرَةِ وَالسَّابِقَةِ وَالْفَضِيلَةِ»^(٤).

ظُهُورُ الطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ فِي الْمَغْرِبِ:

وَقَدْ انْتَشَرَ الطَّعْنُ فِي الصَّحَابَةِ فِي زَمَنِ بَنِي هُبَيْرٍ فِي الْمَغْرِبِ، خَاصَّةً الْقَبْرَوَانِ، وَامْتَحَنَ النَّاسُ فِي ذَلِكَ؛ حَتَّى أَكْرَهُوا عَلَى سَبِّ

(١) «رياض النفوس» (١/٣٦٧ - ٣٦٨)، وقد سبق.

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/٤٢٦).

(٣) «المسائل التي حلف عليها أحمد» (ص ٩٧). (٤) «الجامع» (ص ١١٥).

الصحابية على المنابر، وقُتِلَ جماعةٌ من العلماءِ لأجلِ ذلك، وقد قام جماعةٌ من أهلِ العلمِ في وجهِ تلكِ الفتنَةِ، وعلى رأسِهِمُ ابنُ الحَدَّادِ. وقد شبَّه بعضهم مقامَهُ في فتنَةِ الرفضِ في المغربِ، بمقامِ أحمدَ في المشرقِ في فتنَةِ القرآنِ^(١).

وقد كان له حُجَّةٌ وبيانٌ وقوةٌ في الحقِّ، وقد سأله أبو عبدِ الله الرافضي: «أنتم تفضّلون على الخمسةِ أصحابِ الكساءِ غيرِهِم؟ - يعني بأصحابِ الكساءِ: محمدًا ﷺ، وعليًا وفاطمةَ، والحسنَ والحسينَ ﷺ، ويعني بغيرِهِم: أبا بكرٍ ﷺ - فقال ابنُ الحَدَّادِ: أيُّما أَفْضَلُ؟ خمسةٌ سادِسُهُمُ جبريلُ ﷺ، أو اثنانِ اللهُ تَالِثُهُما؟! فَبُهِتَ الرافضي»^(٢).

﴿ ما شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ ﴾

﴿ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَأَلَّا يُذَكَّرَ أَحَدٌ مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ، وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ، وَأَنَّهُمْ أَحَقُّ النَّاسِ (فِي) «الْجَامِعِ»: أَنْ تُنْشَرَ مَحَاسِنُهُمْ﴾^(٣)؛ أَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيُظَنَّ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ﴾:

لا يُتَحَدَّثُ بما وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ مِنْ خِلَافٍ وَنِزَاعٍ، ما لم يكنْ في ذلكِ فِقْهٌ لِلْخَاصَّةِ، فَيُذَكَّرُ الْخِلَافُ وَالنِّزَاعُ بَيْنَهُمْ يَوْغُرُ الصَّدُورَ، وَيُسْقِطُ هَيِّئَتَهُمْ وَجَلَّالَتَهُمْ فِي بَعْضِ النُّفُوسِ، وَكَانَ أَحْمَدُ يَقُولُ: «هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُورِثُ الْغِلَّ فِي الْقَلْبِ»^(٤).

ولم يكنِ الصَّحَابَةُ يُتَحَدَّثُونَ بِخِلَافِهِمْ عِنْدَ غَيْرِهِمْ، ولا كَذَلِكَ فَفُتِّهَاءُ

(٢) «معالم الإيمان» (٢/ ٢٩٨ - ٢٩٩).

(٤) «السُّنَّةُ» لِلْخِلَافِ (١١٦).

(١) «معالم الإيمان» (٢/ ٢٩٨).

(٣) «الجامع» (ص ١١٦).

التابعين: كانوا لا يذكرون خلاف الصحابة، وإنما تفرغ لأكثره أهل سير وأخباريون، فنقلوا وزادوا ونقصوا، ومن فقه سعيد بن المسيب قوله: «لقد رأيت علياً وعثمان يستبان سباباً ما أخبرت به أحداً بعد»^(١).

وقد كان أحمد يعتزل مجلس عبد الرزاق إذا حدث بأحاديث الخلاف بين الصحابة، فإذا انتهى، رجع، وربما وضع إصبعيه في أذنيه طويلاً، حتى مرّت بعض الأحاديث، ثم يخرجهما، ثم يرُدُّهما... حتى مضت الأحاديث كلها^(٢)؛ لا يريد أن يعلّق بقلبه شيء منها.

وأكثر تلك الأحاديث ليس فيها أحكام وعمل، وإنما هي حكايات وأقوال وأفعال لقرنٍ فاضلٍ انصرم، ويستثنى من ذلك: ما يتضمّن فقهاً وحلالاً وحراماً، وكان أحمد يقول: «لا أحب لأحد أن يكتب هذه الأحاديث التي فيها ذكر أصحاب النبي ﷺ؛ لا حلال ولا حرام ولا سنن»^(٣).

وتعرض الصحابة بعضهم لبعض، ليس كتعرض غيرهم لهم؛ فهم مجتهدون، وفي منزلة وفضل عالٍ، ولديهم من العمل الصالح العظيم من ضحية النبي ﷺ: ما يوجب تكفير ذنوبهم، وليس لدى من بعدهم من الحسنات ما يقوى على تكفير الواقعة في أعراض الصحابة، إلا أن يشاء الله.

ولما كاد الوليد أن يقع في عائشة، ذكره الزهري بقول أبي مسلم الخولاني لأهل الشام؛ لما أرادوا الواقعة في عائشة: «ألا أخبركم بمثلكم ومثل هذه ١٩ كمثل عيتين في رأس يؤذيان صاحبهما، ولا يستطيع

(١) «السنة» لعبد الله (١٢٩٧ و ١٢٩٨).

(٢) «السنة» للخلال (٨٠٣).

(٣) «السنة» للخلال (٨١١).

أَنْ يَعَاقِبَهُمَا، إِلَّا بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ لَهُمَا»^(١).

وَالْوَقِيعَةُ فِي الصَّحَابَةِ ذَنْبٌ عَظِيمٌ، لَا يَنْتَلِي اللَّهُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا لِسُوءِ طَوِيَّةٍ، وَقُبْحِ نِيَّةٍ، وَمَا رَأَيْنَا أَحَدًا طَعَنَ فِي أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا وَلَهُ خَبِيثَةٌ سُوءٌ تَخْرُجُ وَلَوْ بَعْدَ حِينٍ، لَا نَعْلَمُ الْغَيْبَ، وَلَكِنْ رَأَيْنَاهُمْ يَبْدُؤُونَ بِالطَّعْنِ فِي الصَّحَابَةِ، ثُمَّ لَا يَصْبِرُونَ، فَيُظْهِرُ اللَّهُ خَفَايَا وَمَخَازِي أُخْرَى، كَانُوا يُخْفُونَهَا؛ وَفِي هَذَا يَقُولُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ: «مَا انْتَقَصَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَّا لَهُ دَاخِلَةٌ سُوءٌ»^(٢).

وَعَلَى ذَلِكَ: فَيَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَمَّا وَقَعَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ؛ لِأَنَّهُ وَقَعَ فِي طَبَقَةٍ فَاضِلَةٍ؛ فَلَيْسَ لِلْمَفْضُولِ الْفَصْلُ بَيْنَ الْفَاضِلِينَ عَلَيْهِ فِيمَا لَا يَغْنِيهِ؛ فَإِنَّ لَهُمْ حَسَنَاتٍ لَا يَنَالُهَا مَنْ بَعْدَهُمْ يَغْفِرُ اللَّهُ لَهُمْ بِهَا بِإِذْنِهِ، وَالْوَقِيعَةُ فِيهِمْ بِالسَّبِّ وَاللَّغْنِ سَيِّئَةٌ عَظِيمَةٌ؛ حَتَّى تَقْصَلَ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ بِصَاحِبِهَا إِلَى الْكُفْرِ، وَحِينَهَا فَلَنْ تُقَاوِمَهَا حَسَنَةٌ مِنْ حَسَنَاتِ الْمَتَأَخِّرِينَ؛ فَتَمُحُوهَا.

وَكَانَ مَالِكٌ يَرَى أَنَّ لَا نَصِيبَ فِي الْفِيءِ لِمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ؛ لِأَنَّ اللَّهَ ذَكَرَ الْفِيءَ وَأَهْلَهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُنَّ أَفْءَاءُ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ﴾ [الحشر: ٧]، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾ [الحشر: ١٠].

❦ امْتِحَانُ أَهْلِ الْمَغْرِبِ بِالصَّحَابَةِ:

وَلَا تَعْرِفُ بِلَادَ الْمَغْرِبِ الْوَقِيعَةَ فِي الصَّحَابَةِ وَالطَّعْنَ فِيهِمْ، وَذَكَرَ مَثَالِيهِمْ وَسَبَّهُمْ، وَكَانُوا يَعْلَمُونَ أَنَّ بِذُعَةِ الْوَقِيعَةِ فِي الصَّحَابَةِ جَاءَتْ مِنَ الْمَشْرِقِ الْأَقْصَى مِنْ بِلَادِ خُرَاسَانَ الْعَجَمِ.

وَلَمَّا سُئِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي حَسَّانَ الْبَحْصِيُّ - وَهُوَ مِنْ تَلَامِيذِ مَالِكٍ -

(١) «فضائل الصحابة» لأحمد (١٦٣٠). (٢) «السُّنَّةُ» لِلْخَلَالِ (٦٩٠).

عَمَّا يَقُولُهُ النَّاسُ فِي التَّفْضِيلِ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَالتَّفَاضُلِ بَيْنَهُمَا وَغَيْرَهُمَا؟ فَقَالَ: «لَيْسَ هَذَا دِينَ قُرَيْشٍ، وَلَا دِينَ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قَمٍّ»^(١)، وَكَانَ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَآلِنَا، وَلَا مَنْ يَسْتَحِقُّ الْقَضَاءَ بَعْدَ قَاضِينَا؛ فَكَيْفَ يَخْفَى عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ الْأَمْرُ بَعْدَ نَبِيِّهِمْ»^(٢).

وَبَنُو أُمَيَّةَ فِي الْمَغْرِبِ لَمْ يَكُونُوا يَقْعُونَ فِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، مَعَ مَا يَجِدُونَهُ لِأَثَرَةِ الْمُلْكِ عَلَيْهِمْ؛ تَعْظِيمًا لِلصَّحَابَةِ، وَلِقَرَابَتِهِ خَاصَّةً. عَلَى خِلَافِ مَا يَفْعَلُهُ بَعْضُ بَنِي أُمَيَّةَ فِي الْمَشْرِقِ؛ مِنَ النِّيلِ مِنْهُ بَغْيًا ﷺ.

حَتَّى جَاءَ بَنُو عُيَيْدٍ؛ فَامْتَحَنُوا النَّاسَ فِي ذَلِكَ، وَقَتَلُوا مَنْ خَالَفَهُمْ، وَمَنَعُوا الْفَتَوَى بِمَذْهَبِ مَالِكٍ؛ حَتَّى كَانَ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَسْتَتِرُ بِمَدْحِ الصَّحَابَةِ؛ كَاسْتَتَارِ الذَّمِّيِّ بِعِبَادَتِهِ؛ كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَّاضٌ وَغَيْرُهُ^(٣)، وَقَدْ قَتَلُوا خَلْقًا مِنَ الْعُلَمَاءِ، وَفَرَّ كَثِيرٌ مِنْهُمْ.

حَتَّى قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الْقَاسِمِيُّ: «إِنَّ مَنْ قَتَلَهُمْ عُيَيْدُ اللَّهِ وَبَنُوهُ: أَرْبَعَةُ آلَافٍ بَيْنَ عَالِمٍ وَعَابِدٍ؛ مِمَّنْ يَتَرَضَّوْنَ عَنِ الصَّحَابَةِ، حَتَّى خَصَّصَ دَارًا لِلْقَتْلِ سَمَّاها: «دَارَ النَّحْرِ»، حَتَّى لُعِنَ الصَّحَابَةُ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَانْقَطَعَ النَّاسُ عَنِ الْجُمُعَةِ بِالْقَيْرَوَانِ مُدَّةً»^(٤).

﴿فِتْنَةُ الرَّافِضَةِ إِذَا تَمَكَّنُوا﴾:

وَفِتْنَةُ الرَّافِضَةِ إِنْ تَمَكَّنُوا عَلَى أَهْلِ السُّنَّةِ، أَشَدُّ مِنْ فِتْنَةِ الْيَهُودِ

(١) «رياض النفوس» (٢٨٧/١)، وقد سبق قريباً.

(٢) «رياض النفوس» (٢٨٧/١ - ٢٨٨). (٣) «ترتيب المدارك» (٣٠٣/٥).

(٤) «سير أعلام النبلاء» (١٤٥/١٥).

والنصارى فيهم؛ لِمَا يَجِدُونَهُ مِنْ شَدِيدِ الْحَقْدِ وَالْغِلِّ عَلَيْهِمْ، يَكْتُمُونَهُ وَيُرْبُونَ صِغَارَهُمْ عَلَيْهِ، وَيُنْشِدُونَ الْأَشْعَارَ فِيهِ؛ حَتَّى تَمْتَلِئَ النُّفُوسُ، فَيَتَرَقَّبُونَ تَمْكِينًا، فَإِنْ تَمَكَّنُوا، بَغَوْا بَغْيًا لَا يَبْغِيهِ غَيْرُهُمْ؛ وَهَذَا مَعْرُوفٌ فِي كُلِّ زَمَنٍ؛ وَلِهَذَا لَا يَمَكَّنُونَ فِي الدُّوَلِ وَالْوِلَايَاتِ، وَمَنْ مَكَّنَهُمْ فَلَا بُدَّ أَنْ يَتَأَمَّرُوا عَلَيْهِ إِنْ كَانُوا قَلَّةً، أَوْ يَنْقَلِبُوا عَلَيْهِ إِنْ كَانُوا كَثْرَةً.

وَقَدْ قَالَ جَبَلَةُ بْنُ حَمُودٍ الصَّدْفِيُّ؛ وَقَدْ هَرَبَ مِنَ الرَّافِضَةِ فِي الرُّبَاطِ، وَنَزَلَ الْقَيْرَوَانَ، فَكَلَّمَ فِي ذَلِكَ؟ فَقَالَ: «كُنَّا نَحْرُسُ عَدُوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْبَحْرُ، وَالْآنَ حَلَّ هَذَا الْعَدُوُّ بِسَاحَتِنَا؛ وَهُوَ أَشَدُّ عَلَيْنَا مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وَكَانَ يُنَكِّرُ عَلَى مَنْ خَرَجَ مِنَ الْقَيْرَوَانِ إِلَى سُوسَةَ، أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الثُّغُورِ، وَيَقُولُ: «جِهَادٌ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشَّرْكِ»^(٢).

❦ الطَّاعَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَعْرُوفِ:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَالطَّاعَةُ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وِلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ»:

تَوَاتَرَتْ النُّصُوصُ فِي وَجُوبِ السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ لِأَيِّمَةِ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَعْرُوفِ، وَتَحْرِيمِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ؛ وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ [النِّسَاءُ: ٥٩]، وَقَالَ ﷺ: (عَلَى الْمَرْءِ: السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ)^(٣).

(١) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٥)، و«معالم الإيمان» (٢/٢٧٢).

(٢) «ترتيب المدارك» (٤/٣٧٦)، و«معالم الإيمان» (٢/٢٧٢ - ٢٧٣).

(٣) البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩) من حديث ابن عمر.

ولا يجوز أن يبقى مسلم بلا بيعة لإمام؛ إلا إن كان في أرض ليس فيها حاكم مسلم، أو كان فيها نزاع على الولاية ولم يتمكن فيها أحد.

ولا يجوز أن يخرج على الحاكم المسلم ما لم يأت بكفر بواح؛ وقد قال عبادة بن الصامت رضي الله عنه: «بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشَطِنَا وَمَكْرَهِنَا، وَعُسْرِنَا وَيُسْرِنَا، وَأَثَرَةٍ عَلَيْنَا، وَأَلَا تَنَازَعُ الْأُمَرَاءُ أَهْلَهُ»، قال: (إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ) ^(١).

ولا يجوز الخروج بشبهة كفر أو توهم مكفر؛ ولذا قال في الحديث: (بَوَاحًا؛ عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ).

والبيعة؛ إنما هي للحاكم المسلم المعروف، وأما الكافر؛ فلا نصح له ببيعة أصلاً، والطاعة له تكون بما يقيم الدنيا، ويحفظ حُرُمَاتِ الناسِ وحقوقهم، وما يحفظ العدل الذي أمر الله به.

وكان السلف يعظمون أبواب السمع والطاعة للأئمة، ويجعلونها في أبواب العقائد؛ لأنها من المسائل التي خالفت فيها الفرق البدعية؛ فأصبحت علماً وفارقاً بين أهل السنة وغيرهم من الطوائف؛ كالخوارج والمعتزلة.

﴿الخروج على الأئمة وأحواله﴾

والفتنة بالخروج على أئمة الجور المسلمين شر أعظم مما يرجى دفعه، والخروج عليهم يتساهل في أوله، والشر كامن في آخره.

(١) البخاري (٧٠٥٥)، ومسلم (١٧٠٩).

وقد كان سُخُونٌ يُلْقُنُ ابْنَ الْقَصَّارِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ: «أَلَا تَخْرُجَ عَلَى الْأُتَمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا»^(١).

وَأَكْثَرُ مَنْ يَتَجَرَّأُ فِي هَذَا الْبَابِ: مَنْ يَتَوَهَّمُ نَصْرَةَ الْعَامَّةِ، وَالْعَامَّةُ يُطْلِقُونَ الْأَلْسُنَ، وَيَجْهِنُونَ عِنْدَ إِطْلَاقِ الرِّمَاحِ، وَالْعَالِمُ لَا تَخْدَعُهُ كَثْرَةُ الْعَامَّةِ عِنْدَ تَقْرِيرِ الْحَقِّ.

وقد كان ابْنُ فَرْوُخٍ قَاضِي الْقَيْرَوَانِ مِنْ تَلَامِذَةِ مَالِكٍ، رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى الْعَكْمِيِّ؛ حَيْثُ كَانَ رَجُلٌ سُوءٍ، وَتَوَاعَدَ ابْنُ فَرْوُخٍ مَعَ قَوْمٍ عَلَى أَنْ يَكُونَ اجْتِمَاعُهُمْ بِيَابِ ثُوْسَ، فَذَهَبَ ابْنُ فَرْوُخٍ لِمَكَانِ الْمَوْعِدِ، وَتَخَلَّفُوا عَنْهُ؛ فَلَمْ يَأْتِ إِلَّا مُحَمَّدُ بْنُ مَنُونَا مِنَ الْمَدَنِيِّينَ، وَابْنُ مُحَرِّزٍ الْقَاضِي مِنَ الْعِرَاقِيِّينَ، فَرَجَعَ ابْنُ فَرْوُخٍ.

وَحِينَمَا أَرَادَ الذَّهَابَ إِلَى مِضْرَ، وَشِيعَةِ النَّاسِ، التَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: «أَشْهَدُوا أَنِّي رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أُتَمَّةِ الْجَوْرِ، وَنَائِبُ إِلَى اللَّهِ مِنْهُ».

وَكَانَ ابْنُ فَرْوُخٍ يَرَى الْخُرُوجَ قَبْلَ ذَلِكَ؛ إِذَا اجْتَمَعَ مِمَّنْ يَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ عِنْدَ أَهْلِ بَدْرٍ، وَلَيْسَ كُلُّ مَنْ صَحَّ الْخُرُوجُ عَلَيْهِ تَأْصِيلًا، جَازَ عَمَلًا وَتَطْبِيقًا، حَتَّى تَكُونَ الْقُدْرَةُ وَيَغْلِبَ الظُّلُّ لَا تَوْهُمًا وَاعْتِرَازًا^(٢).

وقد رَجَعَ ابْنُ عُثْمَرَ عَنْ قِتَالِ نَجْدَةِ الْحُرُورِيِّ لَمَّا رَأَى الْعَامَّةَ مَعَهُ؛ حَتَّى قِيلَ لَهُ: «إِنَّ النَّاسَ لَنْ تَخْرُجَ مَعَكَ إِلَيْهِ، وَسَتَرْكُوكَ وَخَذَكَ»^(٣)؛ مَعَ أَنَّ قِتَالَ نَجْدَةِ مَشْرُوعٌ، وَمَنْدُوبٌ إِلَيْهِ.

(١) «رياض النفوس» (١/ ٣٦٧ - ٣٦٨). وقد سبق.

(٢) «ترتيب الملارك» (٣/ ١١١ - ١١٢). (٣) «السُّنَّةُ لِعَبْدِ اللَّهِ» (١٥٢٨).

وَمَنْ أَجَازَتِ الشَّرِيعَةُ الْخُرُوجَ عَلَيْهِ مِنَ الْحُكَّامِ، يُشْتَرَطُ فِي ذَلِكَ:
الْقُدْرَةُ، وَالْأَلَّا تَكُونَ بِالتَّوَهُّمِ، وَأَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّهِمْ أَنَّ الْحَاكِمَ الْمَوْضُوعُ،
أَفْضَلُ مِنَ الْحَاكِمِ الْمَدْفُوعِ، وَالْحَالُ اللَّاحِقَةُ، أَفْضَلُ مِنَ السَّابِقَةِ، وَكَثِيرُ
مِنَ النَّاسِ يَفَكِّرُونَ فِي الْخِلَاصِ مِنَ الْحَالِ، وَيَغِيبُ عَنْهُمْ الْمَالُ، وَالتَّفَكِيرُ
فِي أَذَى السُّلْطَانِ الْمَوْجُودِ لَا يَنْبَغِي أَنْ يُنْسِيَ الْحَالُ بَعْدَهُ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا
بِغَلْبَةِ ظَنٍّ مَعَ قُدْرَةٍ، جَازَ، وَهَذَا نَادِرٌ؛ فَإِنْ مَنَ أَخَذَ الْمُلْكُ كَرْهًا، لَنْ
يَتْرَكُهُ طَوْعًا إِلَّا بِمَوْتِهِ، وَبِذَلِكَ الْوُسْعِ فِي قَتْلِ النَّاسِ وَإِفْسَادِ حَيَاتِهِمْ بَعْدَهُ؛
وَلِهَذَا سَمَّى اللَّهُ زَوَالَ الْمُلْكِ: نَزْعًا؛ مُشَابِهَةً لَهُ بِنَزْعِ الرُّوحِ: ﴿وَتَنْزِعُ
الْمُلُوكَ وَمَنْ نَشَاءُ﴾ [آل عمران: ٢٦].

وَيَجِبُ النَّظَرُ إِلَى صِلَاحِ الدِّينِ وَالْدُنْيَا، وَتَغْلِبُ صِلَاحُ الدِّينِ عَلَى
صِلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّزَاحُمِ، فَإِنَّ الْمَرْجئَةَ مِيزَانُهُمْ صِلَاحُ الدُّنْيَا وَحَدَّهَا وَلَوْ
فَسَدَ الدِّينُ كُلُّهُ، وَإِنَّ الْخَوَارِجَ مِيزَانُهُمْ صِلَاحُ الدِّينِ وَحَدَّهُ وَلَوْ فَسَدَتِ
الدُّنْيَا كُلُّهَا، فَلَا يَفْرَقُونَ بَيْنَ حِفْظِ أَصْلِ الدِّينِ وَبَيْنَ حِفْظِ فَرْعِهِ، وَلَا بَيْنَ
إِضَاعَةِ أَصْلِ الدُّنْيَا وَبَيْنَ إِضَاعَةِ فَرْعِهَا، فَإِنَّ لِلدُّنْيَا أَصْلًا لَا يَقُومُ الدِّينُ إِلَّا
بِهِ، وَإِنْ لَهَا فَرْعًا لَا يَضِيْعُ الدِّينُ لِأَجْلِهِ.

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي «الْجَامِعِ»: «وَكُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ
الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غَلْبَةٍ؛ فَاشْتَدَّتْ وَطْأَتُهُ مِنْ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ:-
فَلَا يُخْرِجُ عَلَيْهِ، جَارَ أَوْ عَدْلًا، وَيُعْزِي مَعَهُ الْعَدُوَّ، وَيُحِجُّ الْبَيْتَ،
وَدَفْعُ الصَّدَقَاتِ إِلَيْهِمْ مُجْزِيَةٌ إِذَا طَلَبُوهَا، وَتُصَلَّى خَلْفَهُمُ الْجُمُعَةُ
وَالْعِيدَانِ»^(١).

(١) «الجامع» (ص ١١٦).

﴿ نَصْحُ الْأَئِمَّةِ ﴾

ويجبُ مع السمع والطاعة: النصْحُ لأئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ،
ولا يَلْزَمُ مِنْ مَنَعِ الْخُرُوجِ عَلَيْهِمْ فِي النُّصُوصِ: تَرْكُ النُّكْبِ عَلَيْهِمْ
بِالْقِسْطِ.

والفرقُ بين أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْمَرْجِيئةِ فِي هَذَا الْبَابِ: أَنَّ أَهْلَ السُّنَّةِ
يَرَوْنَ الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ جَارَ مِنَ الْأَئِمَّةِ عَلَى حَقِّ اللَّهِ وَحَقِّ الْمُسْلِمِينَ،
وَلَا يَتَّخِذُونَ الْإِصْلَاحَ بَابًا لِلْخُرُوجِ، وَأَمَّا الْمَرْجِيئةُ: فَيَتَّخِذُونَ خَوْفَ الْفِتْنَةِ
بَابًا لِإِغْلَاقِ الْإِنْكَارِ عَلَى الْأَئِمَّةِ.

وَالْإِصْلَاحُ يَكُونُ بِعِلْمٍ وَحِكْمَةٍ وَعَدْلٍ، وَلَا يَكُونُ بِذِكْرِ مَا يُخْفِيهِ
الْأَئِمَّةُ مِنْ عِيُوبٍ وَذُنُوبٍ تَخْصُهُمْ، وَلَا تُتَّبَعُ زَلَّاتُهُمْ، وَلَا تُذَكَّرُ عِنْدَ مَنْ
لَا تَغْنِيهِ تِلْكَ الزَّلَّاتُ؛ فَتِلْكَ لَا تَكُونُ إِلَّا مِنْ أَهْلِ الْهَوَى وَالْغِلِّ،
وَيَتَوَهَّمُونَهُ إِصْلَاحًا.

وَجَوْرُ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَظُلْمُهُمْ وَأَخْطَاؤُهُمْ عَلَى نَوْعَيْنِ:

النَّوْعُ الْأَوَّلُ: مَا يَخْصُهُمْ مِنْ تَقْصِيرٍ فِي حَقِّ اللَّهِ بِفَعْلٍ الْمَحْرَمِ،
وَتَرْكِ الْوَاجِبِ، وَلَا يَدْعُونَ إِلَيْهِ الْعَامَّةُ، وَلَا يَشْرَعُونَهُ فِيهِمْ:

فَهَذَا يُشْرَعُ إِنْكَارُهُ عَلَيْهِمْ عِنْدَ الْعِلْمِ بِهِ، وَيَكُونُ بَيْنَ الْمُصْلِحِ وَبَيْنَهُمْ؛
لأنه خَاصٌّ لَا عَامٌّ، وَكُلُّ حَاكِمٍ مُسْلِمٍ، فَلَعَرَضِيَّةُ حُرْمَةٍ كَالْمُسْلِمِينَ بَلْ أَشَدُّ،
وَلَا تَجُوزُ إِلَّا بِشُرُوطِهَا الْمَعْرُوفَةِ.

وَمَنْ خَشِيَ أَدَى السُّلْطَانِ وَضَرَرَهُ فِي هَذَا الْبَابِ، جَازَ لَهُ تَرْكُ
نُصْحِهِ؛ لِأَنَّ ضَرَرَهُ خَاصٌّ بِفَاعِلِهِ، لَا عَامٌّ لِلنَّاسِ، وَالْأَذْيَةُ فِيهِ مُضَرَّةٌ
بِالْعَالِمِ، وَمَصْلَحَةُ النَّاسِ بِالْعَالِمِ عَامَّةٌ؛ وَمِنْ هَذَا قَوْلُ مَالِكٍ: «أَدْرَكْتُ

سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعِيًّا؛ فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ يَعْظُونَهُ»^(١).
 وَكَانَ حَمْدِيسٌ مِنْ أَصْحَابِ سُخُنُونٍ يُسْأَلُ عَنِ الْإِمَامِ الَّذِي يَعْمَلُ
 بِالْمَعْصِيَةِ: أَكُنْتُ نَامِرُهُ وَتَنْهَاهُ؟ قَالَ: «لَا»؛ وَاحْتَجَّ بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ:
 «لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يُدِلَّ نَفْسَهُ»، قِيلَ: كَيْفَ يُدِلُّ نَفْسَهُ؟ قَالَ ﷺ:
 «يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ»^(٢)، ثُمَّ ذَكَرَ عَنْ مَالِكٍ قَوْلَهُ السَّابِقَ^(٣).

وَهَذَا لَيْسَ فِي تَرْكِ نَصْحِ الْأَئِمَّةِ بِكُلِّ حَالٍ، وَإِنَّمَا مَرَادُهُ مَا خَصَّصَهُمْ
 مِنْ ذُنُوبٍ، وَقَدْ قِيلَ لِحَمْدِيسٍ: «فَلَوْ أَنَّ إِمَامًا دَعَا إِلَى بِدْعَةٍ، وَأَمَرَ بِهَا؟
 قَالَ: تُجَاهِدُهُ»^(٤)؛ يَعْنِي: لَا نَدْعُهُ، بَلْ يُجَاهَدُ حَسَبَ مَقْدَارِ الْبِدْعَةِ
 الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَاتِبِ الْمَشْرُوعَةِ؛ مَا لَمْ تُخْرِجْهُ الْبِدْعَةُ مِنَ الْإِسْلَامِ؛
 فَيُجَاهَدُ بِاللِّسَانِ مَعَ الْعَدْلِ، وَمَا أَخْرَجَتْهُ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَيُجَاهَدُ بِالْيَدِ مَعَ
 الْقُدْرَةِ.

النَّوْعُ الثَّانِي: جَوْرُهُ وَظُلْمُهُ الْمُتَعَدِّي مِنْ نَفْسِهِ إِلَى غَيْرِهِ:
 فَيُتَصَرُّ لِلظَّالِمِ عِنْدَهُ بِنَصِيحِهِ، وَعِنْدَ الْمَظْلُومِ بَيَانِ حَقِّهِ لَهُ بِعَدْلٍ.
 وَإِنْ كَانَ ظُلْمُهُ فِي حَقِّ اللَّهِ وَإِظْهَارِ الشَّرِّ وَالْمُنْكَرِ، وَدَعْوَةِ النَّاسِ
 إِلَيْهِ، فَهَذَا يَقْتَضِي أَنَّ عَلَى الْقَادِرِ بَيَانَ الْمُنْكَرِ وَحَلُّهُ فِي الشَّرِيعَةِ عِنْدَ مَنْ
 أَخَذَ بِقَوْلِ السُّلْطَانِ؛ فَلِلْعَامَّةِ تَأَثُّرٌ بِتَقْلِيدِ السُّلْطَانِ وَمُحَاكَاتِهِ، وَيَكُونُ ذَلِكَ
 بَيَانِ الْمُنْكَرِ وَمَنْزِلَتِهِ فِي الشَّرِيعَةِ.

وَلَا يَلَزَمُ مِنْهُ تَسْمِيَةُ السُّلْطَانِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِإِزَالَةِ الْمُنْكَرِ، لَا بِتَعْيِينِ
 فَاعِلِيهِ، وَقَدْ يَكُونُ فِي تَعْيِينِ فَاعِلِيهِ مِنَ الْفِتْنَةِ لَهُمْ مَا يَدْفَعُهُمْ لِلِاسْتِمْسَاكِ

(١) «رياض النفوس» (٤٨٩/١).

(٢) الترمذي (٢٢٥٤)، وابن ماجه (٤٠١٦) من حديث حليفه.

(٣) «رياض النفوس» (٤٨٩/١). (٤) الموضع السابق.

بالشَّرِّ وتشريعِهِ؛ فيكونُ الْمُصْلِحُ في مِثْلِ هذهِ الحالِ عَظَمُ فسادِ الحاكمِ ووسَعُهُ، ولم يَضِعْهُ وضيَّقْهُ.

وهذا كُلُّهُ يُنْظَرُ فيه: الزمانُ، وتغيُّرُ الحالِ، ومآلاتُ الأمورِ وتقديرُها، وعَظَمُ الشرِّ والخيرِ مِنَ الجهتينِ زيادةً ونقصًا، وأحوالُ السلاطينِ، ونوعُ مُنْكَرِهِم وَقَدْرُهُ، وسَعَةُ أَخْذِ الناسِ بهِ وضيَّقْهُ.

وهذا البابُ مِنْ أَحْوَجِ الأبوابِ للسياسةِ الشرعيَّةِ، وكثيرًا ما تُؤَثَّرُ فيه طبائعُ النفوسِ وهواها على العدلِ والإنصافِ بينِ أربعةِ حقوقٍ: حَقُّ الحاكمِ، وحَقُّ الناصِحِ، وحَقُّ المحكومِ، وحَقُّ اللهِ.

❦ الخطأُ في نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ:

وَعَدَمُ العَدْلِ في نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ قد يَدْخُلُ على طائفتينِ مِنَ المتدبِّئَةِ:

طائفةٌ: تَأْخُذُ نصوصَ التحذيرِ مِنَ الدخولِ على السُّلْطانِ وإمامِ الجَوْرِ المُسْلِمِ وما جاءَ في دَمِّهِ، فتَقَعُ في المحظورِ مِنْ جهةِ استحلالِ ما حَرَّمَ اللهُ مِنْ عِرْضِهِ، وَهَنْكَ سِتْرِهِ، والنُّفْرةِ مِنْ نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ ولزومِ الجماعةِ، والزُّهْدِ فيها، والاقتصارِ على نصوصِ المنابَذَةِ والمجاهدةِ.

وطائفةٌ: تَأْخُذُ نصوصَ السَّمْعِ والطاعةِ والصبرِ على إمامِ الجَوْرِ المُسْلِمِ وَمَنْعِ الخروجِ عليه، فتَقَعُ في المحظورِ مِنْ جهةِ تعظيمِهِ وإطرائِهِ وَمَدْحِهِ بما لا يَسْتَحِقُّهُ - أو يَسْتَحِقُّهُ، لَكِنَّهُ يَغْرُو وَيُفْسِدُهُ وَيُطْغِيهِ - والزهدِ في نصوصِ التَّضَيُّحِ لَهُ، والاقتصارِ على نصوصِ السَّمْعِ والطاعةِ.

والمُرْجِئةُ: يوالُونَ مَنْ كانَ شديدَ الوَلاءِ للسلطانِ، ولو كانَ شديدَ العداءِ للهِ ودينِهِ.

وأهل السنة: جعلوا الولاء للإمام تحت الولاء لله؛ كما قال الله عن بيعة الصحابة لنبيه ﷺ - وهو معصوم -: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكَ بِمَا تُؤْمِنُ بِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الفتح: ١٠]، وجعل النبي ﷺ الطاعة بالمعروف لا في معصية الله في أحاديث متواترة.

وربما يبلغ بعض غلاة المرجئة: بغض من يبغيضه السلطان، وحُب من يُحِبُّه، وقد يبلغ بعضهم عقْد الولاء والبراء على السلطان مَبْلَغًا أعظم من عقْدِه لله، ولو لم يظهر ذلك من قولهم، فربما ظهر من فعلهم؛ فيوالون من والى الحاكم ولو عادى الله بالزندقة والمجون، موالاة أكبر من الولاء لمن عادى السلطان وناذره - سواء كان مُصِييًا أو مُخِطًا - ولو كان من أهل الولاية لله بالعلم والديانة، وقد كان ابن أبي دؤاد يوالي الجاحظ؛ لكونه يوافق السلطان، ويعادي أحمد بن حنبل؛ لأنه يخالفه.

مع كون الجاحظ - مع أدبه وبلاغته - مُتَّهَمًا بالزندقة، وقد ذمه تلميذه ابن قتيبة ووصفه بأنه من أكذب الأمة، وأوضعهم لحديث، وأنصرهم لباطل^(١)، وأنه لا يصلي ولا يصوم، وقال يعنر عوام اليهود والنصارى والمجوس^(٢)، وكفر بعض أقواله جماعة؛ كالباقلاني، وابن قدامة^(٣).

ومع هذا يعادون أحمد بن حنبل، ويقربون الجاحظ، ويلبسون معه؛ لأن ولاءهم ليس لله؛ وإنما لما عليه السلطان، وإذا كان العالم كيتا مع زنديقي، وشديدًا على عالم مجتهد، فتلك من أظهر علامات الهوى، ولو سؤد الصحف بنصوص السنة والأثر!

(١) «تأويل مختلف الحديث» (ص ٥٩ - ٦٠).

(٢) «الفصل» (١٤٨/٤).

(٣) «فروضة الناظر» (٢/ ٣٥٠ - ٣٥١).

وَرُبَّمَا فُسِّرَ بَعْضُهُمُ الْفِتْنَةُ بِمَقْدَارٍ مَا يُسَخِّطُ الْحَاكِمَ، لَا بِمَقْدَارٍ مَا يُسَخِّطُ اللَّهَ؛ فَيَتَنَاقَضُونَ فِي تَقْدِيرِ أَشْيَاءٍ مُتَسَاوِيَاتٍ، بَلْ يَعْكِسُونَ الْمُتَبَايِنَاتِ، فَرُبَّمَا هَانَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا أَسَخَطَ اللَّهَ، وَعَظُمَ فِيهَا مَا أَسَخَطَ السُّلْطَانَ.

وَصِلَةُ الْمَحْكُومِ بِالْحَاكِمِ تَوَثَّرَ فِيهَا الْعِلَلُ النَّفْسِيَّةُ وَالْأَطْمَاعُ بِطَرَفَيْهَا:
الْإِفْرَاطُ وَالتَّخْفِيفُ:

فَمِنْهَا: نَفُوسٌ تُحِبُّ التَّذَلُّلَ وَالْعُلُوَّ بِتَعْظِيمِ رُؤُوسِ النَّاسِ، وَرُبَّمَا يَكُونُ عِلَّتُهُمُ النَّفْسِيَّةُ وَأَطْمَاعُهُمُ بِالذِّينِ وَالِاسْتِدْلَالِ بِأَدَلَّتِهِ، وَهَذَا يُوجَدُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ قَدِيمًا وَحَدِيثًا؛ لِأَنَّ اللَّهَ عَظَّمَ الْجَمَاعَ لِمَصَالِحِ النَّاسِ، فَرَأَوْا أَنَّ هُنَاكَ رِعَايَةً إِلَهِيَّةً لِلْمُلُوكِ، وَلَيْسُوا مُحَلًّا لِتَقْوِيمٍ وَلَا اعْتِرَاضٍ مِنْ أَحَدٍ؛ لِأَنَّ لَدَيْهِمْ تَفْوِضًا إِلَهِيًّا؛ كَمَا عِنْدَ الرُّومَانِ وَالْيُونَانِ! وَفِي الْيَابَانِ: يَرَوْنَ الْمِيكَادُو (الْمَلِكُ) هُوَ اللَّهُ! وَفِي الْهِنْدِ: يَرَوْنَ أَنَّ لِلْمُلُوكِ سُلْطَةً مِنَ الْإِلَهِ الْأَكْبَرِ (بَرَاهِمَا)! وَنَحْوُهُمُ الصِّينِيُّونَ، وَفِي مِصْرَ: اعْتَقَدَ الْفِرَاعِيَّةُ الْمَلِكِيَّةُ الْإِلَهِيَّةَ^(١)!

وَيَسْتَغْلُ النَّصُوصَ السَّمَائِيَّةَ فِي السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ سَلَاطِينَ وَأَتْبَاعَ لَهُمْ يَرَوْنَ طَاعَتَهُمْ دِينًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ؛ كَالْحَجَّاجِ بْنِ يُونُسَ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَ حَسَّانُ أَبُو الْمُنْذِرِ حَجَّاجِيًّا؛ يَقُولُ: «مَنْ خَالَفَ الْحَجَّاجَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ»^(٢).

(١) انظر: «الموسوعة الميسرة» (٢/٧٣٢، ٩٨٥)، و«النظام الدستوري في اليابان» (ص ٥٥)، و«نظرية الدولة» (ص ٤٧).

(٢) «الفتا» لابن حبان (٥/٤٢١).

وهذا في النصارى كذلك؛ فقد ذَكَرَ لُؤيسُ الرَّابِعَ عَشَرَ في «مذْكَرَاتِهِ»: أَنَّ سُلْطَةَ الْمُلُوكِ مَسْتَمَدَّةٌ مِنَ اللَّهِ، وَهُمْ مَسْؤُولُونَ أَمَامَهُ وَحْدَهُ، لَا مِنَ الشَّعْبِ، وَكَانَ يَقُولُ: «الْمَلَكِيَّةُ وَكَأَلَةُ إِلَهِيَّةٌ»! وَبِنَحْوِهِ يَقُولُ لُؤيسُ الْخَامِسَ عَشَرَ^(١)، وَكَذَلِكَ عَلِيُّومُ الثَّانِي قَبَضَ أَلْمَانِيَا^(٢).

وَيَقَابِلُ تِلْكَ النُّفُوسَ: نَفُوسٌ تُحِبُّ الْمَخَالَفَةَ وَإِظْهَارَ الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةَ وَالتَّمَرُّدَ تُجَاةَ كُلِّ رَأْسٍ فِي النَّاسِ، وَرَبِّمَا يَكْسُونَ عِلْتَهُمُ النَّفْسِيَّةَ بِالذِّينِ وَالِاسْتِدْلَالَ بِأَدْلَتِهِ؛ وَهَذَا - كَذَلِكَ - يُوجَدُ فِي كُلِّ مِلَّةٍ، تَحْمِلُ شَجَاعَةَ الْإِنْسَانِ وَحُبَّ الظُّهُورِ وَالذُّكْرِ وَحَمْدِ النَّاسِ: عَلَى الْجُرْأَةِ عَلَى الْحُكَّامِ فِي كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ، وَإِسْمَاعِ النَّاسِ مَا يَرِيدُونَ؛ كَمَا يُذَكِّرُ أَنَّ فَائِزَةَ مَجَالِسِ الْعَامَّةِ الْكَلَامِ فِي السُّلَاطِينِ، وَتَحْمِلُهُ شَجَاعَتُهُ لِمُسْتَدْعَاءِ مَصَالِحِ الْخُرُوجِ وَأَدْلَتِهِ وَغِيَابِ مَفَاسِدِهِ وَأَدْلَتِهَا، وَتَحْضُرُ فِي نَفْسِهِ الْبِدَايَاتِ، وَتَغِيبُ عَنْهَا النِّهَايَاتِ؛ فَقَدْ يُبْتَلَى الْإِنْسَانُ بِالشَّجَاعَةِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا؛ كَمَا يُبْتَلَى بِالْجُبْنِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، وَيَجِبُ عَلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَجَاهِدَ نَفْسَهُ قَبْلَ أَنْ يَجَاهِدَ بِهَا غَيْرَهُ، وَإِذَا اجْتَمَعَ فِي الْإِنْسَانِ الْعِلْمُ وَالتَّجَرُّدُ، أَصَابَ الْحَقُّ.

وَالنَّاسُ فِي حَاجَةٍ إِلَى عَالِمٍ مُتَجَرِّدٍ، لَا إِلَى مُتَجَرِّدٍ جَاهِلٍ، وَلَا إِلَى عَالِمٍ يَخَافُ وَيَطْمَعُ؛ فَالْعَالِمُ بَلَا تَجَرُّدٍ يَعْطِلُ الْأُمَّةَ بِإِحْجَامِهِ، وَالتَّجَرُّدُ بَلَا عِلْمٍ يَهْلِكُ الْأُمَّةَ بِإِقْدَامِهِ، وَأَعْظَمُ الشُّرُورِ تَأْتِي إِذَا قَادَ النَّاسَ جَاهِلٌ غَيْرُ مُتَجَرِّدٍ!

(١) Barthelemy and duez, deals Ele stration of Constitutional Law, Paris, 1933, p.65.

(٢) فِي خُطَابِ الْفَاءِ عَامِ ١٩١٠ م.

﴿ ابتلاء المصلح: ﴾

وقد يُبتلى العالم المصلح بالمرحشيين بينه وبين السلطان، ويستغلون خلافته مع السلطان في باب، فيجعلونه في كل الأبواب؛ كما ابتلي أحمد بن حنبل لما كانت فتنة خلق القرآن؛ فقد وشى به قوم - منهم ابن الثلجي - عند الخليفة: أنه لا يرى البيعة، ويؤوي في بيته علويين لا يرون بيعة للعباسيين؛ فبعث السلطان إليه، فاستحلفه بالله وبالطلاق، فحلف، ولم يفتح الخليفة، وجاء برجلين وامرأتين يفتشون بيته وبيت ابنه صالح - حتى النساء والعورات - يَحْثُونَ عَمَّنْ يَخْبئه من طليّة الخليفة^(١). وكثيراً ما يدخل أمثال هؤلاء على السلطان من باب خوفه على ملكه؛ فيكون أسرع تصديقاً للظنون والأوهام.

﴿ تجرد المصلح: ﴾

ويجب أن يكون العالم عدلاً في مصالح الناس، فلا يحمله كره الحاكم ولا حبه على إضاعة مصالح المسلمين التي بين يديه، وأن يكون رأيه في الشدائد حفظاً للإسلام والمسلمين، لا تشقياً منه، ولا ظمناً فيه.

فقد وجد أحمد من المأمون والمعتمد شراً عظيماً في دينه ودنياه؛ بحبسه وضربه وحمل الناس على القول بخلق القرآن، ولما ظهرت الحرورية بقيادة الزنديقي بابك الخرمي، كتب أحمد إلى العلماء والولاة - كتابه لابن المديني، والي البصرة - يستحثهم على قتال بابك، وأن يحثوا من حولهم على ذلك^(٢).

(٢) «السنة» للخلال (١١٥).

(١) «السير» (٢٦٦/١١).

وقد كان من قادة الجيشِ ضدَّ بَابَك: إسحاقُ بنُ إبراهيمَ والي شُرطة بغداد، وجَلَّادُ أَحْمَدَ^(١)؛ لأنَّ شُرَّ بَابَك على المسلمينَ أعظمُ من شرِّ المأمونِ والمعتصمِ؛ وهذا من فقرِ أَحْمَدَ وتجرُّدهِ وصدِّقه.

❦ فضلُ السَّلَفِ وأتباعِهِم:

❦ قَالَ ابْنُ أَبِي رَيْدٍ: ﴿وَاتَّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ، وَافْتِئَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ﴾:

السَّلَفُ الصَّالِحُ هم الصَّدْرُ الأوَّلُ وما اتَّصَلَ بِهِم: الصحابةُ والتَّابِعُونَ وأتباعُهُم، وسُمُّوا سَلَفًا؛ لأنَّهُم بالنسبةِ لمن جاء بعدهم: سَالِفُونَ، وَمَنْ بعدهم: خَالِفُونَ، وسُمُّوا بالصالحينَ؛ لَعَلَّبةِ الصَّلاحِ عليهم، وعلى زَمَانِهِم.

وقد يكونُ السَّلَفُ اسمًا نسبيًّا بحسَبِ الزمانِ؛ فالصحابةُ سَلَفٌ بالنسبةِ للتَّابِعِينَ، والتَّابِعُونَ خَلَفُ بالنسبةِ للصحابةِ، وهكذا بالنسبةِ للتَّابِعِينَ مع أتباعِهِم، وأتباعِ الأتباعِ مع أتباعِ التَّابِعِينَ.

ويَغْلِبُ إطلاقُ السَّلَفِ الصَّالِحِ على أصحابِ القرونِ المفضَّلةِ، وخاصَّةً الطبقتَيْنِ: الصحابةِ والتَّابِعِينَ، وكلُّ طبقةٍ منهم يعظُمُ اللاحقُ منهم السابقُ؛ فالصحابةُ يتبايئونَ في الفضلِ، ومثلُهُم التَّابِعُونَ وأتباعُهُم، وقد جاء في الحديثِ؛ قال ﷺ: (خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ)^(٢).

(١) «السُّنَّة» للخلال (١/ ١٢٠ - ١٢٤).

(٢) سبق تخريجه.

سَبَبُ تَفْضِيلِ السَّلَفِ :

وَعِلَّةُ التَّفْضِيلِ لَيْسَتْ لِمَجْرَدِ احْتَوَاءِ الزَّمَانِ، وَإِنَّمَا لِقُرْبِهِمْ مِنَ الْعَهْدِ الْأَوَّلِ، وَنَزُولِ الْوَحْيِ، وَأَقْرَبُهُمْ إِلَيْهِمْ أَفْضَلُهُمْ غَالِبًا؛ وَلَا فِي زَمَانِهِمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ وَالْعَصَاةِ مَا هُوَ مَعْلُومٌ، وَلَكِنْ مَنْ قَامَ بِالذِّينِ مِنْهُمْ وَالْحَقِّ، فَهُوَ أَصَحُّ قَوْلًا، وَأَصَوَّبُ عَمَلًا، وَأَصْدَقُ نِيَّةً؛ لَطَهَارَةِ قُلُوبِهِمْ، وَصِحَّةِ لِسَانِهِمْ، وَقُرْبِهِمْ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَهْدِهِ؛ فَلَمْ يَتَبَاعَدُ بِهِمُ الْعَهْدُ حَتَّى يَقَعَ الْخِلَافُ وَالْفِتْنَةُ؛ كَمَا وَقَعَ فِيمَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

فَالْخِلَافُ كَانَ زَمَنَ الصَّحَابَةِ أَضْيَقَ مِنْهُ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ، وَهُوَ فِي زَمَنِ التَّابِعِينَ أَضْيَقُ مِنْهُ فِي زَمَنِ الصَّحَابَةِ، وَهَكَذَا، وَمَنْ نَظَرَ فِي كِتَابِ فَقِهِ السَّلَفِ، وَجَدَ ذَلِكَ ظَاهِرًا، وَلَا يَعْنِي ذَلِكَ سُوءَ الْقَصْدِ، وَلَكِنَّهُ بُعْدُ الْعَهْدِ.

وَقَدْ قَرَأَ النَّبِيُّ ﷺ ذَهَابَ الصَّحَابَةِ وَأَثَرُهُ عَلَى مَنْ بَعْدَهُمْ، بِذَهَابِهِ وَأَثَرِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ؛ فَقَالَ ﷺ: (أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا ذَهَبْتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَمِي؛ فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي، أَتَى أُمَمِي مَا يُوعَدُونَ)^(١).

وَذَلِكَ الْاِقْتِرَانُ لِبَيَانِ أَنَّ الْعِلَّةَ فِي الْأَمَانِ هِيَ الْقُرْبُ مِنَ الْوَحْيِ وَالِاعْتِصَامُ بِهِ؛ فَلَا أَعْظَمَ وَأَشَدَّ قُرْبًا مِنْ رَبِّهِ كَالنَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يَلِيهِ أَصْحَابُهُ؛ فَكَانَ الْأَمَانُ لِلصَّحَابَةِ وَالْأُمَّةُ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِ، وَالْأَمَانُ بِالصَّحَابَةِ لِلتَّابِعِينَ وَالْأُمَّةُ أَعْظَمَ مِنْ غَيْرِهِمْ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُمْ.

(١) مسلم (٢٥٣١) من حديث أبي موسى.

﴿ نعظيمُ فقه الصحابة: ﴾

وكلُّ سنةٍ لا تنتهي إلى الصحابة يُتوقَّف فيها؛ فهم أعلمُ الناسِ بالنبي ﷺ وسُنَّته، والناسخ والمنسوخ من شريعته، فإذا دَلَّ الحديثُ على تشريع، ودَلَّ الدليلُ على تركِ الصحابة له، فليس لأحد أن يتعبدَ به، ليس لأنَّ منزلَتَهُم أرفعُ من الوحي، ولا من النبي ﷺ، ولكنَّ لأنَّ منزلَتَهُم وفَهْمَهُم أعظمُ من منزلة من بعدهم وفَهْمِهِ.

وقد كان الأئمة يشددون في مخالفة قول الصحابة وفَهْمِهِم للسنة، ولو كان المخالف لهم من التابعين؛ كما كان ينصُّ على ذلك مالك، وأحمد، وغيرهما، وقد قال الهيثم بن جميل: «قلتُ لمالك بن أنس: يا أبا عبد الله، إنَّ عندنا قوماً وضَعُوا كُتُباً يقول أحدهم: حدَّثنا فلان، عن فلان، عن عُمَر بن الخطاب، بكذا، وحدَّثنا فلان، عن إبراهيم، بكذا، ونأخذ بقول إبراهيم؟ قال مالك: صحَّ عندهم قول عُمَر؟ قلتُ: إنما هي رواية؛ كما صحَّ عندهم قول إبراهيم؟ فقال مالك: هؤلاء يُستأبون»^(١).

وإذا صحَّ إجماعُ الصحابة، فلا تجوزُ المنازعةُ في ذلك؛ فالإجماعُ إجماعُهُم، ومن بعدهم تبعٌ لهم؛ كما قاله أحمد^(٢).

وإنَّ قال واحدٌ من الصحابة قولاً، واشتهر ولم يُخالف، فلا يُخرجُ عنه، خاصَّةً في العبادات^(٣).

(١) «الإحكام» لابن حزم (٦/١٢٠ - ١٢١).

(٢) «اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل» (ص ٧٥).

(٣) «المعتمد» (٢/٢٦٦)، و«الإحكام» لابن حزم (٤/٦١٥)، و«إحكام الفصول» (ص ٤٠٧).

وَإِذَا ثَبَتَ إِجْمَاعُ التَّابِعِينَ، فَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنْ ذَلِكَ^(١).

وَأَنَّ قَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ بِقَوْلٍ، فَلَا مَرَّ فِيهِ سَعَةً، فَأَمْرُهُمْ لَيْسَ كَأَمْرِ الصَّحَابَةِ، إِلَّا أَنَّ قَوْلَ الْوَاحِدِ مِنْهُمْ الَّذِي لَا يُخَالِفُ فِيهِ، فَلَا أَصْلَ: أَنَّهُ أَخَذَهُ مِنْ صَحَابِيٍّ، وَلَوْ لَمْ يَذْكُرْهُ، وَقَدْ نَصَّ عَلَى هَذَا أَحْمَدُ.

❦ الاستدلالُ بحديثِ بخالفِ الصحابة:

وَلَا يَجُوزُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَتَأَخِّرِينَ أَنْ يَسْتَنْبِطَ مِنْ نَصِّ سُنَّةٍ تُخَالِفُ قَوْلَ أَهْلِ الصَّدْرِ الْأَوَّلِ، وَقَدْ كَانَ التَّابِعُونَ وَاتِّبَاعُهُمْ - مَعَ قُرْبِ عَهْدِهِمْ - يَعْتَظُمُونَ أَقْوَالَ الصَّحَابَةِ، وَفَهَمَهُمُ لِلْوَحْيِ، وَيَقْلَمُونَهُ عَلَى فَهْمِهِمْ؛ لِتَرْكِيبَةِ اللَّهِ لَهُمْ، وَقُرْبِ عَهْدِهِمْ، وَصِدْقِهِمْ، وَسَلَامَةِ قُلُوبِهِمْ؛ فَلَا يُمَكِّنُ أَنْ يَقُولُوا بِقَوْلٍ يُخَالِفُ النَّصَّ، فَضْلًا عَنْ أَنْ يُجْمِعُوا عَلَيْهِ؛ قَالَ النَّخَعِيُّ: «لَوْ رَأَيْتُ الصَّحَابَةَ يَتَوَضَّؤُونَ إِلَى الْكُوعَيْنِ، لَتَوَضَّأْتُ كَذَلِكَ، وَأَنَا أَقْرَأُهَا: ﴿إِلَى الْمَرَافِقِ﴾ [المائدة: ٦]»^(٢).

وَذَلِكَ لِأَنَّهُمْ لَا يُتَّهَمُونَ فِي تَرْكِ السُّنَنِ الثَّابِتَةِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ لَعَلَّهُمْ وَحَرَصَهُمْ وَوَرَعَهُمْ؛ فَلَا يَظُنُّ ذَلِكَ بِهِمْ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مَتَّهَمٌ فِي دِينِهِ.

وَكَانَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ يَجْعَلُ مَا فَعَلَهُ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ التَّصَدِيقِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَكَانَ الْإِمَامُ مَالِكٌ يُعِجِبُهُ عَزْمُ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ: «سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّةٌ، الْأَخْذُ بِهَا تَصَدِيقٌ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتِكْمَالٌ لَطَاعَةِ اللَّهِ، وَقُوَّةٌ عَلَى دِينِ اللَّهِ، لَيْسَ لِأَحَدٍ تَبْدِيلُهَا وَلَا تَغْيِيرُهَا وَلَا النَّظَرُ فِيهَا خَالَفَهَا؛ مَنْ افْتَدَى بِهَا مُهْتَدٍ، وَمَنْ اسْتَنْصَرَ

(١) «الإحكام في أصول الأحكام» (٢٣١/١)، و«مجموع الفتاوى» (١٩٨/١٣).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

بها منصور، وَمَنْ تَرَكَهَا وَاتَّبَعَ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ، وَلَاَهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى، وَأَضْلَاهُ جَهَنَّمَ، وَسَاءَتْ مَصِيرًا^(١).

قال مالك: «أعجبني عَزَمَ عَمَرَ فِي ذَلِكَ»^(٢).

وكان الأئمة من التابعين وَمَنْ بَعْدَهُمْ يَعْتَظُونَ عَمَلَ الصَّحَابَةِ، وَخَاصَّةَ الْخُلَفَاءِ، وَيَقْدُمُونَهُ عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ؛ لَيْسَ لِأَنَّهُ أَجَلٌ مِنْهُ، وَلَكِنْ لِأَنَّهُمْ أَعْلَمُ النَّاسِ بِتَفْسِيرِهِ.

قال مالك: «وَالْعَمَلُ أَثْبَتُ مِنَ الْأَحَادِيثِ»؛ قَالَ مَنْ أَقْتَدِي بِهِ: إِنَّهُ لَضَعِيفٌ أَنْ يُقَالَ فِي مِثْلِ ذَلِكَ: «حَدَّثَنِي فَلَانٌ عَنْ فَلَانٍ»، وَكَانَ رَجُلًا مِنَ التَّابِعِينَ تَبَلُّغُهُمْ عَنْ غَيْرِهِمُ الْأَحَادِيثُ، فَيَقُولُونَ: مَا نَجْهَلُ هَذَا؛ وَلَكِنْ مَضَى الْعَمَلُ عَلَى خِلَافِهِ»^(٣).

وكان مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ بْنُ حَزْمٍ رِيًّا قَالَ لَهُ أَخُوهُ: لِمَ لَمْ تَقْضِ بِحَدِيثِ كَذَا؟ فَيَقُولُ: «لَمْ أَجِدِ النَّاسَ عَلَيْهِ»^(٤).

❦ حَقِيقَةُ الْعَمَلِ الَّذِي يَقْدَمُ عَلَى الْحَدِيثِ:

وليس كُلُّ عَمَلٍ مُتَقَدِّمٌ عَلَى الْحَدِيثِ، بَلْ مَا قُرْبَ مِنَ الْوَحْيِ زَمَانًا وَمَكَانًا؛ فَلَيْسَ قُرْبُ الزَّمَانِ وَحْدَهُ كَافِيًا فِي تَقْدِيمِ الْعَمَلِ؛ فَلَا يَقْدَمُ قَوْلُ كُلِّ بَلَدٍ - مَهْمَا تَبَاعَدَ - عَلَى الْحَدِيثِ، وَلَا قُرْبُ الْمَكَانِ وَحْدَهُ كَافِيًا فِي تَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ؛ فَلَيْسَ كُلُّ عَمَلٍ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَهْمَا تَبَاعَدَ زَمَانُهُ وَتَأَخَّرَ كَافِيًا فِي تَقْدِيمِهِ عَلَى الْحَدِيثِ، بَلْ قَدْ يَكُونُ تَقْدِيمُهُ ضَلَالَةً وَشَرًّا.

(١) «مسائل حرب» (١٩٥٨)، و«السُّنَّةُ» لعبد الله (٧٦٦)، و«السُّنَّةُ» للخلال (١٣٢٩)، و«شرح أصول الاعتقاد» (١٣٤).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٧ - ١١٨). (٤) الموضع السابق.

وَأَمَّا الَّذِي يَقْدَمُ مِنَ الْعَمَلِ مَا جَمَعَ الْقَرَبَيْنِ: قَرَبَ الزَّمَانِ، وَقَرَبَ الْمَكَانِ؛ قَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ مَهْدِيٍّ: «السُّنَّةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ سُنَّةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ»^(١).

وَلَيْسَ هَذَا تَأْخِيرًا لِلْحَدِيثِ، وَأَمَّا هُوَ تَقْدِيمٌ لِفَهْمِهِمْ عَلَى فَهْمِ غَيْرِهِمْ؛ فَإِنَّ عَمَلَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ الْمُتَقَدِّمَ لَمْ يَفْضَلْ إِلَّا لِأَجْلِ الْحَدِيثِ؛ فَفَضْلُهُ فَرَعٌ عَنْ فَضْلِهِ، وَإِلَّا فَمَكَّةُ أَفْضَلُ مِنَ الْمَدِينَةِ، وَلَيْسَ فَضْلُهَا بِمُقَدِّمٍ لَهَا فِي فَضْلِ الْعَمَلِ عَلَى غَيْرِهَا؛ فَالْمَدِينَةُ مَتَرَلُ أَكْثَرِ الْحَدِيثِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

وَمَنْ كَانَ جَاهِلًا بِعَمَلِ الصَّلَاةِ الْأَوَّلِ وَفَقْهِهِمْ، كَثُرَ خَطْوُهُ، وَجَاءَ بِشَذَوِذِ الْأَقْوَالِ، وَلَوْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِرُ الْحَدِيثِ؛ قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ: «الْحَدِيثُ مَضَلَّةٌ إِلَّا لِلْفُقَهَاءِ»^(٢).

وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ فِي بَيَانِ ذَلِكَ: يَرِيدُ: أَنَّ غَيْرَهُمْ قَدْ يَحْمِلُ شَيْئًا عَلَى ظَاهِرِهِ، وَلَهُ تَأْوِيلٌ مِنْ حَدِيثٍ غَيْرِهِ، أَوْ دَلِيلٍ يَخْفَى عَلَيْهِ، أَوْ مَتْرُوكٍ وَجَبَ تَرْكُهُ؛ غَيْرَ شَيْءٍ مِمَّا لَا يَقُومُ بِهِ إِلَّا مَنْ اسْتَبَحَرَ وَتَفَقَّهَ.

وَمِنْ هَذَا قَوْلُ ابْنِ وَهْبٍ: «كُلُّ صَاحِبِ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفَقْهِ، فَهُوَ ضَالٌّ، وَلَوْ لَا أَنَّ اللَّهَ أَنْقَذَنَا بِمَالِكٍ وَاللَيْثِ، لَضَلَلْنَا»^(٣).

وَرَبَّمَا أَجْمَعَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ عَلَى تَرْكِ الْعَمَلِ بِحَدِيثٍ، وَهُوَ صَحِيحٌ؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ سَبَبًا مَشْرُوعًا لِتَرْكِ الْعَمَلِ وَإِنْ لَمْ يَبَيِّنُوهُ؛ فَصَارَ مَجْرَدُ تَرْكِهِمْ دَلِيلًا مُسْتَقْلًا فِي ذَاتِهِ عَلَى التَّركِ، لَا أَنَّ تَرْكَهُمْ لِدَاوَتِهِ أَفْضَلُ مِنَ الْحَدِيثِ لِدَاوَتِهِ.

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨)، و«مسند الموطأ» (٥٦).

(٢) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٨).

(٣) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١١٩).

فلا يُمكن أن يجتمعوا على ترك سُنة، ولا أن يجتمعوا على فعل خطأ، وقد قال ابن أبي زيد في «جامعه»: «والتسليم للسنن لا تُعارض برأي، ولا تُدافع بقياس، وما تأولهُ منها السلف الصالح تأولناه، وما عملوا به عملناه، وما تركوه تركناه، وسعنا أن نُمسك عما أمسكوا، ونشيعهم فيما بينوا، ونقتدي بهم فيما استنبطوه ورأوه في الحوادث، ولا نخرج عن جماعتهم فيما اختلفوا فيه أو في تأويله»^(١).

وكان ابن أبي زيد معظماً للسنة، بصيراً بها، عالماً بأقوال السلف، عارفاً بتاريخ البدع ونشأتها، وقد كان يقول في بدع أصول الدين: «بنو أمية لم يكن فيهم خليفة ابتدع في الإسلام بدعة»^(٢).

ولا تنتشر البدع إلا عند من عطل الأثر وجعل منزلة الصحابة والتابعين في حفظ الدين، فمن جهل الأثر استحسن العمل بالرأي فعبد الله بذوقه وما يعجبه، حتى يجد من الميل والنشاط في عبادة الله بالبدعة أكثر من السنة، حتى منهم من لا يزكي ولا يتصلق في الواجبات ويُنفق الأموال الطائلة على الاحتفال بالمولد النبوي، ويسؤل له أن من ينهاء عن ذلك لا يعظم النبي ﷺ، وما تعظيمه إلا باتباع عمله من صلاة وصدقة وصلة وإحسان، وترك ما يكرهه من الأفعال، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ [آل عمران: ٣١]، فإذا كانت محبة الله - وهي أعظم محبة - لا تتحقق إلا باتباع فعل النبي ﷺ، فإن محبة نبيه من باب أولى.

(١) «الجامع» (ص ١١٧).

(٢) الحجة على تارك المحبة (ص ٤٩٧).

ترك المراء والجدال:

قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَتَرَكَ الْمِرَاءَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ، وَتَرَكَ مَا أَخَذَهُ الْمُخْذِلُونَ»:

وقد أنزل الله وحيه كتاباً وسنة؛ ليكون دليلاً للعالمين إلى معرفة دينهم، ولو كانت العقول المجردة كافية في ذلك، لأمر بالأخذ بها من غير وحي ولا رسول، وكل من أراد أن يصل إلى الله بطريق غير وحيه، فهو في ضلالٍ وريبه؛ قال تعالى: «وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» [الأنعام: ١٥٣]، وقال تعالى: «وَأَقْبِصُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» [آل عمران: ١٠٣]، وحبل الله: وحيه ودينه^(١).

وكل نزاع وخلاف في الدين يجب رده إلى الوحي، لا إلى الرجال والأذواق والأهواء؛ كما قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ» [النساء: ٥٩].

وقد قال عمر بن الخطاب: «قد سئلت لكم السنن، وفرضت لكم الفرائض، وتركتكم على الواضحة، إلا أن تميلوا بالناس يميناً وشمالاً»^(٢).

طرق معرفة حق الله:

وكل سبيل يرد به أن يدل صاحبه إلى ربه من غير الوحيين، فهو مما حذر الله منه من تلك الأهواء: «وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ

(١) انظر في هذا المعنى: «تفسير ابن جرير» (٥/٦٤٣).

(٢) «الموطأ» (٢/٨٢٤).

سَبِيلِهِ ﴿[الأنعام: ١٥٣]، ولن يُوصَلَ صاحِبُهُ إلى شيء؛ لأنه حتى وإن أصاب الحقُّ ضُفَّةً، فقد ضَلَّ بأن اتَّخَذَ وسيلةً للدَّلالة على الله غيرَ ما شرَّعه الله؛ وهذا بذاتِهِ محادَّةٌ لله ولرسولِهِ؛ لأنَّ الله جَعَلَ الدِّينَ كاملاً مِن جهتيهِ: جهة الطريق، وجهة الغاية:

أَمَّا جهة الطريق: فقد جَعَلَ الله في وحيهِ كفايةً؛ لهذا أَمَرَ بالأخذِ منه، وحذَّر من الأخذِ مِن غيرِهِ، وَمَن لَمْ يَجِدْ ما يُرْشِدُهُ مِن وحيهِ، أو قَصَرَ نظرُهُ عن الفهم، فهو معذور، ولا يجوزُ له التماسُ حقِّ الله مِن غيرِ طريقِ الله؛ قال ﷺ: (قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارُهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، وَمَن يَعِشْ مِنْكُمْ، فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا؛ فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي، وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِدِ، وَعَلَيْكُمْ بِالطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدًا حَبَشِيًّا؛ فَإِنَّمَا الْمُؤْمِنُ كَالْجَمَلِ الْأَنِفِ، حَيْثُمَا قِيدَ انْقَادًا)^(١).

وَأَمَّا جهة الغاية: فهي العبادة التي لأجلِها خَلَقَ الله الخلق؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْإِنْسَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَتِي﴾ [الناريات: ٥٦]؛ فليس لأحدٍ أن يَزِيدَ في العبادة ما شاء، ولا أن ينْقُصَ منها ما شاء؛ فالله أكْمَلَ دينَهُ وأتَمَّهُ، وكلُّ مَنْ زَادَ فيه، فقد اتَّهَمَهُ بالنقصان، وكلُّ مَنْ نَقَصَ منه، فقد اتَّهَمَهُ بالزيادة؛ والله تعالى يقول: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

المجتهدُ بِبُذْعَةٍ:

والمجتهدُ في طريقٍ غيرِ مشروعٍ يُؤدِّبُهُ اجتهادهُ إلى بُذْعَةٍ، ليس بمعذورٍ؛ لأنَّ ضلالَهُ: في سلوكِ الطريقِ، قبلَ وصولِهِ إلى الفهم، فهو

(١) أبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٢ - ٤٤). واللفظ لابن ماجه.

ضَلَّ فِي طَرِيقِهِ قَبْلَ فَهْمِهِ، بِخِلَافٍ مَنْ أَخْطَأَ فِي فَهْمِ نَصِّ الْوَحْيِ؛ فَضْلًا لَهُ فِي اجْتِهَادِهِ فِي الْفَهْمِ، لَا فِي الطَّرِيقِ؛ لِأَنَّ طَرِيقَهُ الْوَحْيِ. وَلَوْ كَانَ كُلُّ مُجْتَهِدٍ مُعْذَرًا بِغَضِّ النَّظَرِ عَنْ صِحَّةِ الْوَسَائِلِ وَالطَّرِيقِ، فَلَا قِيَمَةَ لِإِنْزَالِ الْوَحْيَيْنِ، وَحَصْرِ التَّشْرِيعِ فِيهِمَا، وَقَدْ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: «وَمِنْ قَوْلِ أَهْلِ السُّنَّةِ: أَنَّهُ لَا يُعْذَرُ مَنْ أَدَّاهُ اجْتِهَادُهُ إِلَى بَذْعَةٍ؛ لِأَنَّ الْخَوَارِجَ اجْتَهَدُوا فِي التَّأْوِيلِ؛ فَلَمْ يُعْذَرُوا؛ إِذْ خَرَجُوا بِتَأْوِيلِهِمْ عَنِ الصَّحَابَةِ؛ فَسَمَّاهُمْ فِرَقًا مَارِقِينَ مِنَ الدِّينِ، وَجَعَلَ الْمُجْتَهِدَ فِي الْأَحْكَامِ مَأْجُورًا وَإِنْ أَخْطَأَ»^(١).

❦ التحذير من الجدال والمراء في الدين:

وَالْجِدَالُ وَالْمِرَاءُ لَيْسَ طَرِيقًا مُوصِّلًا إِلَى الْحَقِّ بِذَاتِهِ؛ فَمَتَى بَانَتْ الْحُجَّةُ، وَاتَّضَحَ الدَّلِيلُ، وَجَبَ اتِّبَاعُهُ وَالْعَمَلُ بِهِ، وَتَرَكَ الْجِدَالَ وَالْمِرَاءَ فِيهِ؛ فَإِنَّمَا هَلَكَ أَصْحَابُ الْعُقُولِ بِامْتِحَانِهِمْ رَأْيَهُمْ، وَاسْتِنَابَتِهِمْ الْمَجْرَدَ عَنِ النَّصِّ؛ فَاسْتَدْرَجُوا إِلَى الْأَهْوَاءِ خُطْوَةً خُطْوَةً، حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى غَيْرِ مَا قَصَدُوا الْبِدْءَةَ بِهِ.

وَلِهَذَا حَذَّرَ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْمِرَاءِ وَالْجِدَالِ فِي الدِّينِ؛ فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يُنَزِّلْ كِتَابَهُ إِلَّا وَاضِحًا وَبَيِّنًا لِقَاصِدِهِ مِنْ أَهْلِ لُغَتِهِ، وَلَيْسَ مَغْلَقًا مَغْلَقًا يَحْتَاجُ إِلَى جِدَالٍ وَمِرَاءٍ لِيُعْرَفَ مَا فِيهِ؛ فَاللَّهُ وَصَفَ كِتَابَهُ بِالْبَيِّنِ وَالشَّافِءِ، وَالنُّورِ وَالْهُدَايَةِ، وَالْحُجَّةِ وَالْمُحْكَمِ، وَالْمَفْصَّلِ وَالَّتَبْيَانِ، وَإِنْ كَانَ هُنَاكَ اسْتِغْلَاقٌ فِي الْفَهْمِ، فَهُوَ فِي الْعُقُولِ وَالْقُلُوبِ، لَا فِيهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرَاتُ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [مُحَمَّدٌ: ٢٤]؛ فَجَعَلَ الْقُلُوبَ عَلَى الْقُلُوبِ، لَا عَلَى الْقُرْآنِ.

﴿حَسَنُ الْقَصْدِ وَسُوءُهُ، وَآثَرُهُ عَلَى فَهْمِ الْقُرْآنِ:

وَمَنْ لَمْ يَفْهَمْ الْقُرْآنَ مِنْ أَهْلِ اللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ، فَلْيُحَسِّنْ قَصْدَهُ يُحَسِّنِ اللَّهُ لَهُ الْوُصُولَ إِلَى مَرَادِهِ، وَإِنْ لَمْ يَصِلْ يَسْأَلْ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَتَنَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وَمَنْ نَظَرَ فِي الْقُرْآنِ بِلَا قَصْدٍ حَسَنٍ، وَفِي قَلْبِهِ مَرَضٌ بِتَصِيدِ مَا يَرِيدُ بِالْهَوَى -: زَادَهُ النَّظَرُ فِيهِ حَيْرَةٌ وَهَوًى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤ - ١٢٥].

وَاللَّهُ لَا يُضِلُّهُمْ وَهُمْ يُرِيدُونَ الْهَدَايَةَ، وَلَوْ أَرَادُوا الْهَدَايَةَ، لَوَقَّعَهُمْ إِلَيْهَا: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣]، وَلَكِنَّهُ لَمَّا عَلِمَ قَصْدَهُمْ، أَعْطَاهُمْ إِيَّاهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]؛ لِأَنَّ قَصْدَهُمْ مِنَ النَّظَرِ فِي الْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ: اتِّبَاعُ الْمُتَشَابِهِ؛ كَمَا قَالَ: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَّهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧].

قَالَ مَالِكٌ: «وَلَقَدْ قَالَ رَجُلٌ: لَقَدْ دَخَلْتُ هَذِهِ الْأَدْيَانَ كُلَّهَا، فَلَمْ أَرْ شَيْئًا مُسْتَقِيمًا، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ: أَنَا أَخْبَرُكَ لِمَ ذَلِكَ؛ لِأَنَّكَ لَا تَنْتَفِي اللَّهُ تَعَالَى، وَلَوْ اتَّقَيْتُهُ، لَجَعَلَ لَكَ مَخْرَجًا»^(١).

وَلَوْ كَانَ الْجَدَالُ وَالْمِرَاءُ الزَائِدُ عَنِ الْبَيَانِ طَرِيقًا لِمَعْرِفَةِ دِينِ اللَّهِ، لَأَرْشَدَ اللَّهُ إِلَيْهِ؛ وَقَدْ قَالَ مَالِكٌ: «وَلَيْسَ هَذَا الْجَدَلُ مِنَ الدِّينِ بِشَيْءٍ»^(٢).

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

(٢) الموضوع السابق.

وما سلك أحد طريقاً غير الوحي ليصل به إلى الله، إلا كثر نحوه وتقله من قول إلى قول، ومن مذهب إلى مذهب، ومن رأي إلى رأي؛ لأنه يبدأ يريد شيئاً فيستأنس في البداية، ثم يستوحش بالنهاية، فيتحول؛ كسالك طريق البرية بلا دليل: يستوحش كلما طال سيره، حتى يتخبط يمينه ويسره من الحيرة، عكس من كان على بينة من ربه في أول طريقه وأوسطه ومنتهاه؛ قال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات، أكثر التقل»^(١).

هجر الجدال والمراء وأهله:

وهذا النوع من الجدال والمراء في كلام الله وسنة نبيه: من الخوض المحرم، وقد نهى الله عنه في كتابه: ﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرَضْنَا عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا يُشِيطُكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدَ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [الأنعام: ٦٨].

وإنما نهى عن المخالطة للباطل؛ لأن القلوب تشرب ما تسمع، فتستكر أول مرة، ثم ينقص استنكارها حتى تألفه، فأمر الله بالهجر حتى لا تألفه القلوب، فربما تأثر القلب حتى يعجز صاحبه عن تركه؛ لضعف قلبه، ولقوة الشبهة عليه؛ فمن الشبهات ما يتعلق بقلب صاحبه، كما يتعلق به المرض المعدي بكرمه ولا يجد خلاصاً منه.

كما قال مالك: وكان يقال: «لا تمكّن زائغ القلب من أذنك؛ فإنك لا تدري ما يغلقك من ذلك، ولقد سمع رجل من الأنصار من أهل المدينة شيئاً من بعض أهل القدر، فعلق بقلبه؛ فكان يأتي إخوانه الذين

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

يَسْتَنْصِحُهُمْ، فَإِذَا نَهَوهُ، قَالَ: فَكَيْفَ بَمَا عَلَّقَ بِقَلْبِي، وَلَوْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ رَضِيَ أَنْ أَلْقِيَ بِنَفْسِي مِنْ فَوْقِ هَذِهِ الْمَنَارَةِ، لَفَعَلْتُ»^(١).

وقد كان السلفُ يَنْهَوْنَ عَنْ مَخَالَطَةِ أَهْلِ الْأَهْوَاءِ وَمُجَالَسَتِهِمْ، وَقَلَّمَا يَقْبِذُونَ؛ لِأَنَّ كَثِيرًا مِنَ الْعُقُولِ تَغْتَرُّ بِنَفْسِهَا، وَتَخْدَعُ بِعِلْمِهَا الْقَاصِرِ؛ فَاكْثَرُ النَّفُوسِ تَظُنُّ كِمَالَ عَقْلِهَا، وَقُوَّتَهَا عَلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْفَعُهَا وَيَضُرُّهَا، وَيَغُرُّهَا الشَّيْطَانُ عِنْدَ نَفْسِهَا، وَيُظْهِرُ لَهَا مِنَ الْمَعَانِي الْقَلِيلَةَ مَا تُذَرِّكُهُ، وَرَبِّمَا أَوْحَى إِلَيْهَا مِنَ الْأَسْتِنْبَاطِ الدَّقِيقِ مَا تَخْدَعُ بِهِ: ﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِكُؤْمَرٌ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَدِّلُوكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١].

ورَبِّمَا كَانَ الْقَصْدُ مِنْ هَذَا النَّوعِ مِنَ الْوَحْيِ الشَّيْطَانِيِّ: أَنْ تَسِيرَ النَّفْسُ إِلَى مَضَائِقِ الْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ؛ حَتَّى تَقَعَ فِي شِرَاكِ الْجَهَالَاتِ، وَحِبَالِ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهَا بِالْبَاطِلِ؛ فَتَغْتَرُّ بِهِ وَتَتَقَادُّ لَهُ.

وكَثِيرًا مَا يَأْتِي بَعْضُهُمْ أَهْلَ الْأَهْوَاءِ الَّذِينَ هُمْ أَكْثَرُ مِنْهُ عِلْمًا بِالْجَدَلِ وَالْمِرَاءِ؛ لِيَسْمَعَ مِنْهُمْ، أَوْ يَرُدُّ بِاطْلَاهُمْ؛ فَيَقَعَ فِي بَاطِلِهِمْ حَتَّى يَفْتَنُوهُ لُضَعْفِهِ لَا لِقُوَّتِهِمْ؛ فَإِنَّ الْأَضْعَفَ يَرَى الضَّعِيفَ قَوِيًّا.

وقد رَأَيْتُ شَابًّا جَاهِلًا فِي أَوَّلِ طَلَبِهِ يَقْصِدُ صَاحِبَ هَوًى بِرِيذِ الْإِنْتِفَاعِ مِنْهُ، فَحَذَّرْتُهُ مِنْهُ، فَقَالَ: «إِنَّهُ إِنَاءٌ مُلِئٌ عِلْمًا»، فَقُلْتُ لَهُ: صَدَقْتَ؛ هُوَ فِتْنَانٌ، وَأَنْتَ نَمْلَةٌ؛ فَتَرَاهُ كَجَبَلٍ أَحَدٍ، وَلَوْ كَبُرَتْ عِلْمًا، رَأَيْتُهُ كَمَا هُوَ، وَلَكِنَّكَ لِصِغَرِكَ وَضَعْفِكَ تَرَى كِبَرَهُ وَقُوَّتَهُ عَلَيْكَ، لَا فِي الْعِلْمِ وَالْمَعْرِفَةِ.

وقد قِيلَ لِمَالِكٍ: «مَنْ قَوِيَ عَلَى كَلَامِ الزَّانِدَةِ وَالْإِبَاضِيَّةِ وَالْقَدَرِيَّةِ

(١) «الجامع» لابن أبي زيد (ص ١٢٠).

وأهل الأهواء؛ أَيْكَلُمُهُمْ؟ قال: لا؛ وإنَّ الذين خَرَجُوا إنما عابوا
المَعَاصِي، وهؤلاء تكلَّموا في أمرِ الله، وقال ذلك الرجلُ - يعني:
ابنَ عُمَرَ -: أمَّا أنا، فعلى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وأمَّا أنتَ، فاذْهَبْ إلى شاكِّ
مِثْلِكَ خَاصِمُهُ^(١).



❁ قَالَ ابْنُ أَبِي زَيْدٍ: ﴿وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَأَزْوَاجِهِ
وَذُرِّيَّتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا﴾.

وقد خَتَمَ مَقْدَمَتَهُ بِالصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ وَآلِهِ
وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ - تِيْمُنًا بِذَلِكَ، وَإِجْلَالًا لِمَبْلَغِ الدِّينِ عَنْ رَبِّهِ، وَالتَّمَاثُلِ
لِشَفَاعَتِهِ، وَنَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى تَمَامِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، وَنَسْأَلُهُ السَّدَادَ
وَالْهُدَايَةَ، وَبِهَذَا انْتَهَى الشَّرْحُ لِمَقْدَمَةِ الرِّسَالَةِ، مَعَ بُعْدٍ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ
الْكُتُبِ، جَبَرَ اللَّهُ الْخَلَلَ، وَأَحْسَنَ الْقَصْدَ، وَمِنَ الْقَبُولِ!



الفَهَارِسُ الْعَامَّةُ

وتتضمن:

- ١ - فهرس الآيات.
- ٢ - فهرس الأحاديث.
- ٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء.
- ٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات.
- ٥ - فهرس المصطلحات.
- ٦ - فهرس القواعد والكتليات.
- ٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل.
- ٨ - فهرس المذاهب والأقوال.
- ٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة.
- ١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال.
- ١١ - فهرس الفوائد.
- ١٢ - فهرس الموضوعات.

١ - فهرس الآيات

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢ - سورة البقرة		
﴿فِي ثُلُوثِهِمْ مَرْمًى فَرَادَهُمُ اللَّهُ مَرْمًى﴾	١٠	٧٦
﴿أَعَدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾	٢٤	٢٠٥
﴿ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ﴾	٢٩	١٢٤
﴿وَقُلْنَا يَنَادُهُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾	٣٥	٢٠٤ ، ٢٠٣
﴿وَقُلْنَا امْكُتُوا بِمَضْجَرٍ لِّعَيْنٍ عَدُوٍّ وَلَكَّ فِي الْأَرْضِ مُسْتَعَرٌّ وَمَتَّعَ إِلَىٰ حِينٍ﴾	٣٦	٢٠٣
﴿وَقُلْنَا امْكُتُوا مِنْهَا جَمِيعًا﴾	٣٨	٢٠٣
﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْغَافِلِينَ﴾	٤٥	٨٠
﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ أَنَّهُمْ مُلْكُوا رِيحٍ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾	٤٦	٨٠
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾	٤٨	١٨٩
﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا﴾	١٢٣	١٨٩
﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ إِلَّا رِيسَةٌ لِّتَسْمَعَهُمْ وَلِتَنصَلَاحَ لِمَنْ تَشَاءُ وَاللَّسْتُ بِأَعْيُنٍ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿يَوْمَ يَأْتِي مَا جَاءَكَ مِنَ الْأَمْرِ﴾	١٤٥	١٥١
﴿وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾	١٦٩	٥٣
﴿يَتَذَكَّرُ الْأُولَىٰ آمَنُوا كَلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَأَشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	١٧٢	٧٤
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالذَّمَّ وَلَعْنُ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَوَّلَ بِهِ يَغْتَرِ اللَّهُ﴾	١٧٣	٧٤
﴿وَلَكِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنَ الْأَمْرِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَكَةِ﴾	١٧٧	٢٤٢
﴿وَالْكِتَابِ وَالْيَتِيمِ﴾		
﴿يَسْأَلُونَكَ﴾	١٨٩	٧٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَأْتِيهَا الْوَيْلُ مَا سَأُوا آذَنُوا فِي الْوَيْلِ كَافَّةً وَلَا تَسْمِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	٢٠٨	٧٤
﴿مَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ الْفُجَاءِ﴾	٢١٠	٢٠٦ ، ٦٦ ، ٦٤
﴿وَلَقَدْ تَوَدَّ هَذَانِ لَّا يُؤْمِنُوا بِالْآيَاتِ لَئِنْ كَانُوا هَٰؤُلَاءِ لَا يَأْمَنُونَ بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٢١	١٥٨
﴿وَالْعَالِينَ﴾	٢٥٥	١٠٦
﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٢٥٥	١١٨
﴿وَلَا يُعِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾	٢٥٥	٩
﴿وَلَا يُعِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾	٢٥٥	١٠٥
﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾	٢٥٦	١٨٣ ، ١٨٢
﴿وَأَنذَرُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾	٢٨١	١٨٩
﴿كُلٌّ مِّنْ أَمْرِ اللَّهِ وَمَلَائِكَتُهُ وَرُسُلُهُ لَا تَفْرُقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْ رُّسُلِهِ﴾	٢٨٥	٢٤١ ، ١٧٧

٢ - سورة آل عمران

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرَ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾	٥	١٢١ ، ١٦٦
﴿وَأَمَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾	٧	١٨٨
﴿فَأَمَّا الْوَيْلُ فِي قُلُوبِهِمْ نَبِّعَ فَيَقْبُونَ مَا نَسَبَ وَتَهَ لَيْتَهُ الْوَيْلُ وَآلَيْتَهُ تَأْوِيلُهُ﴾	٧	٢٧٩
﴿إِنَّ الْوَيْلَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾	١٩	١٨١
﴿وَنَبِّعَ الْمَلَكُ وَمَنْ نَسَبَ﴾	٢٦	٢٦١
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾	٣١	٢٧٥ ، ١٨٨
﴿يُقَدِّرْ مَا يَشَاءُ﴾	٤٠	١٢٩
﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٥٩	١٤١
﴿وَمِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْوَيْلِ﴾	٦١	١٥١
﴿وَلَا أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ لَمَّا عَاهَدْتُمْ مِنْ صُورَ وَحِكْمَتِهِ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْكُمْ لِيَا مَعْكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾	٨١	١٧٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾	٨٥	١٨١
﴿وَاغْتَنِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾	١٠٣	٢٧٦
﴿أُجِدْتُ الْكَافِرِينَ﴾	١٣١	٢٠٥
﴿أُجِدْتُ الْمُنَافِقِينَ﴾	١٣٣	٢٠٤
﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَرُزِّقَهُمْ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾	١٦٤	١٨٧
﴿وَلَا تَحْزَنْ أَلِیْنَ قُولُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْرًا بَلْ أَحْيَاكُمْ عَنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾	١٦٩	٢٣٦
﴿أَلِیْنَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾	١٧٣	٢٢٤
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَخِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولَى الْأَلْبَابِ﴾	١٩٠	٩١
﴿أَلِیْنَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطُلًا تُسَبِّحُكَ قَوْنًا عَذَابَ النَّارِ﴾	١٩١	٩١
٤ - سورة النساء		
﴿إِنْ تَحَدَّثُوا كَذِبًا فَمَا تُنْفَعُونَ عَنْهُ لَكَفَرٍ عَنْكُمْ سَعْيًا يَكُومُ وَلَذِكُمْ مَذْخَلٌ كَرِيمًا﴾	٣١	١٩٤
﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾	٤١	١٧٧
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾	٤٧	١٧٨
﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا﴾	٤٨	١١
﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا﴾	٥٨	١٢٣ ، ١٠١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾	٥٩	٢٧٦ ، ٢٥٨
﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفَرَارِ﴾	٨٢	٢٧٨ ، ٩٥

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّتِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ﴾	١٣٦	١٨٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾	١٥٠	١٧٧
﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا﴾	١٦٤	١٣٧ ، ٦٦
﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِيَلَا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾	١٦٥	١٧٧
﴿خَلَّاهُمْ مِنْهَا أَعْدَاءُ﴾	١٦٩	٢٠٦
﴿بَسَفَقُوا﴾	١٧٦	٧٤

٥ - سورة المائدة

﴿الْيَوْمَ أَكُنْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَمَسْتُ عَلَيْكُمْ بِمِثْقَلِ الذَّائِقَةِ﴾	٣	٢٧٧ ، ١٨٧
﴿وَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الذِّكْرُ﴾	١٥	٩٥
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ﴾	٤٨	١٨٦ ، ١٨٥
﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَكْلُومَةٌ﴾	٦٤	١٢٣ ، ١٠٢

٦ - سورة الأنعام

﴿وَهُوَ الْغَايُثُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	١٨	١١٤ ، ١٠٦
﴿قُلْ أَيْ قَوْمٍ أَكْثَرُ شَهَادَةً عَلَى اللَّهِ﴾	١٩	١٤٩
﴿وَلَوْ رَدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاظِمُونَ﴾	٢٨	١٦٦
﴿وَعِنْدَهُ مَفَاحِجُ الْمَنِيِّ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَسَعَى مَا فِي الزَّيْتِ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ دَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِسٌّ فِي غُلَّتِ الْأَرْضِ وَلَا رَكَبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٥٩	١٦٦
﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ دَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حِسٌّ فِي غُلَّتِ الْأَرْضِ وَلَا رَكَبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٥٩	٩
﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفْعَلُونَ﴾	٦١	٢٤٤
﴿وَهُوَ الْغَايُثُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾	٦١	١١٤ ، ١٠٦
﴿وَإِنَّا رَأَيْنَا الَّذِينَ بَعُوثُونَ فِي بَالِحِنَا فَاعْرَضْنَا عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَبْعُوثُوا فِي حَرٍِّ عَرِيٍّ فَلَمَّا يُسَبِّحُكَ الشَّيْطَانُ﴾	٦٨	٢٨٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿أَوْ قَالَ أُوْحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾	٩٣	١٤٩
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾	١٠١	١٥٨
﴿لَا تُذِرْكُمُ الْاَصْنَادُ﴾	١٠٣	٢٠١
﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَيْكَ اَوَّلَايَاهُمْ لِيَجْعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّيْءِ اَلْمُتَشَبِهِ لَكُمْ﴾	١٢١	٢٨١ ، ١٨١
﴿فَلِلَّهِ الشُّعْبَةُ الْبَاقِيَةُ﴾	١٤٩	١٦٤
﴿وَإِنَّ هَذَا جِرْطِلٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾	١٥٣	٢٧٦
﴿وَمَنْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ مَا يَدَّعُونَ رَبُّكَ﴾	١٥٨	٢٠٦
﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَثَرَاتٍ وَأَمِنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلُهَا وَمَنْ لَا يظْلُمُونَ﴾	١٦٠	١٩٣
٧ - سورة الأعراف		
﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾	٨	٢٠٩ ، ١١
﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾	٢٩	١٩٠
﴿وَإِنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْمَلُونَ﴾	٣٣	٥٣
﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ﴾	١٢٧	١١٤
﴿رَبِّ أَرِنِي أَظُنُّ إِيَّاكَ﴾	١٤٣	٢٠٠
﴿فَلَمَّا بَلَغَ رَبُّهُ الْجَبَلَ جَعَلَهُ دَكًّا﴾	١٤٣	١٥٣ ، ١٥٢ ، ٦٦
﴿لَنْ تَرِنِّي وَلَكِنْ أُنْظِرُ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَفَرَّ مَعَكَاهُ فَسَوْفَ تَرِنِّي﴾	١٤٣	٢٠١
﴿وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾	١٤٣	١٣٧
﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ بِمِثْلِ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾	١٥٨	١٧٧
﴿وَاللَّهُ الْأَتَمُّ الْمُسَبِّحُ فَادْعُوهُ بِهَا﴾	١٨٠	١٣٢
﴿أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ﴾	١٨٥	٧٣
﴿لَا يَحِيطُا بِهَا إِلَّا مَوَدُّ﴾	١٨٧	١٩٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
٨ - سورة الأنفال		
﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾	٢	٢٢٤
﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَنْ يَكُ اللَّهُ رَئِيًّا﴾	١٧	١٧١
﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾	٢٣	٧٥، ٧٦، ١٦٦، ٢٧٩
٩ - سورة التوبة		
﴿حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ﴾	٦	١٤٣
﴿فَتَلُوا الَّذِينَ لَا يُمْشُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾	٢٩	١٨٩
﴿وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيُعَاقِبَهُمْ فَتَنَّبَهُمْ﴾	٤٦	١٦٩
﴿فَلَمَّا تَرَوْهَا عَنْهُمْ جَاءَ اللَّهُ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾	٩٦	١٩٩
﴿وَالسَّيِّئُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾	١٠٠	٢٤٨
﴿وَلَا يَزَالُ بُعِثُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾	١١٠	١٦٨
﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ أَلَيْكُمُ رَأْيُهُ هَٰذِهِ إِنَّا أَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فَوَادَتْهُمْ إِيْمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾	١٢٤	٢٧٩
﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾	١٢٥	٧٦، ٢٧٩
﴿ثُمَّ أَنْصَرُوا صرفاً لِّلَّهِ قُلُوبِهِمْ﴾	١٢٧	٧٦
١٠ - سورة يونس		
﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِمَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ مَا بَيْنَ يَدَيْنَا غَافِلُونَ﴾	٧	١٨٩
﴿وَيَسْتَدْرِكُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰذَا شَأْنُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾	١٨	١٩٨
﴿وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾	١٩	١٥٠

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا لِمَتَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾	٢٦	٢٠٢
﴿وَلِكُلِّ أَتَمَّةٍ رَّسُولٌ﴾	٤٧	١٧٧
﴿وَيَسْتَلِيقُوهُ أَهْلٌ مِّنْ قُلُوبِ إِي وَرَقٍ إِنَّهُ لَخَبِيرٌ﴾	٥٣	١٨٩
﴿قُلِ اطَّهَّرُوا مَا ذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تَحْتِ الْأَيْدِ وَالنُّذُرُ مَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾	١٠١	٩٠
١١ - سورة هود		
﴿وَأَوْحِ إِلَيْكَ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾	٣٦	١٦٨
﴿خَنَابِيتٍ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ قَدِيرٌ﴾	١٠٧	١٢٩
﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ﴾	١١٠	١٥٠
﴿فَاسْتَعِمْ كَمَا أَمَرْتَ وَمَن تَلَبَّ مَعَكَ﴾	١١٢	١٨٦
١٢ - سورة يوسف		
﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾	٢	٩٤
﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾	١٠٠	١٢٢
١٣ - سورة الرعد		
﴿الْمَعَالِ﴾	٩	١٠٦
﴿اللَّهُ خَلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾	١٦	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
١٤ - سورة إبراهيم		
﴿يُشْهِدُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾	٢٧	٢٤٠ ، ٢٣٨ ، ١٢
١٦ - سورة النحل		
﴿ثُمَّ أَنفَ اللَّهُ بِبَنِيهِم مِّنَ الْفَوَائِدِ فَخَرَّ حَلِيمٌ السَّفَفُ مِن قَرْفِهِمْ﴾	٢٦	٦٤
﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الصُّلُوفَ﴾	٣٦	١٨٥ ، ١٧٧
﴿تَسْتَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٤٣	٢٧٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ الْتَّيِّنَ الَّذِي مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾	٤٤	١٨٦
﴿يَتَأَلَوْنَ نَارَهُ مِنْ قَوْفِهِمْ﴾	٥٠	١١٤ ، ١٠٦
﴿يَتَكَلَّمُوا بِمَا نَالَتْهُمْ فَتَتَعَوَّاهُ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾	٥٥	١٨٤
١٧ - سورة الإسراء		
﴿وَكُلِّ إِلَهٍ الزَّمَنَةُ طَلَمُهُ فِي عُنُقِهِ وَفُتِحَ لَهُ يَوْمَ الْفَيْتَةِ حَتَّى بَلَغَهُ مَشُورًا﴾	١٣	٢١١
﴿أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَبِيبًا﴾	١٤	٢١١
﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاصِيَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ﴾	١٨	٢٠
﴿وَلَا تَقِفْ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾	٣٦	١٦١
﴿وَقُلْ كُونُوا حِبَارَةً أَوْ حَبِيبًا﴾	٥٠	١٩٠
﴿وَأَوْ خَلَقْنَا مِمَّا يَكْفُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُبْدِنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾	٥١	١٩٠
﴿وَعَسَى أَنْ يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾	٧٩	١٢٤
﴿وَنَسْتَلْزِمُكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾	٨٥	٢٣٥
١٨ - سورة الكهف		
﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾	٢٩	١٨٣ ، ١٨٢
﴿وَيَقُولُونَ بَدَّلْنَا مَا لَنَا مِنَ الْحَكْمِ لَا يَأْتِيهِمْ صَغِيرَةٌ وَلَا كَبِيرَةٌ إِلَّا أَنْصَبْنَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاجِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾	٤٩	١٩٣
﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسْكِينٍ يَصِلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرْسَلْنَا أَنْ أُنَبِّئَا﴾	٧٩	١٦٠
﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا﴾	٨٢	١٦٠
﴿فَلَا تَعِمْهُمْ يَوْمَ الْفَيْتَةِ وَقَالَا﴾	١٠٥	٢١٠
١٩ - سورة مريم		
﴿عَمَلٌ تَقَرَّرَ لَهُ سَيِّئًا﴾	٦٥	١٣٢
﴿وَلَا يَنْفَكُ إِلَّا وَارِدَةً﴾	٧١	٢١٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٠ - سورة طه		
﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾	٥	١٢٧ ، ١٢٦ ، ١٢١
﴿وَأَنَّا لَخِفَتِكَ لَشَتَعٌ لِمَا يُوحَى﴾	١٣	١٤٣
﴿إِنَّا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي﴾	١٤	١٤٧
﴿إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾	٧٤	٢٠٦
﴿فَلَا يُخْرِجُكَ مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشَقَّ﴾	١١٧	٢٠٤
﴿وَلَا تَتَذَكَّرُ عَلَيْكَ إِلَهٌ مَا مَعَنَا بِهِمُ آذَانًا مِمَّنْهُمْ زَهْرَةٌ لَنُحْيِيَنَّهَا لَكِنَّا نَحْنُ قَادِرُونَ عَلَىٰ مَا نَشَاءُ﴾	١٣١	٢٠
٢١ - سورة الأنبياء		
﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُجَدِّدٍ﴾	٢	١٥٠ ، ١٥١
﴿فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾	٧	٢٧٩
﴿وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحِيرُونَ﴾	١٩	٢٤٣
﴿يُحْسِنُونَ الْبَيْتَ وَالْأَنْكَارَ لَا يَقُولُونَ﴾	٢٠	٢٤٣
﴿لَا يَسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾	٢٣	١٦٤
﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾	٢٥	١٨٥ ، ١٥
﴿بَلْ عِبَادٌ شُكِرُوا﴾	٢٦	٢٤٣
﴿لَا يَسْأَلُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْلَمُونَ﴾	٢٧	٢٤٣
﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا﴾	٤٧	٢٠٩
﴿وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْهَبَالَ يُسَبِّحُنَ وَالطُّيُورُ﴾	٧٩	١٤٦
﴿لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾	٨٧	١٠٧
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾	١٠٧	١٧٨
٢٢ - سورة الحج		
﴿يَفْعَلُ مَا شَاءَ﴾	١٨	١٢٩
﴿وَلَمْ نَعْلَمْ أَنَّكَ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	٧٠	٢٤٣

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿إِنَّ الدِّينَ تَعَفُّونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ إِنْ يَشَاءُ اللَّهُ يُدْفِعْهُ عَنْهُمْ إِنَّهُمْ يُفْتَنُونَ﴾	٧٣	٩١
﴿مَا كَذَبَ اللَّهُ حَتَّى فَكَّرُوا إِنَّ اللَّهَ لَغَوِيٌّ عَرِيزٌ﴾	٧٤	٩١
٢٣ - سورة المؤمنون		
﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾	٤٤	١٧٧
﴿أَلَمْ يَذَّبُوا الْقُرْلَ﴾	٦٨	٩٥
﴿وَمِنْ دُونِهِمْ بَرِيحٌ إِلَى رَبِّهِمْ يُخْبِرُونَ﴾	١٠٠	٢٣٩
٢٥ - سورة الفرقان		
﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ قَدَرًا تَقْدِيرًا﴾	٢	١٥٦
﴿وَالَّذِينَ تَتَذَكَّرُهُمْ وَعِبَادَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا﴾	١٨	٢١
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٥٩	١٤٩
﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ﴾	٦٣	٤٧
٢٦ - سورة الشعراء		
﴿وَمَا بِالْأَيْمِ مِنْ ذِكْرِ مِنَ الرَّحْمَنِ مُعَذِّبٍ﴾	٥	١٥١
﴿فَلَمَّا تَرَى الْجُمُعَ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمَذْكُورُونَ﴾	٦١	٢٠١
﴿وَإِذَا مَرِئْتُ فَهُوَ مُخْفٍ﴾	٨٠	١٦٠
﴿فَلِإِنْ شِئْتُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانُ﴾	٢٢١	١٨١
﴿نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾	٢٢٢	١٨١
٢٧ - سورة النمل		
﴿وَأَوْفَتْ مِنْ كُلِّ قَوْمٍ﴾	٢٣	١٤٩
﴿وَاللَّهُ مِنْ شَلَّتَنَ وَلِلَّهِ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾	٣٠	٧١
﴿وَمَا مِنْ حَافِرٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾	٧٥	١٢١، ١٦٦
﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَرَىٰ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَخِيرِينَ﴾	٨٧	١٨٩
﴿صُنِعَ اللَّهُ الْإِلَهِ الْفَنَ كُلِّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾	٨٨	١٦٩

الآية	رقم الآية	الصفحة
٢٨ - سورة القصص		
﴿كُلُّ نَفْسٍ مَّا لَكَ إِلَّا وِجْهَةٌ﴾	٨٨	٢٠٥
٢٩ - سورة العنكبوت		
﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ لَآلِهَ عَلَى اللَّهِ يُبْدِئُ﴾	١٩	١٩٠
٣٠ - سورة لقمان		
﴿يَبْقَىٰ لِلَّهِ إِنْ تَكُ شَقَالٌ حَبَقَ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنَ فِي سَخِرَ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾	١٦	١٦٦ ، ١٢١
﴿وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ﴾	٣٣	١٨٩
﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ جُلُومُ السَّاعَةِ وَيَزِيدُ الْعَيْتُ﴾	٣٤	١٩٢
٣٢ - سورة السجدة		
﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾	٤	١٤٩
﴿قُلْ يَتَوَفَّنَا مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾	١١	٢٤٤
٣٣ - سورة الأحراب		
﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُونًا﴾	٣٨	١٥٦
﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾	٤٠	١٨٠
﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ﴾	٤٣	٨٤
﴿تُحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾	٤٤	٢٠٠
﴿خَلِيلِينَ فِيهَا أُولِيًّا﴾	٦٥	٢٠٦
٣٤ - سورة سبأ		
﴿يَعْلَمُ مَا يَلْجِئُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾	٢	١٦٦ ، ١٢١
﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَ كُنُوزُكُمْ﴾	٣	١٨٨

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَلَامًا لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾	٢٨	١٧٨
٢٥ - سورة فاطر		
﴿مَلَّ مِنَ خَلْقِي عَبْدُ اللَّهِ بَرَزْتُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾	٣	١٧٠ ، ١٥٨
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُفُوسٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَصِفِلُ مِنْ أَنْفٍ وَلَا تَضْبَعُ إِلَّا بِمِلْءٍ وَمَا يَمُتُّ مِنْ نَفْسٍ وَلَا يَنْفُسُ مِنْ عُثْرَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾	١١	٢٤٣
﴿وَلَنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾	٢٤	١٧٧
﴿وَلَمَّا يَخْفَى اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ الْعَالَمُونَ﴾	٢٨	٦٠
٣١ - سورة يس		
﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾	٨٢	١٥٠ ، ١٤٥
٣٧ - سورة الصافات		
﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْلَمُونَ﴾	٩٦	١٦٢
﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِ بِفَتِينٍ﴾	١٦٢	١٦٩
﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِي الْجَنِينِ﴾	١٦٣	١٦٩
﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَاتُنَا﴾	١٧١	١٥٠
٢٨ - سورة ص		
﴿لِيَذَّبُوا أَبْنَاءَهُمْ﴾	٢٩	٩٥
٣٩ - سورة الزمر		
﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا﴾	٤٤	١٩٨
﴿قُلْ يَكُونُ أُولَئِكَ أَشْرَفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَمُزُّ الْذُنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾	٥٣	١٩٣
﴿بِحَسْرَتِكَ عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي حَشْرِ اللَّهِ﴾	٥٦	٤٧
﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٦٢	١٧٠ ، ١٦٢ ، ١٤٩
﴿لَنْ أَشْرَكَ لِيَحْبِطَنَّ عَمَلُكَ﴾	٦٥	٢٣٤

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾	٦٧	٩١، ١٠٢، ١١٢
﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُيِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُظُرٍ﴾	٦٨	١٩٠
٤٠ - سورة غافر		
﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ بَلْهَمُنَ ابْنِي سَرَحًا لَمَّا أَبْلَغَ الْأَسْبَابَ﴾	٣٦	١٠٦
﴿أَسْبَبَ السَّمَوَاتِ فَأَطْلَعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِلَى لَأُظْهِرَ كَذِبًا﴾	٣٧	١٠٦
﴿الْتَارَ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾	٤٦	٢٣٨، ٢٤٠
٤١ - سورة فصلت		
﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٩٤
﴿كَتَبَ فَخُصِّلَ فَخِصَّلَهُ فَرَأَيْنَا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	٣	٩٥
﴿قَالَا أَتَيْنَا طَائِفِينَ﴾	١١	١٤٦
﴿أَنطَقْنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ﴾	٢١	١٤٦
﴿أَفَمَنْ يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي بِلُحُوبِنَا يَوْمَ الْقِيَمَةِ أَعْمَلُوا مَا يَشَاءُونَ إِنَّهُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾	٤٠	١٨٤
﴿وَاللَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ﴾	٤١	١٤٦
﴿لَا يَأْتِيهِ الْبُطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾	٤٢	١٨٦، ١٤٦
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾	٤٦	١٦٤
٤٢ - سورة الشورى		
﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾	١١	٤٥، ٨٦، ٨٨، ٩٧، ١٠٢، ١١٢، ١١٧، ١١٩، ١٢١، ١٢٣، ١٢٧، ١٢٨، ١٣٠، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
٤٢ - سورة الزخرف		
﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾	٨٤	١٠٨
٤٦ - سورة الأحقاف		
﴿تُدْرِكُ كُلَّ نَفْتٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾	٢٥	١٤٩
٤٧ - سورة محمد		
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَسْتَعْمُونَ وَيَكُونُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾	١٢	٢١
﴿بَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا﴾	١٨	١٩١
﴿أَفَلَا يَنْدَرُونَ الْقُرْآنَ أَوْ عَلَى قُلُوبٍ أَفْعَالُهَا﴾	٢٤	٢٧٨ ، ٩٥
﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَذْكُرُفَهُمْ﴾	٢٧	٢٤٤
٤٨ - سورة الفتح		
﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ﴾	٤	٢٢٤
﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ﴾	١٠	٢٦٥
﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾	١٨	٢٤٨
﴿لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَبِيتُ﴾	٢٧	٢٢٨
﴿لِيَغِيْبَ بِهِمُ الْكُفَّارُ﴾	٢٩	٢٤٩
﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّةُ عَلَى الْكُفَّارِ رُمَحَاءُ يَنْهَنُّمْ قَرْيَهُمْ وَكَمَا سُجَّدَا﴾	٢٩	٢٤٧
٥٠ - سورة ق		
﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَهُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَحَنَّ آفَرُ إِلَى مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾	١٦	١١١ ، ٩
﴿إِذْ يَتْلَى التَّائِبَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَحَنِ الشِّمَالِ قَبِيْدُ﴾	١٧	٢٤٢
﴿وَمَا يَلْبِطُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَبِيدُ﴾	١٨	٢٤٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
٥١ - سورة الذاريات		
﴿وَالْأَرْضُ بَيْنَ يَدَيْهِ تُدْرِكُ﴾	٢٠	٧٣
﴿وَالْأَرْضُ بَيْنَ يَدَيْهِ تُدْرِكُ﴾	٢١	٩٠
﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾	٥٦	٢٧٧ ، ١٧٦ ، ١٥
٥٢ - سورة النجم		
﴿وَلَقَدْ رَمَاهُ رَجُلًا كَرِيهًا﴾	١٣	٢٠٥
﴿عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى﴾	١٤	٢٠٥
﴿عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى﴾	١٥	٢٠٥
﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُنْفِى سَفْعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ أَمْرٍ﴾	٢٦	١٩٩
﴿بَعْدَ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾		
٥٤ - سورة القمر		
﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾	١٧	٧٥
﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾	٤٩	١٦٤ ، ١٥٦
٥٧ - سورة الحديد		
﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ﴾	٣	٨٥
﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَّكَ﴾	١٠	٢٤٧
﴿أَفْظَمَ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلَوْا﴾		
﴿فَعَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمْدُ فَكَسَتْ ظُلُمُهُمْ﴾	١٦	٧٧
٥٨ - سورة المجادلة		
﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَمْثَلُ﴾	٦	١٩٣
﴿اللَّهُ وَرَسُولُهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾		
﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَأْتِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾	٧	١١١
﴿يَوْمَ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾	٧	١٠٩
﴿وَمَا يَسْكُوثُ مِنْ تُجُوعٍ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا هُوَ رَاقِبُهُمْ﴾	٧	١٠٨
﴿هُوَ مَعَهُمْ إِنْ مَا كَانُوا﴾	٧	١١١
٥٩ - سورة العنكبوت		
﴿وَمَا آتَاكَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ﴾	٧	٢٥٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾	١٠	٢٥٦
٦١ - سورة الصف		
﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾	٥	٢٧٩ ، ٧٥
٦٤ - سورة التغابن		
﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَنْصَرُوا قُلْ بَلَىٰ وَنَحْنُ نَكْتُمُنَّ ثُمَّ لِلنَّبِيِّ	٧	١٨٩
بِمَا عَمِلْتُمْ وَفَلَّكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾		
٦٥ - سورة الطلاق		
﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَفِي الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ	١٢	١٥٨ ، ١٥٠
الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾		
٦٦ - سورة التحريم		
﴿لَا يَصْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَتَعَلَّوْنَ مَا يُمْرُونَ﴾	٦	٢٤٣ ، ١٧٥
٦٧ - سورة الملك		
﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾	١٤	١٠ ، ١٥٨ ، ١٦٦ ، ١٦٧
٦٩ - سورة الحاقة		
﴿فَإِنَّمَا مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ كِتَابٌ يَمِيزُ فَقُولْ هَاتُمُ اقْرَءُوا كِتَابِي﴾	١٩	٢١١
﴿وَإِنَّمَا مِنْ أَمْرِ رَبِّكَ كِتَابٌ يَمِيزُ فَقُولْ بَلِّغْنِي لَوْ أَوْتُ كِتَابِي﴾	٢٥	٢١٢
٧١ - سورة نوح		
﴿وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَكْرًا كَفَّارًا﴾	٢٧	١٦٩
٧٢ - سورة الجن		
﴿خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾	٢٣	٢٠٦
٧٤ - سورة الملئ		
﴿رَكْنَا غُرُوشَ مَعَ الْمَلَائِكِينَ﴾	٤٥	٨٧
﴿فَلَمَّا نَفَعْنَاهُمْ شَفَعْنَا الْمُتَّقِينَ﴾	٤٨	١٩٩
٧٥ - سورة القيامة		
﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾	١٨	١٨٦

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ثُمَّ لَنْ عَلَيْكَ بِسَافِرٍ﴾	١٩	١٨٦
﴿كَلَّا بَلْ يُخَيِّبُونَ الْعَاجِلَةَ﴾	٢٠	٢٠
﴿وَيُجِزُّ بِوَمَلِكٍ مُبِينٍ﴾	٢٢	٢٠٣ ، ٢٠٠
﴿إِنْ رَبَّنَا نَالِمْهُمْ﴾	٢٣	٢٠٣ ، ٢٠٠
٧٦ - سورة الإنسان		
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُخَيِّبُونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾	٢٧	٢٠
﴿إِنْ هَؤُلَاءِ تَذَكَّرُوا فَسَبَّحْتَ لِلَّهِ أَنْ يَرْجِعَ سَبِيلًا﴾	٢٩	١٧١
﴿وَمَا تَسْأَلُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾	٣٠	١٧١ ، ١٧٠
٧٨ - سورة النبأ		
﴿إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾	٢٧	١٨٩
٧٩ - سورة النازعات		
﴿فَقُلْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾	١٥	١٤٣
﴿إِنْ تَدْعُهُمْ رَبُّهُمْ﴾	١٦	١٤٣
٨٠ - سورة عبس		
﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾	١١	١٧١
﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ﴾	١٢	١٧١
﴿فَنَنْظُرُ الْإِنْسَانَ إِلَى طَائِفَتِهِ﴾	٢٤	٩٠
﴿أَنَا صَبَّبْنَا إِلَهًُا صَبَّابًا﴾	٢٥	٩٠
٨١ - سورة التکویر		
﴿لَئِنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُم﴾	٢٨	١٧١
﴿وَمَا تَسْأَلُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾	٢٩	١٧١ ، ١٧٠
٨٢ - سورة الانفطار		
﴿وَلَا عَلَى كُفَّيْنِ﴾	١٠	٢٤٢
﴿كِرَامًا كَتِيبِينَ﴾	١١	٢٤٢
﴿يَتْلُونَ مَا يُغْمَلُونَ﴾	١٢	٢٤٢

الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿لَا يَنْفَعُ عَنْ تَتَابُعِهِمْ يَوْمَئِذٍ لِّمُحْضَرِّوهُمْ﴾	١٥	٢٠٤ ، ٢٠٣ ، ٢٠٠
٨٤ - سورة الانشقاق		
﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ بَيِّنَتِهِ﴾	٧	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿لَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَّسِيرًا﴾	٨	٢١٢ ، ٢١١ ، ١١
﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مُسْرِرًا﴾	٩	٢١٢
﴿وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْفَ وَدَّ ظَهْرِهِ﴾	١٠	٢١٢ ، ٢١١
٨٦ - سورة الطارق		
﴿يَنْظُرُ الْإِنْسَانُ نَفْسَهُ﴾	٥	٩٠
٨٧ - سورة الأعلى		
﴿الْأَعْلَىٰ﴾	١	١٠٦
٨٨ - سورة الفاشية		
﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾	١٧	٩٠ ، ٧٣
﴿وَالِى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾	١٨	٩٠ ، ٧٣
﴿وَالِى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾	١٩	٩٠ ، ٧٣
﴿وَالِى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾	٢٠	٩٠ ، ٧٣
٨٩ - سورة الفجر		
﴿وَبَهَاءِ رَبِّكَ وَالْمَلَكِ صَفًّا صَفًّا﴾	٢٢	١٥٢ ، ١٥٠ ، ١١
		٢٠٦
٩١ - سورة الشمس		
﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾	١٣	٦٤ ، ٤٧
٩٥ - سورة التين		
﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾	٤	١٧٠
٩٩ - سورة الزلزلة		
﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾	٧	١١

الآية	رقم الآية	الصفحة
١٠١ - سورة القارعة		
﴿فَأَمَّا مَنْ نَقَذَتْ مَوَازِينُهُ﴾	٦	٢١٠
﴿وَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ﴾	٧	٢١٠
﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ﴾	٨	٢١٠
﴿لَأُمِئْتَةٌ هَاجِرَةٌ﴾	٩	٢١٠
﴿وَمَا أَذْرَكَ مَا هَبَّةٌ﴾	١٠	٢١٠
﴿نَارٌ حَامِيَةٌ﴾	١١	٢١٠
١٠٧ - سورة الماعون		
﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَكْذِبُ بِاللَّيْنِ﴾	١	١٨٩
١١٢ - سورة الإخلاص		
﴿اللَّهُ الصَّمَدُ﴾	٢	٨٥
﴿لَمْ يَكُنْ لَكَ بَلَدٌ وَكَانَ يُولَدُ﴾	٣	٨٥
﴿وَلَمْ يَكُنْ لَكَ كُفُوًا أَحَدٌ﴾	٤	٨٥

٢ - فهرس الأحاديث

الحدث	الصفحة
- أَبْهَذَا أَمِرْتُمْ؟ أَمْ بِهَذَا أُرْسِلْتُ إِلَيْكُمْ؟ إِنَّمَا مَلَكَ ...	١٦٢
- أَتَأْنِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ ...	٨٣
- أَتَعَجَّبُونَ مِنْ دَقَّةِ سَاقِيهِ؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا فِي الْمِيزَانِ أَثْقَلُ مِنْ أَحَدٍ	٢١٠
- أَخْرَجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ	١٩٥
- أَخْرَجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيْمَانٍ	٢٢٤
- اذْعُ تُعَجَّبُ، وَصَلْ تُعْطَ	٨١
- أَرْوَاهُمْ فِي أَجْوَابِ طَيْرٍ خَضِرٍ، لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ، تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ ...	٢٣٦
- اسْمِ الْفَتَاتَيْنِ: مُنْكَرٌ وَنَكِيرٌ، وَأَنْهُمَا أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ	٢٣٩
- أَطْفِئُوا الْمَصَابِيحَ؛ فَإِنَّ الْقَوْنِسَةَ رُبَّمَا جَرَّتِ الْقَتِيلَةَ؛ فَأَخْرَقَتْ أَهْلَ الْبَيْتِ	١٧٦
- أَغْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ	٩٢
- اْعْمَلُوا؛ فَكُلُّ مُسِيرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ	١٦٢
- إِلَّا أَنْ تَرَوْا كُفْرًا بَوَاحًا، عِنْدَكُمْ مِنَ اللَّهِ فِيهِ بُرْهَانٌ	٢٥٩
- الْإِيْمَانُ أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَبِالْقَدَرِ خَيْرُهُ وَشَرُّهُ	٢٤١، ١٨٨، ١٥٦
- الْإِيْمَانُ بِضَعٍ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً ...	٢٢٤
- الْبَخِيلُ مَنْ دُخِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ	٨٣
- الْحَجَرُ الْأَسْوَدُ يَمِينُ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ	٦٤
- الظُّهُورُ شَطْرُ الْإِيْمَانِ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأَانِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ	٢١٠
- الْقُلُوبُ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ	١٠٣

الصفحة

الحديث

- ١١٩ - الْكَرْسِيُّ هُوَ عِلْمُ اللَّهِ
- ٢٤٨ - اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي! اللَّهُ اللَّهُ فِي أَصْحَابِي! لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَغْيِي ...
- ١٢١ - اللَّهُ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ٢٣٥ - اللَّهُمَّ، الرَّفِيقَ الْأَعْلَى
- ٨٥ - اللَّهُمَّ، أَنْتَ الْأَوَّلُ؛ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ؛ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ ...
- ٢٤٠ - اللَّهُمَّ، إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ
- ١٢٥ - الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ هُوَ الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَى
- ٢١٣ - الْمُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرَّيْحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْحَيْلِ وَالرِّكَابِ ...
- ١٨٤ - الْوَالِدُ أَوْسَطُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ؛ فَحَافِظٌ عَلَى وَالِدَيْكَ أَوْ أَتَرَكَ
- ٢٢١ - أَمْرَاءُ يَكُونُونَ بَغْيِي، لَا يَقْتَدُونَ بِهَدْيِي، وَلَا يَسْتَشُونَ بِسُنَّتِي ...
- ١٤٩ - أَمَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْءٌ؟
- ٨٧ - إِنَّ الشَّيْطَانَ يَأْتِي أَحَدَكُمْ، فَيَقُولُ: مَنْ خَلَقَ السَّمَاءَ؟ فَيَقُولُ ...
- إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ
- ٢٤٤ - مَلَائِكَةٌ ...
- ١٠٣ - إِنَّ الْعَرْشَ اهْتَرَأَ لِمَوْتِ سَعْدٍ
- ١٠٣ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ آدَمَ عَلَى صُورَتِهِ
- ١٦٣ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ صَانِعَ الْخَزَمِ وَصَنَعَتْهُ
- ١٦٣ - إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ كُلَّ صَانِعٍ وَصَنَعَتْهُ
- ٢٤٤ - إِنَّ اللَّهَ هُوَ قَدْ وَكَّلَ بِالرَّجَمِ مَلَكَ، فَيَقُولُ ...
- ١٠٤ - إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ يَدَهُ فِي جَهَنَّمَ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا مَنْ أَرَادَ
- ١٠٣ - إِنَّ اللَّهَ يَكْشِفُ عَنْ سَاقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٨٤ - إِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُصَلِّي عَلَى أَحَدِكُمْ؛ مَا دَامَ فِي مُصَلَّاهُ الَّذِي صَلَّى فِيهِ ...
- ٢٤١ - إِنَّ لِلْقَبْرِ ضِعْفَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
- ١٣٣، ٨٨، ٦٢ - إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا؛ مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ
- ١٤٣ - إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ
- ٢٣٩ - إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا
- ٢٧٠ - أَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي؛ فَإِذَا دُعِيتُ، أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ ...

- ١٨٠ - أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ
- إِنَّمَا نَسَمَةُ الْمُسْلِمِ طَيْرٌ يُعَلَّقُ فِي شَجَرِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَرْجِعَهَا اللَّهُ إِلَى جَسَدِهِ
إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
٢٣٦
٧٠ - إِنَّهُ لَمْ يَخْفَ عَلَيَّ مَكَانُكُمْ
٢٣٨ - إِنَّهُمْ الْآنَ يَسْمَعُونَ مَا أَقُولُ
٢٤٠ - إِنَّهُمَا لَيَعْلَبَانِ، وَمَا يَعْلَبَانِ فِي كَبِيرٍ
٦٤ - إِنِّي أَجِدُ نَفْسَ الرَّحْمَنِ مِنْ قِبَلِ الْيَمَنِ
٢١٤ - إِنِّي عَلَى الْخَوَاصِ حَتَّى أَنْظَرَ مَنْ يَرُدُّ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ نَاسٌ دُونِي...
٢٥٠ - أَوْصِيَكُمْ بِأَصْحَابِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
١٥١ - أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللَّهُ الْقَلَمَ
٢٥٩ - بَايَعْنَا رَسُولَ اللَّهِ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ؛ فِي مَنْشِطِنَا وَمَكْرَهِنَا...
٢٣٧ - تَخْرُجُ مِنْهُ كَأَنَّ رِيحًا، حَتَّى يَأْتُونَ بِهِ بَابَ الْأَرْضِ...
٢٠٣ - تُطَلَّبُ مِنْ آدَمَ الشَّفَاعَةُ فِي الْمَوْقِفِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَعْتَلِرُ مِنْهَا
١٥٩ - تَعَوَّدُوا بِاللَّهِ مِنْ جَهْدِ الْبَلَاءِ، وَدَرْكِ الشَّقَاءِ، وَسُوءِ الْقَضَاءِ، وَشَمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
٢٣٧ - تَقْبِضُ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ، وَتَرْقِي بِهِ إِلَى السَّمَاءِ، فَتَقُولُ...
٢٢٥ - تَمَكُّتْ كَذَا وَكَذَا يَوْمًا لَا تُصَلِّيَ اللَّهُ سَجْدَةً
١٩٥ - حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مِنْ أَهْلِ النَّارِ...
١٣٠ - حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَلَا حَرَجَ
٢٠٦ - حَدِيثُ الْإِتْيَانِ بِالْمَوْتِ فِي صُورَةِ كَبْشٍ أَمْلَحَ، فَيُدْبَحُ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
٢١٤ - حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاءُهُ أَيْضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ...
٢٦٩، ٢٤٥، ٢١ - خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ
١٢٣ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ...﴾
١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَضَعُ إِنْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَالَّتِي تَلِيهَا عَلَى عَيْنِهِ
١٠١ - رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ يَقْرَأُهَا، وَيَضَعُ إِيضًا
٨٣ - رَغِمَ أَنْفُ امْرِئٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْهِ
٦٤، ٤٧ - سَبَقَ مِنْ سُبُوفِ اللَّهِ؛ سَلَهُ اللَّهُ

الصفحة

الحديث

- ٨٤ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ، وَعَلَى جَسَدِ كُنْتَ تَعْمُرُهُ
- ٨١ - عَجَلْتَ أَيُّهَا الْمُصَلِّي
- ٢٥٨ - عَلَى الْمَرْءِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ...
- فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَجْلَسَ فِي قَبْرِهِ غَيْرَ فَرْعٍ، وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ
السُّوءُ...
- ٢٣٨ - فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُ، وَدُعَاءُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ، سَلِّمْ سَلِّمْ...
- ٢١٣ - فَتَوَضَّعَ السَّجَّاثُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ؛ فَطَاشَتِ السَّجَّاثُ
- ٢١٠ - فَحَمِدَ اللَّهُ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ
- ٦٩ - فَرَفَعَ لِي الْبَيْتَ الْمَعْمُورُ، فَسَأَلْتُ جِبْرِيلَ؟ فَقَالَ: هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ؛ يُصَلِّي
فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ...
- ٢٤٢ - فَضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ...
- ١٠٤ - فَطَاشَتِ السَّجَّاثُ، وَثَقَلَتِ الْبِطَاقَةُ
- ٢١٠ - فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الْإِنْتِهَارِ، فَيَسْتَهْرَانِيهِ وَيُجْلِسَانِيهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟
- ٢٧٧ - قَدْ تَرَكْنَكُمْ عَلَى الْإِيْضَاءِ لَيْلَهَا كَنَهَارَهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ...
- ٨٦ - كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ...
- ١٧٨ - كَانَ النَّبِيُّ يُنْعَثُ إِلَى قُوْبِهِ خَاصَّةً، وَيُنْعَثُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً
- ١٨٧ - كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ
- ١٧٨ - كَانَ يُكَاتِبُ النَّاسَ بِرِسَالَتِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِإِجَابَتِهِ عَلَيْهَا
- ١٧٦ - كَانَ يَنْفُخُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ (الْوَزْع)
- ١٩٥ - كُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ...
- ١٩٤ - كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ
- ٧٠ - كُلُّ خُطْبَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَضَهُدٌ، فَهِيَ كَالْيَدِ الْجَلْمَاءِ
- ١٥٦ - كُلُّ شَيْءٍ بِقَدَرٍ حَتَّى الْعَجْزُ وَالْكَيْسُ
- ٢٥١ - لَا تَخَيَّرُوا بَيْنَ الْأَنْبِيَاءِ
- ٢٥١ - لَا تَخَيَّرُونِي عَلَى مُوسَى

الحديث

الصفحة

- لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي؛ فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ
٢٥٠
- لَا يُغْنِي حَذَرَ مَنْ قَدَرِ
١٥٧
- لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى
٢٥١
- لَا يَنْبَغِي لِلْمُؤْمِنِ أَنْ يَدُلَّ نَفْسَهُ...
٢٦٣
- لَا يُؤْمِنُ عَبْدٌ حَتَّى يُؤْمِنَ بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ
١٥٩
- لَعَلَّ اللَّهَ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَنِي، فَقَالَ: ااعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ عَفَرْتُ لَكُمْ
١٨٤
- اللَّهُ أَفْرَحُ بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ مِنْ أَحَدِكُمْ؛ سَقَطَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَقَدْ أَصْلَهُ فِي أَرْضٍ
١٩٣
- فَلَا...
١٨٠
- لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي
١٧٦
- لَيَقْتَضِ اللَّهُ لِلشَّاءِ الْجَمَاءِ مِنَ الشَّاءِ الْقَرْنَاءِ
١١٢
- مَا السَّمَوَاتُ السَّنْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلَقَةِ مُلَقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ...
١١٩
- مَا السَّمَوَاتُ السَّنْعُ مَعَ الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلَقَةِ مُلَقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ...
١٨٠
- مَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي
٢٣٥
- مَا مِنْ رَجُلٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي؛ حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ
٧٦
- مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا وَيُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ؛ فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِيهِ أَوْ يَمَجْسَانِيهِ...
٧٩، ٧٧
- مَرُّوا أَوْلَادَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَهُمْ أَبْنَاءُ سَنِينَ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَيْهَا وَهُمْ أَبْنَاءُ
عَشْرِ...
١٨٢
- مَنْ بَدَّلَ دِينَهُ، فَاقْتُلُوهُ
٢٣٣
- مَنْ تَرَكَ مِنْهُمْ شَيْئًا خِيفَتَهُنَّ، فَلَيْسَ مِنَّا
٨٢
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا
٨٢
- مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ...
٢١٩
- مَنْ قَالَ لِأَخِيهِ: يَا كَافِرُ، فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا
١٤٣
- مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ
٢٣٩
- نَعَمْ؛ كَهَيِّئَتِكُمْ الْيَوْمَ
٢٣٨
- هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا؟
١٦٠
- وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ

الصفحة

الحديث

- وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَمِ يَهُودِيٍّ وَلَا
نَصْرَانِيٍّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ... ١٧٩
- وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ لَمْ تُذَيِّبُوا، لَلَّهَبَ اللَّهُ تَعَالَى بِكُمْ... ١٩٤
- وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لَاجِفُونَ ٢٢٨
- وَتُؤْمِنُ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ ١٥٩
- وَضَعَ إِنْهَامَهُ عَلَى أُذُنِهِ، وَسَبَّأَتْهُ عَلَى عَيْنِهِ ١٢٣
- وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، بِمِثْلِ أَوْ قَرِيبًا مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ
الدَّجَالِ ٢٣٩
- وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ ١٧٤
- وَمَا جَمِيعُ ذَلِكَ فِي قَبْضَةِ اللَّهِ إِلَّا كَالْحَبَّةِ... ١١٢
- وَيَحْكُ! أَتَذَرِي مَا اللَّهُ! إِنْ عَرْشُهُ عَلَى سَمَوَاتِهِ لَهَكَذَا... ٩٢
- وَيَحْكُ! أَتَذَرِي مَا تَقُولُ! ٩١
- وَيَحْكُ! إِنَّهُ لَا يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ؛ شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ
ذَلِكَ... ٩١
- وَيُضْرَبُ جِسْرُ جَهَنَّمَ ٢١٣
- يَا عَائِشَةُ، إِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَا وَكَذَا؛ فَإِنْ كُنْتَ بِرِيَّةً، فَسَيَرُّكَ اللَّهُ ٧٠
- يَتَعَرَّضُ مِنَ الْبَلَاءِ مَا لَا يُطِيقُ ٢٦٣
- يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ١٩٥
- يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ... ٢٢٤
- يَعِيشُ هَذَا الْعُلَامُ قَرْنًا؛ فَعَامَ مِائَةِ سَنَةٍ ٢٤٦
- يُنَادَى بِصَوْتٍ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُخْرِجَ مِنْ دُورِكَ بَعْنَا إِلَى النَّارِ ١٤٣
- يَنْزِلُ رَبُّنَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا ١٥٢
- يَنْزِلُ عِيسَى فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَيَقْتُلُ الدَّجَالَ وَالْخَنزِيرَ، وَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ... ١٨١

٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء

الصفحة	الآثر / القول
٦٧	إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم، أبو إسحاق الحربي - كان أهل البصرة أهل المريّة، منهم أصحاب الأهواء، إلا أربعة...
٢٤٥	إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور - لِمَلِكِ الموتِ أعوانٌ مِنَ الملائكة، يَتَوَقَّوْنَ عَنْ أمرِهِ
٢٧٢	- لو رأيتُ الصحابة يَتَوَضَّؤُونَ إِلَى الكُوعَيْنِ، لَتَوَضَّأْتُ كَذَلِكَ...
١٣٩	أبو إسحاق الفزاري - كافرٌ (القاتل بخلق القرآن)
٧١	أبو البختريّ - كُلُّ حَاجَةٍ لَيْسَ فِيهَا تَشْهَدٌ، فَهِيَ بَرَاءٌ
٢٠٠	أبو العباس بن طالب - كَانَ يَسْتَفْتِي حُطْبَةَ الْجُمُعَةِ بِإِثْبَاتِ رُؤْيَا اللَّهِ فِي الْآخِرَةِ
١٣٩	أبو بكر بن أبي أويس - أَكْفَرُ بِاللَّهِ بَعْدَ نَبِيِّ وَتَسْعِينَ سَنَةً، وَمَجَالِسَةُ مَالِكٍ؟
١٠٣	أبو بكر المروزي - رَأَيْتُ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ يُشِيرُ بِإِصْبَعِهِ إِصْبَعٍ
١٣٩	أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي الكوفي المقرئ الحنات - كَافِرٌ، وَمَنْ لَمْ يَقُلْ: إِنَّهُ كَافِرٌ، فَهُوَ كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن)
١٦٥	أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن عبد الله البصري - أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ عَلِيمُ الْحُجَّةِ...

الصفحة

الأثر/ القول

- أبو مالك الأشعري
١١٨ - الكُرَيْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي
٢٣٠ - أَدْعُو لَهُم بِالصَّلَاحِ
- ٧٨ - إِذَا أَصَبْتَ الْكُوفِيَّ صَاحِبَ سُنَّةٍ، فَهُوَ يَقُوقُ النَّاسَ
- ٢٥٠ - إِذَا رَأَيْتَ رَجُلًا يَذْكُرُ أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ بِسُوءٍ، فَاتَّهِمُهُ عَلَى الْإِسْلَامِ
- ٢٢٦ - إِذَا عَمِلْتَ الْخَيْرَ زَادَ، وَإِذَا ضَيَّعْتَ نَقَصَ
- ١٤١ - أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ، وَقَوْلُهُ الْحَقُّ، خَلَقَهُ خَلْقٌ، وَقَوْلُهُ بَاطِلٌ مِنْ خَلْقِهِ
- ٢٥٢ - أَعْطَى مَعَاوِيَةَ أَهْلَ الْمَدِينَةِ عَطَايَا مَا أَعْطَاهَا خَلِيفَةُ كَانَ قَبْلَهُ
- ٩٥ - أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ
- ١٤٤ - إِنَّ اللَّهَ تَكَلَّمَ بِالصَّوْتِ وَالْحَرْفِ
- ١٤٤ - بَلْ تَكَلَّمَ بِصَوْتٍ؛ هَذِهِ الْأَحَادِيثُ تُرَوَّى كَمَا جَاءَتْ
- ٢٤٨ - فَحُبُّهُمْ سُنَّةٌ، وَالِدُّعَاءُ لَهُمْ قُرْبَةٌ، وَالْإِقْتِدَاءُ بِهِمْ وَسِيلَةٌ (الصَّحَابَةُ)
- ٤٥ - فَاتَّلَهُ اللَّهُ! الْخَبِيثُ عَمَدَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، فَعَيَّرَهُ
- ١٤٦ - قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ لَمْ يَتَكَلَّمْ وَلَا يَتَكَلَّمْ، إِنَّمَا كَوَّنَ شَيْئًا، فَعَبَّرَ عَنِ اللَّهِ (الْجَهْمِيَّة)
- ٩٣ - قَالُوا: هُوَ شَيْءٌ لَا كَالْأَشْيَاءِ
- ١٠٣ - قَطَعَهَا اللَّهُ! قَطَعَهَا اللَّهُ!
- ٢٠٩، ٢٠٧، ١٥٣، ١٠٥ - قِفْ بِنَا عَلَى هَذَا الْمَتَخَرِّصِ
- ١٥٨ - كَانَ يُسَمَّى الْفَلَرُ: قُدْرَةُ اللَّهِ
- ٢٧١ - كَانَ يُشَدَّدُ فِي مَخَالَفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَفَهْمِهِمْ لِلْسُنَّةِ
- ١٥١ - لَا تَجْرِعْ أَنْ تَقُولَ: ذَلِكَ كَلَامُ اللَّهِ مِنَ اللَّهِ، وَمِنْ ذَاتِ اللَّهِ
- ٩٩ - لَا كَيْفَ، وَلَا مَعْنَى
- ٩٩ - لَا تُزِيلُ عَنْهُ صِفَةً مِنْ صِفَاتِهِ؛ لِشِنَاعَةِ شُنُئَتْ
- ١٤٨ - لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةِ (الْوَاقِفَةِ)
- ٢٤٩ - مَا أَرَاهُ عَلَى الْإِسْلَامِ
- ١٠٤ - مَا أَعْلَمُ أَنِّي حَدَّثْتُ بِهِ إِلَّا لِمُحَمَّدِ بْنِ دَاوُدَ الْمُصْطَيْبِيِّ

الصفحة

الأثر / القول

- ٢٥٦ - ما انتقص أحد من أصحاب النبي ﷺ إلا له داخله سوء
- ٢٢٢ - نعم؛ أعطه لعل الله ينفعه به
- ١٤٤ - نفى الصوت والحرف هو قول الجهمية
- ٢٢٦ - نقصانه بترك العمل
- ٢٥٤ - هذه الأحاديث ثورث الغل في القلب
- ٢٠٩ ، ٢٠٧ ، ١٥٣ ، ١٠٥ - يا هذا؛ رسول الله أغير على ربه منك...
- أحمد بن محمد بن زياد، أبو سعيد، ابن الأحرابي
- ١٤٨ - ما رأيت قوماً أكذب على اللغة من قوم يزعمون أن القرآن مخلوق
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب
- ١٣٨ - خرج الشك الذي كان يدخل في الكلام
- أرسطو طاليس بن نيقوماخوس بن ماثون
- لماذا كلما تجاوزنا المستوى المتوسط في الفلسفة، تملكتنا الأحزان، ولا زمتنا الأمراض
- ٦٠ -
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راهويه
- ١٥٤ - إن الله يقدر على أن ينزل ويصعد ولا يتحرك
- ١٣٤ - إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد...
- ١٥٠ - تحدث من العرش
- أسد بن الفرات
- ٢٠٢ - والله، لو أدخلت الجنة، فحجبت عن رؤية الله، لشككت...
- ١٤٧ - ونج أهل البدع؛ هلكت هوالكم؛ يزعمون أن الله خلق كلاماً...
- الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري
- ٦٢ - أهلكتهم العجبة؛ يتأولون القرآن على غير تأويله
- ٩٢ - نعم، بغير مثال
- الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي
- ١٦٥ - تبصر شيئاً من مخارج الكلام؟ قال: نعم...
- ٢٠١ - تجلّى: ظهر وبان

- صَدِّيُّ بن عجلان بن وهب، أبو أمانة الباهلي
٢٢٠ - رَحْمَةُ لَهُمْ؛ لَأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ
- القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبيد القاضي
٩٩ - إِذَا قِيلَ: كَيْفَ وَضَعَ قَدَمَهُ؟ وَكَيْفَ ضَحَكَ؟ قُلْتُ: لَا يُفَسِّرُ هَذَا...
٦٥ - لِأَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ لُغَةٌ، وَلِأَهْلِ الْحَدِيثِ لُغَةٌ، وَلِغَةُ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ أَقْبَسُ...
١٤٧ - لَوْ حَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ، فَقَرَأَ الْقُرْآنَ، لَمْ يَحْتَفَ
٩٩ - نَحْنُ نَرَوِي هَذِهِ الْأَحَادِيثَ، وَلَا تُرِيغُ لَهَا الْمَعَانِي
- الليث بن سعد بن عبد الرحمن الفهمي، أبو الحارث المصري
٩٥ - أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَائِلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
- المختار بن عوف الأزدي أبو حَمَزَةَ
٢٢١ - النَّاسُ مِنَّا وَنَحْنُ مِنْهُمْ، إِلَّا عَابِدٌ وَثَنٌ، أَوْ كَفَرَةٌ أَهْلُ الْكِتَابِ...
- النعمان بن ثابت الكوفي، أبو حنيفة الإمام
٥٨ - لَعَنَ اللَّهُ عَمْرَو بْنَ عُيَيْدٍ؛ فَإِنَّهُ فَتَحَ لِلنَّاسِ الطَّرِيقَ إِلَى الْكَلَامِ...
- الوليد بن أبان الكرابيسي
٥٩ - إِنِّي أَوْصِيكُمْ بِمَا عَلَيْهِ أَصْحَابُ الْحَدِيثِ؛ فَإِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ مَعَهُمْ
٥٩ - هَلْ تَعْلَمُونَ أَحَدًا أَعْلَمَ بِالْكَلَامِ مِنِّي؟
- الوليد بن مسلم
٩٥ - أَمَرُوهَا بِمَا كَيْفَ
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَائِلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ)
- جبله بن حمود الصديقي
٢٥٨ - جِهَادٌ هَؤُلَاءِ أَفْضَلُ مِنْ جِهَادِ أَهْلِ الشُّرْكِ
٢٥٨ - كُنَّا نَحْرُسُ عَدُوًّا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ الْبَحْرُ، وَالْآنَ حَلَّ هَذَا الْعَدُوُّ بِسَاحَتِنَا...
- حسان أبو المنذر
٢٦٦ - مَنْ خَالَفَ الْحَجَّاجَ، فَقَدْ خَالَفَ الْإِسْلَامَ

حمد يس

٢٦٣ - يُجَاهَدُ حَسَبَ مَقْدَارِ الْبِدْعَةِ الْوَاقِعَةِ مِنْهُ عَلَى الْمَرَاتِبِ الْمَشْرُوعَةِ

سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي القيرواني

٢٥٣ - أَفْضَلُ هَذِهِ الْأَمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ

٢٦٠ - أَلَّا تَخْرُجَ عَلَى الْأَمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا

٢٢٨ - قُلْ: مُؤْمِنٌ، وَلَا تَخْلِطْ مَعَهَا غَيْرَهَا

٢٠٠ - كَانَ يَلْفُظُ ابْنَ الْقَضَائِرِ فِي مَرَضٍ مَوْتِهِ أَنَّ اللَّهَ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ

٤٥ - مَا هَذَا الْقَلْقُ؟

سعيد بن المسيب بن حزن بن أبي وهب، أبو محمد المخزومي

٢٥٥ - لَقَدْ رَأَيْتُ عَلِيًّا وَعُثْمَانَ يَسْتَبَانِ سِبَابًا مَا أَخْبَرْتُ بِهِ أَحَدًا بَعْدَ

سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي

٩٥ - أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ

سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي

٢٧٤ - الْحَدِيثُ مَضَلَّةٌ إِلَّا لِلْفُقَهَاءِ

١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)

٩٥ - هِيَ كَمَا جَاءَتْ؛ تُقَرُّ بِهَا، وَتُحَدَّثُ بِهَا بِلاَ كَيْفٍ

سلمان الفارسي، أبو عبد الله

٢١٣ - الصُّرَاطُ إِنَّهُ كَحَدِّ الْمَوْسَى

٢٢٦ - لَوْ تَقَطَّعَتْ أَعْضَاءُ، مَا بَلَّغْتَ الْإِيمَانَ

شبيب الخارجي

٢٢٠ - مِنْ دِينِنَا قَتْلُ مَنْ كَانَ عَلَى غَيْرِ رَأْيِنَا؛ مِمَّا كَانَ أَوْ مِنْ غَيْرِنَا

عاصم بن أبي النجود

٢١٩ - وَاللَّهِ مَا أَعَزَّ هَذَا مِنْ دِينٍ، وَلَا دَفَعَ عَنْ مَظْلُومٍ

عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي الفقيه

٩٥ - أَمَرُوهَا كَمَا جَاءَتْ

- عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٢٧٤ - السُّنَّةُ الْمُتَقَدِّمَةُ مِنْ سُنَّةِ أَهْلِ الْمَدِينَةِ خَيْرٌ مِنَ الْحَدِيثِ
٥٩ - مَنْ طَلَبَ الْكَلَامَ، فَأَخَّرَ أَمْرَهُ زُنْدَقَةٌ
- عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
٢٠٢ - مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتُشِيبَ
٩٦ - هَذَا الْكَلَامُ هَذَمٌ بِلَا بِنَاءٍ، وَصِفَةٌ بِلَا مَعْنَى
- عبد الغني بن عبد الواحد بن علي، أبو محمد المقدسي
١٠٠ - بِلَا تَنْزِيهِ يُنْفِي حَقِيقَةَ التَّزْوِيلِ
- عبد الله بن أبي حسان
٢٥٧، ٢٥٢، ٤٢ - لَيْسَ هَذَا دِينٌ قُرَيْشِي، وَلَا دِينُ الْعَرَبِ؛ هَذَا دِينُ أَهْلِ قُمْ
٢٥٧ - وَاللَّهِ، لَا يَخْفَى عَلَيْنَا نَحْنُ مَنْ يَسْتَحِقُّ الْوَلَايَةَ بَعْدَ وَالِيْنَا...
- عبد الله بن إدريس
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبد الرحمن المروزي
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)
١٥٤ - يَنْزِلُ كَيْفَ شَاءَ
- عبد الله بن طالب، أبو العباس
٢٠٠، ١٢٢، ١٠٨، ٤٦ - الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي يُشْكِرُ عَلَى مَا بِهِ أَنْعَمَ...
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
١٥٧ - إِذَا جَاءَ الْقَدَرُ، حَالَ دُونَ الْبَصَرِ
١١٨ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ
١٥٧ - كَانَ يُسَمَّى الْقَدَرَ: نِظَامُ التَّوْحِيدِ
٨٤ - لَا أَعْلَمُ الصَّلَاةَ تَبْخِي مِنْ أَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ
٢٢١ - لَيْسُوا بِأَشَدَّ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى وَهُمْ يُضِلُّونَ (الْخَوَارِجُ)
١٧٨ - مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَتَنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ...
٩٤ - مَا فَرَّقَ هَؤُلَاءِ ١٢ يَجْلُونَ عِنْدَ مُحْكَمِهِ، وَيَهْلِكُونَ عِنْدَ مُتَشَابِهِهِ!

- عبد الله بن عثمان بن عامر التيمي، أبو بكر الصديق
٧٠ - تَشَهَّدَ فِي خُطْبَةٍ غَيْرِ الْجُمُعِ
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العدوي
٢٥١ - أَبُو بَكْرٍ وَاللَّهُ أَخِيرُ مِنْهُ، وَهُوَ وَاللَّهُ أَسْوَدُ مِنْ أَبِي بَكْرٍ
٢٨٢ - أَمَّا أَنَا، فَعَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّي، وَأَمَّا أَنْتَ، فَاذْهَبْ إِلَى شَاكٍّ مِثْلِكَ خَاصِمُهُ
٧٠ - جَمَعَ بَيْنَهُ وَاهْلَهُ فِي إِبْنَاتٍ بَيْعَتِهِ يَزِيدُ لَمَّا خَلَعَهُ النَّاسُ
٢٥١ - مَا رَأَيْتُ أَسْوَدَ مِنْ مُعَاوِيَةَ
٢٥٢ - مُعَاوِيَةُ أَسْوَدُ مِنْ عُمَرَ وَعُثْمَانَ
- عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل، أبو محمد السهمي
٢٣٨ - شَرُّ وَادِيَيْنِ فِي النَّاسِ: وَادِي الْأَحْقَافِ، وَوَادِي بِحَضْرَمَوْتَ يَقَالُ لَهُ: بَرَهُوتُ
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
١١٨ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَلَمَيْنِ
- عبد الله بن لُبَيْعَةَ بن عَقْبَةَ الحضرمي، أبو عبد الرحمن المصري القاضي
١٣٩ - كَافِرٌ (الْقَاتِلُ بِخُلُقِ الْقُرْآنِ)
- عبد الله بن محمد الضعيف
١٤٨ - قُعْدُ الْخَوَارِجِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَقُعْدُ الْجَهْمِيَّةِ هُمْ الْوَاقِفَةُ
- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن
١٤٣ - إِذَا تَكَلَّمَ اللَّهُ بِالْوَحْيِ، سَمِعَ صَوْتَهُ أَهْلُ السَّمَاءِ
١٦٢ - إِذَا دُكِرَ الْقَدَرُ، فَأَمْسِكُوا
٧١ - التَّشَهُُّدُ فِي كُلِّ حَاجَةٍ يَخْطُبُ لَهَا
- بَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا وَالَّتِي تَلِيهَا خَمْسُ مِائَةٍ عَامٍ، وَبَيْنَ كُلِّ سَّمَاءٍ خَمْسُ مِائَةٍ عَامٍ...
١٢٤ - عَبَّرَ عَنِ الْإِسْتِوَاءِ بِالْجُلُوسِ
٢١٣ - وَالصَّرَاطُ كَحَدِّ السَّيْفِ، دَخُضُ مَزَلَّةٍ
- عبد الله بن وهب بن مسلم، أبو محمد الفهري القرشي
٢٧٤ - كُلُّ صَاحِبٍ حَدِيثٍ لَيْسَ لَهُ إِمَامٌ فِي الْفَقْهِ، فَهُوَ ضَالٌّ...

الأنثر/ القول	الصفحة
- لولا أن الله أنقذنا بمالك والليث، لصللنا	٢٧٤
عبد الله بن يزيد المقرئ	
- يغني أن الله سميع بصير	١٠١
عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين	
- أموت على ما يموت عليه عجائز نيسابور	٥٩
عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري	
- إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاحكم عليه بالزئذقة	١٣٣
- جلست إلى أبي عمرو بن العلاء عشر حجج...	١٦٥
- هي كافرة بهذه المقالة	١٢٨
عبد بن سليمان الكلابي	
- كافر (القاتل بخلق القرآن)	١٣٩
عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني	
- أئمة القراء لا تعمل في شيء من حروف القرآن على الأفسى في اللغة، والأقبس في العربية	٦٥
عثمان بن هنان بن أبي العاص الأموي	
- تشهد في كلامه لما أقام الحد على الوليد بن عتبة	٧٠
عقبة بن نافع	
- اللهم، اشهد أنني قد بلغت المجهود، ولولا هذا البحر، لمضيت في البلاد	
أقاتل من كفر بك...	٢٢
علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي	
- أزوجو أن يكونوا هم؛ فإنهم سفكوا الدم الحرام	٢٢١
- تشهد في خطبة غير الجمع	٧٠
- خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، والثاني عمر رضي الله عنه	٨١
- شر واديين في الناس: وادي الأحقاف، ووادٍ بحضرموت يقال له: برهوت	٢٣٧
- صلى الله عليك	٨٤

- ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- ٨١ - يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ
- علي بن عاصم
- ١٣٩ - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن)
- علي بن عقيل، أبو الوفاء البغدادي
- ٦٠ - عُدْتُ الْقَهْقَرَى إِلَى مَذْعَبِ الْمَكْتَبِ
- عمر بن الخطاب بن نفيل، أبو حفص المدوني
- ١٢٦ - إِذَا جَلَسَ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى الْكُرْسِيِّ
- ٧٠ - تَشْهَدُ فِي خُطْبَتِهِ لَمَّا مَاتَ النَّبِيُّ
- سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ وَوَلَاةُ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ سُنَّتًا، الْأَخْذُ بِهَا تَصْدِيقٌ بكِتَابِ اللَّهِ،
- واستكمالٌ لطاعةِ اللَّهِ ...
- ٢٧٢ - قَدْ سُنَّتْ لَكُمْ السُّنَنُ، وَقُرِضَتْ لَكُمْ الْفَرَاقِصُ، وَتُرِكْتُمْ عَلَى الْوَاضِحَةِ ...
- ٢٧٦ - كُلُّ سَبِيلٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ غَيْرِ الْوَحْيِ، فَهُوَ بَاطِلٌ
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي
- ٢٨٠ - مَنْ جَمَلَ دِينَهُ غَرَضًا لِلْحُصُومَاتِ، أَكْثَرَ التَّنْقِلَ
- عمران بن الحصين
- ١٦٤ - أَرَأَيْتَ مَا يَعْمَلُ النَّاسُ الْيَوْمَ، وَيَكْدَحُونَ فِيهِ؛ أَشَيْءٌ قُضِيَ عَلَيْهِمْ ...
- عون بن يوسف الخزاعي
- ١٧٢ - إِذَا أَرَدْتُ أَنْ تَكْفُرَ الْقَدَرِيُّ، فَقُلْ لَهُ: مَا أَرَادَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ خَلْقِهِ؟
- قبيصة بن ذؤيب بن حلحلة، أبو إسحاق
- مَنْ قَالَ: مُحَدَّثٌ، فَهُوَ يَقُولُ
- إِنَّهُ مَخْلُوقٌ ...
- ١٥١
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني
- ٢٦٢ - أَدْرَكْتُ سَبْعَةَ عَشَرَ تَابِعِيًّا؛ فَمَا سَمِعْتُ أَنَّهُمْ قَامُوا إِلَى إِمَامٍ جَائِرٍ يَعْظُونَهُ
- ٢١٩ - أَرَأَاهُ فِي الْحَرُورِيَّةِ

الصفحة

الأثر / القول

- الاستواء معلوم، والكيف مجهول ٩٧، ١٢٧
- السَّبَبُ السَّيْفُ ٢٠٢
- العملُ أثبتُّ من الأحاديث ٢٧٣
- القَدَرِيَّةُ أَشْرُ النَّاسِ، ورَأَيْتُهُمْ أَهْلَ طَلَيْشٍ وَسَخَافَةٍ عَقُولٍ وَبِدْعٍ... ١٦٨
- القرآنُ كلامُ الله، وكلامُ الله منه، وليس من الله شيءٌ مخلوقٌ ١٣٨
- القرآنُ كلامُ الله، وكلامُهُ لا يَبِيدُ ولا يَفْضَدُ، وليس بمخلوقٍ ١٥٥، ١٣٨
- الله في السماء، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكانٍ... ١٠٧
- المِيزَانُ حَقٌّ ٢٠٩
- أَمْرُهَا كَمَا جَاءَتْ ٩٦، ٩٥
- أَمْسَكَ عَنِ التَّضْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ ٢٥٢
- إِنَّ التَّضَافُلَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ لَيْسَ مِنْ أَمْرِ النَّاسِ الَّذِينَ مَضَوْا... ٢٥١
- إِنَّ ظَنَنْتَ ذَلِكَ بِنَفْسِكَ، خِفْتُ أَنْ تَزِلَّ فَتَهْلِكَ... ٥٧
- أَهْلُ الْبِدْعِ الَّذِينَ يَتَكَلَّمُونَ فِي أَسْمَاءِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ... ٥٨، ٥٤
- أَهْلُ الذَّنُوبِ مُؤْمِنُونَ مَذْبُوحُونَ ٢٣٤
- إِيَّاكُمْ وَالْبِدْعَ ٥٤
- بَعْضُ الْإِيمَانِ أَفْضَلُ مِنْ بَعْضٍ ٢٢٧
- بَلَّغْنِي أَنَّ الْأَرْوَاحَ مُرْسَلَةٌ تَذْعَبُ حَيْثُ شَاءَتْ ٢٣٦
- تَوَفَّيْتُ حَفْصَةَ عَامَ فُتِحَتْ إِفْرِيقَةُ ٢٣
- رَأَيْتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ ٥٤
- قُلْ: مُؤْمِنٌ، وَلَا تَخْلُطْ مَعَهَا غَيْرَهَا ٢٢٨
- كَافِرٌ زَنْدِيقٌ، اقْتُلُوهُ (القائل بخلق القرآن) ١٣٩
- كَانَ ابْنُ مُرْمَرٍ رَجُلًا كُنْتُ أَحِبُّ أَنْ أَقْتَدِيَ بِهِ... ٥٧
- كَانَ يَحْذَرُ مِنْ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ مِنْ غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِلِسَانِ الْعَرَبِ ٦٢
- كَانَ يَشُدُّ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَا اللَّهِ ٢٠١
- كَانَ يَشُدُّ عَلَى مُنْكَرِي الْقَدَرِ، وَيَرَى أَنَّهُمْ يُسْتَأْذِنُونَ ١٥٨
- كَانَ يَشُدُّ فِي مَخَالَفَةِ قَوْلِ الصَّحَابَةِ وَفَهْمِهِمُ لِلشَّيْءِ ٢٧١

- ١٣٨ - كان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله
- كان يقال: لا تمكّن زائغ القلب من أدنيتك؛ فإنك لا تدري ما يغلّفك من ذلك
- ٢٨٠
- ٢٠٠ - كذبوا، بل تنظروا إلى الله؛ أما سمعت قول موسى...
- ٦٢ - لا أوتى برجل يفسر كتاب الله غير عالم بلغات العرب، إلا جعلته نكالا
- ١٠٣ - لا يتحدث به، وما يدعو الإنسان إلى الحديث بذلك...
- ١٦ - لا، ولكن يخبر بالسنة؛ فإن قيل منه، وإلا سكّت
- ٢٢٦ - ليس للإيمان منتهى؛ هو في زيادة أبدا
- ٢٧٩ - ليس هذا الجدل من الدين بشيء
- ٢٥٢ - ما أدركت أحدا أفتدي به يفضل أحدهما على صاحبه
- ٥٤ - ما قلت الآثار في قوم إلا ظهرت فيهم الأهواء...
- ٢٤٩ - من رمى عائشة، كفر، فقد خالف القرآن
- ٢٤٩ - من سب عائشة، قتل
- ٥٤ - من طلب الدين بالكلام، ترندق
- ١٢٣، ١٠٢ - من وصف شيئا من ذات الله؛ مثل قوله...
- ٢٧١ - هؤلاء يستتابون
- ١٠٠ - ولا يستكفون عما سكّت عنه الصحابة
- ٢٧٩ - ولقد قال رجل: لقد دخلت هذه الأديان كلها، فلم أر شيئا مستقيما...
- ٩٦ - يروونه بأعينهم
- ٢٠٠ - ينظرون إلى الله بأعينهم هاتين
- ٢٠١ - متقدمو المالكية كانوا يشددون على منكر رؤية الله
- مجاهد بن جبر المكي، أبو الحجاج المخزومي المقرئ
- ١٢٤ - يقعدُه معه على العرش
- محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي
- ١٠٤ - سبحانه الله! شيء منه مخلوق!
- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
- ١٤٤ - إن الله تكلم بالصوت والحرف

الآثر/ القول	الصفحة
- صوت الله لا يُشبه صوت الخلق	١٤٤
- صوت الله يُسمع من بُعد، كما يُسمع من قرب	١٤٤
محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني	
- كان أبو حنيفة يَحُثُّنا على الفقه، وينهانا عن الكلام	٥٨
محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القيرواني	
- أَرَأَيْتَ كُلَّ مَخْلُوقٍ:	
- هل يَذِلُّ لخالقه؟	١٤٦
- الإقرارُ غيرُ مخلوق، وما سوى ذلك من الأعمالِ مخلوقة	١٦٣
- لا أقولُ ما قالَتِ المُرَجِّئةُ: لا تُضَرُّ الذنوبُ مع التوحيد	٢٣٢
محمد بن عبد الكريم، طراز الشريعة الشهرستاني	
- عليكم بدين العجايز	٦٠
محمد بن عبد الله الأنديلي، أبو عبد الله، ابن أبي زمنين	
- الكرسيُّ موضعُ القلَمَينِ	١١٨
محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي	
- عبَّرَ عن الاستواء بالقعود	١٢٥
محمد بن علي بن عمر التميمي المازري	
- وبؤدي لو مَحَوْتُ هذا من هذا الكتاب بما بَصَرِي	١٦٧
محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي	
- لقد اختَبَرْتُ الطُّرُقَ الكلاميةَ، فما رأيتُ فيها فائدةً تساوي فائدةَ القرآنِ العظيمِ	٦٠
محمد بن مسلم بن عبد الله بن عبيد الله، ابن شهاب الزهري	
- أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَثَلِكُمْ وَمَثَلِ هَذِهِ؟ كَمَثَلِ عَيْنَيْنِ فِي رَأْسِ يُودِيَانِ صَاحِبَيْهِمَا...	٢٥٥
- أَمِرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ	٩٥
مصعب بن عبد الله بن مصعب، أبو عبد الله الزبيري	
- رأيتُ أَهْلَ بَلَدِنَا يَنْهَوْنَ عَنِ الْكَلَامِ فِي الدِّينِ	٥٤

- مقاتل بن سليمان الأزدي البلخي الخراساني
 - شرُّ واديين في الناس: وادي الأحقاف، ووادٍ بحضرموت يقال له: بَرْهُوت ٢٣٨
- مكحول بن عبد الله، أبو عبد الله الشامي
 - أَمُرُوا الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ ٩٥
- هاني بن مسعود الشيباني
 - إِنَّ الْحَذَرَ، لَا يُنْجِي مِنَ الْقَذْرِ ١٥٧
- هشيم بن بشير
 - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي
 - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- نُسَلِمَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ كَمَا جَاءَتْ، وَلَا نَقُولُ: كَيْفَ؟ وَلَمْ جَاءَ هَذَا؟ ٩٥
- وهب بن منه بن كامل البعاني، أبو عبد الله الأبنوي
 - الْكُزْمِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ ١١٨
- يحيى بن زكريا
 - كَافِرٌ (القاتل بخلق القرآن) ١٣٩
- يحيى بن سعيد القطان
 - مَا أَدْرَكْتُ أَحَدًا مِنْ أَصْحَابِنَا إِلَّا عَلَى سُنَّتِنَا فِي الْإِيمَانِ ٢٢٥
- يزيد بن هارون
 - مَنْ زَعَمَ أَنَّ الرَّحْمَنَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى عَلَى خِلَافٍ مَا يَقْرَأُ فِي قُلُوبِ الْعَامَّةِ... ٩٦
- وَيَلْكَ مَنْ يَكْذِبُ كَيْفَ هَذَا؟ ١٠٠
- يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
 - الْقَدَرُ لَا يُدْرِكُ بِجَدَالٍ، وَلَا يَشْفِي مِنْهُ مَقَالٌ ١٦٢
- يونس بن حبيب
 - لَا فِكْرَ لِي فِيهِ ١٦٥

٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الأبيات

يَا عِبْلَ أَنْتَ مِنَ الْمَنِيَّةِ مَهْرَبِي	إِنْ كَانَ رَبِّي فِي السَّمَاءِ قَضَاءَهَا ١٥٧
مَجْدُوا اللَّهَ وَغَوَّ لِلْمَجْدِ أَهْلُ	رُبُّنَا فِي السَّمَاءِ أَمْسَى كَبِيرًا ١٢٢
بِالْبِنَاءِ الْأَعْلَى الَّذِي سَبَقَ النَّا	سَ وَسَوَّى فَوْقَ السَّمَاءِ سَرِيرًا ١٢٢
وَالْقَوْلُ فِي كِتَابِهِ الْمُفْصَّلِ	بِأَنَّهُ كَلَامُهُ الْمُنَزَّلُ ١٤٧
مَا لِي بِأَمْرِكَ كُرْمِي أَكَاتِمُهُ	وَلَا يُكْرِمُنِي عِلْمَ اللَّهِ مَخْلُوقُ ١١٩
عَلَى رَسُولِهِ النَّبِيِّ الصَّادِقِ	لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ وَلَا بِخَالِقِ ١٤٧
وَالْوَقْفُ فِيهِ بِذَعَةِ مُضِلَّةٍ	وَمِثْلُ ذَاكَ اللَّفْظِ عِنْدَ الْجِلَّةِ ١٤٧
.....	إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا ١٥٧
مَنْ قَالَ فِيهِ إِنَّهُ مَخْلُوقُ	أَوْ مُخَلِّدٌ فَقَوْلُهُ مُرُوقُ ١٤٧
وَأَنَا سَوْفَ تُذَرِّكُنَا الْمَنَايَا	مُقَلِّدَةً لَنَا وَمُقَلِّدِينَ ١٥٧

٥ - فهرس المصطلحات

الصفحة	المصطلح	الصفحة	المصطلح
١٤٨	- الواقعة	١ - فهرس المصطلحات العقيدية	
٢٣٩	- حياة البرزخ	والفكرية	
١٩٧	- شفاعَةُ النجاة والسلامة	١٣٥	- إضافة التشريف
١٩٧	- شفاعَةُ تخفيفِ العذابِ	١٣٥	- إضافة الصَّفَةِ
١٩٨	- شفاعَةُ دخولِ الجَنَّةِ	١٣٣	- الأسماء الحسنى
١٩٨	- شفاعَةُ رفعِ الدرجاتِ	٢٤٩	- البَذْعَةُ المكْفَرَةُ
١٩٧	- شفاعَةُ زوالِ العَذَابِ	٢٦٩	- السلف الصالح
٨٩	- مائِةُ الشيءِ	٢١٣	- الصراط
١١٣	- مقالة التأويل	٨٦	- الكُنه
	٢ - فهرس المصطلحات الأصولية	١٢٠	- المرفوع حكما
٢٤٧	- الصحابي	٢٤٢	- الملائكة الحَفَظَةُ

٦ - فهرس القواعد والكتليات

الصفحة

القاعدة/ الكتلية

١ - فهرس قواعد المعرفة ومشارك النظر

- ١٥ - الجدال والمراء الزائد يُورث العناد والمكابرة
- ٢٧٨ - الجدال والمراء ليس طريقاً موصلاً إلى الحق بذاته
- ٢٢٣ - العالم المنصف لا يتكلم بما تُحبه كل فئة في خصمها
- ١٦١ - العقول إنما تبحث في مُمكنات الإدراك العقلي، لا في مُحالاته
- ٥٠ - الموافقة في مسائل لا تعني الموافقة في الأصول
- ٨٧ - النّهْي عن الخوض فيما لا يُدركه العقل
- ٢٢٦ - إمكان الشيء شيء، وحصوله شيء آخر
- ٢٧٨ - أهلك أصحاب العقول استحسناتهم رأيهم، وهجر النص
- ١٦ - إيضاح الحق بلا جدال أقرب إلى القبول
- ١٥ - بيان الحق يكون من أصوله، بلا جدال ولا مراء
- ١٩ - فضل العلوم بفضلي المعلوم
- ١٢٧ - كل ما لا مجال للعقل فيه، فلا يجوز الخوض فيه
- ٢٢٣ - كم تأذى الحق، بمحاباة الخلق
- ٢٧٥ - لا تنتشر البدع إلا عند من عطل الأثر
- ٩٩ - لا يُقر من باطل إلى باطل
- ٥٠ - ليس الثناء ولا التلمذة تُدخل أحداً في مذهب أحد
- ١٣٥ - ليس في القرآن ما لا يفهم معناه البتة
- ١٨٧ - ما فهمه الصدر الأول من القرآن هو مراد الله فيه
- ١٠٣ - ما كل صحيح يصحّ التحديث به
- ٢٧٨ - متى بان الحجة، واتضح الدليل، وجب اتباعه والعمل به

- ٢١٥ - مِنْ أَعْظَمِ الْبِدْعِ وَالضَّلَالِ أَنْ يُرَدَّ الدَّلِيلُ بِالنَّظَرِ
- ٢٧٥ - مَنْ جَهِلَ الْأَثَرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ
- ٢٠ - مَنْ عَقَلَ الْعَقْلَ، فَسَدَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ عَقَلَ النُّقْلَ، فَسَدَ دِينُهُ
- ١٦١ - نَهَى اللَّهُ عَنِ الْخَوْضِ فِيمَا لَا سَبِيلَ لِإِدْرَاكِهِ
- ١٦ - يَجِبُ بَيَانُ الْحَقِّ بِحُجَّتِهِ بِمَا يَفْهَمُهُ السَّامِعُ وَالْقَارِئُ بِلَا تَكْلُفٍ
- ٥٣ - يُرِيدُ الْأَثَرَ الْعَقْلَ إِلَى الْوُقُوفِ عَلَى مَا لَا يُحِيطُ بِهِ

٢ - فهرس قواعد العقائد

- ١ - فهرس قواعد الإلهيات
- ١١٢ ، ١٠٢ ، ٩٧ ، ٨٨ ، ٨٦ ، ٤٥ - ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾
- ١٤٦ ، ١٣٦ ، ١٣٤ ، ١٣٠ ، ١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢١ ، ١١٩ ، ١١٧
- ٢٠٧ - إثبات أفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة
- ٩٧ - إثبات الحقائق والمعاني الصحيحة ليس منقياً
- ٨٦ - إثبات الصفات لله إثبات للوجود والحقيقة والكيفية
- ٦١ - إثبات الصفة لا يعني تشبيهاً؛ ونقي الكيف لا يعني تعطيلاً
- ١٣٦ - إثبات الصفة للخالق لا يعني مشابهتها لصفة المخلوق
- ١٢٨ - إذا اختلفت لوازم الذات، اختلفت لوازم الصفات
- ١٣٠ - الأصل ألا تثبت الأسماء والصفات لله إلا بما ثبت في الوحيين
- ١٥٤ - الإمساك عن الزيادة على النص أحوط
- ١٦٤ - التشبيه المتوهم أصل ضلال الفرق في الله
- ٨٨ ، ٦٢ - التفكير في الأسماء يؤدي لمعرفة معناها وآثارها، والعمل بمقتضاها
- ٥٩ - الحق أن تؤخذ مسائل الصفات والغيبيات على ظاهرها
- ٦٥ - السنة تقضي على اللغة، واللغة لا تقضي على السنة
- ٤٧ - السياق مُحْكَمٌ في إثبات الصفات
- ٤٤ - الفقه في الكلام الجَهْلُ بِهِ
- ١٦١ - القدر من أسرار الله التي لا يجوز الخوض فيها بغير شرع
- ٩ - الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبه له، ولا نظير له
- ١٠٥ - الله تعالى لا يُشَبِّهُهُ شَيْءٌ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ

الصفحة

القاعدة/ الكلية

- ٨٦ - الله ليس له مثلٌ يُكَيَّفُ عليه، ولا شَيْءٌ يُقَاسُ عليه
- ٩٨ - تركُ حقائقِ النصوصِ وَمَعَانِيهَا الصحيحةِ هلاكٌ
- ٩ - تَعَالَى اللهُ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُخَدَّنَةً
- ١٢٧ - ذاتُ اللهِ وصفاتهُ يَكْتَفِي فيها بِالْقَدْرِ الْوَارِدِ فِي السَّمْعِ
- ١٣٢ - كُلُّ اسْمٍ لَهُ مَعْنَى يَثْبُتُ لَهُ الْاسْمُ وَالْمَعْنَى جَمِيعًا
- ١١٢ - كُلُّ مَا أَخْبَرَ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ بِجَبِّ إثباته على الحقيقةِ
- ١٢٤ - لا نَسْمِيهِ، ولا نَصِفُهُ، ولا نُطَلِّقُ عليه، إِلَّا مَا سَمَى بِهِ نَفْسُهُ
- ٨٦ ، ٩ - لا يَتْلُغُ كُنْهَ صِفَتِهِ تَعَالَى الْوَاصِفُونَ، وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِهِ الْمُتَفَكِّرُونَ
- ١١٩ - لا يجوزُ تَكْيِيفُ فِعْلٍ لِلَّهِ
- ٦١ - لا يَحْمِلُكَ خَوْفُ التَّشْبِيهِ عَلَى النَفْيِ، ولا خَوْفُ التَّأْوِيلِ عَلَى التَّشْبِيهِ
- ١٢٩ - لا يَزَالُ اللهُ تَعَالَى عَلَى كَمَالِهِ، لا يَغْيَرُهُ الزَّمَانُ
- ١٢٧ - لا يَكُونُ الْكَيْفُ إِلَّا لِمَا لَهُ حَقِيقَةٌ
- ٩٢ ، ٩٣ ، ١٢٢ ، ١٢٦ - لا يَلْزَمُ من إثباتِ حَقِيقَةِ الصِّفَاتِ التَّشْبِيهُ
- ١٣٠ ، ١٣٤ ، ١٣٦ ، ٢٠٨
- ٩ - اللهُ تَعَالَى الْأَسْمَاءَ الْحُسْنَى، وَالصِّفَاتِ الْعُلَا
- ٩ - لَمْ يَزَلِ اللهُ تَعَالَى بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ
- ١١٢ - لو خَلَّتْ أَذْهَانُ الْمُعْظَلَةِ مِنَ الْقِيَاسِ، لَخَلَّتْ مِنَ التَّعْطِيلِ
- ١٣٢ - لَيْسَ اللهُ تَعَالَى مَنْ يُشَابِهُهُ فِي أَسْمَائِهِ
- ٩٨ - لَيْسَ مِنَ السَّلَامَةِ تَرْكُ مُرَادِ اللهِ فِي كَلَامِهِ
- ١٣٠ - لَيْسَتْ الْعُقَائِدُ مِنَ مَوَارِدِ النَّزَّاعِ
- ٦٥ - مَا خَالَفَتْ مَا أَجْمَعَ عَلَيْهِ السَّلَفُ مِنَ الْمَعَانِي، فَهُوَ فَاسِدٌ
- ١٢٧ - مَا دَلَّ السِّيَاقُ عَلَى حَقِيقَتِهِ تُثْبِتُ حَقِيقَتَهُ
- ١٣٥ ، ٤٧ - مَجْرَدُ الْإِضَافَةِ لَا تُثْبِتُ إِثْبَاتَ الصِّفَةِ
- ١٣٠ - مَسَائِلُ الْغَيْبِ مَرْدُّهَا إِلَى عِلْمِ اللهِ؛ لَا مَجَالَ فِيهَا لِلْاجْتِهَادِ وَالنَّظَرِ
- ٤٤ ، ٦١ ، ٨٨ - مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخَيَّرِ اللهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ
- ١٣٠ ، ١٢٨ - مَنْ كَانَتْ ذَاتُهُ لَا شَيْءَ لَهَا، فَصِفَاتُهُ لَا شَيْءَ لَهَا
- ١٥٧ - مِنْ كَمَالِ الْمَخْلَقِ كَمَالُ عِلْمِهِ

- ١٣٠ - مَنْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي ذَاتِهِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ فِي صِفَاتِهِ
- ٦١ - مَنْعُ الْإِسْتِرْسَالِ فِي التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
- ٨٦ - وَاجِبُ الْعُقُولِ الْوَقُوفُ فِي إِثْبَاتِ الصِّفَاتِ عَلَى التَّصَوُّصِ
- ٨٧ - يَجِبُ الْإِمْسَاكُ عَنِ التَّفَكُّرِ فِي كَيْفِيَّةِ ذَاتِ اللَّهِ وَصِفَاتِهِ
- ٢٧٥ - يَسْعُنَا أَنْ نُنْسِكَ عَمَّا أَمْسَكَ عَنْهُ السَّلَفُ
- ٩ - يَغْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاهِيَّةِ ذَاتِهِ
- ٢ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ النُّبُوَاتِ
- ٢٠١ - الْأَنْبِيَاءُ لَا يَسْأَلُونَ الْمَحَالَ؛ بَلِ الْمُمَكِّنَ
- ٣ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ السَّمْعِيَّاتِ
- ٢١٤ - لَيْسَ فِي صَرِيحِ الْعَقْلِ مَا يُحِيلُ الْغَيْبَاتِ
- ٢١٤ - مَا ثَبَتَ بِالنَّصِّ مِنَ الْغَيْبَاتِ لَا يَجُوزُ إِنْكَارُهُ بِالْعَقْلِ
- ٢ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ
- ١ - فِهْرَسُ الْقَوَاعِدِ الْأَصُولِيَّةِ الْكُبْرَى
- ٧٩ - الْإِهْتِمَامُ فِي الشَّرِيعَةِ يَكُونُ لِلْأَهَمِّ وَالْأَعْظَمِ
- ٢٦٥ - الطَّاعَةُ بِالْمَعْرُوفِ لَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ
- ١٣١ - الْفُرُوعُ مَحَلُّ رَأْيٍ وَاجْتِهَادٍ
- ٢١ - أَنْزَلَ اللَّهُ الْوَحْيَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ
- ٢٧١ - كُلُّ شَيْءٍ لَا تَنْتَهِي إِلَى الصَّحَابَةِ يُتَوَقَّفُ فِيهَا
- ٢٦١ - يَجِبُ تَغْلِيْبُ صِلَاحِ الدِّينِ عَلَى صِلَاحِ الدُّنْيَا عِنْدَ التَّرَاحُمِ
- ٧٣ - يَنْهَى اللَّهُ عَنْ شَيْءٍ، ثُمَّ يُبَيِّنُ سَعَةَ الْحَلَالِ
- ٢ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ الْحُكْمِ الشَّرْعِيِّ
- ٧٩ - الصَّبِيُّ غَيْرُ مَكْلُفٍ
- ٣ - فِهْرَسُ قَوَاعِدِ الْأَدْلَةِ
- ٢٧٢ - إِذَا ثَبَتَ إِجْمَاعُ التَّابِعِينَ، فَلَا يَجُوزُ الْخُرُوجُ عَنْهُ
- ٢٧١ - إِذَا صَحَّ إِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ، فَلَا تَجُوزُ الْمَنَازَعَةُ فِي ذَلِكَ
- ١٣٢ - الْأَصْلُ فِي مَرَايِلِ التَّابِعِينَ التَّوَقُّفُ

الصفحة

القاعدة/ الكلية

- ١٣٢ - قول التابعي لَيْسَ حُجَّةً مقطوعةً في الفروع والأصول
- ٢٧٢ - لا يجوز استنباط حكم يُخَالِفُ قول أهل الصدر الأول
- ٤ - فهرس قواعد دلالات الألفاظ
- ١٣٧ - إذا أَكَّدَ الفعلُ بالمصدر، لم يُحْمَلْ إلا على الحقيقة
- ١٤٥ - إذا تَدُلُّ على المستقبل
- ٦٥ - الاصطلاح والوضع الشرعيّ مقدّم على الوضع اللغوي
- ٤٧ - السياق مُحْكَمٌ في تفسير النصوص
- ١٠٤ - سياقات الكلام لا بُدَّ مِنْ مَعْرِفَتِهَا لتمييز الألفاظ
- ١٢٦ - على تَدُلُّ على العلوّ والفرقيّة
- ١٣٢ - كلُّ اسم له معنى يَثْبُتُ له الاسمُ والمعنى جميعاً
- ٦٥ - لا يجوز تقديم الوضع اللغويّ على الوضع الشرعي
- ٢٧٥ - مَا تَأَوَّلَهُ السَّلَفُ تَأَوَّلْنَاهُ، وَمَا عَمِلُوا بِهِ عَمِلْنَا بِهِ
- ١٠٠ - معرفة سياقات كلام الأئمة مفسرة لألفاظهم المتباينة في الاستعمال
- ٦٤ - يجب اعتبار السياق والقرائن وأحوال المتكلم والمخاطب
- ١٤٩ - يُطْلَقُ العموم في القرآن وله ما يخصُّهُ مِنَ الْحِسِّ وغيره
- ٥ - فهرس قواعد التعارض والترجيح
- ٢٧٦ - كلُّ نزاعٍ وخلافٍ في الدِّينِ يجبُ رَدُّهُ إلى الوحي
- ٢٧٥ - لَا تُعَارَضُ السُّنَنُ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافَعُ بِقِيَاسٍ
- ٦ - فهرس قواعد الاجتهاد والتقليد
- ٢٧٨ - الْمُجْتَهِدُ فِي الْأَحْكَامِ مَأْجُورٌ وَإِنْ أَخْطَأَ
- ٤ - فهرس القواعد الحديثية
- ١٣٢ - الأصل في مراسيل التابعين التوقف
- ١٣٢ - قول التابعي لَيْسَ حُجَّةً مقطوعةً في الفروع والأصول
- ٥ - فهرس العلل والحكم على الحديث والأثر
- ٨٣ - أَتَانِي جَبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ...
- ٧١ - الأحاديث الواردة في الأمر بالبداءة بالبسملة والحمدلة معلولة

الصفحة

القاعدة/ الكلية

- ١١٩ - الكرسي عِلْمُ اللَّهِ
- ١٢٠ - الكرسي قُدْرَةُ اللَّهِ
- ٢٤١ - إِنَّ لِلْقَبْرِ ضَعْفَةً، لَوْ كَانَ أَحَدٌ نَاجِيًا مِنْهَا، لَنَجَا سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ
- ٨٣ - حديث الصلاة على النبي عند دخول المسجد، وعند الخروج منه
- ٢١٤ - دَقَّةُ الصِّرَاطِ ليس فيها شيء مرفوع
- ١٢٤ - عَبَّرَ عن الاستواء بالجلوس
- ٢١٠ - لَا يَثْبُتُ فِي حَجْمِ الْمِيزَانِ حَدِيثٌ
- ١١٢ - مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ، إِلَّا كَحَلَقَةٍ مُلْقَاةٍ بِأَرْضٍ فَلَاةٍ...
- ٢٢٢ - وَإِنْ خَالَفُوا إِمَامًا جَائِرًا فَلَا تَقَاتِلُوهُمْ (الخوارج)
- ٦ - فهرس القواعد والضوابط الفقهية
- ٢٥٩ - تَكُونُ طَاعَةُ الْإِمَامِ بِمَا يُقِيمُ الدُّنْيَا
- ٧ - فهرس الفروق
- ٤٢ - الْفَرْقُ بَيْنَ أَهْلِ الْحَدِيثِ وَأَهْلِ الْكَلَامِ

٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
ابن أبي زيد القيرواني	
- تقويم القول بانتمائه إلى المنهج الأشعري	٣٩
- ثناؤه على ابن كُلاب	٣٨
- ثناؤه على أبي الحسن الأشعري	٣٧
- دفاعه عن منهج السلف ومذهبهم	١٦
- رده على ابن مسرة الجبلي الفلسفة المشائية	٣٢
- رده على أبي القاسم البكري الفكر الإشراقي الصوفي	٣٢
- رده على أبي طالب شيخ المعتزلة	٣٢
- رده على الظاهرية	٣٠
- رده على علي بن أحمد البغدادي داعية الاعتزال	٣٦
- مكاتباته إلى أبي بكر الباقلاني في الكرامات عند المعتزلة	٣٢
- موقفه من قضية الأسماء والصفات	٣٩
ابن تومرت	
- مذهبه العقدي بين الأشاعرة والمعتزلة	٥٢
أبو المعالي الجويني	
- استحل إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله	٤٣
- القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عند	٤٣
- فعل العبد واقع بقدرته قطعاً	٤٣
- قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله	٤٣
- مخالفته بعض أصول المنهج الأشعري	٤٢

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
أحاديث الصفات	
- رواية الأئمة إياها، واحترأهم من سوء فهمها	١٠٠
أدب التأليف	
- بيان سبب تأليف الكتاب	٧٤
أشراط الساعة	
- الأحاديث الواردة فيها	١٩١
- أنواعها	١٩١
أفعال العباد	
- خَلَقَهَا	١٦٢
الإرادة	
- تَعَالَى اللَّهُ أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ	١٠
الاستواء على العرش	
- إثباته	١٢١
- الاستواء على العرش	١١٣
- التعبير عنه ببعض لوازمه	١٢٦
- حقيقته	١٢١
- حكاية الإجماع على إثباتها	١١٣
- سبب تأويله	١٢٨
- معناه في اللغة	١٢٥
- من شبهات بعض من عَظَّلَهَا	١٠٩
- مواضع ذكره في الكتاب الكريم	١٢١
- يجب إثبات الاستواء حقيقة، وتفويض كَيْفِيَّتِهِ	١٢٧
الإسلام	
- الإسلام وحرية الدين	١٨١
الإسلام والإيمان	
- الإسلام أَوْسَعُ دائرة من الإيمان	٢٢٨

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- العلاقة بَيْنَهُمَا	٢٢٨
الاسم والمسمى	
- العلاقة بَيْنَهُمَا	١٣٣
الأسماء الحسنى	
- إثباتها	١٣٢
- معنى إحصائها	١٣٢
الأسماء والأحكام	
- أَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ	١٢
- الْإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَ الصَّحَابَةِ	١٢
- التَّكْفِيرُ بِالذَّنْبِ، وَأَحْوَالُ الطَّوَائِفِ	٢٣٣
- الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلِمَنْ أَعْلَعُمَا اللَّهُ	٢٠٣
- حُكْمُ اتِّبَاعِ دِينٍ غَيْرِ الْإِسْلَامِ	١٧٩
- حُكْمُ أَصْحَابِ الْكِبَائِرِ	١٩٤
- حُكْمُ مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَتُبْ مِنْ ذَنْبِهِ	١٩٤
- خَيْرُ الْقُرُونِ الَّذِينَ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ	٢٤٥، ١٢
- ضَاعَفَ اللَّهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْحَسَنَاتِ، وَصَفَحَ لَهُمْ بِالثُّبُوتِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ	١١
- لَا يُحِيطُ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْكُفْرُ وَالشِّرْكُ	٢٣٣
- لَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنَ الصَّحَابَةِ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ	١٢
- لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ	١٢
- مَصِيرُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ مِنْ عَصَاةِ الْمُسْلِمِينَ	١٩٥
- مَنْ حَمَلَ غِيظًا فِي قَلْبِهِ عَلَى الصَّحَابَةِ كَافِرٌ	٢٤٩
- مَنْ طَعَنَ فِي عِرْضِ عَائِشَةَ كَفَرَ	٢٤٩
- مَنْ طَعَنَ فِي مَنْ تَوَاتَرَ فَضْلُهُ كَفَرَ	٢٤٩

الأسماء والصفات

- ١١ - إثبات رؤية المؤمنين ربهم في جنات النعيم
- ١٢٩ - إثباتها
- ٦١ - اعتقاد السلف فيها
- ١٠٢ - الإشارة باليد عند الحديث عن صفات الرب
- ٨٧ - الإمساك عن التفكر في كيفية الصفات المَعْلَا
- التحذير من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من
- ١٢٢ - الإشارة والكلام
- ٨٥ - الله هو الأول؛ فليس قبله شيء، وهو الآخر؛ فليس بعده شيء
- ٩٦ - إمرار نصوص الصفات لا يُنافي الإقرار بحقيقتها
- ٨٨ - أنواع ظاهر الصفات
- ١٢٩ - قديمها
- ١٢٩ - كونها غير مخلوقة
- ٨٦ ، ٩ - لا يبلغ كنه صفته تعالى الواصفون، ولا يحيط بأمره المتكبرون
- ١٣٠ - ما ورد منها عن الصحابة والتابعين
- ٣٥ - مذهب متقدمي المقاربة فيها
- ١١١ - نفى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق

الأشاعرة

- ١٧٢ - تأثرهم في القول بالكسب بالضرارية والتجارية

الإمام مالك

- ١٣٨ - يُدِنُّهُ عَلَى الْقَاتِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآن
- ٥٣ - موقفه من علم الكلام
- ٢٢٦ - نقصان الإيمان عنده
- ٥٥ - نهيه عن علم الكلام، ومراذه منه

الإمامة

- ١٣ - الطاعة لإيئة المسلمين؛ من ولاة أمورهم وعلمائهم

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

الإمامة العظمى

- ٢٥٩ - الخروجُ على الحاكمِ المسلمِ
- ٢٥٩ - الخروجُ على الحاكمِ المسلمِ بشبهةٍ كفرٍ أو توهمٍ مكفرٍ
- ٢٦٢ - النصيحةُ للأئمةِ
- ٢٥٩ - بقاءُ المسلمِ بلا تبعٍ لإمامٍ
- ٢٥٩ - تكونُ طاعةُ الإمامِ بما يُقيمُ الدنيا
- ٢٦١ - شروطُ الخروجِ على الحاكمِ

الأهواء والبدع

- ٢٠ - حِيَاظَةُ النُّفْلِ مِنْهُمَا
- الإيمان
- ٢٣١ - أثرُ إخراجِ العملِ مِنْهُ
- ٢٢٨ - الاستثناءُ في الإيمانِ شَكًّا لَا يَجُوزُ
- ٢٢٧ - الاستثناءُ فِيهِ
- ١٢ - الإيمانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ
- ٢٢٨ - الإيمانُ قولٌ وعَمَلٌ
- ٢٢٣ - الإيمانُ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا
- ١٢ - الإيمانُ يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا
- ٢٢٨ - حَقِيقَةُ الاستثناءِ مِنْهُ
- ٢١٥ - حَقِيقَتُهُ
- ٢٢٩ - حَكْمُ تَارِكِ الْعَمَلِ كُلِّهِ
- ٢٢٦ - زَوَالُ الْإِيمَانِ وَكَمَالُهُ
- ٢١٦ - طَوَائِفُ الْفُلَاةِ فِيهِ
- ٢٣٣ - لَا يُحِيطُ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ إِلَّا الْكُفْرُ وَالشُّرْكُ
- لَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلُ وَعَمَلٍ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ
- ٢٣٢، ٢٢٨، ١٢
- ٢٢٨ - مَا يَدْخُلُ فِيهِ
- ٢٢٩ - مَنْ انْتَقَى مِنْهُ الْعَمَلُ كُلَّهُ، كَمَنْ انْتَقَى مِنْهُ الْقَوْلُ كُلَّهُ

- الإيمان بالكتب
 ١٨٥ - الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسل
- الإيمان بالملائكة
 ٢٤١ - أدلة وجوبه
 ٢٤١ - الإيمان بهم زكّئ من أركان الإيمان
 ٢٤٢ - عدد الملائكة ووظائفهم
 ٢٤٣ - كل الملائكة عباد مكرمون
- البدعة
 ٢٧٧ - المجتهد يبدع
- التأويل
 ٤٦ - التأويل في كلام بعض أهل السنة
 ١٠٥ - توهم اللوازم الباطلة يقضي إليه
- التشبيه
 - التحذير منه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة
 ١٢٢ والكلام
 ٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
 ١٠٠ - لا يلزم من تنزيه الله عن التشبيه نفى الحقيقة عن صفاته
- التعطيل
 ٩٣ - أسبابه
 ١٠٥ - توهم اللوازم الباطلة يقضي إليه
 ٩٣ - لازم نفى الصفات التعطيل
- التعليم
 ٧٨ - تعليم الصغير أثبت في قلبه من تعليم الكبير
 ٧٧ - فضل تعليم الصغار والأمر به
- التفويض
 ٩٨ - ادعاء أن التفويض باعث التعظيم
 ٩٥ - ادعاء نسبة التفويض إلى السلف

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- أسبابه	٩٣
- اشتهاؤه في مقالات الكلائية	٩٤
- الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض	١٣٥
- التفويض في كلام بعض أهل السنة	٤٦
- تاريخ مذهب التفويض	٩٥ ، ٩٣
- توهم اللوازم الباطلة يُقضي إليه	١٠٥
- حضوره في مقالات أبي الحسن الأشعري ومنصور الماتريدي	٩٤
- شبرع مقالة التفويض في بلاد المغرب	٩٩
- عقيدة التفويض	٩٢
- لم يؤثر التفويض عن أحد من الصحابة والتابعين	٩٥ ، ٩٣
- نشأة مقالة التفويض وشيوعها	٩٧
التوحيد	
- أعظم الواجبات معرفة الخالق، والغاية من الخلق	١٥
- الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير له	٩
- بدء مباحث الأصول بتقريره	٨٥
- سبب الوقوع في الشرك	٩٠
- ليس لأوليئهِ ابتداء، ولا لإخيريئهِ انقضاء	٩
- معرفة الله بآياته الكونية	٩٠
الجدل والمناظرة	
- التحذير من الجدال والمراء في الدين	٢٧٨
- الجدال والمراء الزائد يُورث العناد والمكابرة	١٥
- بيان الحق يكون من أصوله، بلا جدال ولا مراء	١٥
- ترك المراء والجدال	٢٧٦
- هجر الجدال والمراء وأهله	٢٨٠
الحديث الشريف	
- الإجماع على ترك العمل بالحديث	٢٧٤

	الحرف والصوت
١٤٤	- لم يُعرَف الخلاف في إثباتيهما قبل ابن كُلابٍ
١٤٣	- نشأة الكلام في المسألة
	الحلال والحرام
٧٣	- سعة الحلال، وضيق الحرام
	الحوض
٢١٤	- أحاديث إثباتيه بلغت مبلغ التواتر
٢١٥	- الحوض قبل الصراط في الموقف
٢١٥	- إنكار الماذنيين لثبته
٢١٤	- دود أهل البدع والتبديل عنه
٢١٤	- لا يشرب منه إلا نفس مؤمنة من أمة محمد
٢١٥	- للأنبياء حوض لهم ولأممهم
٢١٤	- من شرب منه لا يظلم أبداً
	الخلاف العقدي
٤٢	- الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف
	الخوارج
٢١٩	- أسباب الافتتان برأيهم
٢٢٠	- الصفة الجامعة لهم
٢٢٣	- الموازنة بينهم وبين المرجئة
٢٢١	- شدة عبادتهم
٢١٨	- فتنتهم في التكفير بغير مكفر من الذنوب وسائر الأعمال
١٩٦	- مقاتلتهم في صاحب الكبيرة
٢٢٢	- نضجهم قبل قتالهم
	الذات الإلهية
٨٧	- الإمساك عن التشكر في كيفية ذات الله
٨٦	- حكم التشكر في ذات الله

الصفحة	الموضوع/رأس المسألة
٩	- يَغْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ ذَاتُهُ
	الرافضة
٢٥٧	- فَتَنُّهُمْ إِذَا تَمَكَّنُوا
	الردة
١٨١	- حُرِّيَّةُ الدِّينِ
١٨٢	- شُبُهَاتُ فِي حُرِّيَّةِ تَرْكِ الْإِسْلَامِ
١٨١	- مَنْ دَخَلَ الْإِسْلَامَ، فَلَا يَسْمَعُ الْخُرُوجَ مِنْهُ بِحَالٍ
	السببية
١٧٣	- الْحَتْمِيَّةُ السَّيِّئَةُ
	السلف
٦١	- اعْتِقَادُهُمْ فِي الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ
٢٦٩	- حَقِيقَتُهُمْ
١٠٠	- رَوَايَةُ الْأَئِمَّةِ لِأَحَادِيثِ الصِّفَاتِ، وَاحْتِرَازُهُمْ مِنْ سُوءِ فَهْمِهَا
٢٧٠	- سَبَبُ تَفْضِيلِهِمْ
٢٦٩	- فَضْلُ السَّلَفِ وَاتِّبَاعِهِمْ
٢٦٩	- نَسَبِيَّةُ هَذَا الْوَصْفِ بِالسَّلَفِيَّةِ
	السمع والطاعة
٢٦٤	- الْخَطَأُ فِي نُصُوصِهَا
	السمعيات
٢٣٧	- أَرْوَاحُ الْكَافِرِينَ فِي الْهَآوِيَةِ
٢٣٥	- أَرْوَاحُ الْمَوْتَى وَأَحْوَالُهَا
	- أَرْوَاحُ أَهْلِ الشُّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاجِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ، وَأَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ
١٢	إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
١٩١	- أَشْرَاطُ السَّاعَةِ
٢٤١	- الْأَحَادِيثُ الْوَارِدَةُ فِي إِثْبَاتِ ضَمَّةِ الْقَبْرِ
٢٤٣	- الْأَرْوَاحُ وَقَبْضُهَا

- ٢٤١ - الإيمان بالملائكة رُكْنٌ مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ
- ١٢ - الْإِيمَانُ بِخُوضِ رَسُولِ اللَّهِ
- ٢٠٤ - الْجَنَّةُ وَالنَّارُ خُلِقَتَا؛ أُعِدَّتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ، وَالنَّارُ لِلْكَافِرِينَ
- ٢٠٤ - الْجَنَّةُ وَالنَّارُ لَا تَفْنِيَانِ وَلَا تَبِيدَانِ
- ٢٠٣ - الْجَنَّةُ وَالنَّارُ، وَلَمْ يَأْخُذْهُمَا اللَّهُ
- ١٩٢ - الْحِسَابُ وَالْعِقَابُ
- ٢١٤ - الْحَوْضُ الْمُرَوِّدُ
- ١٢ - الْحَوْضُ لَا يَنْظَمُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيَذَادُ عَنْهُ مَنْ بَكَدَ وَعَيَّرَ
- ١٢ - الشُّهَدَاءُ أَخْيَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ
- ١١ - الصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ
- ٢١٢ - الصِّرَاطُ وَأَحْوَالُ النَّاسِ فِيهِ
- ٢٣٨ - الْعَذَابُ وَالنَّعِيمُ فِي الْبَرَزِخِ يَكُونُ لِلرُّوحِ وَالْبَدَنِ جَمِيعًا
- ٢٣٨ - الْقَبْرِ وَفَتْنَتُهُ
- ٢٤٤ - الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِالرُّوحِ عِنْدَ نَفْخِهَا، غَيْرُ الْمَلِكِ الْمُوَكَّلِ بِالرُّوحِ عِنْدَ قَبْضِهَا
- ٢٠٩ - الْمِيزَانُ حَقٌّ
- ٢٠٩ - الْمِيزَانُ وَالْوِزْنُ
- ٢٠٩ - الْمِيزَانُ وَوِزْنُ الْأَعْمَالِ
- ١٨٩ - النَّفْخُ فِي الصُّورِ
- ١٩٠ - بَعَثَ الْأَجْسَادَ وَجَزَاؤُهَا
- ٢٣٩ - تَبْدَأُ حَيَاةَ الْبَرَزِخِ مِنْ خُرُوجِ الرُّوحِ وَمَفَارَقَةِ الدُّنْيَا بِالْمَوْتِ
- ٢١١ - تَكْتُبُ الْمَلَائِكَةُ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ حَسَنَاتٍ وَسَيِّئَاتٍ
- ٢٣٩ - تَوَاتَرَتِ النُّصُوصُ فِي حَيَاةِ الْبَرَزِخِ وَفَتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ
- ١١ - تُوضَعُ الْمَوَازِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوِزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ
- ١١ - جَعَلَ اللَّهُ الْكَافِرِينَ بِهِ مَحْضُوبِينَ عَنْ رُؤْيَيْهِ
- ٢٠٣ ، ١١ - جَنَّةُ الْآخِرَةِ هِيَ الَّتِي أَمْلَأَ اللَّهُ مِنْهَا آدَمَ نَبِيَّهُ وَخَلِيفَتَهُ إِلَى أَرْضِهِ
- ٢٣٩ - حَقِيقَةُ فِتْنَةِ الْقَبْرِ وَعَذَابِهِ
- ٢٠٤ - خَلَقَ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

- ١١ - خَلَقَ اللهُ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأُولِيَائِهِ
- ٢٠٤ - خَلَقَ اللهُ النَّارَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ
- ١١ - خَلَقَ اللهُ النَّارَ وَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ
- ٢٠٥ - خُلُودُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ٢١١ - صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ، وَكَيْفِيَّةُ اسْتِلَامِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ
- ٢٤٠ - عَذَابُ الْقَبْرِ حَقٌّ؛ ثَبَّتَ فِيهِ الدَّلِيلُ مِنْ وَجُودِ كَثِيرَةٍ
- ١٢ - عَلَى الْعِبَادِ حَقْلَةُ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَسْقُطُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ
- ٢٤١ - كِتَابَةُ الْأَعْمَالِ عَلَى الْمَكَلَّفِينَ
- ٢١٢ - كَيْفَ يُؤْتَى كِتَابُهُ؟
- ٢١٤ - لَا يَجُوزُ إِنكَارُ الصَّرَاطِ بِمَجَرَّدِ الْعَقْلِ
- ٢٣٥ - لِلْأَرْوَاحِ مَسَقَرٌّ غَيْرُ الْأَبْدَانِ بَعْدَ مَوْتِهَا
- ٢٣٦ - مُسَقَرُّ أَرْوَاحِ الشُّهَدَاءِ
- ١٢ - مَلَكُ الْمَوْتِ يَقْبِضُ الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ
- ١١ - مَنْ عَاقَبَهُ اللهُ بِنَارِهِ، أَخْرَجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخَلَهُ بِهِ جَنَّتَهُ
- ٢٤٤ - نَفْعُ الرُّوحِ
- ١٩٠ - وَاخْتَلَفَ فِي الشَّخَاتِ
- ٢٣٩ - يَجِبُ الْإِيمَانُ بِحَيَاةِ الْبَرَزَخِ
- ١١ - يَجِيءُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَرْضِ الْأَمَمِ وَحِسَابِهَا
- ١١ - يُخْرِجُ مِنَ النَّارِ بِشَفَاعَةِ النَّبِيِّ، مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكِبَايِرِ مِنْ أُمَّتِهِ
- ١٢ - يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ
- ٢٤٥ - يَكُونُ قَبْضُ الْأَرْوَاحِ بِعِلْمِ اللهِ وَحْدَهُ، لَا يَسْتَقْدِمُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَأْخِرُونَ
- ١١ - يُؤْتَى الْعِبَادُ صَحَائِفُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ
- ٢١٢ - يُؤْتَى الْكَافِرُ كِتَابُهُ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ
- ٢١١ - يُؤْتَى الْمُرْمِي كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ إِكْرَامًا وَبِشَارَةً لَهُ
- الشفاعة
- ١٩٦ - إِبْرَائِيْمُ أَحْكَامُهَا
- ١٩٦ - الشَّفَاعَةُ حَقٌّ لَا يُنْكِرُ أَصْلَهَا مُسْلِمٌ

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- الغاية منها	١٩٧
- أنواعها	١٩٧
- شروطها	١٩٨
- الصحابة	
- الاستدلال بحديث يخالف الصحابة	٢٧٢
- الإمساك عما وقع بينهم	٢٥٦
- التفاضل بين الصحابة	٢٥٠
- التوسع في التفضيل بين الصحابة	٢٥٢
- المفاضلة بينهم	٢٥٠
- الوقوع فيهم	٢٤٨
- امتحان أهل المغرب بهم	٢٥٦
- تعظيم فقه الصحابة	٢٧١
- حكم ما شجر بينهم	٢٥٤
- ظهور الطعن في الصحابة في المغرب	٢٥٣
- لا يتحدث بما وقع بين الصحابة من خلافٍ وزاع	٢٥٤
- موقوفهم من قضية الأسماء والصفات	١٣١
الصحابة الكرام	
- فضلهم، وتفاضلهم	٢٤٧
الصراط	
- حقيقته	٢١٣
- لا يجوز إنكاره بمجرد العقل	٢١٤
الصفات	
- الحق نفي تشبيه الصفات، لا نفي حقيقتها	٩٢
الصفات الإلهية	
- الإقرار بإثبات الصفة يُبطل التفويض	١٣٥
- حقيقتها	١٣٣

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- لازمُ نَقْيِ الصُّفَاتِ التَّعْطِيلُ	٩٣
الصفات الخبرية	
- الإتيانُ والمجيءُ مِنَ الصِّفَاتِ الفِعْلِيَّةِ الْخَبَرِيَّةِ	٢٠٦
الصفات الفعلية	
- أدلةُ إثباتِها	١٢٩
الصلاة	
- سببُ تخصيصِها بأمرِ الصغيرِ بها	٧٩
الصلاة على النبي	
- حكمُ الصلاةِ على غيرِ النبيِّ	٨٤
- ختمُ الكلامِ بها	٢٨٢
- فضلُها	٨١
- ما يُجْزَى منها	٨٣
- مشروعيَّتها في الحُطْبِ	٨١
- مواضعُها	٨٢
- هي من أعظمِ أسبابِ مكفَّراتِ الذنوبِ	٨٢
العذر بالجهل	
- مجردُ الجهلِ مع إمكانِ رفعِهِ لا يقومُ عُذْرًا	٧٦
العرش	
- اللهُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمَلِكِ اخْتَوَى	٩
- ما تُطْلَقُ الْعَرْشُ عَلَيْهِ	١٢٢
العقل والنقل	
- العلاقةُ بَيْنَهُمَا	٥٣
العلم	
- الغايةُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ	٧٣
- تعليمُ الْوَلَدَانِ الْحَقَّ وَالْخَيْرَ وَاجِبٌ	٧٦

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- فضلُ العلمِ وأفضله	١٩
العلمُ الإلهي	
- إحاطةُ عِلْمِ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ	١٢٠
- عِلْمُ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ	١٦٦
- عِلْمُ كُلِّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ	١٠
- لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا سَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ	١٠
- العلو	
- اللَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدِ بِلَدَاتِهِ، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ	٩
الفتن وأشرار الساعة	
- الموقفُ عند اجتماع الضلالت	٢٢٢
الفضائل	
- التوسُّعُ في التفضيل بين الصحابة	٢٥٢
- المفاضلةُ بَيْنَ عِثْمَانَ وَعَلِيٍّ	٢٥٣
- ترتيبُ الخلفاءِ الرَّاشِدِينَ فِي الْفَضْلِ كَتَرْتِيبِهِمْ فِي الْخِلَافَةِ	٢٥٣
- فضلُ الصحابةِ، وتفاضُلُهُمْ	٢٤٧
- فضلُ خَيْرِ الْقُرُونِ	٢٤٥
الفكر الأشعري	
- جذورُهُ الْفِكْرِيَّةُ قَبْلَ نَشْأَتِهِ	٥٢
- رواجهُ فِي بِلَادِ الْمَغْرِبِ الْعَرَبِيِّ	٣٥
الفكر الاعتزالي	
- انتشارُهُ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرَبِيَّةِ	٦٧
الفلاسفة	
- كُلَّمَا تَعَمَّقُوا فِي الْفَلَسَفَةِ، أَزْدَادُوا حُزْنًَا وَخَيْرَةً	٦٠
الفلسفة	
- يَبْدَأُ الدَّاخِلُ فِيهَا بِنَشْوَءٍ، ثُمَّ يَنْتَهِي بِخَيْرَةٍ	٦٠

- القرآن الكريم
- ٦٥ - العملُ في القرآن على الأثبات في الأثر، والأصح في الرواية
- ١٥٥ - القرآن كلامُ الله غيرُ مخلوق
- ١٠ - القرآن كلامُ الله، ليسَ بِمَخْلُوقٍ قَبِيذٍ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَنْقُذُ
- ٦٥ - أئمةُ القراء لا تعملُ في القرآن على الأفسس في اللغة، والأقيس في العربية
- ٢٧٩ - حسنُ القصصِ وشوؤه، وأثره على فهم القرآن
- ١٨٦ - مصدرُ تفسيره
- القضاء والقدر
- ٢٦٨ - ابتلاء المصلح
- ١٥٦ - أدلةُ إثباته من الكتاب والسنة
- ١٦٢ - أفعال العباد وحلقها
- ١٦٨ - الأمر بالإمساك عما سكنت عنه الشرع في القدر
- ١٥٦ - الإيمان بالقدر
- ١٠ - الإيمان بالقدر خيره وشره، حُلوه ومُره، وكلُّ ذلك قد قدره الله ربنا
- ١٦١ - الجدل فيه
- ١٦٥ - العلم بالأسباب لا يُخرج صاحبه من قدر الله
- ١٥٧ - الفطرة قاطعة بالإيمان به
- ١٥٩ - الله لا يقدر لعباده شراً محضاً
- ١٦٨ - المخالفون في القدر
- ١٦٣ - أمر الله ونهيه وقدره، وتوهم بعض النفوس الظلم
- ٢٦٨ - تجرد المصلح
- ١٥٨ - تقدير الخير والشر
- ٢٤١ - كتابة الأعمال على المكلفين
- ١٠ - كلُّ مُيسرٍ بتيسيره، إلى ما سبق من عليه وقدره، من شقي أو سعيد
- ١٥٩ - لا يخلق الله شراً محضاً، ولا راجحاً ولا مساوياً
- ١٠ - لا يكون من عباده قولٌ ولا عملٌ إلا وقد قضاة
- ١٦٠ - لا يُنسب الشر إلى الله

- ١٠ - مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضْنَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ
- ١٧٤ - نَفْيُ الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ
- ١٠ - يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَحْذِلُّهُ بِعَذْلِهِ
- ١٠ - يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ
- الكتب السماوية
- ١٨٥ - الْإِيمَانُ بِهَا مِنْ أَرْكَانِ الْإِيمَانِ
- ١٨٥ - الْكُتُبُ كُلُّهَا تَدْعُو إِلَى أَصْلِ التَّوْحِيدِ
- ١٨٥ - الْمَكْذُوبُ بِوَاحِدٍ مِنْهَا مَكْذُوبٌ بِهَا جَمِيعُهَا
- الكرسي
- ١١٨ - إِبْنَاتُهُ، وَوَرُودُ الْأَدْلَةِ بِهِ
- ١١٩ - الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ الْقَدَمَيْنِ عَلَى مَا يَلِيقُ بِاللَّهِ
- الكسب
- ١٧٢ - الْقَاتِلُونَ بِهِ
- الكفر بالله
- ١٧٩ - أَسْبَابُهُ
- الكلام النفسي
- ١٤١ - أَصْلُ فِتْنَةِ الْقَوْلِ بِهِ
- ١٤١ - التَّضَرُّقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ اللَّفْظِيِّ لَا يُعْرِفُ قَبْلَ ابْنِ كُتَّابٍ
- المالكية
- ١٣٨ - ثَبَاتُهُمْ فِي فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَدِينَةِ وَافْرِيقَةِ
- المتكلمون
- ٤٢ - الْحَدِيثُ وَالْكَلامُ، وَأَثَرُهُمَا فِي الْخِلَافِ
- ٦٦ - تَذَرُّعُهُمْ بِقَوَاعِدِ اللُّغَةِ لِتَأْيِيدِ بَدْعِهِمُ الْكَلَامِيَّةِ
- ٦٤ - خَطَأُ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي اسْتِعْمَالِ اللُّغَةِ
- ٥٣ - ضَعْفُ إِيمَانِهِمْ بِالْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

المجيء

- إثباته لله تعالى ٢٠٦
 - إثبات المجيء لله يوم القيامة ٢٠٧
 - تقويم ما روي عن الإمام أحمد من تأويله ٢٠٧
 - حكاية الإجماع على إثباته ٢٠٧

المذهب المالكي

- أصحاب مالك من المغاربة في حياته ٤٠
 - أصوله وفروعه ٤٠
 - شيوعه وانتشاره في بلاد المغرب ٤٠

المرجئة

- الموازنة بينهم وبين الخوارج ٢٢٣
 - غلوهم في باب الإيمان ٢١٦
 - مراتبهم في باب الإيمان ٢١٦

المشيئة الإلهية

- مشيئة الله وقدرته على خلق أفعال العباد ١٦٧

المعتزلة

- مقالاتهم في صاحب الكبيرة ١٩٦

المعطلة

- من شبهاتهم ١٣٧

المنهج القويم

- اتباع السلف الصالح، واقتفاء آثارهم، والاستيفاء لهم ١٣
 - ترك المراء والجدال في الدين، وترك ما أخذته المحدثون ١٣
 - حفظ العقل والنقل ٢٠
 - فضل قرب الزمان والمكان الأول ٢١

النبوات

- الأنبياء يتفاضلون فيما بينهم في الإيمان المستحب ٢٢٦

الصفحة

الموضوع/رأس المسألة

- ١٧٧ - الإيمان بجميع الرسل واجب
- ١٧٦ - الغاية من إرسال الرسل
- ١٧٧ - الكافر بواحد من الرسل كافر بجميع الرسل
- ١٧٨ - أوجب الله على جميع الأنبياء اتباع محمد
- ١٧٧ - نتائج الرسل
- ١٧٧ - ختام رسالة النبي، وعمومها
- ١٠ - ختم الله الرسالة والتذكرة والثبوت بمحمد
- ١٨٠ - ختم النبوات ببعثة محمد
- ١٧٦ - رسالة النبي، وكتابه
- ١٧٩ - شريعة الإسلام ناسخة للشرائع قبلها
- ١٧٧ - عموم رسالة النبي لجميع الأمم
- ١٨٧ - يجب الإيمان بكل ما جاء الرسول

النزول

- ١٥٣ - إثباته لله تعالى

الواقعة

- ١٤٨ - حقيقة قولهم
- ١٤٨ - سبب تشديد الأئمة على الواقعة

اليوم الآخر

- ٢٣٥ - أرواح الموتى وأحوالها
- ١٩١ - أشرار الساعة
- ٢٤٣ - الأرواح وقبضها
- ١٨٨ - الإيمان بالبعث بعد الموت من أركان الإيمان
- ١٨٨ - الإيمان بالقيامة وما فيها
- ١٩٢ - الحساب والعقاب
- ١٠ - الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من يموت، كما بدأهم يعثرون
- ١٩١ - تنزيل أشرار الساعة على الواقع

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- ذِكْرُهُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ	١٨٨
أما بعد	
- استعمالها في الكلام	٧٤
أهل الحديث	
- الحديث والكلام، وأثرهما في الخلاف	٤٢
أهل السنة والجماعة	
- إجماعهم على الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة	٤٦
- الفرق بينهم وبين المرجئة	٢٦٢
- مُجْمَلُ اعتقادهم في الله تعالى	٨٥
- مَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَتِهِمْ مِنْ عُلَمَاءِ اللُّغَةِ	٦٧
أهل المغرب	
- إثبات عقائدهم على شواهد قبورهم	٤٥ ، ٤٤
- أثر الاعتزال في قبول المغاربة علم الكلام الأشعري	٣٧
- أصول مالك وفروعه، وأحوال أصحابه في المغرب	٤٠
- اعتقاد أهل المغرب	٢٦
- التزامهم مذهب مالك	٤٠
- امتحانهم بفتنة خلق القرآن	٤٣
- إنكارهم إخراج العمل من الإيمان	٢١٧
- إنكارهم مقالة الإرجاء	٢٣٢
- أهل المغرب أهل سنة وأثر	٢٦
- بداية تصنيفهم في الرد على أهل البدع	٤٥
- بداية رد المغاربة على المشاركة في الفروع لا في الأصول	٢٩
- ثبات أهل المغرب، وامتحانهم بعلم الكلام	٤٣
- كانوا يسمون القائلين بخلق القرآن: أهل العراق	١٤٠
- لم يأخذ أحد من أعيان المغاربة المعبرين عن أبي الحسن الأشعري	٣٣
- ما مروا به من فتنة	٤٦

- ٣٥ - مذهب متقدمي المغاربة في الأسماء والصفات
- ١٣٥ - مصنفاتهم في إثبات حقيقة الصفات
- ٢٠٢ - مصنفاتهم في الردّ على مُنْكَرِي رؤية الله
- ٢١٨ - نبذهم مقالة الخوارج
- ٣٩ - نشأة التصنيف الكلامي فيها
- أولياء الأمور
- ٢٥٨ - طاعتهم في المعروف
- آيات الله في الآفاق
- ٧٢ - الأمر بعبادة النظر والتفكير وتلبيح آيات الله
- ٩١ - التفكير في الملكوت موجب لسؤال النجاة من العذاب
- ٩٠ - معرفة الله بآياته الكونية
- أئمة المسلمين
- ٢٥٩ - الخروج على الأئمة وأحواله
- ٢٦٤ - الخطأ في نصوص السمع والطاعة
- ٢٥٨ - الطاعة لأئمة المسلمين في المعروف
- ٢٦٢ - جؤرهم وظلمهم وأخطأهم
- بلاد المشرق
- ٢٤ - هي موضع الفلاسفة في الإسلام
- بلاد المغرب
- ٢٥ - أثر المشرق على المغرب
- ٣٣ - أسباب انتشار علم الكلام فيها
- ٣١ - أسباب تأخر ذبوع علم الكلام في المغرب
- ٣٤ - أكثر المتكلمين أثرا في المغرب
- ٢٢ - المغرب في زمن الصحابة والتابعين
- ٥٠ - انتشار الفكر الأشعري فيها على يد ابن تومرت
- ٣٦ - انتقال بعض أهل الفلسفة والكلام من المشاركة إلى المغرب

الصفحة

الموضوع / رأس المسألة

- ٣٦ - انتقال كتب المشاركة إلى المغرب مع الرُّسل والنُّسَخ
- ٢٤ - انحسار الفلسفة وعلوم الأوائل فيها
- ٢٧ - أول ظهور الفكر الاعتزالي فيها، وطبقات المتممين إليه
- ٣٢ - أول ظهور الفلسفة المشائية فيها
- ١٦ - أئمة المغرب الذين كانوا على طريقة السلف
- ٣٣ - بداية الخوض في الكلام والفلسفة عند المغاربة وأسباب انتشاره فيها
- ٢٢ - دخول الإسلام فيها
- ٣٥ - رواج الفكر الأشعري فيها
- ٩٩ - سُبرغ مقالة التفويض فيها
- ٢٥٣ - ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
- ١٤٠ - ظهور القول بخلق القرآن فيها
- ٥٠ - لم يكن فيها حتى المئة الخامسة أشعريُّ على طريقة المتأخرين
- ٢٨ - مَنْ حَمَلَ الْفِكْرَ الْعَتَزَالِيَّ إِلَيْهَا
- ٢٣ - من دخلها من الصحابة والتابعين
- ٢٧ - وجود الاعتزال فيها، وموقف العلماء منه
- تأويل الصفات
- ١٣٤ - مَا يَتَضَمَّنُهُ مِنْ مَحْظُورٍ
- تعطيل الصفات
- ١٣٤ - سببه
- جلال الدين الدواني
- ٤٣ - الْحَوَادِثُ عَنْدهُ لَا أَوَّلَ لَهَا
- ٤٣ - الصِّفَاتُ عَنْدهُ حَيْنُ الذَّاتِ
- ٤٣ ، ٤٢ - مَخَالَفَتُهُ بَعْضَ أَصُولِ الْمَذْهَبِ الْأَشْعَرِيِّ
- ٤٣ - يَقُولُ بِعَيْنِيَّةِ الصِّفَاتِ
- حَقُّ اللَّهِ
- ٢٧٦ - طُرُقُ مَعْرِفَتِهِ

خلق القرآن

- ١٤٠ - أصل القول به مأخوذ من قول اليهود في التوراة
- ١٤١ - أصل فتنة القول به
- ١٣٨ - القول به بدعة، لم يقل بها إمام متبع
- ١٤٨ - الواقفة في خلق القرآن، وسبب التشديد عليهم
- ١٤٠ - ذكر الله القرآن أربعة وخمسين مرة دون إشارة واحدة إلى خلقه
- ١٣٨ - شدة مالك وأصحابه على القائلين به
- ١٤٠ - ظهور القول به في المغرب
- ١٤٩ - من أدلة القائلين بخلق القرآن

ذكر الله

- ٦٩ - اقتران الحمد لله بالتشهد في الخطب
- ٦٩ - البداءة به قبل الشروع في المقامات المهمة
- ٧١ - التفرقة بين الخطب والمكاتبات فيما تستفتح به
- ٧١ - مواضع البداءة بالبسملة
- رسالة ابن أبي زيد القيرواني
- ٧٤ - سبب تأليفها
- ٦٩ - شرح مقدمتها

صاحب الكبيرة

- ٢١٢ - كيف يؤتى كتابه؟

صفة التجلي

- ١٥٢ - إثباتها لله تعالى
- ١٥٢ - التجلي صفة فعلية خبرية

صفة الرؤية

- ١١ - إثبات رؤية المؤمنين ربهم في جنات النعيم
- ٢٠٠ - أدلة إثباتها
- ٢٠٠ - استفاضت النصوص على إثباتها

الموضوع/رأس المسألة	الصفحة
- التفریق بین الرؤیة والإدراك	٢٠١
- جعلَ اللهَ الكافرینَ به مَحْجُوبِینَ عَنْ رُؤَیَّتِهِ	١١
- رؤیةُ اللهِ فی الآخرة	١٩٩
- مواضعُ ذِکرِ لقاءِ اللهِ یومَ القیامةِ فی القرآنِ	٢٠٠
صفة العلو	
- العلوُّ والمَعِیَّةُ	١٠٧
- حکایةُ الإجماعِ علی إثباتِها	١٠٧
عُلُوُّ اللهِ	١٠٥
- كثرةُ الأدلَّةِ علی إثباتِها	١٠٥
- مِن شُبُهَاتِ بعضٍ من عَظَلِهَا	١٠٩
صفة القدم	
- أدلةُ إثباتِها	١٣١
صفة الكلام	
- إثباتُها	١٣٧
- اللهُ متكلِّمٌ متى شاءَ بما شاءَ	١٣٧
- سببُ تشدیدِ الأئمَّةِ علی الواقفةِ	١٤٨
- كلامُهُ تعالى بائنٌ مِن خَلْقِهِ	١٣٧
- من حُجَجِ نَقَاةِ الصوتِ والحرفِ لله	١٤٤
- نشأةُ الكلامِ علی مسألةِ الحَرْفِ والصَّوْتِ	١٤٣
عذاب القبر	
- ثبوتهُ وأدلَّتُهُ	٢٤٠
علم الكلام	
- أثرُ الاسترسالِ فیهِ	٥٩
- أسبابُ انتشارِهِ فی بلادِ المَغْرِبِ	٣٣
- التعرفُ علی اللهِ به یورثُ الوحشةَ	٦٠
- الرأیُ وعِلْمُ الكلامِ	٥٤

الموضوع / رأس المسألة	الصفحة
- اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة	٢٢
- انتشار الكلام في متأخري المالكية أكثر	٤٩
- سياق نشأته وغايته	٢٥
- طريق المتكلمين كلهم طريق واحد بالنوع، وإن اختلفت أصنافه	٢٦
- فلسفة اليونان وأثرها على المتكلمين	٢٥
- مقالات المتكلمين مبنية على مقدمات مأخوذة من اليونان والسريان	٢٥
- مناطق انتشاره وانحصاره	٢٤
- موقف الإمام مالك بن أنس منه	٥٣
- نهى الإمام مالك عنه، ومراده منه	٥٥
- يبدأ الداخل فيه بنسوة، ثم ينتهي بخيرة	٦٠
عمل أهل المدينة	
- حقيقة العمل الذي يقثم على الحديث	٢٧٣
فخر الدين الرازي	
- الصفات عنده نسب وإضافات بين الذات، وبين المعلوم والمعلوم والمراد	٤٣
- مخالفته بعض أصول المذهب الأشعري	٤٢
قواعد الحجاج	
- مراتب المخالفين تقتضي مدح الأقرب واللين معه	٣٧
كلام الله	
- القرآن كلام الله، ليس بمخلوق قبيد، ولا صفة لمخلوق فينفذ	١٠
مذهب الأشاعرة	
- تشديدهم في الخلاف في العقليات	٤٢
- مخالفة بعض رؤوسهم في أصول المذهب	٤٢
- مخالفتهم يتردد بين الكفر والابتلاع والإثم	٤٢
نفي الصفات	
- نفي بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق	١١١

٨ - فهرس المذاهب والأقوال

الصفحة

المذهب/ القول

- إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي، أبو ثور الإمام الشافعي
٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكَلْبِيِّ للعمل وبين الترك الجُرْنِيِّ
إبراهيم بن يزيد بن عمرو أبو عمران النخعي الكوفي الأعور
٢٤٥ - لِمَلِكِ المَوْتِ أعوانٌ مِنَ الملائكة، يَتَوَفَّوْنَ عَنْ أَمْرِه
ابن أبي زيد القيرواني
٢٦٩ - اتَّبَعَ السَّلَفُ الصَّالِحَ، وَافْتَقَأَ أَثَرَهُمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ
٢٣٨ - أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ بَاقِيَةٌ فِي سِجِّينَ
٢٣٥ - أَرْوَاحُ أَهْلِ السَّعَادَةِ بَاقِيَةٌ نَاعِمَةٌ إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ
٢٣٥ - أَرْوَاحُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ مُعَذَّبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ
١٤٢ - أَسْمَعَ اللَّهُ مُوسَى كَلَامَهُ الْقَائِمَ بِذَاتِهِ، لَا كَلَامًا قَامَ بِغَيْرِهِ
١٥٦ - الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ خَيْرٌ وَشَرٌّ، حُلُوٌّ وَفُرْجَةٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ رَبُّنَا
٢١٤ - الْإِيمَانُ بِخَوَاصِ رَسُولِ اللَّهِ، تَرْدُهُ أُمَّتُهُ؛ لَا يَظْمَأُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ
٢١٥ - الْإِيمَانُ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ
٢٧٥ - التَّسْلِيمُ لِلسَّنَنِ لَا تَعَارِضُ بِرَأْيٍ، وَلَا تَدَافُعُ بِقِيَاسٍ
٢٣٥ - الشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ
٢١٢ - الصِّرَاطُ حَقٌّ، يَجُوزُهُ الْعِبَادُ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ
٢٥٨ - الطَّاعَةُ لِأَيُّمَةِ الْمُسْلِمِينَ؛ مِنْ وُلَاةِ أُمُورِهِمْ، وَعُلَمَائِهِمْ
١٥٥ - الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ قَبِيضٍ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ مَبْتَدَأٍ
١٧٤ - تَعَالَى أَنْ يَكُونَ خَالِقَ لَشَيْءٍ إِلَّا هُوَ، رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ
١٧٤ - تَعَالَى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، أَوْ يَكُونَ لِأَحَدٍ عَنْهُ غِنَى
٢٠٩ - تُوضَعُ الْمَوَازِينُ لِوَزْنِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ

- ١٦٨ - خَذَلَ اللَّهُ مَنْ عَصَاهُ وَكَفَرَبَهُ، فَأَسْلَمَهُ وَيَسَّرَهُ لِدَلِك فَحَجَبَهُ وَأَضَلَّهُ
١٦٦ - عَلِمَ كُلُّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ؛ فَجَرَى عَلَى قَدَرِهِ
٢٤٧ - كُلُّ مَنْ صَحَبَهُ وَلَوْ سَاعَةً، أَوْ رَأَاهُ وَلَوْ مَرَّةً، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ أَفْضَلِ التَّائِبِينَ
٢٦١ - كُلُّ مَنْ وَلِيَ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ عَنْ رِضَا أَوْ عَنْ غَلَبَةٍ، فَلَا يُخْرَجُ عَلَيْهِ
١٦٧ - كُلُّ مُسَيَّرٍ بِتَيْسِيرِهِ، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عَلَيْهِ وَقَدَرِهِ؛ مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ
١٦٨ - كُلُّ نَبِيٍّ إِلَى سَابِقِ عَلَيْهِ؛ لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ
١٣٧ - كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ الَّذِي هُوَ صِفَةُ ذَاتِهِ، لَا خَلْقٌ مِنْ خَلْقِهِ
٢٣٣ - لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْقِبْلَةِ
١٦٦ - لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ، وَسَبَقَ عِلْمُهُ بِهِ
١٥٦ - مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ، وَمَضَرُّهَا عَنْ قَضَائِهِ
٢٥٠ - وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ: الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمَهْدِيُّونَ
٢٥٤ - وَالْأَلَا يُذَكَّرُ أَحَدٌ مِنَ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ
٢٤٠ - يُضْغَطُ النَّاسُ وَيُنَلَّوْنَ، وَيُثَبِّتُ اللَّهُ مَنْطِقَ مَنْ أَحَبَّ تَثْبِيتَهُ
١٦٧ - يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخْذِلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ
٢٣٨ - يُفْتَنُ الْمُؤْمِنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُسْأَلُونَ

ابن أبي زيد القيرواني

- ٢٤١ - عَلَى الْعِبَادِ حَفَظَةُ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ، وَلَا يَنْسُقُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ

ابن عزوز المالكي التونسي

- ١٠٨ - اللَّهُ مُسَوِّ عَلَى عَرْشِهِ، بَاطِنٌ مِنْ خَلْقِهِ، قَرِيبٌ لَهُمْ بِعِلْمِهِ

ابن فروخ قاضي القيروان

- ٢٦٠ - اَشْهَدُوا أَنِّي رَجَعْتُ عَمَّا كُنْتُ أَقُولُ بِهِ مِنَ الْخُرُوجِ عَلَى أُمَّةِ الْجَوْرِ

- ٢٦٠ - رَأَى الْخُرُوجَ عَلَى الْمَكِّيِّ

أبو الحسن التميمي

- ١٥٣ - نَفَى النَّزُولَ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى

أبو العباس القلانسي

- ١٤٤ - نَارَعَ فِي إِنْبَاتِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ

الصفحة

المذهب/ القول

- أبو العباس بن طالب
٢٠٠ - إثبات رؤية الله في الآخرة
- أبو القاسم المقرئ
١٠٨ - الله مستوي على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه
- أبو المطرف القنازهي القرطبي
١٠٨ - الله مستوي على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم بعلمه
- أبو عبد الله الصالح
١٤٤ - نازع في إثبات الحرف والصوت
- أحمد بن أبي بكر، أبو مصعب
٢١٦ - الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص، فمن قال غير هذا فهو كافر
- أحمد بن شعيب بن علي، أبو عبد الرحمن النسائي
١٢٤ - عبر عن الاستواء بالجلوس
- أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله الشيباني المروزي
٢٠٧ - إثبات أفعال الله الاختيارية على وجه الحقيقة
- ٢٠٩ - الإيمان بالميزان من أصول السنة
- ٢٢٢ - التفريق بين قتال الخوارج لإمام جور وبين قتالهم لإمام عدل
- ١٥٥ - القرآن خرج من الله
- ١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
- ١٤٣ - الله يتكلم بصوت
- ١١٣ - الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء
- ١١٣ - الله ينزل إلى سماء الدنيا
- ٥٨ - النبي عن علم الكلام عمومًا بلا استثناء
- ١٤٤ - إن الله تكلم بالصوت والحرف
- ١٤٤ - بل تكلم بصوت؛ هذه الأحاديث تروى كما جاءت
- ٢١٩ - توقف في تكفير الخوارج

- ٢٠٥ - جَزَمَ بِكُفْرِ مَنْكَرِ خَلْقِ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ
- ١٢٤ - عَبَّرَ عَنِ الْإِسْتَوَاءِ بِالْجُلُوسِ
- ١٣٢ - قَوْلُ التَّابِعِيِّ لَيْسَ حُجَّةً مَقْطُوعَةً فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
- ٢٥٥ - كَانَ يَعْتَزِلُ مَجْلِسَ عَبْدِ الرَّزَّاقِ إِذَا حَدَّثَ بِأَحَادِيثِ الْخِلَافِ بَيْنَ الصَّحَابَةِ، ، ،
- ٢٠٦ - كَفَرُ مَنْ قَالَ بِفَنَاءِ الْجَنَّةِ خَاصَّةً
- ١٥٦ - كَلَامُ اللَّهِ مِنْهُ، وَلَيْسَ بِبَاطِنٍ مِنْهُ، وَلَيْسَ مِنْهُ شَيْءٌ مَخْلُوقٌ
- ٢٥٥ - لَا أَحِبُّ لِأَحَدٍ أَنْ يَكْتُبَ هَذِهِ الْأَحَادِيثَ الَّتِي فِيهَا ذِكْرُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ
- ٢٣٠ - لَا يَكْفُرُ مَنْ يَجْعَلُ الْإِيمَانَ قَوْلًا وَاعْتِقَادًا بِلَا عَمَلٍ
- ١٤٨ - لَا يَكُونُ مِنْ أَهْلِ السُّنَّةِ، وَلَا كَرَامَةِ (الْوَاقِفَةِ)
- ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْجَنَّةِ
- ٢٣٠ - مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرٌ فِي رِوَايَةٍ
- ١٤٤ - نَفْيُ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ هُوَ قَوْلُ الْجَهْمِيَّةِ
- ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- أحمد بن محمد بن عبد الله، أبو عمر الظلمنكي
- ٤٧ - إِبْنَاتُ الْجَنَنِ اللَّهِ
- أحمد بن يحيى بن يسار الشيباني، أبو العباس ثعلب
- ٦٥ - السُّنَّةُ تَقْضِي عَلَى اللَّغَةِ، وَاللَّغَةُ لَا تَقْضِي عَلَى السُّنَّةِ
- إسحاق بن إبراهيم بن مخلد، أبو يعقوب الحنظلي النيسابوري، ابن راهويه
- ١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
- ١١٣ - اللَّهُ يَرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ١١٣ - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
- ١١٣ - اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- ١٤٨ - الْوَاقِفَةُ شَرٌّ عِنْدِي مِمَّنْ يَقُولُ: الْقُرْآنُ مَخْلُوقٌ؛ لِأَنَّهُ يَقْتَضِي بِهِ غَيْرُهُ
- ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- أفلاطون
- ١٥٩ - الشَّرُّ مِنَ الْجَهْلِ

الأشاعرة

- أفعال العباد الاختيارية بإرادة الله وقدرته وحده، لا باختيار العبد ولا قدرته ١٧٢

الجهنم بن صفوان بن محرز السمرقندي، رأس الجهمية

- أفعال الله لها آخر، ومنها الجنة والنار ٢٠٥

- الجنة والنار ثقتان ٢٠٥

الجهمية

- أظهروا أسماء الله مخلوقة ١٣٣

- نفي الأسماء الحسنى ١٣٣

الحسن بن يسار، أبو سعيد البصري

- الكرسي هو العرش ١٢٠

- عبّر عن الاستواء بالجلوس ١٢٤

- ميزان الأعمال له لسان ٢١١

الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم، أبو عبد الرحمن الفراهيدي

- تفسير الاستواء بالاستيلاء لا تعرفه العرب في كلامها ١٢٧

الخوارج

- الإيمان شيء واحد لا يتجزأ ٢٣٤

- حكم تكفيرهم ٢١٨

- سلب الإيمان من صاحب الكبيرة ٢٣٤ ، ١٩٦

- لا شفاعاة لعصاة المسلمين ١٩٩

- لا بدخل النار إلا نفس كافرة ١٩٩

- لا يرون صاحب الكبيرة مؤمناً ١٩٩

- لا يؤتمنون في إمرة على المسلمين ٢١٨

الرافضة

- لا يؤتمنون في إمرة على المسلمين ٢١٨

السلف

- إثبات الصفة لا يعني تشبيهاً؛ ونفي الكيف لا يعني تعطيلًا ٦١

- ١٠٠ - إثبات حقائق الصفات ومعانيها الصحيحة
- ٩٢ - إثبات حقيقة الصفات، وتفويض كيفيةها
- ١٣٠ - إثبات ما أثبت الله لنفسه، وما أثبت له نبيه
- ١٢١ - استواء الله على العرش يليق بجلاله، ويتنزه عما يليق بالمخلوق
- ٢٠٥ - الجنة والنار لا تقفان
- ٢١٣ - الصراط حق
- ١٣٨ - القرآن كلام الله، ليس بمخلوق
- ١١٣ - الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه في كل مكان
- ٦١ - النهي عن الجدال في الله وصفاته وأسمائه
- ٢٢٧ - صحة الاستثناء في الإيمان
- ١٢٢ - قوضوا كيفية الاستواء
- ٦٣ - كانوا يرجعون فهم مسائل الذين إلى ما تواضع عليه أهل الصدر الأول
- ١٥٥ - كلام الله هو هذا الخارج منه المسموع والمقروء، والمكتوب والمحفوظ
- ١٣٤ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
- ١٢٢ - لم يُكْرَ أحدٌ منهم أن الله استوى على عرشه حقيقة
- ٢٨١ - نهى عن مخالطة أهل الأهواء ومجالستهم
- ٧١ - يتداولون كتبهم بالبسملة قبل الشروع في المقصود
- ٦١ - يثبتون الحقيقة للصفة اللائقة بالله
- ١٣٠ - يثبتون لله الأسماء والصفات؛ كما أثبتها الله لنفسه
- ١٥٢ - ينزل ربنا ويتجلى ويجيء بلا كيف

الصحابة

- ١٥٥ - القرآن كلام الله، منه خرج، وإليه يعود
- ١٥٥ - الله الخالق، وما سواه مخلوق
- ١٣٠ - لبس العقائد من موارد النزاع
- الضحاك بن مزاحم الهلالي، أبو القاسم الخراساني
- ١٢٠ - الكرسي هو العرش
- الفضيل بن عياض بن مسعود، أبو علي الزاهد الخراساني

المذهب/ القول	الصفحة
- الله بذاتِهِ فوقَ العرشِ، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكانٍ	١١٣
- الله يُرَى يومَ القيامةِ بالأبصارِ فوقَ العرشِ	١١٣
- الله يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بما شاءَ	١١٣
- الله يَنْزِلُ إلى سماءِ الدنيا	١١٣
- لا يَكْفُرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، ولا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ في الجَنَّةِ	٢٣٤
الفلاسفة	
- نَفَّوْا الْعُلُوَّ	١٠٧
القاسم بن سلام الأزدي البغدادي، أبو عبيد القاضي	
- لا نَجِدُ بُدًّا مِنْ اتِّبَاعِ لُغَةِ أَهْلِ الْحَدِيثِ مِنْ أَجْلِ السَّماعِ	٦٥
المادبيون	
- إنكارُ الحَوْضِ	٢١٥
- إنكارُ صَمَةِ القَبْرِ	٢٤١
المالكية	
- القرآنُ كلامُ الله، ليس بمخلوقٍ	١٣٨
- أهلُ الأهواءِ هم أهلُ الكلامِ	٥٥
المتكلمون	
- نَفَّوْا الْعُلُوَّ	١٠٧
- يتأوَّلونَ النزولَ والمجيءَ وغيرَهما	١٥٤
- يقدِّمونَ مِنَ اللُّغَةِ ما يوافقُ أصولَهم الكلاميةَ	٦٤
المرجئة	
- الإيمانُ شيءٌ واحدٌ لا يتجزأ	٢٣٤
- لا تُضَرُّ الذنوبُ مع التوحيدِ	٢٣١
- لا يَدْخُلُ النَّارَ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَهْمَا بَلَغَ ذَنْبُهُ	١٩٦
- لا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا نَفْسٌ كَافِرَةٌ	١٩٩
- لا يَدْخُلُونَ النَّارَ بِالْمَعَاصِي أَصْلًا	١٩٩

الصفحة

المذهب/ القول

- ١٩٩ - لا يَرَوْنَ الشفاعةَ للعصاة
- ٢٣٤ - لا يُؤَثِّرُ الذنبُ على الإيمان
- ٢٦٤ - يوالونَ مَنْ كان شديدَ الولاءِ للسلطانِ

المعتزلة

- ١٣٣ - إثباتُ الأسماءِ الحُسنى مجردةٌ عن معانيها
- ١٣٣ - أظهروا أسماءَ الله مخلوقةً
- ٢٣٤ - الإيمانُ شيءٌ واحدٌ لا يتجزأُ
- ٢١٥ - إنكارُ الحوضِ
- ٢٣٤ ، ١٩٦ - سلبُ الإيمانِ من صاحبِ الكبيرةِ
- ١٩٩ - لا شفاعةَ لعصاةِ المسلمينَ
- ١٩٩ - لا يدخلُ النارَ إلا نفسٌ كافرةٌ
- ١٩٩ - لا يَرَوْنَ صاحبَ الكبيرةِ مؤمناً
- ١٢٧ - نفوا الاستواءَ، وفُسروه بالاستيلاءَ

النحاة

- ١٣٧ - إذا أَكَّدَ الفعلُ بالمصترى، لم يُحْمَلْ إلا على الحقيقةِ

اليهود

- ١٤٠ - التوراةُ مخلوقةٌ

أهل الحديث

- ٢٥٣ - ترتيبُ الخلفاءِ الراشدينَ في الفضلِ كترتيبهم في الخلافةِ

أهل السنة والجماعة

- ٤٦ - الإقرارُ بالصفاتِ الواردةِ كُلِّها في القرآنِ والسنةِ
- ٢٦٥ - الولاءُ للإمام تحتَ الولاءِ لله
- ٢٧٨ - لا يُغلَرُ مَنْ أَكَّاهُ اجْتِنَاهُهُ إِلَى بِدْعَةٍ
- ٢٢٩ - لا يكفرونَ أحداً بتركِ شيءٍ معيَّنٍ من الباطنِ أو الظاهرِ
- ١٣٢ - من أصولِ السنةِ التمسُّكُ بما عليه الصحابةُ

الصفحة

المذهب/ القول

- ٢٢٩ - يفرقون بين الترك الكُلِّي للعمل وبين الترك الجُزئي
- ٢٢٣ - يفرقون بين الدين والرأي، ومواضع القطع ومواضع الاجتهاد
- أهل المدينة
- ٥٤ - كانوا يَنْهَوْنَ عن الخوض في علم الكلام
- أهل المغرب
- ١٠٨ - إثبات العلو على الحقيقة
- بشر بن الحارث الحافي
- ١٥٦ - نَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ يَقُولُ وَيَخْلُقُ، وَقَوْلُهُ قَوْلٌ، وَخَلْقُهُ خَلْقٌ، ،
- بعض الفلاسفة
- ١٦٧ ، ١٢١ - نفى علم الله بالجزئيات
- بعض المتكلمين
- ١٦٧ ، ١٢١ - نفى علم الله بالجزئيات
- حرب بن إسماعيل بن خلف الحنظلي الكرمانى
- ١٥٣ - إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكييف ولا تعطيل
- حماد بن زيد بن درهم، أبو إسماعيل الأزرق الجهضمي البصري الضريع
- ١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكان
- ١١٣ - الله يُرَى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يَغْضَبُ وَيَرْضَى ويتكلم بما شاء
- ١١٣ - الله يَنْزِلُ إلى سماء الدنيا
- حماد بن سلمة بن دينار، أبو سلمة البصري
- ١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعِلْمُهُ في كُلِّ مكان
- ١١٣ - الله يُرَى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يَغْضَبُ وَيَرْضَى ويتكلم بما شاء
- ١١٣ - الله يَنْزِلُ إلى سماء الدنيا

- خارجة بن مصعب
- هَبْرَ عَنْ الاسْتِواءِ بِالْجُلُوسِ ١٢٤
- سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو سعيد التنوخي الفيرواني
- أَفْضَلُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ ٢٥٣
- أَلَّا تَخْرُجَ عَلَى الْأُمَّةِ بِالسَّيْفِ، وَإِنْ جَارُوا ٢٦٠
- اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ٢٠٠
- إِنَّ اللَّهَ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ١٢١
- مِنَ الْعِلْمِ بِاللَّهِ: الْجَهْلُ بِمَا لَمْ يُخَيِّرِ اللَّهُ بِهِ عَنْ نَفْسِهِ ٨٨ ، ٦١ ، ٤٤
- سعيد بن جبير بن هشام الأسدي الوالي، أبو محمد الكوفي
- يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ ٢٢٩
- سعيد بن عبد العزيز
- لَا إِيْمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٍ إِلَّا بِإِيْمَانٍ ٢٢٩
- يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ ٢٢٩
- سعيد بن محمد بن صبيح الفسافي، أبو عثمان بن الحداد
- كُلُّ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُوسَى سَمِعَ الْكَلَامَ مِنَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، فَقَدْ كَفَرَ ١٤٢
- سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري، أبو عبد الله الكوفي
- اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ١١٣
- اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ ١١٣
- اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ ١١٣
- اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا ١١٣
- سفيان بن عيينة بن ميمون أبو محمد الهلالي الكوفي
- الْإِيْمَانُ قَوْلٌ وَعَمَلٌ ٢١٧
- الْقُرْآنُ خَرَجَ مِنَ اللَّهِ ١٥٥
- اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ ١١٣
- اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ ١١٣
- اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ ١١٣

الصفحة	المذهب/ القول
١١٣	- الله يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
٢٣٤	- لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بِذَنْبٍ، وَلَا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
٢٢٩	- يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرْكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرْكِ الْجُزْئِيِّ
	سقراط
١٥٩	- يَنْفِي الْقَدَرَ كُلَّهُ
	سلمان الفارسي، أبو عبد الله
٢١١	- مِيزَانُ الْأَعْمَالِ لَهُ لِسَانٌ
	سليمان الفراء
١٤٠	- الْقَوْلُ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَغْرِبِ
	سليمان بن خلف بن سعد، أبو الوليد الباجي
٤٨	- اعْتَمَدَ تَقْرِيرَ الْعَقَائِدِ عَلَى طَرِيقَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ
	عبد الجبار بن أحمد، أبو الحسن الهمداني قاضي المعتزلة
٦٦	- تَأْوِيلُ الْيَدِ بِالنُّعْمَةِ
٦٦	- تَأْوِيلُ صِفَةِ الْكَلَامِ
٦٦	- طَرِيقَتُنَا فِي الْمِثَالِ: أَنْ يَكُونَ لَهُ تَأْوِيلٌ صَحِيحٌ، يُخْرِجُ عَلَى مَذْهَبِ الْعَرَبِ
	عبد الرحمن بن عبد الله، أبو القاسم السهيلي الأندلسي
١٣٦	- صِفَةُ الْيَدِ ثَابِتَةٌ عَلَى الْحَقِيقَةِ لَا تَوَوَّلَ
١٣٦	- إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي وَجْهَهَا وَعَيْنَيْنِ
	عبد الرحمن بن عمرو، أبو عمرو الأوزاعي الفقيه
٢٢٩	- لَا إِيمَانَ إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلٌ إِلَّا بِإِيمَانٍ
٢٢٩	- يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ
	عبد الرحمن بن مهدي بن حسان اللؤلؤي، أبو سعيد البصري
٩٩	- قَدْ هَلَكَ قَوْمٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ
	عبد العزيز بن أبي سلمة، الماجشون
٢٠٢	- مَنْ زَعَمَ أَنَّ اللَّهَ لَا يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، اسْتَشِيبَ

- عبد الله بن الزبير بن عيسى الحميدي، أبو بكر المكي
٢٣٠ - مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ كُلَّهُ حَتَّى يَمُوتَ كَافِرٌ فِي رِوَايَةٍ
- ٢٢٩ - يَفْرَقُونَ بَيْنَ التَّرْكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرْكِ الْجُزْئِيِّ
- عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي، أبو عبد الرحمن المروزي
١١٣ - اللَّهُ بِذَاتِهِ فَوْقَ الْعَرْشِ، وَعِلْمُهُ فِي كُلِّ مَكَانٍ
- ١١٣ - اللَّهُ يُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْأَبْصَارِ فَوْقَ الْعَرْشِ
- ١١٣ - اللَّهُ يَغْضَبُ وَيَرْضَى وَيَتَكَلَّمُ بِمَا شَاءَ
- ١١٣ - اللَّهُ يَنْزِلُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا
- ٢٣٤ - لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بَدَنًا، وَلَا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
- عبد الله بن سعيد، أبو محمد القطان البصري، ابن كُلاب
١٤١ - أُثْبِتَ الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ
- خَلَقَ مَا عدا الْكَلَامَ النَّفْسِيَّ مِنَ الْمَسْمُوعِ وَالْمَقْرُوءِ وَالْمَحْفُوظِ، وَالْمَكْتُوبِ
١٤١ - وَالْمَتَدَبَّرِ
- ١٤٤ - نَازَعَ فِي إِبْطَالِ الْحَرْفِ وَالصَّوْتِ
- عبد الله بن عباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، أبو محمد الهاشمي
١٣١ - إِبْطَالُ الْقَدَمَتَيْنِ لِلَّهِ
- ١١٩ - الْكُرْسِيُّ عِلْمُ اللَّهِ
- ١٢٠ - الْكُرْسِيُّ قُدْرَةُ اللَّهِ
- ٩٤ - آيَاتُ الصِّفَاتِ مِنَ الْمُتَحَكِّمَاتِ
- ٢١١ - مِيزَانُ الْأَعْمَالِ لَهُ لِسَانٌ
- عبد الله بن عمر بن الخطاب، أبو عبد الرحمن العلوي
٢٦٠ - رَجَعَ عَنْ قِتَالِ نَجْدَةِ الْحُرُورِيِّ
- عبد الله بن قيس بن سليم بن حضار، أبو موسى الأشعري
١٣١ - إِبْطَالُ الْقَدَمَتَيْنِ لِلَّهِ
- عبد الله بن محمد الضعيف
١٤٨ - قُعْدُ الْخَوَارِجِ أَخْبَثُ الْخَوَارِجِ، وَقُعْدُ الْجَهْمِيَّةِ هُمْ الْوَاقِعَةُ

الصفحة

المذهب/ القول

- عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلي، أبو عبد الرحمن
١٣١ - إثبات القدمين لله
- ١٢٠ - الكرسي غير العرش
- ١٢٠ - بين السماء الدنيا والتي تليها خمس مئة عام، وبين كل سماء خمس مئة عام
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف، أبو المعالي الجويني إمام الحرمين
٤٣ - استحل إطلاق القول بأن العبد خالق أعماله
- ٤٣ - القدرة الحادثة تؤثر في مقدورها عنه
- ٤٣ - فعل العبد واقع بقدرته فقط
- ٤٣ - قدرة العبد منفردة بالتأثير في فعله
- ٥٢ - نفي صفة الوجه
- ٥٢ - نفي صفة اليد
- ٥٢ - نفي صفتي العلو والاستواء
- عبد الملك بن قريب بن عبد الملك بن علي، أبو سعيد الأصمعي البصري
١٣٣ - إذا سمعت الرجل يقول: الاسم غير المسمى، فاحكم عليه بالزندقة
- عبد الوهاب الوراق
١٢٤ - عبّر عن الاستواء بالعود
- عبد الوهاب بن علي بن نصر، القاضي عبد الوهاب
١١٤ - نصّ على ذكر استواء الله على العرش بذاته
- عثمان بن جني، أبو الفتح
٦٧ - أكثر اللغة مجازاً، لا حقيقة
- عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ أبو سعيد الدارمي
١٥٣ - إثبات النزول بلا تأويل ولا تشبيه، ولا تكيف ولا تعطيل
- عثمان بن سعيد بن عثمان، أبو عمرو الداني
٤٧ - له ميل إلى بعض كلام الباقلاني
- عكرمة مولى ابن عباس
١٢٤ - عبّر عن الاستواء بالجلوس

- علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم، أبو الحسن الهاشمي
٢٢٢ - التفرقة بين قتال الخوارج لإمام جور وبين قتالهم لإمام عدل
٢٢٢ - عدم قتال الخوارج حتى يندؤوا المسلمين بالقتال
٢٢٢ - وإن خالفوا إماماً جائراً فلا تقاؤلوهم (الخوارج)
- علي بن أحمد بن سعيد، ابن حزم الظاهري
٢١١ - أنكر الكفتين في ميزان الأعمال
٢١٢ - يأخذ العصاة كتبهم وراء ظهورهم، والمؤمنون بأيانهم، والكفار بشمالهم
- علي بن إسماعيل، أبو الحسن الأشعري البصري
١٣٧ - إثبات اليد والوجه صفتين حقيقتين زائدتين على الذات
٩٤ - حضور مقالة التفويض في معتقده
٢٠٨ - ليس مجيئه حركة، ولا زوالاً، ولا انتقالاً
١٤٤ - نازع في إثبات الحرف والصوت
١١٤ - نص على ذكر استواء الله على العرش بذاته
- علي بن محمد بن خلف، أبو الحسن بن القاسبي القيرواني
٤٨ - الاعتماد على السمع
٤٨ - الإيمان هو التصديق فقط
٤٨ - الجدل وعلم الكلام
٤٨ - لله يدان؛ كما يقول أهل الحديث والأثر
٤٨ - نص على إخراج العمل من الإيمان
- علي بن مهدي، أبو الحسن الطبري
٥٢ - إثبات العلو والاستواء
٥٢ - إثبات الوجه
٥٢ - إثبات اليد
- عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص الأموي
٢٧٢ - فعل الخلفاء الراشدين من التصديق بكتاب الله

الصفحة

المذهب/القول

- عياض بن موسى بن عياض، القاضي أبو الفضل البحصي
٤٨ - اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام
- عمسي بن بونس
٢٣٤ - لا يكفر أحدًا بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
- غليوم الثاني
٢٦٧ - الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده
- غيلان الدمشقي
١٦٨ - تصرف المخلوق منفردًا كتصرف الخالق
- لويس الخامس عشر
٢٦٧ - الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده
- لويس الرابع عشر
٢٦٧ - الملكة وكالة إلهية
- ٢٦٧ - الملوك هم مسؤولون أمام الله وحده
- ٢٦٧ - سلطة الملوك مستمدة من الله
- مالك بن أنس بن مالك، أبو عبد الله الأصمعي المدني
٢١٧ - الإيمان قول وعمل
- ٢٢٢ - التفريق بين قتال الخوارج لإمام جور وبين قتالهم لإمام عدل
- ١٣٨ - القرآن كان يصف من قال بخلق كلام الله بالزندقة، ويأمر بقتله
- ١٣٨ - القرآن كلام الله، وكلام الله منه، وليس من الله شيء مخلوق
- ١٥٥ ، ١٣٨ - القرآن كلام الله، وكلامه لا يبيد ولا ينفد، وليس بمخلوق
- ١١٣ - الله بذاته فوق العرش، وعلمه في كل مكان
- ١١٣ - الله سبحانه بذاته فوق العرش، وأن علمه في كل مكان
- ١١٣ - الله يرى يوم القيامة بالأبصار فوق العرش
- ١١٣ - الله يغضب ويرضى ويتكلم بما شاء
- ١١٣ - الله ينزل إلى سماء الدنيا
- ٢٠٩ - الميزان حق

- ٥٨ - النَّهْيُ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ عَمُومًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ
- ٢٥٢ - أَمْسَكَ عَنْ التَّفْضِيلِ بَيْنَ عُثْمَانَ وَعَلِيٍّ
- ٥٥ - أَهْلُ الْأَهْوَاءِ هُمُ أَهْلُ الْكَلَامِ
- ٢٣٤ - أَهْلُ الذُّنُوبِ مُؤْمِنُونَ مُذْنِبُونَ
- ٢١٩ - تَوَقَّفْ فِي تَكْفِيرِ الْخَوَارِجِ
- ١٣٢ - قَوْلُ التَّابِعِيِّ لَيْسَ حُجَّةً مَقْطُوعَةً فِي الْفُرُوعِ وَالْأَصُولِ
- ٥٤ - كَانَ يَحْذَرُ أَصْحَابَهُ مِنْ عِلْمِ الْكَلَامِ
- ٢٠١ - كَانَ يَشْدُدُّ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَةِ اللَّهِ
- ٢٥١ - كَانَ يَفْضُلُ أَبَا بَكْرٍ وَعَمَرَ عَلَى غَيْرِهِمَا مِنَ الصَّحَابَةِ
- ٢٢٩ - لَا إِيْمَانًا إِلَّا بِعَمَلٍ، وَلَا عَمَلًا إِلَّا بِإِيْمَانٍ
- ٥٥ - لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ أَهْلِ الْبِدْعِ وَأَهْلِ الْأَهْوَاءِ
- ٢٥٦ - لَا نَصِيبَ فِي الْفِيءِ لِمَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ
- ٢٣٤ - لَا يَكْفُرُ أَحَدًا بِلَذْنٍ، وَلَا يَشْهَدُ لِأَحَدٍ أَنَّهُ فِي الْجَنَّةِ
- ١٣٦ - إِنَّ اللَّهَ يَدْنِي وَجْهَهَا وَعَيْنَيْ
- ٢٢٦ - لَيْسَ لِلإِيْمَانِ مُتَهَيٍّ؛ هُوَ فِي زِيَادَةٍ أَبَدًا
- ٥٤ - مَا قَلَّتِ الْأَثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ
- ٥٤ - مَنْ طَلَبَ الدِّينَ بِالْكَلامِ، تَزَنَّقَ
- ١٢٧ - نَفَى مَالِكٌ مَعْرِفَةَ كَيْفِيَّةِ الصِّفَاتِ وَفَوْضَهَا، وَلَمْ يَفُوضِ الْحَقِيقَةَ
- ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
- ٢٢٩ - يُنْكِرُونَ قَوْلَ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الإِيْمَانَ قَوْلٌ بِلَا عَمَلٍ

متقدمو الأشاعرة

- ١٣٦ - إثباتُ الوجوه والبدلِ لله تعالى على الحقيقة
- ٥٢ - إثباتُهُمُ الصِّفَاتِ الْخَبَرِيَّةَ، وَلَا يَتَأَوَّلُونَهَا

متقدمو المالكية

- ٢٠١ - كَانُوا يُشَدِّدُونَ عَلَى مَنْكِرِ رُؤْيَةِ اللَّهِ
- ١٤٦ - كَلَامُ مُتَقَدِّمِي الْمَالِكِيَّةِ يَجْرِي مَجْرَى كَلَامِ السَّلَفِ

الصفحة

المذهب/ القول

- محمد بن أحمد بن عبد الله، أبو بكر بن خُوَيْرِزٍ وَمَنْدَاذَ
 ٥٥ - أَهْلُ الْأَهْوَاءِ هُمْ أَهْلُ الْكَلَامِ
 ٥٥ - كَانَ يَنْهَى عَنْ قَبُولِ شَهَادَةِ أَهْلِ الْكَلَامِ كَافَّةً
 محمد بن أحمد بن مجاهد، أبو عبد الله الطائفي البصري
 ٥٢ - إِبْطَاءُ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِوَاءُ
 ٥٢ - إِبْطَاءُ الْوَجْهِ
 ٥٢ - إِبْطَاءُ الْيَدِ
 محمد بن إدريس بن العباس، أبو عبد الله الشافعي
 ٤٤ - الْفَقْهُ فِي الْكَلَامِ الْجَهْلُ بِهِ
 ٥٨ - النَّهْيُ عَنْ عِلْمِ الْكَلَامِ عَمُومًا بِلَا اسْتِثْنَاءٍ
 ٢٢٢ - عَدَمُ قِتَالِ الْخَوَارِجِ حَتَّى يَنْدُؤُوا الْمُسْلِمِينَ بِالْقِتَالِ
 ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي الْجَنَّةِ
 ٢٢٩ - يَفْرُقُونَ بَيْنَ التَّرِكِ الْكُلِّيِّ لِلْعَمَلِ وَبَيْنَ التَّرِكِ الْجُزْئِيِّ
 محمد بن أسعد الصديق، جلال الدين الدواني
 ٤٣ - الْحَوَادِثُ لَا أَوَّلَ لَهَا
 ٤٣ - الصِّفَاتُ عِنْدَهُ عَيْنُ الذَّاتِ
 ٤٣ - يَقُولُ بِعَيْنِيَّةِ الصِّفَاتِ
 محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، الإمام البخاري
 ١٤٣ - اللَّهُ يَتَكَلَّمُ بِصَوْتٍ
 محمد بن الطيب، أبو بكر الباقلاني
 ٥٢ - إِبْطَاءُ الْعِلْمِ وَالْإِسْتِوَاءُ
 ٥٢ - إِبْطَاءُ الْوَجْهِ
 ١٣٦ - إِبْطَاءُ الْوَجْهِ وَالْيَدِ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى الْحَقِيقَةِ
 ٥٢ - إِبْطَاءُ الْيَدِ
 ١٧٣ - لَا يَقُولُ بِالْكَسْبِ
 ١١٤ - نَصَّ عَلَى ذِكْرِ اسْتِوَاءِ اللَّهِ عَلَى الْعَرْشِ بِذَاتِهِ

- ١٣٦ - نفى الوجه واليد لله تعالى من مخازي المعتزلة
محمد بن الكلاهي
- ١٤٠ - القول بخلق القرآن في المغرب
محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب، ابن جرير الطبري
- ١١٤ - نص على ذكر استواء الله على العرش بلاثته
محمد بن رشد، أبو الوليد بن رشد الجد
- ١٢٨ - أسماء الله وصفاته إنما تفهم من جهة السمع
الجلوس والتحيز والمماثلة مستحيلة في صفات الله
- ١٢٥ - إن الله يدين ووجهها وعينين
لم يمنع أن يكون الاستواء من صفات الله الفعلية
- ١٢٥ - ما وصف الله به نفسه لا مجال للعقل فيه
محمد بن سحنون بن سعيد بن حبيب، أبو عبد الله التنوخي القيرواني
- ١٣٧ - الله سمي نفسه، ولم يزل له الأسماء الحسنى
محمد بن عبد الله الأندلسي، أبو عبد الله، ابن أبي زمنين
- ١٠٨ - الله مستوي على عرشه، بائن من خلقه، قريب لهم يعلمه
من العلم بالله: الجهل بما لم يخبر الله به عن نفسه
- ٦١ - محمد بن عبد الله بن محمد، القاضي أبو بكر بن العربي
اعتمد تقرير العقائد على طريقة أهل الكلام
- ٤٨ - أنكر على ابن خوزن ومثناة، وابن أبي زيد طريقتهما في إثبات العقائد
محمد بن علي بن محمد، أبو أحمد الكرجي القصاب
- ٩٣ - لا يلزم من إثبات حقيقة الصفات التشبيه
لازم نفي الصفات التعطيل
- ٩٣ - محمد بن عمر بن الحسين، فخر الدين الرازي
إثبات الأشعري اليد والوجه إثبات لا توقف فيه
- ١٣٧ - الصفات نسب وإضافات بين الذات وبين المعلوم والمقدور والمراد
٤٣

- محمد بن محمد بن أحمد الطوسي، أبو حامد الغزالي
٥٢ - نفى صفة الوجه
٥٢ - نفى صفة اليد
٥٢ - نفى صفتي العلو والاستواء
محمد بن محمد بن محمود، أبو منصور الماتريدي
٩٤ - حضور مقالة الضويع في معتقديه
معبد الجهني
١٦٨ - تصرف المخلوق منفردًا كتصرف الخالق
مكي بن أبي طالب، أبو محمد القيسي القيرواني
٤٩ - أكثر كلامه التصريح بإثبات الاستواء
٤٩ - تأول الاستواء بالقدر
٤٩ - تأول صفة اليد بالقدر
١٥٣ - نفى النزول عن الله تعالى
وكيع بن الجراح بن مليح، أبو سفيان الرواسي الكوفي
١٢٤ - عبر عن الاستواء بالجلوس
٢٣٤ - لا يكفر أحدًا بذنب، ولا يشهد لأحد أنه في الجنة
يعقوب بن إبراهيم بن حبيب، القاضي أبو يوسف
٥٥ - من طلب الدين بالكلام، تزندق
يوسف بن عبد الله بن محمد، جمال الدين بن عبد البر
٤٧ - أبطل قول المتكلمين بتفسير الاستواء بالاستيلاء
٤٧ - إثبات علو الذات، واستواء الله على عرشه
٤٧ - إثبات نزول الله على الحقيقة على ما يليق به
٤٧ - الإقرار بالصفات الواردة كلها في القرآن والسنة
٢٠٨ - الله ليس بمحل للحركات، ولا فيه شيء من علامات المخلوقات
٥٦ - لا تجوز المناظرة في مباحث الغيبيات ومسائل الصفات
٥٦ - لا تقرر مباحث الغيبيات ومسائل الصفات بالنظر

- ١٢٤ - لا نَسْمِيهِ، وَلَا نَصِفُهُ، وَلَا نُطَلِّقُ عَلَيْهِ، إِلَّا مَا سَمَى بِهِ نَفْسُهُ
- ٥٦ - لَيْسَ فِي صِفَاتِ اللَّهِ وَأَسْمَائِهِ إِلَّا مَا جَاءَ فِي الْكِتَابِ أَوِ السُّنَّةِ
- ٢٠٨ - لَيْسَ مَجِيئُهُ حَرَكَةً، وَلَا زَوَالًا، وَلَا انْتِقَالًا
- ٢٣٦ - مُسْتَقَرُّ أَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ الْمَوْتِ فِي أَقْنِيَةِ الْقُبُورِ
- ١٥٣ - نَفِي التَّزَوُّلِ عَنِ اللَّهِ تَعَالَى
- ١٢٤ - نَقُولُ: اسْتَوَى مِنْ لَا مَكَانٍ إِلَى مَكَانٍ، وَلَا نَقُولُ: انْتَقَلَ
- ١٢٤ - نَقُولُ: خَلِيلُ إِبْرَاهِيمَ، وَلَا نَقُولُ: صَلِيقُ إِبْرَاهِيمَ
- ٨٧ ، ٦١ - نُهَيِّنَا عَنِ التَّفَكُّرِ فِي اللَّهِ، وَأَمْرُنَا بِالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِهِ الدَّالِّ عَلَيْهِ
- ٢٠٩ - هُوَ عَلَى طَرِيقَةِ السَّلَفِ فِي الصِّفَاتِ
- ٢٠٩ - يُثَبِّتُ الْاِسْتِثْنَاءَ عَلَى ظَاهِرِهِ

٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة

الصفحة

٢٨٠

الحكمة/ المقصد

- النُّهْيُ عَنْ مَخَالَطَةِ الْبَاطِلِ

١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال

الصفحة	الحكمة/ المثل/ ومأثور الأقوال
٧٧	- أَرْحَى الْقُلُوبَ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ
٢١	- التَّوَسُّعُ بِالْمَنْعَةِ الْعَاجِلَةِ يُنْسِي النِّعَمَ الْآجِلَ
٥٩	- الَّذِينَ لَمْ يُنَزِّلَهُ اللَّهُ لِلْأَذْكِيَاءِ، بَلْ أَنْزَلَهُ اللَّهُ لِلْأَسْوِيَاءِ
٦٠	- الْعِلْمُ الصَّحِيحُ يُورِثُ خَشْيَةَ اللَّهِ
٧٣	- الْغَايَةُ مِنَ الْعِلْمِ: الْعَمَلُ بِالْمَأْمُورِ، وَتَرْكُ الْمَحْظُورِ
١٦٢	- الْقَدَرُ لَا يُدْرِكُ بِجِدَانٍ، وَلَا يَشْفِي مِنْ مَقَالٍ
١٠	- الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ فَيَسِيذُ، وَلَا صِفَةٌ لِمَخْلُوقٍ فَيَتَقَدَّرُ
١٢١	- اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى، وَعَلَى الْمُلْكِ اخْتَوَى
٢٦٧	- النَّاسُ فِي حَاجَةٍ إِلَى عَالِمٍ مُتَجَرِّدٍ
١٥٧	- إِنَّ الْحَفَرَ لَا يُنْجِي مِنَ الْقَدَرِ
٧٧	- تَعْلِيمُ الصَّغَارِ لِكِتَابِ اللَّهِ، يُظْفِقُ غَضَبَ اللَّهِ
٧٧	- تَعْلِيمُ شَيْءٍ فِي الصَّغَرِ، كَالنَّقْشِ فِي الْحَجَرِ
١٦٨	- خَذَلَ اللَّهُ مِنْ عَصَاهُ وَكَفَّرَ بِهِ، فَأَسْلَمَهُ وَسَرَّهُ لِذَلِكَ فَحَبَبَهُ وَأَضْلَعَهُ
٧٧ ، ٦	- خَيْرُ الْقُلُوبِ أَوْعَاظًا لِلْخَيْرِ
٩٠	- كُلُّ عَظِيمٍ لَهُ آيَاتٌ
١٠	- كُلُّ مُيسَّرٍ بِتيسيره، إِلَى مَا سَبَقَ مِنْ عَلَيْهِ وَقَدَرَهُ، مِنْ شَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ
١٦٨	- كُلُّ يَتَبَّهِ إِلَى سَابِقِ عَلَيْهِ، لَا مَحِيصَ لِأَحَدٍ عَنْهُ
١٩	- كَمَا لَمْ يَتَوَفَّقِ لِإِصَابَةِ الْحَقِّ عَنْ عِلْمٍ بِهِ
٢٧٥	- لَا تُعَارِضُ السُّنَنَ بِرَأْيٍ، وَلَا تُدَافِعُ بِقِيَاسٍ
٢٧٥	- لَا تَتَّبِعْ الْبِدْعَ إِلَّا عِنْدَ مَنْ عَقِلَ الْأَثَرَ
٧٦	- لَا يَصْرِفُ أَحَدًا عَنِ الْحَقِّ وَهُوَ يَرِيدُهُ

الصفحة

الحكمة/ المثل/ ومأثور الأقوال

- لَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِنِيَّةٍ، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ
وَنِيَّةٌ إِلَّا بِمُوَافَقَةِ السُّنَّةِ ١٢ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢
- مَا قَلَّتِ الْأَثَارُ فِي قَوْمٍ إِلَّا ظَهَرَتْ فِيهِمُ الْأَهْوَاءُ، وَلَا قَلَّتِ الْعِلْمَاءُ إِلَّا ظَهَرَ
فِي النَّاسِ الْجَفَاءُ ٥٤
- مَقَادِيرُ الْأُمُورِ بِيَدِهِ تَعَالَى، وَمَصْدَرُهَا عَنْ قَضَائِهِ ١٠
- مَنْ جَهِلَ الْأَثَرَ اسْتَحْسَنَ الْعَمَلَ بِالرَّأْيِ ٢٧٥
- مَنْ عَطَّلَ الْعَقْلَ، فَسَدَتْ دُنْيَاهُ، وَمَنْ عَطَّلَ النُّفْلَ، فَسَدَ دِينُهُ ٢٠
- وَاجِبُ الْعِلْمَاءِ تَبَيُّنُ الْحَقِّ حَسَبَ الطَّاقَةِ، وَاللَّهُ كَفِيلٌ بِإِظْهَارِهِ ٤٥
- يَجِيءُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِعَرْضِ الْأُمَمِ وَحِسَابِهَا، وَعُقُوبَتِهَا وَنَوَائِبِهَا ١١
- يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَذِّلُهُ بِعَذْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ ١٦٧
- يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيُخَذِّلُهُ بِعَذْلِهِ ١٠
- يَغْتَبِرُ الْمُتَفَكِّرُونَ بِآيَاتِهِ، وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَا هِيَ دَاتِهِ ٨٩ ، ٩
- يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ

١١ - فهرس الفوائد

الصفحة	الفائدة
١٤١	- ابن كُلاب أول من فرّق بين الكلام النفسي وبين الكلام اللفظي
٢٤	- إذا أطلق إفريقية، فالمراد بها: القيروان
٢٩	- أكثر رؤوس الاعتزال حنيفة في الفروع
٣١	- إنما قويت شوكة أهل الظاهر في المغرب الأقصى بعد ابن حزم
٤٢	- أهل الحديث نزاعهم في الفروع، وأهل الكلام نزاعهم في الأصول والفروع
٣٠	- أول من أدخل الفقه الظاهري بلاد الأندلس تلاميذ داود الأصفهاني
١٦١	- أول من شهر نقي القلندر
٤٥	- تحريف المعتزلة القرآن على كسوة الكعبة
١٣٧	- تسمي العرب ما يصل من القول إلى الإنسان كلاماً
	- كان ابن الحارث ناقل عقيدة ابن حنبل إلى المغرب من شيوخ ابن أبي زيد
٢٦	القيرواني
٢٣	- كان السلف يسمون القيروان: إفريقية
٣٠	- كان المغاربة يسمون داود الظاهري: القياسي
٢٨	- كثير من أمراء الأغالية كانوا على الفكر الاعتزالي
٢٧	- لا يوجد مالكي معتزلي إلا أبا إسحاق إبراهيم الغافقي
٢٦	- لابن سحنون كتاب في أدب المتناظرين
٢٣٩	- لماذا سميّت حياة البرزخ بهذا الاسم
١٤٠	- هم المغاربة بقتل سليمان الفراء حينما قال بخلي القرآن

١٢ - فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المُقَدِّمَةُ الْمُقَدِّمَةُ، لِلرَّسَالَةِ الْفَقْهِيَّةِ	٥
فضلُ العلمِ وأفضله	١٩
حفظُ العقلِ والنقلِ	٢٠
فضلُ قُرْبِ الزمانِ والمكانِ الأوَّلِ	٢١
المَغْرِبُ في زمنِ الصحابةِ والتابعينِ	٢٢
السُّنَّةُ والأثرُ وعلمُ الكلامِ في المَغْرِبِ	٢٤
أثرُ المَشْرِقِ على المَغْرِبِ	٢٥
فلسفةُ اليونانِ وأثرها على المتكلمينِ	٢٥
اعتقاد أهلِ المغربِ	٢٦
وجودُ الاعتزالِ في المغربِ، وموقفُ العلماءِ منه	٢٧
بدايةُ رَدِّ المغاربةِ على المشاركةِ في الفروعِ لا في الأصولِ	٢٩
أسبابُ تأخُّرِ ذبوعِ علمِ الكلامِ في المغربِ	٣١
أسبابُ انتشارِ علمِ الكلامِ في المغربِ	٣٣
أثرُ الاعتزالِ في قَبُولِ علمِ الكلامِ على طريقةِ الأشاعرةِ	٣٧
مراتبُ المخالفينِ تقتضي مدحَ الأقربِ واللينَ معه	٣٧
كتابةُ أهلِ المغربِ في العقائدِ	٣٩
أصولُ مالكٍ وفروعهُ، وأحوالُ أصحابِهِ في المغربِ	٤٠
الحديثُ والكلامُ، وأثرهما في الخلافِ	٤٢
ثباتُ أهلِ المغربِ، وامتناعُهم بعلمِ الكلامِ	٤٣
التأويلُ والتفويضُ في كلامِ بعضِ أهلِ السُّنَّةِ	٤٦
علمُ الكلامِ والإمامُ مالكُ بنُ أنسٍ	٥٣
الرأيُ وعلمُ الكلامِ	٥٤
نهيُ مالكٍ عن علمِ الكلامِ، ومراثيه	٥٥

٥٩	الاسترسال في علم الكلام وأثره
٦٠	التعرف على الله بعلم الكلام يورث الوحشة
٦١	اعتقاد السلف في الصفات
٦٢	اللغة وعلم الكلام، وأسباب انتشار البدعة
٦٤	خطأ المتكلمين في استعمال اللغة
٦٩	الشرح
٧٣	سعة الحلال، وضيق الحرام
٧٤	بيان المؤلف لموجب التأليف
٨١	فضل الصلاة على النبي، ومواضعه
٨٤	حكم الصلاة على غير النبي
٨٥	مجمال اعتقاد أهل السنة في الله تعالى
٨٦	حكم التذكير في ذات الله
٨٨	أنواع ظاهر الصفات
٩٠	معرفة الله بآياته الكونية
٩٠	سبب الوقوع في الشرك
٩٢	عقيدة التفويض
٩٣	تاريخ مذهب التفويض
٩٥	نسبة التفويض للسلف
٩٨	توهم التعظيم يؤدي إلى التفويض والتعطيل
١٠٠	رواية الأئمة لأحاديث الصفات، واحترازهم من سوء فهمها
١٠٥	توهم اللوازم الباطلة يقضي إلى التفويض والتأويل والتعطيل
١٠٥	حلل الله
١٠٧	العلو والمعية
١١١	نفى بعض الصفات لأجل توهم إحاطة المخلوقات بالخالق
١١٣	الاستواء على العرش
١١٨	الكريمي
١٢٠	إحاطة علم الله بكل شيء
١٢١	عودة إلى الكلام على استواء الله على العرش
١٢٢	الحذر من التشبيه، وحكم التعبير عن الصفات بما لم يرد في الشريعة من الإشارة والكلام

الصفحة

الموضوع

- ١٢٩ الأسماء والصفات
- ١٣٠ ما وَرَدَ مِنَ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ عَنْ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ
- ١٣٢ أسماء الله
- ١٣٣ حقيقة الصفات
- ١٣٥ الإقرار بإثبات الصفة يُبْطِلُ التَّفْوِيزَ
- ١٣٧ كلامُ الله
- ١٣٨ شِدَّةُ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ عَلَى الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ
- ١٤٠ ظُهُورُ الْقَوْلِ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ فِي الْمَغْرِبِ
- ١٤١ أَصْلُ فِتْنَةِ خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَالْكَلَامُ النَّفْسِي
- ١٤٣ الْحَرْفُ وَالصُّوْت
- ١٤٤ مِنْ حُجَجِ نَفَاةِ الصَّوْتِ وَالْحَرْفِ لِلَّهِ
- ١٤٨ الْوَاقِفَةُ فِي خَلْقِ الْقُرْآنِ، وَسَبَبُ التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ
- ١٤٩ مِنْ أَدْلَةِ الْقَائِلِينَ بِخَلْقِ الْقُرْآنِ
- ١٥٢ صِفَةُ التَّجَلِّيِّ لِلَّهِ تَعَالَى
- ١٥٣ صِفَةُ نُزُولِ اللَّهِ تَعَالَى
- ١٥٥ الْقُرْآنُ كَلَامُ اللَّهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ
- ١٥٦ الْإِيمَانُ بِالْقَدَرِ
- ١٥٨ تَقْدِيرُ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ
- ١٦٠ لَا يُنْسَبُ الشَّرُّ إِلَى اللَّهِ
- ١٦١ الْجَدَالُ فِي الْقَدَرِ
- ١٦٢ أَعْمَالُ الْعِبَادِ وَخَلْقُهَا
- ١٦٣ أَمْرُ اللَّهِ وَنَهْيُهُ وَقُدْرَتُهُ، وَتَوْهُمُ بَعْضِ النَفُوسِ الظُّلُمَ
- ١٦٥ الْعِلْمُ بِالْأَسْبَابِ لَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ
- ١٦٦ عِلْمُ اللَّهِ بِكُلِّ شَيْءٍ
- ١٦٧ مَشِيئَةُ اللَّهِ وَقُدْرَتُهُ عَلَى خَلْقِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ
- ١٦٨ الْمُخَالَفُونَ فِي الْقَدَرِ
- ١٧٣ الْحَتْمِيَّةُ السَّيِّئَةُ
- ١٧٤ نَفْيُ الْقَدَرِ يَلْزَمُ مِنْهُ الْعَجْزُ

الصفحة

الموضوع

١٧٦	رسالة النبي، وكتابه
١٧٧	ختم رسالة النبي ﷺ للرسالات
١٧٩	حكم اتباع دين غير الإسلام
١٧٩	والكفر حينئذ جاء من جهات أعظمها
١٨١	الإسلام وحرية الدين
١٨٢	شبهات في حرية ترك الإسلام
١٨٥	الإيمان بالكتب السماوية، والحكمة من إرسال الرسل
١٨٦	مصدر تفسير القرآن
١٨٨	الإيمان بالقيامة وما فيها
١٨٩	التفخ في الصور
١٩٠	واختلّف في التفخات
١٩٠	بعث الأجساد وجزاؤها
١٩١	أشراط الساعة
١٩١	تنزيل أشراط الساعة على الواقع
١٩٢	الحساب والعقاب
١٩٤	حكم من مات ولم يثب من دينه
١٩٥	مصير من دخل النار من عصاة المسلمين
١٩٦	وخالف في هذا الخوارج والمعتزلة، والمرجئة
١٩٦	الشفاعة وأحكامها
١٩٩	رؤية الله في الآخرة
٢٠٣	الجنة والنار، ولمن أعدهما الله
٢٠٤	خلق الجنة والنار
٢٠٥	خلود الجنة والنار
٢٠٦	صفة المجيء لله
٢٠٩	الميزان والوزن
٢١١	صحائف الأعمال، وكيفية استلامها يوم القيامة
٢١٢	الصراط وأحوال الناس فيه
٢١٤	الحوض المورود
٢١٥	حقيقة الإيمان

الصفحة

الموضوع

٢١٦ والطوائف المخالفة في هذا الباب على سبيل الإجمال طائفتان
٢١٩ أسباب الافتتان برأي الخوارج
٢٢٠ الصفة الجامعة للخوارج
٢٢٢ الموقف عند اجتماع الضلالات
٢٢٣ الموازنة بين المرجئة والخوارج
٢٢٣ زيادة الإيمان ونقصائه
٢٢٦ زوال الإيمان وكماله
٢٢٦ نقصان الإيمان عند مالك
٢٢٧ الاستثناء في الإيمان
٢٢٨ الإيمان قول وعمل
٢٢٩ حكم تارك العمل كله
٢٣١ أثر إخراج العمل من الإيمان
٢٣٣ التكفير بالذنوب، وأحوال الطوائف
٢٣٥ أرواح الموتى وأحوالها
٢٣٨ القبر وفتنته
٢٤١ كتابة الأعمال على المكلفين
٢٤٣ الأرواح وقبضها
٢٤٥ فضل خير القرون
٢٤٦ معنى القرن
٢٤٧ فضل الصحابة، وتفاضلهم
٢٤٨ الوقوع في الصحابة
٢٥٠ التفاضل بين الصحابة
٢٥٢ التوسع في التفضيل بين الصحابة
٢٥٣ ظهور الطعن في الصحابة في المغرب
٢٥٤ ما شجر بين الصحابة
٢٥٦ امتحان أهل المغرب بالصحابة
٢٥٧ فتنة الرافضة إذا تمكّنوا
٢٥٨ الطاعة لأئمة المسلمين بالمعروف
٢٥٩ الخروج على الأئمة وأحواله

الموضوع	الصفحة
نصح الأئمة	٢٦٢
وجور أئمة المسلمين وظلمهم وأخطائهم على نوعين	٢٦٢
الخطأ في نصوص السنن والطاعة	٢٦٤
ابتلاء المصلح	٢٦٨
تجرد المصلح	٢٦٨
فضل السلف وأتباعهم	٢٦٩
سبب تفضيل السلف	٢٧٠
تعظيم فقه الصحابة	٢٧١
الاستدلال بحديث يخالف الصحابة	٢٧٢
حقيقة العمل الذي يقدم على الحديث	٢٧٣
ترك الجراء والجذال	٢٧٦
طرق معرفة حق الله	٢٧٦
المجتهد ببدعة	٢٧٧
التحذير من الجدال والجراء في الدين	٢٧٨
حسن القصد وسوءه، وأثره على فهم القرآن	٢٧٩
هجر الجدال والجراء وأهله	٢٨٠
الفهارس العامة	٢٨٣
١ - فهرس الآيات	٢٨٥
٢ - فهرس الأحاديث	٣٠٤
٣ - فهرس الآثار وأقوال الأئمة والعلماء	٣١٠
٤ - فهرس الأشعار والأرجاز وأنصاف الآيات	٣٢٣
٥ - فهرس المصطلحات	٣٢٤
٦ - فهرس القواعد والكتليات	٣٢٥
٧ - معجم الموضوعات ورؤوس المسائل	٣٣١
٨ - فهرس المذاهب والأقوال	٣٥٥
٩ - فهرس حكمة التشريع ومقاصد الشريعة	٣٧٥
١٠ - فهرس الحكم والأمثال ومأثور الأقوال	٣٧٦
١١ - فهرس الفوائد	٣٧٨
١٢ - فهرس الموضوعات	٣٧٩

المَغْرِبِيَّةُ

شَرْحُ الْعَفِيكَةِ الْفَرَوَانِيَّةِ

(وَهُوَ مَا نَقَلَهُ الْفَرَوَانِيُّ مِنْ قَوْلِ مَالِيٍّ، وَالْمَغْلُومُ مِنْ مَذْهَبِهِ، وَمَا

عَلَيْهِ أَهْلُ السُّنَّةِ وَأَيُّمَةُ النَّاسِ فِي الْبَغْيِ وَالنَّكَاحِ)

تأليف

عبد العزيز بن مرزوق الصريحي

مكتبة دار المنهاج بالرياض